الموصل

في العهد العثماني

فترة الحكم المحلي

١١٣٩ - ١٢٤٩هـ

١٧٢٦ - ١٨٣٤م

عماد عبد السلام رؤوف

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث
حازت على تقدير « ممتاز »
من كليـــة الآداب ـ جامعة القاهرة
كانون الثاني ١٩٧٣



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر تاريخ العراق في العصور الحديثة من المجالات الواسعة التي تأخذ ماتستحقه من إهتمام الباحثين ، فلا زالت أغلب الدراسات التاريخي المتخصصة قاصرة على تناول أوضاع العراق في عصوره الزاهرة في القرو الوسطى ، وبذلك فقد أهمل ما أعقب سقوط الدولة العباسية من عهود ح بدء تاريخ العراق المعاصر مـع نشوب الحرب العالمية الأولى ، بمعنى فترة طويلة تزيد على السبعة قرون قد أهملت اهمالا حقيقياً ، إلا من بعظ الدراسات الحديثة - وهي ماتزال قليلة - إقتصرت على معالجـة الجوا السياسية لتلك الفترة دون أن تمتد لتشمل الجوانب الحضارية الأخرى، واقتصر المؤلفات المتناثرة التي كتبها كتاب غير متخصصين على تناول تاريخ بغداد د غيرها على أساس فكرة عامة مفادها أن تاريخ بغداد ، وهي مركز الثقل القا في العراق يعد تاريخاً للعراق بأكمله ، وتلك فكرة غير دقيقة كان من شأنها أصبحت مصدراً لكثير من التعميمات غير المنطبقة على واقع الحال في كثـير الأحيان ، كما كانت سبباً في حرمان أجزاء أخرى من العراق من ألقاء أي ضوء تاريخها في تلك العهود . فان سياسة توحيد العراق تحت سلطة مركزية واحدة مقرها بغـداد ، لم تبدأ بالتنفيذ إلا مـع مطلع القرن الثامن عشر ، و تنفيذ هذه السياسة يصطدم دائماً بصعوبات جمة ، أهمها ظهور الشخصية المحلية للولايات العراقيـة بزعامـة أسر قوية من سكانها أنفسهم ، وهو

نجم عن إنحسار القوة الفعلية للسلطة المركزية العثمانية ومحاولة القوى المحلية ملء الفراغ الناجم عن ذلك الانحسار. فكان من الضروري إذن تفهم طبيعة الشخصية المختلفة لكل ولاية عراقيـــة خلال ذلك العصر ، كبداية لفهم العلاقات السياسية التي كانت سائدة بين تلك الولايات ، وهو ما إنتهى الى تـكوين العراق الحديث .

وكان إختياري للفترة التي تولت فيها الأسرة الجليلية مقاليد الحكم في ولاية الموصل شمالي العراق مابين سنتي ١٧٢٦ و ١٨٣٤ م / ١١٣٩ - ١٢٤٩هـ قائماً على عدة إعتبارات موضوعية أهمها :

أولا : ان الموصل تميزت في هذا العهد بحكم شبه ذاتي ، وبشخصية محلية واضحة المعالم ، تجلت في مختلف الجوانب السياسيـــة والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية والعمرانية ، فهي تعد - من هذه الزاوية - نموذجاً جيداً للبحث في مكونات شخصية الولاية العراقية في العصر العثماني

ثانياً : كانت الموصل - بحكم موقعها الجغرافي - أكثر مدن العراق اتصالا ببلاد الشام ، وأشدها تأثراً بالتيارات الحضارية الهابة من منطقة البحر المتوسط ؛ وبذلك كانت - في أحيان كثيرة - مجالا لعملية شـــد وجذب بين منطقتين حضاريتين هامتين ، بلاد الشام من ناحيـــة والعراق - وبخاصة مركز ثقله السياسي بغداد - من ناحية أخرى . فدراستي - من هذه الوجهـة - تعد محاولة للكشف عن قيمة كل من تلك المؤثرات في تكوين ملامح شخصية الموصل الخاصة خلال العصر العثماني .

ثالثاً : لقد إستمرت الموصل - للاسباب المذكورة - في محاولاتها للحفاظ على كيانها الذاتي ، بالحد من تأثير العملية الحضارية والسياسية التي كانت تقودها بغداد لضم العراق برمته تحت سيطرتها المركزية النامية

فكانت بذلك آخر ولاية عراقية تدخل في فلك بغداد ، حتى يمكن القول بأن تاريخ الموصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لم يكن - في أحد جوانبه - إلا تاريخاً للصراع والتفاعل بين إرادتها المحلية وإرادة بغداد المركزية .

وكان سبيلي في البحث عن طبيعة تلك المرحلة التاريخية الهامة ، هو دراسة تاريخ ولاية الموصل من مختلف جوانبه ، وعدم الاقتصار على الجانب السياسي وحده وذلك عن يقين بأن تاريخ ذلك العهد - كغيره من العهود - يمثل في حقيقته نسيجاً معقداً متشابكاً من مختلف النشاطات البشرية بحيث لايمكن الخروج بفكرة واضحة عن جانب منه ، دون إستيعاب أثر الجوانب الأخرى فيه ، لذا فقد قسمت هذا البحث الى تمهيد وبابين وخاتمة وخصصت التمهيد لبيان موقع الموصل الجغرافي وأثر العوامل الطبيعية والتاريخية في رسم حدود الولاية إبان عهد الجليليين ، مع عرض تاريخي للمراحل التي عاشتها الموصل حتى تولى آل الجليلي السلطة في القرن الثامن عشر .

أما البابان اللذان يكون صلب الدراسة ، فقد خصصت أولها لدراسة التطور السياسي للولاية آنذاك ، وقسمته الى خمسة فصول . تناولت في الفصل الأول منها مسألة ظهور آل الجليلي على مسرح السياسة ، محاولا الكشف عن حقيقة الاسباب المؤدية الى ذلك الظهور ، ثم تناولت في الفصل الثاني طبيعة الحياة السياسية التي كانت تحياها الموصل في عهد الجليليين ، بهدف التوصل الى الأسباب الكامنة وراء تمكنهم من الحكم طوال هذه المدة التي زادت على القرن ، والتعرف على سياستهم الداخلية وموقفهم من القوى المحلية المختلفة داخل الموصل ذاتها .

وفي الفصل الثالث عرضت الى دراسة الدور السياسي الذي لعبته الموصل في علاقاتها مع الباب العالي ، باعتبار أن السلطان بقي - رغم ضعفه

سيطرته الفعلية ـ ممثلا لشرعية الحكم ، ومصدراً للسلطة في ولاياته ، كما عرضت في الفصل الرابع الى دراسة علاقة الموصل بولاية بغداد ، باعتبارها مركز الثقل الرئيسي في العراق ، وتطرقت إلى البحث في علاقة الموصل بالإمارات والقوى المجاورة ، وفي مقدمتها إمارة بهدينان في العمادية ، محاولا ـ من وراء ذلك ـ الكشف عن الموازين الدقيقة التي كانت تؤدي دورها في تلك العلاقات المتشابكة .

أما الفصل الأخير في الباب الأول ، فقد خصصته لدراسة نهاية حكم آل الجليلي في الموصل ، والظروف الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى رسم تلك النهاية ، سواء أكانت تلك الظروف داخلية محضة تتعلق بالتركيب الاقتصادي والاجتماعي للولاية ، أم خارجية ترتبط بموازين القوى السياسية في الشرق الأوسط .

وتناولت في الباب الثاني ، دراسة التطور الحضاري للموصل في عهد الجليليين ، وقد قسمته إلى خمسة فصول ، بحثت في أولها نظم الإدارة والحكم التي كانت قائمة في العهد المذكور ، ومدى مالحق بهذه النظم من تطور في حكومة الجليليين ، فعرضت الى دراسة التقسيم الإداري للولاية والمناصب الحكومية القائمة آنذاك ، مثل الوالي ونائبه وكتخداه والقاضي والمفتي ونقيب الأشراف ، مع دراسة لأوضاع القوات المسلحة في الولاية وطبيعة مهمتها واختصاصها .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب درست الحياة الإقتصادية للموصل في عهد الجليليين ، كمحاولة لفهم الأسس الإقتصادية التي كان يستند اليها الكيان السياسي للولاية وذلك بالبحث في نواحي الإنتاج الرئيسية الثلاث : الزراعة ، وما يرتكز عليها من نظم ريفية تتعلق بطبيعة الملكية الزراعية ، والصناعة ، وما يرتبط بها من نظم حضرية ، مثل نظام الأصناف ، والتجارة

كوسيلة لتبادل السلع والخامات الضرورية .

وقد خصصت الفصل الثالث من هذا الباب لدراسة الحياة الإجتماع في ذلك العهد ، فحاولت أولا تقديم تقدير قريب من الصحة لعدد سك الموصل ، ثم بحثت في طوائف السكان ، فتطرقت إلى ذكر أحوال المسلم والنصارى من سريان وكلدان ، مشيراً - على نحو خاص - الى عملية التبش الكاثوليكي التي تركزت في الموصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع ع هذا دون إغفال بعض الطوائف الأخرى ، كالأرمن واليهود .

كما أني عرضت إلى دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية من أعياد ومناسبا دينية وإجتماعية ، وبحثت حالة المرأة الموصلية في الريف والمدينة على حد سو

أما الفصل الرابع من الباب الثاني ، فقد خصصته لدراسة الح الثقافية للموصل ، فتحدثت عن حركة إحياء الثقافة العربية وآدابها كأ ظاهرة ثقافية شهدتها الولاية في خلال الفترة التي ندرسها ، كما عرضت دراسة التيارات الفكرية الإصلاحية آنذاك ، ونشاط حركة التأليف مختلف علوم العصر ، كالتفسير والحديث والفقه ، والأدب ، والنحو والطب ، والفلك ، والهندسة ، وغيرها ، كما تحدثت عن حركة تش المدارس ودور الكتب ، ورواج الرحلات العلمية .

وفي الفصل الخامس من الباب الثاني ، وهو الفصل الأخير من فص الكتاب ، بحثت مظاهر العمارة الموصلية خلال عهد الجليليين ، فقد وصفاً عاما للمدينة إبان ذلك العهد ، ثم تناولت أهم ما أثره الجليليون من منشات عسكرية كالقلاع والأسوار ، ومن منشات دينية وثقاف كالمدارس والمساجد ، محاولا استخلاص بعض الصفات الرئيسية التي بها فن العمارة الموصلية في العهد المذكور .

وأخيراً إختتمت البحث بخاتمة تعرضت فيها لما وصلت اليه من ن

في هذه الدراسة . وكل ما أرجوه أن تكون قد ألقت بعض الضوء على جوانب خفية من تاريخ العراق الحديث ، الذى هو جزء من تاريخ امتنا العربيـــة .

وفي نهاية هذه الكلمة لايسعنى إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الدكتور السيد رجب حراز استاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة القاهرة لتفضله بقبول الأشراف على هذا البحث ، ولما تكلفه سيادته من جهد هذا الاشراف ومتابعته وما أسداه إليّ من نصح وتوجيه لولاهما ماظهر البحث على الصورة التي يبدو عليها الآن . فلا يسعني إلا أن اكرر لسيادته خالص الشكر والثناء .

وكل أملي أن أكون قد وفقت في عملي هـــذا ، وما التوفيق إلا من عنده تالى .

عماد عبد السلام رؤوف العطار

بغداد ـ اليرموك / الداخلية ١١ / ١ / ٧ ١٩٧٤



اولاً ـ موقع الموصل :

لموقع الموصل ، وطبيعتها الجغرافية ، آثار واضحة على مجرى تا
السياسي والحضاري عبر تعاقب العصور . فقد رسمت عوامل البيئة ال
لهذه المدينة نوع نشاطها سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً ، بشكل أ
من الصعب دراسة أية ناحية من هذه النواحي دون فهم البيئة الج
الملازمة لها . وسندرس فيما يلي أهم العناصر الطبيعية المؤثرة في تاريخ
كمحاولة لفهم طبيعــة المسرح السياسي الذي لعبت عليه الموصل
التاريخي وخاصة في العهد الذي حكم فيه الولاة من آل الجليلي .

تقع الموصل على الضفة اليمنى لنهر دجلة ، في منطقة سهلة
تعد من الناحية التضاريسية والجيولوجية جزءاً من منطقة جغرافية
متشابهة تمتد من وادي الفرات غربا حتى دجلة شرقا ، ثم تتصل
المنطقة جنوبا ، بدون أية فواصل طبيعية تقريباً ، بالسهل الرسوبي
الذي يجري فيه نهرا دجلة والفرات حتى مصبهما في الخليج العربي ،
المنطقة بذلك هلالا عظيما يصل بين منطقتين مهمتين بالغني الحيو
الخليج العربي والبحر المتوسط .

وتحجز هذه المنطقة عن سواها من ناحيتي الشمال والشرق سلسلتان
العالية ، من الناحية الأولى مجموعة جبال طوروس الممتدة من البحر
غربا وتشكل قوساً محدباً نحو الجنوب ، ومن الناحية الأخرى مجمو

زاجروس الممتدة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ، والتي تشكل هي أيضاً قوساً محدباً مرتفعاً فتتصل المجموعتان في منطقة جبلية وعرة جنوب بحيرة وان ، تحيط بالهلال وتختلط بأراضيه عن طريق عدد من الجبال الواطئة والهضبات والتلال .

وتقع منطقة الموصل وأطرافها في أبعد زاوية من ذلك الهلال ، حيث تلتقي سلاسل الجبال والتلال من المجموعتين التضاريسيتين المذكورتين ، بمعنى أنها تقع في اهم نقطة استراتيجية مؤثرة في تلك المنطقة ، وذلك - بدوره - يجعل منها نقطة توازن دقيق بين طرفي ذلك الهلال الكبير : الغربي ، أي بلاد الشام واقليم الجزيرة خاصة ، والجنوبي ، أي اقليم العراق وهو توازن كان له الأثر الكبير في تحديد مجرى نشاط الموصل الحضاري على الدوام .

وبالاضافة الى ذلك ، فان لموقع الموصل أهمية أخرى ، حيث أنها بحكم موقعها المتوسط ، تمثل قاعدة متقدمة لحضارات السهل (العراق والجزيرة) في المنطقة الجبلية المحيطة به . وفي نفس الوقت ، فانها تشكل احدى المنافذ الرئيسية للمنطقة الجبلية المطلة على السهل . وبكلمة موجزة ، فان موقع الموصل يشكل نقطة احتكاك وتفاعل دائم بين الجبل والسهل ، ولا ريب أن هذا قد حدد - بدوره - جانباً آخر من تاريخ المنطقة .

وخلاصة القول أن الموصل تعد جغرافياً نقطة التقاء بين أربع أقاليم طبيعية مهمة . فهي من ناحية ، منطقة انتقال من الصحراء المنبسطة الجافة إلى الجبال الممطرة وما وراءها . وهي من ناحية أخرى ، منطقة إلتقاء بين اقليم الجزيرة وبين السهل الرسوبي أو سواد العراق . ولاشك في أن لكل من هذه الأقاليم تأثيره الخاص المتميز في تشكيل الحياة السياسية والحضارية لمدينة الموصل ، مما منحها بتوالي العصور شخصية محلية واضحة

المعالم ، ظاهرة السمات .

وسنحاول فيما يلي دراسة أهم خصائص تلك المناطق المؤثرة على النحو التالي :

١ ـ السواد (أو السهل الرسوبي العراقي) : والسواد اسم العرب ـ بعد استيلائهم على بلاد العراق ـ على المنطقة الخصبة التي طمى الأنهار المترسبة ، ثم جعلوه بعد ذلك علما على جميع بلاد بابل وهكذا أصبحت كلمة السواد تطلق على بلاد العراق بشكل عام ، في سمي القسم الشمالي (من العراق الحالي) بالجزيرة .

وقد تغيرت الحدود بين العراق والجزيرة في أزمنة مختلفة ، الحد بينهما لدى الجغرافيين العرب الأولين يطابق بوجـــه عام خطا شمالا من الأنبار على الفرات (١) إلى تكريت على دجلة . وكانت كلت المدينتين تعدان من اعمال العراق . أما من أعقبهم من الجغرافيين ، جعلوا الخط يذهب من تكريت باتجاه الغرب تقريباً ، فأدخلوا في ا كثيراً من المدن التي على الفرات في شمال الأنبار ، وهذا الخط ، إلى الجغرافيا الطبيعية أقرب إلى التقسيم الطبيعي بين الاقليمين (٢)

والعراق ، على هذا التحديد ، عبارة عن سهل مستطيل الشك طوله من الشمال إلى الجنوب الشرقي ، ويتراوح عرضه بين ١٦٠ و ميل . ويكثر تفرع الأنهار في القسم الأوسط والجنوبي من هذا السهل البطائح والمستنقعات ، وخاصة في المنطقة الجنوبية من مجري دجلة . وا والعوارض الطبيعية الأخرى ـ عدا الأنهار والبطائح ـ عبارة عن التلال المنفردة الواطئة التي هي بقايا مدن وقرى ومستوطنات بشرية

(١) عند مدينة الفلوجة الحالية .

(٢) ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠ ـ ٤٣

واثار قنوات وشبكة ري واسعة ، ولا يزيد ارتفاع هذا السهل في شماله على ٥٠٠ قدم عن سطح البحر (١).

وبالنظر لقلة الأمطار واعتماد الزراعة على السقي والري وتنظيم توزيع تلك المياه ، فقد قامت مراكز الحضارة على شواطىء الأنهار ، ومن ثم مدت نفوذها إلى المناطق المجاورة . على أن كثرة الترع والقنوات وغابات النخيل ، حال في كثير من العهود ، دون قيام نظام مركزي موحد شامل للاقليم بأسره . ولهذا كان من السهل في فترات الضعف تقسيم العراق الى مناطق متعددة ذات سيادةذاتية ، وخاصة في منطقة البصرة . ولهذا السبب كان على السلطة المركزية في بغداد الاحتفاظ دائماً بقوة عسكرية تتفوق كثيراً على قوى المدن الأخرى .

وتعتبر الأنهار في هذا الاقليم ذات اهمية حضارية كبيرة ، فهي وسيلة الربط الوحيدة بين العديد من المدن والقرى المتناثرة على ضفافها ، وقد تكون الأنهار نفسها الخطوط الرئيسية للحركات العسكرية ، كما أنها واسطة هامة للنقل التجاري والتوصيل الثقافي .

وتشكل الأنهار والبطائح في الجنوب ـ اضافة إلى ماتقدم ـ مانعاً قوياً يحمي السهل من أي تقدم عسكري من جهة الشرق ، أي جهة جبال ايران ، إلا أن منافذ هذه الجبال تقترب كثيراً من وسط السهل (قرب بغداد) بحيث تشكل محورا استراتيجياً هاماً يهدد العاصمة. أما من الغرب فتؤثر البادية على السهل تأثيراً كبيراً بما تقذفه على مدن العراق من قبائل بدوية تشكل ـ في كثير من الأحيان ـ خطرا جسيما على الحضارة في السهل المذكور (٢)

---

(١) عبدالمطلب أمين : مبادىء السوق وجغرافية العراق العسكرية ص٦٩

(٢) سليمان الدركزلي: جغرافيةالعراق والأقطار المجاورة العسكرية ص٢٧

٢ ـ الجزيرة : أطلق العرب على البلاد الواقعة شمالي العراق اسـ الجزيرة لوقوعها بين نهري دجلة والفرات ، وهي منطقة متشابهة من حيـ أوصافها الطبيعية إلى حد كبير ، إلا ان العرب قسموها ـ لاعتبارات سياسـ وسكانية ـ إلى مناطق ثلاث ، لاتفصل بينها إلا مجار مائية قليلة الأهمية

أ ـ وتشمل المنطقـة الأولى : ديار بكر ، وهي قليلة المدن نسبياً وتقع مدنها كلها على دجلة الأعلى أوفي شماليه . وكانت قصبة هذه الديـ هي آمد (ديار بكر) ، ومن مدنها الهامة : ميافارقين ، وارزن ، وحصـ كيفا . وقـد لعب نهر دجلة ، الذي ينبع في شمال آمد ، دوراً في ربـ المنطقة المذكورة بمنطقة الموصل اقتصادياً وسياسياً .

ب ـ أما المنطقة الثانية فهي ديار مضر ، وقصبتها الرقة ، فوق مصـ نهر البليخ المنحدر من الشمال إلى الفرات ، وهي أهم مدن مابين النهريـ الأعلى ، وتسيطر على تخوم الشام ، وتليها من حيث الأهمية مدن : حرا والرها (اورفه) وعلاقة الموصل بهذه الديار أضعف من علاقتها بديـ بكر لعدم وجود مجرى مائي مشترك بينهما .

ج ـ والمنطقة الثالثة هي ديار ربيعة الواقعة في شرق ديار مضر وتتألف من الأراضي التي في شرقي الخابور (الـكبير) المنحدر من رأسـ العين ، ومن الاراضي التي في شرقي الهرماس ، وهو النهـــر المنساب وادي الثرثار نحو الشرق إلى دجلـــة ، وكذلك مما على ضفتي دجلة مـ أراض تمتد بانحدار النهر من تل فافان إلى تكريت ، أي الأراضي التي غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شرقه ، المشتملة على السهول التي يسقيـ الزابان الاسفل والأعلى ونهر الخابور الصغير (١)

وكانت الموصل على دجلـة أهم مدن ديار ربيعة وقاعدتها ، وتليـ

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٥ .

من حيث الأهمية داقوق (طاووق الحالية جنوب كركوك) ، وأربل بين الزابين الكبير والصغير ، والعمادية شمال نهر الخازر ، وجزيرة ابن عمر على دجلة (في الأراضي التركية حالياً) ، وماردين في (سفوح طوروس) ونصيبين في جنوب ماردين ، وسنجار في الغرب من الموصل ، ومدن وقرى كثيرة أخرى . وترتبط الموصل بهذه النواحي بروابط عديدة ، اهمها طرق التجارة القديمة ، التي تجعل من المنطقة نسيجاً اقتصادياً واحداً .

٣ - الجبال : تقع الاراضي الجبلية في المنطقة التي يحدها نهر ديالى من الجنوب الشرقي والخط الوهمي الذي يمر بجزيرة ابن عمر وبتليس شمالا وهي تحيط بسهول العراق من الشرق إلى الشمال على شكل قوس ، ويتفاوت ارتفاعها بين ٨٠٠٠ و ١٤٠٠٠ قدم . واتجاهاتها في القسم الجنوبي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، وفي القسم الشمالي من الغرب إلى الشرق ، ومن الشمال الى الجنوب وبين هذه الجبال والاراضي السهلة الكائنة في شرق دجلة ، تقع الروابي المتموجة المرتفعة ، التي يتفاوت ارتفاعها بين ١٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدم . وتأخذ سلاسل الجبال في الارتفاع تدريجياً كلما تقدمنا نحو الشرق أو الشمال ، وهي تنحدر غربا حتى تتصل بسهول الموصل . وتجري المياه في الوديان ، ويكسو البعض منها أشجار وأدغال ، وكثير من هذه الوديان ذو تربة خصبة تصلح للزراعة .

وتقع جبال المنطقة الجنوبية الشاهقة على الحدود الفاصلة بين العراق وايران ، وتسقط على هذه المنطقة امطار غزيرة تجري في وديان عميقة أو مضايق وعرة حتى تصب بالزاب الاسفل . وتكسو الادغال والاشجار هذه الجبال ، ويغطي حافاتها الشرقية العشب حيث ترعى مواشي قبائل الاكراد السيارة .

أما جبال المنطقة الوسطى ، فتقع في منطقة الحدود الفاصلة بين العراق

وتركيا ، وهي أراض وعرة تكتنفها جبال عالية وذرى شاهقة ، وتعتبر أوعر المناطق الجبليـــة ، وهي تحجز اقليم الجزيرة عن بلاد أرمينية و؛ فارس الشمالية الغربية (١)

ونظراً لقلة المنافذ والمضايق المتخللة لهذه المنطقة ، فانها تمثل حا استراتيجيا يحمي اقليم الجزيرة (العراق الشمالي) .ولهذا فان سيطرة المو على هذه المنطقة ، كان يوفر لهاالقوة والأمن ، فاذا ما انفصلت عنها ـ حدث قبل العهد العثماني واثناءه ـ كانت تتحول الى منطقـة خطر ، ت الموصل وأطرافها ، وتهدد طرق مواصلاتها ، وتؤدي بالتالي إلى ضيق ر الموصل السياسية ، وإنهاك قواها العسكرية .

ولا شك أن خضوع المنطقة لحكم الموصل في العصور الوسطى . الذي دعا الجغرافيين العرب إلى إلحاقها باقليم الجزيرة ، إلا أنها أخ ـ منذ القرن الرابع عشر ـ تنعزل تدريجياً عن هذا الاقليم ، فعدت الع مركزاً لامارة كردية قوية إمتدت فشملت معظم الاراضي الجبلية بين د والزاب الأعلى .

٤ ـ البادية : تأخـذ الاراضي التي تحف بوادي الفرات الغربي الارتفاع التدريجي البطيء ، كلما تقدمت نحو الغرب حتى تتصل بهض الشام والجزيرة العربية . وأرض هذه المنطقة صلبة شبه صحراوية تقع وديان كثيرة ، وتكثر فيها الآبار التي تعتمد عليها القبائل البدوية في ت لطلب الرعي .

ولهذه المنطقة تأثير هام على الحياة في الموصل لما تجلبه اليها من مو بشرية عربية بين حين وآخر ، وهي موطن قبائل قوية متنقلة بين ا والعراق ، وتعتبر من العوامل الرئيسية التي تمد الموصل بصبغتها العر

---

(١) طه الهاشمي : مفصل جغرافية العراق ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .

وكنتيجة لإهمال شبكات الري وجفاف الانهار وتدهور النشاط الزراعي في المناطق الكائنة في شرقي الفرات ، فقد زحفت البداوة تدريجياً الى الشرق مجتازة نهر الفرات ، وإنتشرت القبائل العربية في المناطق المحاذية لدجلة ، وفي اراضي مابين النهرين ، وكانت القبائل العربية تشكل - خلال العهد العثماني - رصيداً عسكرياً قوياً إستفاد منـــه حكام الموصل في الدفاع عن السهل إزاء القوى الكردية في الجبال .

وبناء على ما تقـدم ، فان أربع مناطق جغرافية متمايزة كانت تكون مسرحاً طبيعياً واحداً ، إستطاعت الموصل خلال عصورها الأولى ان تمد سلطانها السياسي ونشاطها الحضاري على معظمـــه ، إلا أنه - منذ القرن الثالث عشر وحتى الفتح العثماني في القرن السادس عشر - كانت الرقعة السياسة لسلطة الموصل قد أخذت بالضيق التدريجي والتقلص المستمر حتى إنحسرت عن معظم توابعها السابقة ، وإنحصرت في منطقة محدودة المساحة تحيط بالموصل ذاتها ، وتطابق في حدودها الخارجية آخر الحواجز الطبيعية المتبقية للمدينة وأطرافها .

ويمكننا إرجاع عملية الانحسار هذه الى الظروف التاريخية المعقدة التي ترتبت على إنهيار الحكم العباسي في العراق ، وإنتهاء سلطة الاتابكة بالموصل على أيدي المغول الايلخانيين (١) ، وخضوع البلاد لحكم الاقوام الاجنبية الغازية بعدهم ، من مغول جلائريين (٢) ، وقبائل تركمانية ، وعشائر كردية

(١) الايلخانيون : من أهم المجموعات المغولية واقدمها إتصالا بالدول الاسلامية ، إستطاعت بقيادة هولاكو فتح بغداد عام ١٢٥٨/٦٥٦ هـ وضم العراق كاقليم في الامبراطوية الايلخانية .

(٢) الجلائريون : مجموعة مغولية تلت الموجة الايلخانية ، واستولت على العراق بقيادة الامير حسن الجلائري . وحكمته من ١٣٣٩ إلى ١٤١٠ م

والانحطاط الاداري والحضاري الذي سرى الى البلاد في عهدهم . فقد أدت تلك الظروف إلى تقلص سلطة المدينة في العراق وما تمثله من قيم حضارية متطورة ، أمام المد القبلي والريفي وما وراءه من قيم بدوية بدائية وكان طبيعياً أن تفقد المدن في العراق سلطانها السياسي الاداري القديم على الريف تقريباً ، متنازلة عن اهميتها لقوى جديدة فتية ، أقل منها حضارة وأشد بأساً وسطوة .

وعلى قدر مايتعلق الامر بالموصل ، فان ضعف السلطة المركزية فيها منذ القرن الثالث عشر ، وتعاقب الحكومات الاجنبية عليها ، قد أديا إلى ظهور سلطات محلية اخرى حلت محلها في المناطق التي ضعفت فيها سطوتها وكان طبيعياً أن تبرز على المسرح السياسي منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر قوى القبائل الكردية ، فتشكل في أغلب المنطقة الجبلية إمارات ودويلات مستقلة أو شبه مستقلة . وقد إعترف العثمانيون بهذا الواقع ، مما أدى الى تقلص الحدود الشرقية لمنطقة الموصل رسمياً ، واستقرارها أخيراً عند الضفاف الغربية لنهري الخازر (الذي يصب في الزاب الاعلى) والكومل (ومصبه في الخازر) .

وكان تثبيت العثمانيين لسلطة إقليم شهرزور السياسية ، وجعله ولاية قائمة بذاتها ، واعترافهم بمدينة « كركوك » الصغيرة عاصمة لها ، قد أدى بالتالي إلى إنحسار سلطة الموصل عن منطقة طريق الموصل - شهرزور القديم ، وما تمثله من أراضي خصبة متموجة ، وتثبيت حدود ولاية الموصل عند ضفاف نهر الزاب الأعلى ، من نقطة مصب نهر الخازر فيه ، حتى مصبه هو في نهر دجلة عند قلعة كشاف القديمة .

وأدى إتساع القوة السياسيــة والعسكرية لطائفة اليزيدية (١) خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ثم إنحسارها في منطقة جبل سنجار في الشمال من مدينــة الموصل ، وتشكيلها هناك سلطة ذات قوة عسكرية (وإن تكن غير معترف بها رسمياً) ، أدى إلى تحديد سلطان الموصل السياسي وفصله عن المناطق الممتدة وراء الجبل ، والتي كانت تمثل سابقاً إمتداداً لاقليم الجزيرة حتى ديار بكر .

وأما من ناحية الجنوب الغربي لولاية الموصل ، فتتصل المنطقة الزراعية الغربية من المدينة بامتدادها في الجزيرة ، حيث لاتوجد حواجز طبيعيـة . وقد ترتب على زحف الصحراء التدريجي عليها ، تحديد السلطة الفعليـة للولاية من هذه الجهة أيضاً حتى باتت لاتبعد كثيراً من أسوار المدينة ذاتها

وهكذا لعبت عوامل عديدة دورها في تكوين الرقعة السياسية لولاية الموصل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وفي عهد آل الجليلي كانت حدود ولاية الموصل تمتد شمالا من السفوح الجنوبية لجبل القوش ، حيث يقع الجبل نفسه في أراضي حكام إمارة بهدينان (في العمادية) ، ويخضع نصف مدينة القوش للموصل ، في حين يخضع النصف الآخر منها للامارة المذكورة (٢) . وفي الشرق قليلا من جبل القوش ، يمتد جبل باعذرا ليتصل بنهر الكومل ، ويقع الجبل كله ضمن منطقة طائفة اليزيدية ، وهم إسمياً

---

(١) اليزيدية : تجمع عشائري قديم تجمعه عقائد دينية غريبة يتعصب لها كل التعصب ، وعقائدهم هذه خليط من معتقـدات اسلاميــة وعقائد اخرى قديمة ، ويتميزون ـ بوجه عام ـ باحترامهم الشديد لابليس والمغالاة في حب البيت الأموي وسيأتي الكلام عن وضعهم السياسي في عهد الجليليين في الفصل الرابع من الباب الأول .

(٢) رحلة المنشي البغدادي ص ٨٥ .

تابعون لسلطة الموصل السياسية ، ولكنهم فعلياً يتبعون حكام العمادية . ولهذا فقد كانت سيادة الموصل على هذه المنطقة في حالة مـــد وجزر دائمين ، فأحياناً يخضع الجبل بكامله لها ، وأحياناً ينحسر سلطانها الى جبل مقلوب الواقع في جنوبه (١) ، بينه وبين الموصل ذاتها وعلى أية حال ، فان نهر الكومل الذي يجري من وراء جبل باعذرا وينحدر يميناً حتى يلتقي بنهر الخازر شرقي جبل مقلوب ، يعد الحد الطبيعي لولاية الموصل ، ويفصلها عن إمارة العمادية المجاورة .

ويشكل نهر الخازر (في المنطقة المحصورة بين مصب نهر الكومل فيه ومصبه هو في الزاب الأعلى) حدوداً طبيعية للولاية من جهة الشرق وتمتد هذه الحدود في الجنوب الشرقي بمحاذاة نهر الزاب الاعلى حتى مصبه في دجلة قرب قلعة كشاف القديمة . ويفصل نهر الزاب هـــذا ، ولاية الموصل عن سنجق أربيل التابع غالباً الى ولاية بغداد ، أوولاية شهر زور القريبة (٢) ، ولا تمتد الولاية إلى أبعد من نقطة التقاء الزاب بدجلة ، إذ تبدأ عند ذاك ولاية بغداد .

وفي الغرب ، تشكل صحراء الجزيرة الإمتداد الطبيعي لسطة الولاية دون أن يكون ثمة حد جغرافي واضح . ولهذا السبب ، فان الخريطة السياسية للمنطقة غير ثابتة ، وهي في حال مد وجزر بحسب علاقات الموصل بالقبائل البدوية المجاورة . وتعتبر منطقة تلعفر ، آخر حدود الولاية الثابتة ، إذ تليها من ناحيـــة الغرب ـ مباشرة ـ منطقة جبل سنجار الذي يقطنـــه اليزيديون ، ولهذا الجبل أهمية إستراتيجية خاصة لسيطرته على أكثر من طريق تجاري . وبسبب عدم إعتراف السلطات بسكانه كطائفة ، فقد كان

---

(١) رحلة المنشي ص ٨٤ .

(٢) رحلة أبي طالب خان ص ٣٦١ ، ورحلة كارستن نيبور ص ١٦

نفوذ الموصل السياسي لايفرض عليهم إلا بالقوة العسكرية فقط .

بين هذه الحدود الطبيعية ، إستقرت ولاية الموصل منذ القرن الثامن عشر ، ولم تكن تتغير إلا نادراً ، ولضرورات عسكرية مؤقتة ، فتدمج تارة مــع ولاية شهر زور المجاورة ، أو مع ولاية بغداد ، تحت إدارة وال واحد (١)

ولابد لنا ونحن ندرس حــدود ولاية الموصل في هذا العصر ، أن نتطرق إلى وصف المراكز المدنية الهامة التي حفلت بها هذه الولاية ، والتي كانت تتبع مدينــة الموصل في إدارتها وإرتباطاتها العسكرية والإجتماعيــة والإقتصادية . ومن أهم هذه المراكز :

١ ـ القوش : وهي بلدة قديمــة عامرة ، تقع على مسافة ٣١ ميلا شمال مدينة الموصل ، في سفح جبل القوش . واعتبرت في منتصف القرن السادس عشر من اعمال الموصل ، وكانت تدفع لها الرسوم (٢) ثم الحقها أمراء العمادية بمنطقة نفوذهم وجبوا منها المال (٣) . ولبثت البلدة مثاراً للنزاع السياسي بين الموصل والعمادية طيلة القرن التاسع عشر وزاد من أهميتها أنها كانت مركزاً للبطريركية الكلدانية ، فقد أقام فيها أحد عشر بطريركاً من سلالة واحدة بين سنتي ١٥٠٤ و ١٨٣٠ (٤) . ولهذا فقد كان للنزاع بعد ديني ، إذ سعت كل من أبرشية الموصل والعمادية ـ بتأييد من الحكام ـ إلى ضمها إلى أملاكها . وفي أواخر عهد آل الجليلي ، إستقرت السيادة

---

(١) ياسين العمري : منية الأدباء ص ٧٤ .

(٢) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٢٨ .

(٣) ياسين العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ١٠٠

(٤) أوجين تسران : خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٤٧ .

للموصل نهائياً (١) . ووصفت القوش سنة ١٨٢٢م بأنها قرية يبلغ عد
بيوتها نحو ألفين أو ثلاثة آلاف من الكلدان (٢) .

٢ - باعشيقا (بعشيقة) بليدة تقع على مسافة ١٦ ميلا شرقي الموصل
ورد ذكرها منذ القرن التاسع للميلاد (٣) ، واشتهرت بكثرة أشجار الزيتو
وصناعة الزيت والصابون المحلي الذي تصدره إلى الموصل . وأهلها خلي
من مسلمين ويزيدية ونصارى ، وكانت تشكل في أوائل العهد العثماني تيما
يتبعه ٢٠٠ شخص (٤) ، ثم أمست في أواخر القرن التاسع عشر مق
لقسم من الجيش العثماني السادس (آلتنجي أوردو) (٥)

٣ - برطلى : قرية كبيرة عامرة في شرقي الموصل ، على بعد ا
ميلا . ورد ذكرها في جملة مؤلفات تاريخية وجغرافية ، وأشاد الكثير
بمركزها الإقتصادي ، وبجودة قطنها (٦) وفي القرن التاسع عشر كان عل
أن تقدم كمية من النسيج إلى الموصل كضرائب (٧) ، في حين إعتبر

(١) عزيز بطرس : كتاب الرعاة (اخبار ابرشية الموصل) ج
ص ٨ (مخطوط) وكوركيس عواد : أثر قديم في العراق دير الر
هرمزد ص ٨٩ .

(٢) رحلة المنشي البغدادي ص ٨٠ و ٨٥ .

(٣) كوركيس عواد : تحقيقات أثرية تاريخية بلدانية في شرقي المو
(مجلة سومر ١٧ (١٩٦١) ص ٥٣) .

(٤) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٣٥ .

(٥) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٥٥

(٦) ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٩ .

(٧) مجهول : القوانين السلفية ص ٤٣ (مخطوط) .

ـ في أوائل العهد العثماني ـ إقطاعاً من درجة « خاص مير لواء » (١) وأغلب أهل برطلى من النصارى ، وفيها عدد من الكنائس القديمة ، كما إشتهر فيها جماعة من علماء السريان وأدبائهم (٢) .

٤ ـ كرمليس : بليدة قديمة في شرق الموصل ، على بعد ١٦ ميلا منها ، ورد ذكرها في كتب الجغرافيين العرب ، ولها أهمية خاصة في تواريخ النصارى ، إذ كانت ـ حيناً من الدهر ـ مركزاً أسقفياً . وعانت كرمليس ماعانت من جراء الغزو المغولي في القرن الثالث عشر . وفي العهد العثماني ، اعتبرت مركزاً لـ « مير لواء » بدرجة « خاص » (٣) ، وكان عليها في القرن التاسع عشر تقديم الضرائب للموصل على شكل منسوجات (٤).

٥ ـ قره قوش : بلدة قديمة في شرق الموصل عرفت قديماً بالإسم الآرامي « باخـديدا » وبه سماها الجغرافيون العرب ، ثم عرفت بالإسم التركي « قره قوش » وكلاهما بمعنى (الطائر الأسود) (٥) وأعتبرت في العهد العثماني مركزاً لمير لواء بدرجة « خاص » يتبعه ٣١٥ شخصاً (٦) ثم تحولت في القرن الثامن عشر لتكون وقفاً على الأسرة الجليلية في الموصل وكانت تعد أول مرحلة من الموصل إلى أربيل ، ومنها الى كركوك وبغداد

---

(١) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٣٠ ر مخطوط) .

(٢) كوركيس عواد : تحقيقات أثرية تاريخية (سومر ١٧ (١٩٦١) ص ٥٧)

(٣) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٣٠ .

(٤) القوانين السلفية ص ٤٣ (مخطوط) .

(٥) كوركيس عواد : تحقيقات (سومر ١٧ (١٩٦١) ص ٩١)

(٦) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٢٩ .

ولذا فقد كانت مقراً لمحافظ خيول البريد (١) . ووصفت في القرن التاس
عشر بأنها مبنية باللبن والطين ، وإن لم تكن تخلو من بعض البيوت الكبير
وأغلب سكانها نصارى يحترفون الزراعة والرعي (٢) ويؤدون النسيـ
لولاية الموصل بكميات كبيرة (٣)

٦ ـ تل أسقف : قرية كبيرة في شمال الموصل ، على بعد ٢٠ مي
منها ، جاء ذكرها في كتب الجغرافيين العرب ، وقــدر بعض الرحال
سكانها في القرن التاسع عشر بمائة وعشرة أسر ، وذكر آخرون أن سكا
يبلغون (١٨٠٠) نسمة . ويشتغل أهل تل أسقف بالزراعة ، ولهم شه
خاصة بصناعة الأزيار التي تستعمل في الموصل وقراها للشرب (٤) . وكان
تؤدي لولاية الموصل الضرائب ، كغيرها من القرى آنفة الذكر ، على شـ
كمية من النسيج إلا ان حصتها أكبر (٥) وأهلها من النصارى الكلدان
وكان لهم فيها عدة كنائس وأديرة دثرت .

٧ ـ تلكيف : من أكبر وأقدم قرى الموصل ، تبعد عنها مساف
٩ أميال شمالا ضمن منطقة سهل نينوى . كانت قائمة عندما فتح العر
الموصل ، وورد إسمها في القرن الثامن الميلادي بشكل « تل كيفا » (

(١) ياسين العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص .
(٢) Buckingham , J . Travels in Mesopotamia ,
II , P . 30
(٣) القوانين السلفية ص ٤٣ (مخطوط)
(٤) كوركيس عواد : تحقيقات أثرية ص ٦٤ ـ ٦٥ .
(٥) القوانين السلفية ص ٤٣ .
(٦) كوركيس عواد : تحقيقات أثرية ص ٦٦ ـ ٦٩ .

وفي العهد العثماني ، كانت تلكيف وقفاً على جامع النبي جرجيس في الموصل (١) وكانت كمية ماتقدمه من نسيج تفوق كل ما تقدمه القرى الأخرى (٢) . وفي هذا العهد أيضاً ، اشتهر بها جماعة من المؤلفين والشعراء (٣) ووصفت في القرن التاسع عشر بأن بيوتها تبلغ ثلاثة آلاف بيت من النصارى (٤)

٨ - تل أعفر (تلعفر) : بلدة في غربي الموصل ، على طريق سنجار عرفت في العصر الأشوري باسم (نمت عشتار) (٥) ونمت وازدهرت في العصر الاسلامي وجاء وصفها في كتب الجغرافيين المسلمين قال ياقوت « قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط واد فيه نهر جار ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة ، وفي ماء نهرها عذوبة ، وهو وبيء ردىء ، وبها نخل كثير يجلب رطبه الى الموصل » (٦)

ورغم اندراس بساتين النخيل في العهود التالية ، فقد اشتهرت تل اعفر (تلعفر) بزراعة الحنطة والشعير ، وكانت تمثل في العهد العثماني آخر حدود ولاية الموصل من جهة الغرب ، حيث تبدأ من ورائها اراضي ولاية بغداد وتوابعها ، وهو موقع دفع ببعض المؤرخين المحليين إلى القول بانها كانت من توابع بغداد (٧)

---

(١) ياسين العمري : منية الادباء ص ١٣٩ .

(٢) القوانين السلفية : ص ٤٣ .

(٣) عواد : تحقيقات أثرية ص ٦٩ وانظر يوسف هرمز جمو : آثار نينوى أو تاريخ تلكيف

(٤) رحلة المنشي البغدادي ص ٨٠ .

(٥) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٠ .

(٦) معجم البلدان ٢/٣٩ .

(٧) امين العمري : منهل الأولياء ١/٧٠ .

الاقطاعية

ثانياً ـ الموصل قبل آل الجـ

على الرغم من أن التاريخ ، بحوادثه ا
إلا عملية متطورة واحدة ، فان في وسع المر
يد المغول الايلخانيين في القرن الثالث عشر ا
الفاصلة في تاريخ حضارته وتقدمه . حقيقة أن ه ر م يكن عملا مفاج
سريعاً ، إلا أنه فتح باب العراق على مصراعيه لتحولات اجتماعية وسياس
معقدة عديدة ، أدت بالتالي إلى تدهوره السريع في عقود قليلة من السن
ففي هذا العهد فقدت الموصل استقلالها السياسي (١) ، وعرفت لأول مر
نظام الالتزام بآثاره السيئة ، وشهدت عدة ثورات شعبية ضد المغول .

ونتيجة لموقع الموصل الاستراتيجي باعتبارها قاعدة لبلاد الجزيرة ، فقد
تأرجح مصـــيرها السياسي بين السلطة المغولية في بغـــداد ، وقوة المماليا
« المصريين » في الشام (٢) . وعندما خضع العراق للحكم الجلائري بقيا
الأمير حسن سنة ١٣٣٩ ، فصلت الموصل عن إقليم ديار بكر وضمت إ
بغداد في حكومة جلائرية واحدة (٣) ، ثقافتها الفارسية غالبة ، فكان ذلا
البداية الأولى لفصل الموصل عن إقليم الجزيرة الذي هو امتدادها في الش

(١) سنة ١٢٦٠م / ٦٦٠هـ بعد مقتل الملك الصالح بن بدر الدين لؤ

(٢) وكان الملك المنصور قلاوون قد انتصر على المغول فخطبوا في الموصل وديار بكر وبغداد وضربوا الدينار والدرهم باسمه (الصائغ تاريخ الموصل ١ /٢٤٧) .

(٣) تاريخ الموصل ١ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

وجعلها تنجذب رويداً رويدا إلى بغداد مركز الثقل السياسي والحضاري في العراق .

وتعرضت الموصل في القرن الرابع عشر الميلادي إلى نكبات طبيعية متتابعة (١) ، وزاد من سرعة تدهور المدينة وإنحطاطها فتح تيمور لنك لها مرتين الأولى سنة ١٣٩٣م / ٧٩٦هـ والثانية سنة ١٠٤١م / ٨٤٠هـ ، إذ « أخربها وكسرها » (٢) وتعرضت الموصل ، بعد ذلك ، إلى اضطرابات وفوضى مستحكمة ، بسبب تنازع قبيلتي : آلاق قوينلو والقره قوينلو التركمانيتين (٣) على حكمها . وفي عهدهم ، أعيد ضم ديار بكر اليها في مملكة واحدة مركزها بغداد (٤) . واستمر تدني الأوضاع في هذا العهد إذ أعيد فتح المدينة عنوة عدة مرات ، وتعرضت لمجاعات وأوبئة عديدة (٥) .

وفي القرن الخامس عشر الميلادي انفصلت ديار بكر والجزيرة عن الموصل ، وأخذت تنضوي شيئاً فشيئاً تحت حكم أمراء بهدينان في العمادية الموالين للشاه اسماعيل الصفوي (٦) . وبعد انتصار السلطان سليم الأول على

---

(١) انظر ياسين العمري : منية الأدباء ص ١٧٣ .

(٢) إبن عربشاه : عجائب المقدور في أخبار تيمور ص ٨٧ و ٦٨-٦٩

(٣) القره قوينلو : دولة تركمانية حكمت العراق من ١٤١٠ الى ١٤٦٨ . والآق قوينلو دولة تركمانية أيضاً حكمت العراق من ١٤٦٨ إلى ١٥٠٨ م .

(٤) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٥) المرجع السابق وياسين العمري : زبدة الآثار الجلية ص ٥ (مخطوط) ومنية الادباء ص ٧٠ - ٧١ وأمين العمري : منهل الأولياء جـ ١ ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٦) يذكر علي سيدو الكوراني : من عمان الى العمادية ٥٣ ومحفوظ العباسي : إمارة بهدينان العباسية ص ٥٣ ان الموصل إنضمت الى إمارة =

الشاه في موقعة جالديران سنة ١٥١٤م / ٩٢٠هـ وامتلاك العثمانيين لكردستان الوسطي وشمالي العراق ، سقطت الموصل وديار بكر بسهولة بيد الفاتحين العثمانيين (١) . لتستخدم بعد ذلك مباشرة ، كقاعـــدة لضرب الوجود الايراني في العراق بأكمله .

ولم يتحقق هدف تخليص العراق من الايرانيين إلا بعد عشرين عاماً حين زحف السلطان سليمان القانوني بجيشه سنة ١٥٣٤م / ٩٤١هـ ، ففتح بغداد وأعلن الحاق البلاد بالعرش العثماني بصورة رسمية ، ودان له بالطاعة جميع الأعيان ورؤساء القبائل (٢)

ورغم خضوع العراق بأكمله للسيادة العثمانيـة وانفصال الموصل عن الجزيرة وقتذاك ، فان السلطان سرعان ما أعاد ربط الموصل بحكومة ذلك الاقليم الوراثية ، التي اعتبرت بدونها بمثابة الجسد دون روح (٣) وكانت علاقات الموصل بحكومة الجزيرة - في القرن السادس عشر - أقوى بكثير من علاقاتها بولاية بغداد ، ذلك أن إتجاهها السياسي كان نحو الشمال لا إلى الجنوب (٤) ، وكان عليها التدخل أحياناً في شؤون امارة الجزيرة فتعزل

= بهدينان وقد وصل حكم الامارة إلى زاخو في غرب الموصل (تاريخ زاخو ص ٩) في حين لم يرد في الشرفنامه للبدليسي مايؤيد ذلك (ص ١٠٢)

(١) العزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٤

(٢) *Longrigg , S. : Four Centuries of Modern Iraq* P. 22

(٢) البدليسي : الشرفنامه ص ١٤٠ .

(٤) *Longrigg , S H. : Four Centuries of Modern Iraq* P. 27

قصيرة ، إذ سرعان ماجلت جيوش الشاه عنها - بعد فشلها في فتح اقليم الجزيرة (١) - وبعث الصدر الاعظم حافظ أحمد بسرية من الخيالة (السكبان) فتراجع الخان عن الموصل متجنباً الاصطدام مع خصمـــه ، واعيد الحكم العثماني للموصل بمعونة من سكانها (٢) ، وعين عليها العثمانيون والياً من قبلهم عام ١٦٢٥ / ١٠٣٥هـ . وفي السنوات التاليـــة ، استخدمت الموصل كقاعدة عسكرية فعالة في تموين الحملات العثمانية المستهدفة استعادة بغداد والعراق الجنوبي من قبضة الايرانيين (٣).

وتولى الموصل خلال هذه الفترة ولاة من أهلهـا ، فحكم بكر باشا - الذي عرف سابقاً بأعماله النافعة - زهاء عشر سنين (١٦٢٥ - ١٦٣٥م / ١٠٣٥ - ١٠٤٥ هـ) ، عمر أثناءها سور المدينة باللبن وحصنها (٤) رغم أن حكومته وضعت إذ ذاك تحت الإشراف العام لوالي ديار بكر طيار محمد باشا (٥) . وكبادرة جديدة تولى الموصل ابن واليها السابق بكر باشا ، إلا أنه لم ينجح في تكوين أسرة محليـة حاكمة ، إذ سرعان ما « انقرضت دولتهم وبيعت أملاكهم » (٦) .

---

(١) *Longrigg , S . : Four Centuries of Modern Iraq . P . 85 .*

(٢) عباس العزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٤ ص ١٨٣ .

(٣) منية الادباء ص ٧٣ وسالنامه ولاية الموصل .

(٤) منية الادباء ص ٧٣ ومنهل الاولياء ج ١ ص ١٣٦ .

(٥) *Longrigg , S : Ibid , P 68* ويدخل ياسين العمري والي ديار بكر في قائمة ولاة الموصل . منية الادباء ص ٧٣ .

(٦) منية الادباء ص ٧٤ ومنهل الاولياء ج ١ ص ١٣٦ وسالنامة ولاية الموصل .

ومنذ ذلك العهد دخلت الموصل في حكم عثماني طويل استمر دون انقطاع مدة تقرب من ثلاثة قرون ، توسطتها تقريباً الفترة التي حكم فيها الولاة من آل الجليلي . وحتى سنة ١٧٢٦ - وهو تاريخ تولى اسماعيل باشا الحكم - لم يعرف الكثير عن أحوال الموصل الداخلية غير عدم استقرار أحوال حكومتها ، فقد تقلب فيها عدد كبير من الولاة ، بمعدل وآل واحد كل عام (١) ، كما اختلفت مواطن هؤلاء الولاة ، فكان معظمهم غريباً عن الولاية ، واثنان منهم فقط كانا من سكانها .

ولم تكن ثمة قاعدة في اختيار الولاة الموصليين ، فالوالي ميرزا باشا الداسني ، الذي تولى الموصل بين سنتي ١٦٤٩ و ١٦٥٠ كان من أمرا الاكراد الداسنية ، العشيرة اليزيدية المعروفة في أنحاء الموصل وقد نال الولا نتيجة خدماته الفائقة التي قدمها أثناء استرجاع بغداد من ايدي الايرانيي سنة ١٦٣٨م / ١٠٤٨ هـ (٢) . أما الوالي عرب على الشهير بعلي قدوم الذ تولى الموصل من سنة ١٦٨٣ / ١٠٩٥ الى سنة ١٦٨٥ / ١٠٩٧هـ ، فقـ كان عربياً من منطقة الموصل « سار الى الروم ، وخدم الوزراء ، وتقدم وكانت به شهامة وفروسية فسهل الله عليه الامر » (٣) ، وتولى المو مرتين آخرهما سنة ١٦٨٦ - ١٦٨٧ م / ١٠٩٨ - ١٠٩٩ هـ (٤)

وشهد هذا العهد حركة تنقلات بين الموظفين في الولايات العرا

(١) عبدالكريم غرايبة : مقدمة في تاريخ العرب الحديث جـ١ ص ،

(٢) منية الادباء ٧٤ وزبدة الآثار الجلية ٨ (مخطوط) ومجد سجل عثماني جـ ٢ ص ٢١ .

(٣) منية الادباء ٧٧ وزبدة الآثار ٨ ومنهل الاولياء جـ ١ ص ،

(٤) منية الادباء ص ٧٨ وفي زبدة الاثار أنه كان والياً سنة ١٠

وتشكيلاتها التابعة لها (١) ، فلقد عين في سنة ١٦١٧م / ١٠٢٦ه محمد باشا الذي تولى البصرة والياً للموصل (٢) ، ووليها بعد ذلك (١٦٩٦ - ١٦٩٧ م / ١١٠٨ - ١١٠٩ ه) حاكم البصرة حسن باشا (٣) ، ثم تلاه حاكم بغداد الوزير علي باشا (٤) ، وفي سنة ١٧٠٣م / ١١١٥ه وليها والي بغداد أيضاً الوزير طوبال يوسف باشا (٥) ، وتولاها سنة ١٧١٥م/ ١١٢٧ه حاكم البصرة عثمان باشا (٦) . وقبيل تولي اسماعيل باشا الجليلي الحكم ، كانت الموصل قد آلت إلى علي باشا أخي حسن باشا والي بغداد (٧) ويمكننا أن نستنتج من هذه الحوادث أن الموصل كانت قد أخذت بالاتجاه سياسياً نحو بغداد والارتباط بها اكثر فأكثر ، كما يمكن القول أيضاً - على مايرى لونكريك - أن الدولة العثمانية كانت مدفوعة الى تفضيل أعيان البلاد أنفسهم في حكم ولاياتهم (٨) .

وفي الواقع ، كان دور الموصل في المشاركة في الأعمال العسكرية الموكولة إلى حكومة بغداد قد أخذ بالتزايد خلال هذا العهد . فشارك والي الموصل ابراهيم با في الحملة الكبيرة التي قادها والي بغداد سنة ١٦٦٥م

---

(١) Longrigg , S : OP. Cit, P . 37

(٢) منية الادباء ص ٧٧ .

(٣) منية الادباء ص ٧٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ٧٩ .

(٦) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٧) نفس المصدر ص ٨١ .

(٨) Longrigg , S. : OP. Cit , P. 37

/ ١٠٧٦هـ للقضاء على حكومة آل آفر سياب العاصية في البصرة (١) ، وقدرت الجيوش المشتركة بما يربو على خمسين ألفاً (٢) . وتجددت هذه المشاركة سنة ١٦٦٧م / ١٠٧٨هـ وسنة ١٦٧٠ / ١٠٨١ (٣)

وفي سنة ١٦٩٢م / ١١٠٤ هـ ساهم والي الموصل - مع ولاة آخرين - في حملة والي بغداد الموجهة ضد عصيان مانع شيخ قبيلة المنتفق في البصرة (٤) وساهم سنة ١٧٠٠م / ١١١٢هـ - تحت قيادة بغداد - لانقاذ البصرة والقرنة من أيدي أمراء الحويزة وضمها إلى الدولة العثمانية (٥) وسنة ١٧٠٢م / ١١١٤ هـ لضرب عشائر الخزاعل الثائرة (٦) ، وسنة ١٧٠٧م - ١٧٠٨ م ١١١٩ - ١١٢٠هـ ضد المنتفق في انحاء البصرة (٧) ، كما شارك والي الموصل أيضاً في حماية بغداد أثناء غرقها بمياه الفيضان سنة ١٦٥٧م / ١٠٦٨هـ (٨)

---

(١) كان أفرسياب من كتاب الجند في البصرة ، استطاع السيطرة على الوضع الداخلي للمدينة حتى تمكن من شراء الولاية من الوالي العثماني سنة ١٥٩٦ م / ١٠٠٥هـ وكون فيها أسرة حاكمة . أنظر فتح الله الكعبي : زاد المسافر . بغداد ١٩٢١ .

(٢) تاريخ راشد جـ ١ ص ١٢٦ ومرتضى نظمي زاده : كلشن خلفا ٩٤ - ب .

(٣) كلشن خلفا ٩٧ - ب .

(٤) كلشن خلفا ١١٥ - أ - ب والعراق بين إحتلالين جـ ٥ ص ١٣٥

(٥) كلشن خلفا ١١٨ - أ ، وتاريخ راشد جـ ٢ ص ٥٠٩ وزبدة الآثار الجلية ص ١٠

(٦) العراق بين إحتلالين جـ ٥ ص ١٥٧ .

(٧) نفس المصدر جـ ٥ ص ١٧٥ .

(٨) كلشن خلفا ٨٨ - ب والعراق بين إحتلالين جـ ٥ ص ٦٣ واحمد .

وكان على هـذا الوالي أيضاً تنفيذ أوامر الدولة فيما يتعلق بامارة العمادية المجاورة ، فقد تدخل سنة ١٦٦٣م / ١٠٧٤هـ لمساعدة أميرها ضد أحـد مدعي المهدوية (١) ، وصدر له أمر بمساعدة أحد أمرائها عام ١٦٩٩م / ١١١١هـ على تولي الامارة (٢) .

وعلى الصعيد الداخلي ، تميزت ولاية الموصل ، خـلال هذه الفترة بنمو قوة الأسر الاقطاعية العريقة ، وتشكيلها سلطة سياسية محلية تنافس سلطة الوالي الرسمية ، وان استطاع الولاة القضاء على بعض رؤساء هذه الاسر كما حدث . سنة ١٦٦٠ (٣) . فان هـذه الاسر وعلى رأسها آل العمري تمكنت بفضل شعبيتها من الاصطدام المتسلح مع الوالي لفترات غير قصيرة ، فكان ذلك من الاسباب المباشرة التي أدت إلى ظهور آل الجليلي على مسرح السياسة (٤) .

وعانت الموصل ، في هذا العصر ، شأنها في ذلك شأن الولايات الأخرى من نكبات طبيعية قاسية . ففي سنة ١٦٢٥م / ١٠٣٥هـ وفد عليها الطاعون (٥) وتكرر وفوده سنة ١٦٤٣م / ١٠٥٣هـ (٦) وسنة ١٦٥٠م / ١٠٦١هـ (٧)

– سوسة : فيضانات بغداد ج ٢ ص ٣٦٢ .

(١) أنور المائي : الاكراد في بهدينان ١٤٤ – ١٤٦ ومحفوظ العباسي : إمارة بهدينان العباسية ص ٧٠ .

(٢) إمارة بهدينان العباسية ص ٧٠ .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٨ (مخطوط) .

(٤) انظر الفصل الاول من الباب الاول (ظهور آل الجليلي على مسرح السياسة) .

(٥) منية الادباء ص ١٧٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٧٥ .

(٧) زبدة الآثار الجلية ص ٨ .

وسنة ١٦٧٣م / ١٠٨٤هـ (١) ، وسنة ١٧٠٢م / ١١١٤هـ (٢) . وكان الوباء في المرتين الاخيرتين ، يهلك كل يوم مايزيد على ألف نسمة (٣) ، وساهم الجراد النجدي في تدهور الحالة المعاشية للموصل خلال عدة سنين فقد هاجمها سنة ١٦٧٣م / ١٠٨٤هـ « حيث أكل جميع الزروع ، وقلما سلم منها احد » (٤) ، كما هاجمها سنة ١٦٧٦م / ١٠٨٧هـ « حين أكل مانبت وهربت الرعايا ، وخربت القرايا حتى مات خلق كثير » (٥) وتكرر مثل ذلك سنة ١٦٨٨م / ١١٠٠هـ (٦) .

وعلى أية حال ، فقد شهــدت الموصل خلال هذا العهـد ، بعض الاصلاحات العمرانية والثقافية ، فقد عمر سورها (٧) ، وشيد فيـه باب جديد (٨) وجرت عدة محاولات لتشييد قناطر الجسر العائم (٩) وعلى الصعيد الثقافي ، اقيمت مجموعة من المدارس الدينية ، فافتتحت المدرسة الخزامية ،

(١) العراق بين إحتلالين جـ ٥ ص ١٠٧ عن عمدة البيان لياسين العمري

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ١٠ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) المصدر نفسه ص ٩ والعراق بين إحتلالين جـ٥ ص ١٠٧ .

(٥) منية الأدباء ص ١٧٣ وزبدة الآثار الجلية ص ٩ .

(٦) منية الأدباء ص ١٧٦ وزبدة الآثار الجلية ص ٩ .

(٧) منية الأدباء ص ٧٣ ومنهل الأولياء جـ ١ ص ١٣٦ .

(٨) العراق بين إحتلالين جـ ٥ ص ٢١٦ عن عمـــدة البيان لياسين العمري (مخطوط) .

(٩) سعيد الديوهجي : جسر الموصل ص ١٠ والعراق بين إحتلالين جـ ٥ ص ٢٠٨ .

والمدرسة العمرية ، ومدرسة الحاج علي النومة ، ومدرسة ياسين أفنـــدي المفتي رئيس العلماء ، ومدرسة محمد أغا السعرتي وغيرها (١) ، وأوقفت عليها الأوقاف ورتب فيها المدرسون ، فكان ذلك بداية الحركـــة الثقافية التي ازدهرت فيما بعد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

---

(١) نيقولاسيوفي : مجموع الكتابات المحررة على ابنية الموصل والديوه جي : مدارس الموصل في العهد العثماني « سومر ١٨ » ١٩٦٢ ، ص ٧٦ ، والديوهجي : جوامع الموصل ، وانظر الفصل الرابع من الباب الثاني « الحياة الثقافية » والفصل الخامس من الباب الثاني « الحالة العمرانية » .

البَابُ الأَوَّل

التَّطَوُّرُ السِّيَاسِيُّ

الفصل الأول

ظهور آل الجليلي على مسرح السياسة

لمحة عن عبدالجليل مؤسس الأسرة الجليلية :

لم يتناول المؤرخون المحليون ، الذين أرخوا لآل الجليلي ابان توا السلطة في ولاية الموصل تاريخهم العائلي قبل تولي أول ولاتهم اسماعي باشا الحكم ، إلا في القليل النادر . والمعلومات القليلة المشتتة لاتكاد ; لنا شيئاً هاماً يمكن الاستناد اليه في الكشف عن سر إرتقاء هـذه الأ سلطة الحكم على النحو الذي حصل ، كما انها لاتشير إلى أي مبرر معن لاحتفاظها بمقاليد الولاية لفترة طويلة من الزمن ، بل أن للمرء أن يل بأن جميع العوامل التقليدية المؤهلة للحكم ، لم تكن في صفها ـ أول الأم على الاطلاق ، حيث تجمع المصادر التاريخية كافة على أن أصل الأسرة غريباً عن الموصل ، وخاصة بالنسبة للطبقة العليا صاحبة النفوذ فيها . في حين حفلت المدينة آنذاك بعدد من الأسر القديمة الغنية ذات السلط التي بلغ بها الأمر أن نافست الوالي العثماني في سلطاته ، وفرضت نف في تصريف الشؤون الداخلية للولاية .

ولا ترتفع المصادر عند إشارتها إلى عبد الجليل (جد الأسرة ال اشتقت منه اسمها) إلى أكثر من أب واحد اسمه « عبدالملك » ،

---

(١) الطومار الجليلي (مخطوط) .

والصائغ ، سليمان : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٣ .

على ماكانت عليه العادة من الاكتفاء باسم واحد .

وتؤكد أكثر من رواية أن عبدالملك هذا لم يكن موصلياً بأية حال . وإنما كان من دياربكر (١) ، وهي الأراضي الواقعة إلى شمال مجرى دجلة الأعلى من بلاد الجزيرة ، والتي تشمل إضافة إلى مدينة ديار بكر (آمد) ذاتها عدداً ضخماً من المدن والقرى . وثمة روايتان في شأن تحديد المدينة التي قدم منها عبد الجليل ، حيث يذكر الأديب الآمدي علي أميري أن ولادة عبدالجليل كانت في مدينة ديار بكر نفسها ، وأنه إمتهن التجارة بين هذه المدينة والموصل عن طريق دجلة (٢) ، في حين يرى غيره (٣) أنه من مدينـــة (حصن كيفا) من أعمال ديار بكر ، وهي تقع أيضاً على نهر دجلة .

ولد عبدالجليل أغا في حدود سنة ١٦٢٠م / ١٠٣٠هـ (٤) . ولا ريب أن لوقوع موطنه على نهر دجلة أثراً كبيراً في نمو ثروته وغناه ، حيث كان هذا النهر قد أصبح منذ فتح العثمانيين بغداد في عهد السلطان مراد الرابع شرياناً إقتصادياً هاماً يصل بين العراق والقسطنطينية ، ممـــا زاد من قيمة ديار بكر وجعلها منفـــذاً هاماً لتجارة الموصل ، وإحدى مصادر ثرواتها خلال العهد العهد العثماني (٥)

---

(١) علي أميري : تذكرة شعراء آمد جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) تذكرة شعراء آمد ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) بطرس نصري الكلداني : ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٣١٧ .

(٤) تذكرة شعراء آمد . نفس الموضع .

(٥) يوسف غنيمة : تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٧٣ .

ويؤكد علي أميري الآمدي على أثر نهر دجلـة « الذي يجرى مز مدينتنا (أي ديار بكر) نحو الموصل وبغداد » في تكوين ثروة عبد الجليل وشهرته بالتجارة (١) ، إلا أنه لايذكر لنا شيئاً بصدد تاريخ إستقراره فِ مدينة الموصل .

وعلى أية حال فإننا نعلم أن وفاته كانت سنة ١٦٨١م / ١٠٩٢هـ (٢ ونظراً لصفاته الطيبة التي إشتهر بها « وهي الكرم ، والسخاء ، والثباد في الكلمة ، والوفاء » فان أهالي الموصل وملحقاتها كانوا ينظرون اليه نظرة التعظيم ، ويرعونه ويحترمونه كثيراً (٣)

وزاد من نفوذ عبدالجليل ومكانته الإجتماعية أنه منح ـ في هذه الفتـ ـ حق التصرف في قرية « قره قوش » الزراعية الكبيرة بموجب نظام المالكـ العثماني ، وكان هذا النظام يؤهل ضابط المالكانة الحصول على وضـ

(١) تذكرة شعراء آمد ج ١ ص ٢٥٨ . ومن المتواتر لدى الاسرة الجلي انها تنتمى إلى أصل عربي من قبيلة تغلب التي كانت تقيم في بلاد الجزيرة و عبد الجليل كان من اسرة حاكمة عربيـة قدم من ديار بكر الى الموصل أوائل القرن السابع عشر (١١ هـ) . وقد سجل *Longrigg* شيئاً من المأثورات فقال *bsequent admirers traced the Jalili lineage an old ruling house, and brought it from Diyar kr to Mosul about 1600* (Four Centuries P. 158) .

(٢) هو التاريخ المدون على شاهد قبره وياسين العمري : الدر المكـ ص ٥٦٠ (مخطوط) وفي تذكرة شعراء آمد أنه توفي سنة ١٦٨٨م / ١١٠٠

(٣) تذكرة شعراء آمد ج ١ ص ٢٥٨ .

مقارب جداً لمركز أصحاب الأقطاعات والتيمارات العسكرية ، بحيث لايكاد يتميز عنهم ، وكان إلتزام المتصرف بالأرض يسري لمدة سنة واحدة ، ثم تحول تدريجيا لتكون الأرض « المالكانة » ملكا لشاغلها مدى حياته ، وأنه حر في ملكيتها على طريق البيع اذا أقرت الدولة ذلك (١)

وتدعي بعض المصادر النصرانية إن عبد الجليل لم يكن أول أمره مسلما بل كان نصرانيا على المذهب النسطوري الذي كان منتشراً في العراق في ذلك العهد (٢) ، هذا مع أن أسماء جميع اولاد عبدالجليل جاءت إسلامية محضة ، وقد دفن هو نفسه عند ضريح أحد الأولياء المسلمين في الموصل يعرف بالشيخ العناز قرب أحد أبواب الموصل القديمة ، وهو موضع عرف باحتوائه على قبور « جماعة من الفضلاء » (٣)

---

(١) انظر وقفيـة قرية قره قوش « الملحق رقم ٨ » حيث ذكر الواقف أن تصرفه بالقرية « من القديم ، أبا عن جد ، بطريق المالكية » والمعروف أن جد الواقف الحاج حسين باشا الجليلي هو عبد الجليل نفسه.

(٢) مذكرات الأب دومنيكو لانزا (ترجمة روفائيل بيداويد ص ٤١ من المخطوطة ، و ص ١٨ من الطبعة الثانية ١٩٥٣) .

(٣) أحمد بن الخياط الموصلي : ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ص ١٠٨ وديوان حسن عبد الباقي الموصلي ص ١٠٤ ، وقد إستملكت بلدية الموصل المقبرة المذكورة ، وجرى نقل رفاة عبدالجليل وأولاده الى المدفن الجديد الواقع في الجانب الايسر مقابل محطة تلفزيون الموصل يوم ٢ آب ١٩٦٦ باشراف الدكتور محمد صديق الجليلي ، وقد نقل إلى القبر الجديد الشاهد الذي كان عند القبر القديم ومن الجدير بالذكر أن بعض الكتاب والرحالين النصارى ذهبوا الى أن قبر عبدالجليل موجود في كنيسة شمعون الصفا في الموصل ، واستدلوا آخذين عن لانزا ، على ان عبدالجليل توفي نصرانيا وهم:=

. . . .

Ives, E : A voyage From England to India, P. 322

Rich : Narrative, 2, P 21 .

Luke, H . C Mosul and its Minorities, P. 158.

ويقول لونكريك في هذا الصدد The grave of Abdul Jalil was

long shown in church (Four Centuries, P. 158) حاشية.

» دون أن يذكر مصدر ذلك » . وهو قول غريب ، بعيد عن الصواب ، لأن قبر عبدالجليل معروف تماماً،ومسجل بصورة رسمية في موضعه قرب مرقد العناز المذكور ، وبجواره عدة قبور ، منها قبر إسماعيل باشا أول وال جليلي وقد زار كاتب هذه السطور كنيسة شمعون الصفا ليتبين حقيقة القبر المزعوم فظهر له أنه لاوجود لقبر مطلقاً . وإنما توجد لوحة من الحجر الحلان طولها زهاء ٣ امتار وعرضها ٦٥ سم وإرتفاعها ٢٦ سم ، عليها نجوم مثمنة على شكل أحواض من داخلها مجاري ضيقة تنقل الماء الى فوهة فم كبش بارز في منتصف اللوح . ولا توجد أية كتابات على هذه اللوحة يستدل منها على هوية صاحبها ، أوعلى أنها جزء من قبر أصلا ، ومن الواضح من زخرفتها انها ترتقي إلى العهد الاتابكي (القرن الثالث عشر الميلادي ، ٧ هـ) كما يوجد مثلها في أماكن أخرى من الموصل وأطرافها . وقد أفاد القس المختص الدكتور يوسف حبي (وهو الذي أشرف على عمارة الكنيسة سنة ١٩٧٢ م) إن سجل وفيات المطرانية الكلدانية المتعلقة بكنيسة شمعون الصفا ، لايرتقي في معلوماته إلى أكثر من عام ١٨٤٠م ، وهو لذلك خال من أية معلومات يمكن أن توضح حقيقة اللوحة ويظهر من البحث الذي نشره القس المذكور انه لادليل لديه على وجود قبر -

. . . .

ـ أصلا في الكنيسة ، فانه يقول عن ذلك اللوح « يرجح بعضهم إنه من القرن الرابع عشر الميلادي ، بينما الشائع أنه نصب أوضريح آل الجليلي الذين كان لهم قبر في الكنيسة » ومصدر هذا القول هو لونكريك ، وهو مصدر متأخر كتب سنة ١٩٢٥ » مجلة بين النهرين الموصلية ١٩٧٣ ص ٧٥ » وقد فصل الاب جون فيه سبب ذيوع تلك القصة عن اللوحة ، بما مؤداه أن إسماعيل باشا الجليلي (١٧٢٦ ـ ١٧٢٧ م / ١١٣٩ ـ ١١٤٠ هـ) أصدر أمراً بدفن أحد رجال الدين من الكاثوليك في الكنيسة ، ثم دفن بعدم آخرون بأمر من الباشا الجليلي وكان سبب هذا التدخل هو مقاومة خوري الكنيسة النسطوري للدفن ولا يشير لانزا إلى أن الآباء دفنوا في ضريح يخص أحداً من الجليليين ، بل يكتفي بالقول إن قبراً كان « يخص الآباء ، أعطاه إياهم إسماعيل باشا »

(Fiey, J.M. : Mossoul Chretienne, PP. 116 - 118).

وطالما كان قبر عبد الجليل الحقيقي معروفا مشهوراً بين المسلمين ، ومسجلا بصورة رسمية في سجلات الطابو في المقبرة الكائنة قرب مرقد العناز ولم يذكر أحد أن أباه عبد الملك قدم الى الموصل مطلقا ، فليس لنا الا أن نشك في صحة تلك المرويات وربما كان السبب في القول إن عبد الجليل كان نصرانياً هو تشابه اسمه مع اسم قس نصراني اسمه عبد الجليل ايضاً ، كان قريباً من عهده ، فقد ورد في كتاب (Fiey, P. 148) انه في سنة ١٥٩٠م / ٩٩٩ هـ أنجز أحدهم مخطوطة لاجل الشماس عبد الازلي بن القس عبد الجليل بالموصل ، وان هناك كتابة في كنيسة مارتوما للسريان الارثدوكس (اليعاقبة) تشير الى ترميم الكنيسة سنة ١٧٤٤م / ١١٥٧هـ في زمن البطريرك شكـر الله والاسقف كوركيس من عائلة القس عبد الجليل . ومن المعروف انه لايجوز ـ

وعلى أية حال فقد ذاع صيت أولاد عبد الجليل السبعة :

خليل (ت١٧١٠م / ١١٢٢هـ) وابراهيم (ت١٧٠٧م / ١١١٩هـ) وإسماعيل (ت ١٧٣٣م / ١١٤٦هـ) وزبير (ت ١٧٠٩م / ١١٢١هـ) ويونس (ت ١٧١٥م / ١١٢٧هـ) وصالح (ت ١٧١٣م / ١١٢٥هـ) وعبد الرحمن (١) وصارت لهم مكانة كبيرة في قلوب أهل الموصل ، وسعوا هم في تنمية ثروتهم بالتجارة والصناعة والحزم ، فصارت لهم من المحبة والهيبة لدى الناس الشيء الكثير (٢) .

وفي السنوات التالية حج من أفراد اسرة عبد الجليل خمسة ، هم : الحاج خليل ، والحاج ابراهيم ، والحاج يونس ، والحاج صالح ، والحاج زبير (٣) . وظهرت لابراهيم أغا كرامات دينية (٤) كما وصفوا بالشجاعة والخبرة الفائقة (٥) ، ووصفهم مؤرخ موصلي بأنهم كانوا « ذوي شهامة ورياسة ، وأخلاق حميدة ، على الخصوص منهم اسماعيل باشا ، وابراهيم أغا » (٦) ونالوا على حد تعبير مؤرخ آخر « الثروة الطائلة ، والعز

ـــ دفن أحد في فناء الكنيسة الداخلي إلا اذا كان من رجال الكهنوت فحسب .

(١) شواهد قبور أولاد عبدالجليل في المقبرة الخاصة قرب مرقد العناز المسجلة في مديرية طابو الموصل .

(٢) تذكرة شعراء آمد ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) شواهد قبور أولاد عبد الجليل .

(٤) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ .

(٥) تذكرة شعراء آمد ج ١ ص ٢٥٨ .

(٦) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ .

الباذخ ، والمجد المؤثل » (١).

وتتويجاً لأعمالهم الخيرية في المدينة ، اشترك الاخوة اسماعيل أغا وابراهيم أغا وخليل أغا في بناء جامع كبير في موقع حيوي من الموصل عام ١٧٠٣م / ١١١٤هـ ، وعينوا له ولمدرسته من الأوقاف ما يكفيه (٢) ، وقد عرف هذا الجامع باسم « جامع الأغوات » نسبة إلى لقبهم الاجتماعي « أغا » قبل توليهم الحكم (٣).

وفي سنة ١٧١٦م / ١١٢٩هـ قام الجليليون بثاني أعمالهم العمرانية الدينية حيث بنى اسماعيل أغا مدرسة في فناء جامع النبي جرجيس لتدريس القراءات والعلوم القرآنية (٤).

وهكذا عزز الجليليون ثروتهم المتنامية برصيد ضخم من الشعبية لدى سكان المدينة ، وخاصة طبقة التجار الفعالة ، وطبقات الفقراء . ولا شك أن لمركز الأسرة التجاري اثراً كبيراً في كسب محبة التجار ، ومن يتعلق بهم ، وهم من أهم الطبقات الاجتماعية واكثرها تأثيرا على الاوضاع

---

(١) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢) وقفية جامع الأغوات « مخطوط » وانظر الفصل الخامس من الباب الثاني : الحالة العمرانية .

(٣) أغا : لقب تركي غير محدد المعنى على وجه الدقة ، كان خاصاً برجال السيف ، ثم اصبح يعنى سيد أو موظف من الدرجة الوسطى « أحياناً العالية » بغض النظر عن كونه مدنياً أم عسكرياً .

(٤) سعيد الديوه‌جي : جوامع الموصل ص ١٧٦ .

الاقتصادية في الولاية . يقـول العمري الموصـلي « كان لهم عناية بالفقر وأرباب الصنايع ، يدافعون عنهم ، ويحامون ، ويسعون لهم بالمصالح وإز المظالم وتبديل البدع ، فظهر اسمهم ، واعتلا رسمهم ، واشتهرت في رج الدولة اخلاقهم الحميدة وآرائهم السديدة » (١)

الأسرة الجليلية وطبقه التجار :

أن كسب ولاء البورجوازية التجارية في الموصل ، المدينة ذات المر التجاري الفذ ، والصناعات المتنوعة (٢) ، كان الأساس الاقتصادي ال استند اليه آل الجليلي في الصعود الى مركز السلطة ، وذلك رغم كو ليسوا من الاسر القديمـة في الولاية ، فليس غريباً إذن أن يتناقل الت كراماتهم وتؤثر عنهم اعمال اقتصادية كتخفيف الضرائب ومحاسبة شي الأصناف (٣) وتدقيق دفتره . يقول العمري «حدثني عنه (أي عن اسما الجليلي) بعضهم قال : سأل الامير المذكور شيخ الأصناف السبعة ، فق وجدت في دفترك انك صرفت خمسين قرشاً في مصالح البلد ، ولم تبيز مكانها ومصرفها ، فسكت الرجل ، فقال : لابد من ذلك ، فقال : أخ مني ابن أخيك فلان ، فغضب غضبا شديداً ، وأوفاها من خالص ما

(١) أمين العمري : منهل الأولياء ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) سيأتي التفصيل عن هـذه الناحية في الفصل الثاني من ال الثاني « الحياة الاقتصادية » .

(٣) الاصناف : هي نقابات الحرفين في التنظيمات الاسلامية . وس الحديث عنها عند دراسة الحياة الاقتصادية .

وحدثني ذلك الرجل أيضاً ، قال : حكى لي بعض التجار ، قال : كنت بمكة شرفها الله تعالى فسمعنا هناك برجل صالح ذي كرامات شهيرة ، فزرناه يوماً ، وجلسنا عنده قليلا ، فسألنا عن حالنا وعن محلنا فأخبرناه انا من الموصل ، فقال : الان توفي بالموصل رجل عزيز له مكانة عند أهل الله ، قال فما جسرنا أن نسأله من المتوفى ؟ فلما عدنا الى الموصل ، وجدنا ذلك المتوفي ابراهيم أغا ، وكان هذا ابراهيم أخو اسماعيل باشا (ابن عبدالجليل) أكبر منه سنا وكان صاحب خيرات كثيرة ، فمن خيراته (انه) قد دفع عن جاري العادة عن أهل الموصل بدعاً منها : إذا كان يموت الرجل منهم كان يأتي القاضي إلى بيت الميت ، ويحرر جميع مال الميت ، ويقيمه (أى يقدر قيمته) بدراهم ، ويأخذ من العشرين واحدا باسم القسامية . ومن بعض مارفع عن أهل الموصل ايضاً : (انه) إذا كان يغرق أحد منهم في الماء . أو يحترق بالنار ، أو يتهدم عليه جدار ويموت . كانوا يأخذون الحكام (كذا) دية ذلك الميت من أهله ، فرفع هـــذه البدعة المذكورة وما أشبهها بالأمر العالي » (١)

ويروي نفس المؤرخ أيضاً أنه لما توفي ابراهيم المذكور سنة ١٧٠٧م / ١١١٩هـ « اضطرب أهل البلدة لفقده ، وخرج لتشييع جنازته جميع أهل الموصل ، الخاص والعام ، حتى أهل الذمة » (٢)

---

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ و : *Longrigg, S. Four Centuries, P. 158.*

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٤٣ .

تعاظم نفوذ الجليليين

وفي الوقت الذي كانت فيه الأسرة الجليلية تستميل اليها طبقة التجار النشطة ، وتثير فيها أمل الفقراء ، كانت السلطة السياسية في الولاية قد غدت مجال نزاع عنيف بين الوالي العثماني المعين رسمياً من قبل الدولة المركزية ، وبين الطبقة الارستقراطية المحلية ، التي تقف على قمتها أسرة العمري الموصلية ، حتى آل الأمر إلى أن يكون نزاعاً مسلحاً ضارباً يضر باقتصاديات الولاية وأمنها .

ويرتفع العمريون بنسبهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد استقدمتهم الدولة العثمانية ، إلى الموصل بعد فتحها المدينة في القرن السادس عشر ، كوسيلة لتهدئة الأوضاع وللقضاء على ماتركه الفرس من آثار ثقافية واجتماعية وذلك بنشر المذهب الحنفي ، المذهب الرسمي للدولة . وكان قاسم العمري (ت ١٥٩٠م / ١٠٠٠ هـ) هو أول من قدم اليها من مكة (١) ، وبعده تكاثرت ذريته وازداد ثراؤها ، فكان لأحدهم ــ وهو علي بن مراد العمري في كل يوم « ثلاثمائة درهم ، سوى ما كان له من حواصل القرى والغلال والمزارع » (٢) وكان دخل علي افندي المفتي العمري كل يوم « خمسين قرش سوى الأغلال ، وله جمال وبغال وخيل . . . الخ » (٣) .

---

(١) تاريخ الموصل ج١ ص٢٧٠ ويشير ياسين العمري في غاية المرام ص٣٧ أن محلة العمرية ببغداد نسبت إلى أجدادهم .

(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٢٥ .

(٣) ياسين العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٣٤٠ .

وبلغت هذه الأسرة مكانة رفيعة حتى نافست سلطات والي الموصل السياسية صراحة . ففي سنة ١٧١١ م / ١١٢٣ هـ قامت فتنة أهلية انقسم الناس على أثرها إلى فريقين ، الأول مع الباشا (الوالي) والآخر مع مفتي المدينة علي أفندي العمري ، وامتدت الفتنة أياماً ، مما أضر بمصالح السكان في المدينة ضرراً كبيراً ، إذ « تعطلت الناس عن البيع والشراء مدة » (١) وانفجرت الفتنة مرة أخرى سنة ١٧٢٥ م / ١١٣٨ هـ ، ولكن بشكل أعنف ، إذ « قامت الحرب بينهم مدة ستة أشهر ، ونهبت حوانيت وقتل عدة نفوس » (٢) وبلغت تعاسة الموقف أشدها عندما حلّت بالمدينة أوبئة شديدة مات بسببها الكثير من السكان ، ثم تعرضت الزراعة إلى موجة من الجراد أكل المحاصيل ، فأعقب ذلك الغلاء (٣) .

ولا شك أن تكرر وقوع مثل هذه المصادمات بين القوتين الرئيسيتين في الولاية : الوالي ، والأسر الارستقراطية ، والضرر الفادح الذي ألم بسببها بالفئات الأخرى جعل المسرح السياسي مهيئاً لظهور قوة ثالثة تستند إلى طبقة نشيطة ، هي أكثر الطبقات تضررا من فوضى الصراع الناشب . ومن هنا برز آل الجليلي كأسرة تجارية ذات نفوذ واسع .

وسرعان ما أصبحت هذه الأسرة من الأسر صاحبه النفوذ المعدودة في

(١) ياسين العمري : زبدة الآثار الجلية ص ١٠ (مخطوط) .
ونفس المؤلف : منية الأدباء ص ٧٩ .
(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤١ .
(٣) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ والصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٢
والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٥ ص ٢١٦

الموصل وعد اسماعيل أغا « وهو واسطة عقدهم » (١) واحداً من ثلا
هم أبرز أعيان المدينة قاطبة .

والظاهر أن نفوذ الجليليين على السوق في الموصل فضلا عن التزا
حق جباية بعض المقاطعات في الريف ، أدى بالتالي إلى اشتراكهم بعمليا
مالية كبيرة ، كضمان رسوم الاحتساب المعروفة في العراق بـ « التمغا » و
ضمان سنوي يعطي بالالتزام لأحد أصحاب النفوذ ، والغرض منه جمـ
الضرائب من المرافق الاقتصادية في البلد (٢) .

ويستنتج من حادثة جسر الموصل - التي سيأتي ذكرها - أن اسماء
أغا كان ملتزمـاً بضمان الضرائب على أصناف الحرف في الموصل (٣)
يشاركه في ذلك كل من علي أفندي المفتي العمري ، وقره مصطفى
متولي محافظة مدينة الموصل . وقد اشترك الثلاثة سنة ١٧٢٠ م / ١٣٣
- بتكليف من الوالي - في تنفيذ مشروع ضخم عجزت ميزانية الوا
نفسها عن تحمل نفقاته ، وهو بناء قناطر حجرية ثابتة لجسر الموصل العا
يقول المؤرخ ياسين العمري في حوادث هذه السنة « في الموصل ، "
إذا نقص ماء دجلة ، وشدوا الجسر ، يعملون عند باب الجسر مثل الكو
من خشب وأحجار وتراب حتى تمر الناس عليه فأمر والي الموصل صا

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ .
(٢) عباس العزاوي : تاريخ الضرائب العراقية ص ٥٠ - ٥١ .
(٣) سيأتي الحديث عن أصناف الحرف في الفصل الثاني من الب
الثاني عن الحياة الاقتصادية .

مصطفى (١) الأعيان الثلاثة الذين أدوا الصاليان (٢) عن الأصناف والرعية فأمر الباشا المشار إليه قبلاً فباشروا بعمارة ذلك ، فبنى علي أفندي العمري [القسم] الذي تمر عليه الناس إلى الجسر ، وبنى الرتبة الاعلى منها اسماعيل أغا [الجليلي] وبنى الرتبة الثالثة قره مصطفى باشا ، واستراحت الناس من التعب » (٣) .

ويذكر ياسين العمري في حوادث سنة ١٧٤٠ م / ١١٣٥ هـ أن صاري مصطفى باشا أمر الإعيان الثلاثة ببناء مسناة (٤) لجسر الموصل ، محل القناطر التي كانوا بنوها قبل سنتين ، وخربتها المياه ، فبنوا مسناة في محلها لكنها لم تتم ، وبلغ ما أنفق عليها حداً جعل الولاة لا يجسرون على صرف المبالغ المقتضية لها ، وصارت تعد شؤماً فلم يقدر وال على تعميرها (٥) ، وهكذا اجتمع لاسماعيل أغا بن عبد الجليل كل ما يؤهله لتولي مقاليد الولاية ولم يبق أمامه سوى اقناع السلطات العثمانية المركزية في استانبول بكفاءته

---

(١) تولى الموصل من سنة ١٧٢٠ م / ١١٣٣ هـ إلى سنة ١٧٢٣ / ١١٣٤ هـ (سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ ص ٨٥) .

(٢) الصاليان أو الساليان : مشتقة من (ساله) الفارسية بمعنى (سنة) والكلمة تعني (الضرائب السنوية) .

(٣) ياسين العمري : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون ص ٥٨٠ (مخطوط) .

(٤) الدر المكنون ص ٥٨٠ (مخطوط) وجسر الموصل ص ١٠ ، والعزاوي : العراق بين احتلالين ج٥ ص٢٠٨ .

(٥) نفس المصدر السابق .

ومقدرته في الاحتفاظ بالموصل إزاء الاخطار الخارجية باعتبارها من و
الحدود المتاخمة لايران .

تعيين اسماعيل بن عبد الجليل والياً على الموصل :

وقد تم لعب هذا الدور أثناء المعارك العثمانية - الايرانية سنة
/ ١١٣٦ هـ ، حين شاركت قوات والي الموصل في الحملـــة العسكر
جهزها والي بغداد الوزير أحمد باشا لفتح همدان (١) . وفي الشتاء من
السنة تقدم والي الموصل بقسم من الجيش واخترق بـلاد (البختيار
القاطنين على حدود إيالة أصبهان (٢) . ورغم أن المصادر لا تشير إل
المساعدة التي قدمها آل الجليلي في هـــذه الحروب ، فان تلك المـ
كانت « لتجهيز العساكر في الموصل بما تحتاج إليه من الذخائر ، و
بالسيف والمال » (٣) .

ولا شك أن دور الجليليين في هذه الحروب ، كان له الأثر
في تقدير الدولة العثمانية لمواهبهم وكفاءتهم في مقاومة الخطر الايراني .
العمري أن اسماعيل الجليلي (٤) نال رتبة (امير) قبل توليه الحكم

(١) كاتب جلبي : تقويم التواريخ ص١٣١ وتاريـخ جلبي زاد
ص٤٩ ورسول حاوي الكركوكلي : دوحة الوزراء ص١٨ وسليمان فا
حروب الايرانيين في العراق ص٢٤ - ٢٧ (مخطوط) .

(٢) علي الكوراني : من عمان إلى العمادية ص١٥٨ .

(٣) منهل الأولياء ج١ ص١٤٦ .

(٤) الدر المكنون ص٥٨٠ (مخطوط) .

يعني أنه أصبح « بك » ، أي أمير سنجق .

وما أن حلت سنة ١٧٢٦ م / ١١٣٩ هـ حتى كان نجم أبناء عبد الجليل يشارف عنان السماء باعتبارهم من المجاهدين ، وصاروا بذلك مقصداً للشعراء والأدباء . وصادف أن مر بالموصل في تلك السنة – قبيـل تولى اسماعيل الجليلي مقاليد الولاية – الرحالة الصوفي الشيخ مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي (ت ١٧٤٨ م / ١١٦٢ هـ) فطلب منه بعضهم نظم شعر في مدح « أولاد عبد الجليل » فكان ختام أبياته (١) :

وما شادت قصور المجد فيها   بفضلهم بنو عبـد الجليل

وفي جمادى الأولى من عام ١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م كافئت الدولة اسماعيل أغا بتعيينه والياً على الموصل مع منحه لقب « بكلاربكى » (٢) أي بيك البكوات ، أو « مير ميران » أي أمير الأمراء ، وهي رتبة الباشويـة بطوغين (٣) ، أى من الدرجة الثانية وبذلك ابتدأ عهد الولاة الجليليين في الموصل .

---

(١) مصطفى الصديقي : كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان . الورقة ١٤ (مخطوط) .

(٢) تاريخ جلبي زاده أفندي ص١٢٨ . ومحمد ثريا : سجل عثماني ج١ ص ٣٦١ .

(٣) الطوغ : شارة عثمانية خاصة ، عبارة عن خصلة من شعر ذيـل الفرس (انظر الفصل الاول من الباب الثاني عن نظم الادارة والحكم) .

الفصل الثاني

الحياة السياسية

استئثار الجليليين بالحكم في الموصل :

بخضوع الموصل للسيادة العثمانية في القرن السادس عشر ، وانض
إلى الامبراطورية العثمانية المترامية الأطراف ، أصبحت مركزاً لولاية ع
صغيرة نسبياً ، تتبع من الناحية السياسية السلطان العثماني .

واستناداً إلى هذا الواقع ، فقد كان نظام الموصل السياسي المتمث
نظم الحكم والإدارة ، خلال العهد العثماني ، مماثلا إلى حد كبير للنظم الس
العامة التي كانت متبعة في الولايات العثمانية الأخرى . ومن السهل على البا
أن يلحظ التشابه الواضح بين حكومة الموصل العثمانية ، وحكومات الولا
المجاورة ، في نفس الفترة ، حيث لاتختلف أسماء المناصب الحكومية والإدا
المختلفة عما يماثلها في الولايات الأخرى إلا نادراً ، فمناصب مثل ا
والكتخدا والقاضي والمفتي واغا الينكجرية يمكن أن نجدها ، بنفس أ
في ولاية الموصل ، وفي غيرها أيضاً على حد سواء ، مثل حلب و
ودمشق . . الخ دون تبديل أو تغيير يذكر .

على أن تشابه نظم الحكم والإدارة في الولايات ، لا يعني -

حال – أن الحياة السياسية في كل منها كانت تماثل الأخرى ، فعلى الرغم من تشابه التركيب الوظيفي للولايات ، فان الحركة السياسية في كل ولاية كانت تخضع لتأثير العلاقات المتبادلة بين عناصر القوة فيها . وكان مصدر قوة هذه العناصر أو الفئات مستمداً من عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية معقدة متشابكة ، تفاعلت بحسب التاريخ المحلي للولاية وظروفها السياسية الخاصة .

وقد رأينا في الفصل السابق ، كيف شكل الصراع الناشب بين سلطة الوالي الرسمية ، وسلطة الأسر الإقطاعية المحلية ، الحياة السياسية اولاية الموصل خلال الفترة التي سبقت تولي الجليليين السلطة ، وكيف أدى تعاظم النشاط التجاري في الموصل إلى نمو الطبقة التجارية وحسمها النزاع لصالحها بتولي آل الجليلي مقاليد الحكم في الولاية .

وفي الواقع ، كان حكم الأسرة يمثل تتويجاً لسيادة القوى المحليـة في الموصل فصار الوالي ، وكتخداه ، ودفتر داره ، وكتابه ، وسائر موظفيه من الموصليين ، وبلغ الأمر أن تحول الجيش نفسه إلى عساكر محلية موصلية في أردية أورطات الينكجرية .

وكان من الطبيعي أن يؤدي اشغال القوى المحلية مراكز السلطة ومناصبها إلى انتهاء الصدامات الداميـة بين هذه القوى وبين ممثلي الحكومة العثمانية المتمثلة بالوالي وجيشه ، كما كان يحدث – في نفس الوقت – في ولايات أخرى ، كحلب مثلا ونحول الصدام – بدلا من ذلك – إلى صدام بين القوى المحلية في الولاية نفسهـا ولم تكن وحدة هذه القوى لتتجلى في هذه الفترة ، إلا عند محاولة السلطات العثمانية المركزية تعيين وال أجنبي (من خارج الموصل) ليتولى الحكم فيها

وهكذا فقد نجح الجليليون ، باعتبارهم الممثلين للروح الموصلية
في دحر كل محاولة استهدفت انتزاع السلطة من أيديهم ومنحها لولاة أ
وبذلك فقد احتكروا الحكم في الموصل مدة طويلة تبلغ مائة وثماني سنين
وحتى في السنين القليلة المتقطعة التى تولى فيها ولاة غيرهم، كانوا هم أصحاب
الحقيقية في البلد والمسيطرين على الموقف فيها . وبالنظر إلى قائمة ولاة ا
خلال الفترة الممتدة من سنة ١٧٢٦م /١١٣٩هـ إلى سنة ١٨٣٤م/١٢٤٩هـ
حكم الولاة الجليليين بلغ زهاء ٩٠ عاماً ، وولى فيها ١٦ وال ج
أما الثمانية والعشرون عاماً المتقطعة الأخرى ، فقد ولى فيها ٢٥ وا
غير الأسرة الجليلية ، أي بمعدل يزيد قليلا على السنة الواحدة لكل وال

ويتساءل الأب دومنيكو لانزا في مذكراته عن سر بقاء الأسرة
في الحكم رغم كل الظروف المناوئة ، فيقول : « لقد دلت التجارب
على عدم وجود من يستطيع ضبط أمر الموصل غير آل عبد الجليل
هذه الحقيقة ناجمة عن كون أهالي الموصل متمردين لا يريدون حك
المطلق بل يبغون حريتهم العربية ، أم أنها سياسة هذه الأسرة الت
الأهالي سراً على القيام لأجل أزعاج الحكام الغرباء ؟ أن في هذا
فان لكل من الاحتمالين وجوهاً » (٣) .

ويمكن القول بأن كلاً من هذين العاملين كان يكمل الآخر
آخر فانهما وجهان لحقيقه واحدة ، إذ لاشك في أن تكون من مص

(١) بحساب السنين الشمسية وهي ١١١ عاماً بحسب السنين
(٢) سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ ص٨٥ - ٨٧ وانظر الملحق ر
(٣) مذكرات دومينكو لانزا ص٤٦

الموصل الخاصة أن يكون واليهم موصلياً من بينهم ، عارفاً بمصالح ولايته الاقتصادية ، متفهماً لشؤون طوائفها المتعـــددة ، مراعياً لصبغتها القومية المتميزة . كما أن من شأن الوالي الموصلي « الذي يريد أن يبقى في الحكم دائماً أن يسعى دوماً لكسب رضا الناس وثقتهم بخلاف الوالي الأجنبي الذي لا يعرف مدة بقائه في الحكم ، ولذلك فانه لايحصر اهتمامه بجمع المال والحصول على نفقات سفره فقط ، وانما كان عليه أن يقدم للسلطان المال ، ويرسل الهدايا إلى القسطنطينية لكي يضمن له باشويـــة أخرى إذا ما استدعي من ولا يته هذه » (١) .

ومن جهة أخرى ، فقد عمد الجليليون إلى الاستفادة من محصلة تلك الظروف مجتمعة ، إلى أقصى حدود الاستفادة ، فكسبوا ولاء الطبقة التجارية ذات النفوذ ، وقربوا الأسر الإقطاعية الإرستقراطية ، واستمالوا العامة من حرفيين وفلاحين باحترامهم لتنظيماتهم الدينية - الاجتماعية ، وبذلك استوت لهم زعامة الروح المحلية للبلدة ، وغدوا الممثلين الوحيدين لشخصية الموصل المتميزة ، فلم يكن لشعبيتهم الواسعة أي منازع ولما كان أغلب الموصليين قد انضموا - لأسباب شتى - (٢) إلى أورطات الينكجرية ، فقد امتد نفوذ الأسرة إلى داخل القوات المسلحة نفسها ، حتى صارت تلك الفرق أداة طيعة من أدواتها تحركها كيفمـــا تشاء . وباجتماع تلك الأدوات ، صار من السهل السيطرة التامة على الموقف ، واحتكار الحكم مدة طويلة .

---

(١) رحلة نيبور ص ١١٢ .

(٢) سيأتي الحديث عن هذا التداخل بين السكان والينكجرية في الفصل الأول من الباب الثاني .

أساليب الجليليين في التخلص من الولاة الدخلاء :

ويمكن للمرء أن يلمح - من خلال تتبعه مجريات أحداث تلك الفترة - أن ثمة خطوات معينة كان الجليليون يتبعونها دائماً ، وباتقان بالغ ، للتخلص من أي وال دخيل ، تفرضه الدولة على الولاية ، وأولى تلك الخطوات أن يعمد رجال الأسرة - وهم كثرة يبلغ عددهم في منتصف القرن الثامن عشر خمسة عشر بيتاً - إلى التقليل من شأن الوالي الجديد لدى الشعب ، وافقاده احترامه اللازم كوال بينهم . فعندما عينت الدولة العثمانية رجب باشا والياً على الموصل سنة ١٧٦٨ م / ١١٧٢ هـ « لم يحترمه الناس بقدر احترامهم لأبسط أغا من أغوات البلدة » (١) .

وكثيراً ما فضل الجليليون عدم الظهور على المسرح علناً ، مكتفين بتحريك الأمور ودفعها من وراء الكواليس . فحين ولي مصطفى باشا الموصل - بتأييد والي بغداد - سنة ١٧٦٧ م / ١١٨١ هـ مكان واليها أمين باشا الجليلي الذي نقل إلى ولاية أخرى ، دعا أمين باشا أغوات الينكجرية ووجوه المدينة وحرضهم على أن يبقوا متحدين مع ابنه سليمان بك ، موصياً إياهم بعدم إثارة المتاعب أمام الباشا ، وأقسم بأنه سوف يبيد لدى رجوعه كل من خالف أوامره ، لكن هذا الأمر أضر بمصلحة مصطفى باشا نفسه إذ جعله مرتبطاً بسليمان بك « وكان هذا يعاكس بالخفية إجراء أوامر الباشا إلا إذا استشاره ورضى الخطة » (٢) ، ودامت هذه الحالة ستة أشهر فكان « كل واحد يعمل ما يهواه غير مبال أو خائف من الباشا المتولي على

---

(١) مذكرات لانزا ص ٤٩ وقد ورد في الأصل اسم (بهجت) خطأ .

(٢) مذكرات لانزا ص ٦٢ .

المدينة » (١) .

وكان من اليسير بعد ذلك أن يثير أفراد الأسرة ذوو النفوذ ، إحدى أورطات الينكجرية الخمس ضد أخرى . ولما كانت جذوة الخلافات والمنافسة بين هذه الأورطات موجودة على الدوام ، فقد كان طبيعياً أن تندلع نار الفتنة بين الطرفين بعنف بالغ ، فتتعطل الأعمال ، وتتوقف إدارة الولاية ، ويبقى الوالي في مقره ينتظر النتائج ، عاجزاً عن التدخل في تطور حوادثها :

ويؤكد لانزا أن كل باشا يأتي الموصل – وهو غريب عنها – لايكون له فيها من السلطة إلا بقدر ما يسمح له بها الوجوه ذوو النفوذ في البلدة وهؤلاء حسب رغباتهم يثيرون الشعب على الباشا أو يلقون الشقاق بين الينكجرية كي يقتتلوا بينهم بحيث يبقى الباشا في السراي غير قادر على استعمال سلطته (٢) .

وكثيراً ما كانت خطة الأسرة تمتد إلى إثارة بعض القوى المحلية المجاورة ضد الوالي وعصيان أوامره ، فيضطر هذا الوالي عند ذلك إلى الاحتفاظ بقوات كبيرة من الجند ، مما يكلف خزينة الولاية نفقات باهظة ، ويقلل من كمية الأموال المقرر ارسالها إلى السلطان (٣) ، ويصبح مركزه نفسه ضعيفاً داخل الولاية ، ولدى الحكومة المركزية على حد سواء ، فإذا مااضطر إلى الانحياز إلى أحد الطرفين المتنازعين صار من السهل النيل منه ، أو ضربه من قبل الطرف الآخر ، أو تهامه لدى الباب العالي بتركه مهام منصبه ومساهمته في زيادة الفوضى واضرام الفتنة في الولاية . وبتوالي الأحداث

(١) مذكرات لانزا ص ٦٤ .

(٢) مذكرات لانزا ص ١٧ ـ ١٨ .

(٣) رحلة نيبور ص ١١٢ .

واستقرار مركز الأسرة الجليلية في الحكم، أصبح هذا الأسلوب من الظواهر المتكررة في الحياة السياسية للولاية .

ويمكننا أن نلحظ أن هناك ثلاثة أنواع من الصراع المستمر ، كانت تشكل وجه تلك الحياة ، وتسمها بميسمها الخاص ، هي :

أولاً : صراع بين آل الجليلي باعتبارهم الممثلين الوحيدين للموصل ، وبين الولاة الأغراب الذين كانوا يفرضون على الولاية من قبل الدولة العثمانيـة .

ثانياً : صراع بين الأسرة الجليلية وبعض الأسر الموصليـة الأخرى على منصب الولاية .

ثالثاً : صراع بين زعماء الأسرة الجليلية أنفسهم على المنصب نفسه . وفي أكثر الأحيان كانت هذه الصراعات تمتزج مع بعضها لتؤلف عملية تاريخية واحدة .

عهد حسين باشا وترسيخ حكم الأسرة الجليلية :

وقد تميزت الفترة التالية لولاية اسماعيل باشا الجليلي سنة ١٧٢٦ م / ١١٣٩ هـ (استمر حكمه سنة واحدة) (١) بهدوء نسبي دام زهاء الثلث قرن ، لم يرد فيها ذكر أي خلاف أو منافسة على زعامة المدينة السياسية . فقد تولى الموصل – لنصف تلك الفترة – عدد غير قليل من الولاة الأغراب وتولاها لمدة مماثلة ، زعيم الأسرة الجليليـة الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا (٢) . وليس في المصادر التاريخية ما يفيد حدوث أي صراع بين الأسرة

(١) سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ ص ٨٥ .

(٢) منية الأدباء ص ٨١ ومنهل الأولياء ج ١ ص ١٤٤ .

وهؤلاء الولاة ، أو بين أفراد الأسرة ذاتها ، على منصب الولاية .

وأول وال تولى الموصل ، بعد اسماعيل باشا ، كان تركيا من (درنده) هو حسين باشا الدرندي « وكان رجلاً عاقلاً محباً للعلماء » (١) ، فحكم سنة واحدة ، ثم تلاه في منصبه سنة ١٧٢٨ م / ١١٤١ هـ محافظ أدنه الوزير محمد باشا رشوان زاده « فأقام سنتين وعزل » (٢) .

وفي سنة ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ تولى الموصل الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي (وكان آنذاك برتبة بكلربكي) ، وعزل في نفس السنة (٣) فخلفه علي باشا أخو حسن باشا والي بغداد وأقام إلى سنة ١٧٣١ م (٤) . فأعيد اليها الحاج حسين باشا ثانية واستمر فيها سنتين . وفي هذه المرة تألق نجم الجليليين لصدهم حملة ايرانية أرسلها نادر شاه سنة ١٧٣٢ م فاشتهر منهم – بسبب المعركة – مراد باشا ، ومحمد أمين باشا ولدا الحاج حسين ، وعبد الفتاح باشا أخوه ، وأولاد عمه عبدي أغا ومصطفى أغا وعبيد أغا والحاج قاسم ، « فأنشدت شعراء الموصل تصف هذه الحرب وتنوه بالذكر الطيب على أسودها الجليليين » (٥) .

(١) منية الادباء ص ٨١ وسالنامة الموصل ص ٨٥ .

(٢) منية الادباء ص ٨١ .

(٣) ياسين العمري : الدر المكنون ص ٥٨٦ (مخطوط) وسالنامة الموصل ص ٨٥ .

(٤) منية الأدباء ص ٨١ وذكر أمين العمري في منهل الأولياء أن ولايته هذه كانت سنة ١١٤٧ هـ الموافقة ١٧٣٤ م .

(٥) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٧ وياسين العمري : غاية المرام ص ١٨٠ .

وفي عام ١٧٣٣ م / ١١٤٦ هـ تولى الموصل ممش باشا ، فلم يدم حكمه إلا أقل من سنة ، إذ أعيد اليها الحاج حسين باشا مرة ثالثة فتولاها سنتين ثم خلفه فيها مرة ثانية ممش باشا ، ثم أرسلان محمد باشا سنة ١٧٣٥ م ثم ايلجي محمد باشا سنة ١٧٣٦ م ، دون أن يحكم كل منهم إلا شهوراً قليلة.

وفي عام ١٧٣٨ م / ١١٥١ هـ تولى الموصل للمرة الرابعة ، الحاج حسين باشا الجليلي ، فدام حكمه سنتين (١) ، تلاه بعدها محصل أحمد باشا الحلبي ثم عثمان باشا الوانلي سنة ١٧٤١ م / ١١٥٤ هـ وتميزت ولاية الأخير بطريقة مقتله البشعة وغموض أسبابها ففي عيد الفطر ، سار إلى بيوت الأعيا فلما دخل دار قره مصطفى (محافظ الموصل) قبضوا (عليه) وقتلوه بفرما السلطان ، وربطوا برجله حبلاً وسحبوه بالأزقة ، فأرسلت حرم الوز الحاج حسين باشا (حمرة خانم) وأخذته من أيديهم ، وأمرت بتغسيا ودفنه وكان الحاج حسين باشا في بغداد ، فقـــدم ووليها (٢) مدة بلغ أربع سنين وشهرا (٣) .

وفي خلال ولاية حسين باشا هذه ، تعرضت الموصل لحصار نا شاه أكثر من أربعين يوماً من سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ . فأظهرت المد من الوحدة الوطنية والالتفاف حول قيادة الأسرة الجليلية مامكنها من الوقو في وجه الحصار والدفاع والمقاومة (٤) . ويروي أحد شهود العيان أن ـ

(١) منية الأدباء ص ٨٢ والدر المكنون ص ٥٩١ (مخطوط) .

(٢) أى للمرة الخامسة .

(٣) منية الأدباء ص ٨٢ وزبدة الآثار الجلية (مخطوط) والدر المكا ص ٥٩٢ (مخطوط) .

(٤) منهل الأولياء ج ١ ص ١٤٧ ـ ١٦٥ ومنية الأدباء ص ١٨٠ ـ وزبدة الآثار الجلية (مخطوط) وتاريخ الموصل جـ ١ ص ٢٧٨ .

كل طرف إلى تأليف حزب أقوى لسحق خصمه ، وبذلك فقـد انتقلت شرارة النزاع إلى أهالي البلدة وأغوات الينكجرية ، لينقسموا بدورهم إلى جبهتين تؤيد كل منها أحد الزعيمين المتخاصمين (١) .

وزاد من تأزم الموقف أن عبد الفتاح بك أحس بمساعدة الوالي محمد أمين باشا لحماه مصطفى أغا . فأسرع باستمالة بيتين كبيرين من آل الجليلي إلى جانبه ، مع عدد غير قليل من رؤساء الينكجرية ، وانبرى بعد ذلك يكيل الإهانات للوالي ومن يلوذ به ، بين أهالي المدينة ، حتى انفجر الموقف تماما بهجوم مسلح شنه محمد أمين باشا على دار عبد الفتاح بك ، التي كان الأخير قد حصنها بمائتي رجل من أعوانه .

وبذيوع أخبار الصدام بين السكان ، أخذت كفة القتال ترجح لصالح الوالي ، فقد انضم أغلب الأهالي إليه ، في حين لم يستطع أتباع عبد الفتاح مساعدته ، فاضطر هذا – بعد استمرار تبادل اطلاق النار قرابـة نهار وليل – إلى النفوذ من الحصار المضروب حوله والهرب إلى دار أخرى له على سور المدينة قرب باب البيض (٢) ، وهناك حاصره مهاجموه مرة أخرى وعادوا إلى قتاله حتى ظهر اليوم التالي ، ولم ينقذه من موقفه المتدهور إلا أحد الأغوات من شيوخ الأسرة الجليلية وعقلائها ، فقد إرتمى على قدمي الوالي مستعطفاً إياه للابقاء على حياة عبد الفتاح بك وأبناء أخوته الذين كانوا متفقين معه . ورغم تخوف أغوات محمد أمين باشا وإصرارهم على قتلـه خشية انتقامه فيما بعد ، فقد عفا عنه محمد أمين باشا مشترطا أن يغادر ، هو وأصحابه ، المدينة دون رجعة ، فاضطر عبد الفتاح إلى الرحيل – بأتباعه –

(١) مذكرات لانزا ص ٤٠ .

(٢) أحد أبواب مدينة الموصل الجنوبية .

إلى بغداد ، وبمساعي واليها تم استحصال العفو عنه ، فعاد الجميع إلى الموصل والحقد يملأ صدر عبد الفتاح على محمد أمين وأعوانه (١) .

اشتداد الصراع واتساع مداه :

ولم تطفىء الكوارث الطبيعية المتلاحقة ، من برد هائل وتجمد مياه نهر دجلة ، وهجوم الجراد ، وهجرة السكان نتيجة القحط (٢) ، من لهيب الصراع القائم . فقد كان تعيين مصطفى باشا (٣) والياً على الموصل فرصة ذهبية استغلها عبد الفتاح بك لصالحه ، إذ ما كاد الوالي الجديد يستقر في منصبه حتى أخذ عبد الفتاح باستمالته إلى جانبه بشتى الطرق إلى أن نجح

(١) مذكرات لانزا ص ٤٢ .

(٢) لانزا ص ٤٢ ـ ٤٥ ومنية الأدباء ص ١٨٣ . ومجهول مخطوطة سركيس .

(٣) لم يذكر لانزا لقبه ، وفي مخطوطة سركيس ص ٧٤ أنه مصطفى باشا ابن شاه سوار ، وتذكر سالنامة الموصل ص ٨٥ أن مصطفى شاه سوار تولى سنة ١٧٥٠م/١١٦٤و١٧٦٠ /١١٧٤هفي حين تذكر أيضاً أن والياً اسمه مصطفى باشا حكم الموصل سنة ١٧٥٦ م / ١١٧٠ ه ولكنها لا تشير الى لقبه ويذكر ياسين العمري في منية الأدباء ص ٨٤ أن مصطفى باشا آل عظيم (يريد العظم تولى الموصل سنة ١١٧٠ه /١٧٥٦ . فقد ذكر أحمد البديري الحلاق في حوادث سنة ١١٧٠ أنه « جاء مقرر حلب لاسعد باشا بن العظم ، ولاخيه سعد الدين باشا منصب مرعش . ولأخيه مصطفى باشا منصب الموصل فذهب كل واحد لمنصبه » (حوادث دمشق اليومية ص ١٩٩) .

في كسب تأييده (١) مما أساء إلى أمين باشا الذي كان منزوياً عن الحكم في داره ، فقرر السفر مع جميع أعوانه واثنين من أقاربــه للالتحاق بأبيه حسين باشا الذي كان قد رقي إلى ولاية كوتاهية ، وقبل سفره طلب إلى ابن عمه أسعد أغا بن عبيد أغا أن يحافظ على داره وعلى اتباعــه ، وأمر هؤلاء بالاتحاد واتباع أوامر أسعد أغا مهما حدث ، بحيث يبقى حزبه في الموصل مهيب الجانب كالسابق :

وسرعان ما ثارت الينكجريـة على الوالي الجديــد مصطفى باشا ، وحاصروه في السراي ثلاثة أيام ، ولم يسمحوا لرجاله بالخروج ، وأخيراً أعيد الصلح شكلياً بتوسط بعض الأغوات ، إلا أنه بعد هذه « الثورة الصغيرة » ضعفت سطوة الباشا ، فلم يعد باستطاعته فرض الضرائب ظلما على المسلمين ، وعجز حتى عن قمع الأشرار الذين كانوا قد كثروا وزادت سلطتهم ونهائبهم خارجها » (٢) ثم أنه عمد إلى مطالبة الطوائف الأخرى من النصارى واليهود بالمال الكثير ، بحجة أنهم عمروا كنائسهم بعد حصار نادر شاه دون اذن من السلطات بذلك (٣) . ولما لم يفلح في جميع محاولاته هذه في جمع المال اللازم ، وظهر افلاسه السياسي في الولاية ، عزل عن

(١) تذكر مخطوطة سركيس ص ٧٤ أن عبد الفتاح بك « إتفق » مع مصطفى باشا .

(٢) مذكرات لانزا ص ٤٨

(٣) يذكر الأب لانزا ، المعاصر للأحداث ، أنه لم يستطع الوقوف أمام الباشا الذي كان يطلب المال سوى بعد مشاورة لأسعد أغا الجليلي ، وتزوده بكتاب من سليمان باشا (ترجمة خطية للمــذكرات لروفائيل بيداويد ص ٥٥) .

الحكم بطريقة مهينة ، فقد استعيدت منه أطواغه الثلاثة ، أي أنه جرد من رتبة الوزارة ، إشارة إلى سقوط منزلته لدى السلطان ، واضطر إلى مغادرة الموصل بعد ذلك .

وتولى الموصل بعد الوالي المعزول ، زعيم حزب الوالي الأسبق محمد أمين باشا الجليلي ، وهو أسعد أغا الجليلي ورغم أن حكمه لم يكن إلا بصفته وكيلا عن الوالي ، فقد « خضعت له البلدة جمعاء ، وصار يفعل ما يشاء بدون أدنى صعوبة وكان مطاعاً محترماً أكثر من أي وال غريب » (١)

ولم يستطع الوالي التالي ، تجنب المشاركة في المنازعات التي كانت تعم المدينة في تلك الفترة ، والتي اتسعت بسرعة لتشمل في معمعانها سا أورطات الينكجرية . فعندما تولى رجب باشا الحلبي الموصل سنة ١٧٥٧ / ١١٧١ هـ للمرة الثانية « وكان الغلاء أشد من السنة التي قبلها » (٢) نشب النزاع بين الطرفين مرة أخرى : فريق موال لأسرة أمين باشا باب الميدان ، وفريق مؤيد لعبد الفتاح بك في باب العراق . ولم يكن بو. الوالي الجديد رجب باشا (٣) السيطرة على الموقف خاصة بعد أن ت.

(١) مذكرات لانزا ص ٤٨ .

(٢) منية الأدباء ص ٤٨ .

(٣) يذكر ياسين العمري (في المصدر السابق) ان الوالي إنضم ينكجرية باب العراق الموالين لعبد الفتاح بك ، وإنه إلتجأ إلى بيت عث. أفندي العمري المفتي من وجهاء ذلك الحي ، مما أدى أخيراً الى عزله من منص ويذكر لانزا أخبار هذا الوالي بشيء أكثر من التفصيل ، ولكنه يس « بهجت باشا » وليس في ولاة الموصل من تسمى بهذا الاسم ، والظاهر أن الاسم تصحف بالأصل الايطالي نفسه من المذكرات ، وذلك لتشابه إملا

رؤساء البلدة عملهم مع الينكجرية سرا ، في حين كان عبد الفتاح قد صمم على الانتقام من أغوات الينكجرية الذين انضموا إلى أمين باشا من قبل .

وتكشف لنا حوادث الفترة التاليـــة عن مدى العلاقة والتفاعل بين الصراعين اللذين كانا يرسمان صورة الحياة السياسية في الموصل آنذاك : صراع الأسرة فيما بينها لتولي الحكم وصراعها ككل للقضاء على المحاولات التي تستهدف فرض ولاة أغراب على الولاية .

ولما كان بيت أمين باشا والي الموصل الأسبق ، ونجل الوالي الذائع الصيت ، الحاج حسين باشا الجليلي ، قد نال تأييد الطبقة صاحبة النفوذ في البلدة ، وخاصة أغوات الينكجرية والبيوتات الجليلية الأخرى ، فضلا عن جل الشعب الموصلي . فقد اضطر عبـــد الفتاح بك – لقلة شعبيته – إلى التعاون مرة أخرى مع والي الموصل الجديد للقضاء على خصومه ، فكان من نتيجة ذلك ، أن وحدت المدينة قواها – بزعامة ينكجرية الميدان والقلعة من أتباع أمين باشا الجليلي – ضد هذا المنشق المتعاون مع الوالي الغريب والمؤيد من قبل والي بغداد سليمان باشا .

ولما حاول عبـد الفتاح بك والوالي الفتك بأغوات الينكجرية ، وفي مقدمتهم آمر القلعة الداخلية (ايج قلعة) (١) ، أوصد الأخيرون أبواب القلعة دون أن يأبهوا لوعود رسل خصومهم ، ومنهم مندوبو والي بغداد . وتجلت الروح المحلية الموصلية بوضوح في رد آمر القلعة ، الذي « أجابهم

= الاسمين Rihjab و Bihjat وقد صحح الدكتور محمد صديق الجليلي هذا التصحيف على حاشية المذكرات ص ٥٨ من ترجمة بيداويد الخطية) .

(١) أنظر عن هذه القلعة : الفصل الخامس من البـــاب الثاني (الحالة العمرانية) .

بشجاعة باسم جميع أغوات الينكجرية أنه يعلم بأنهم محسوبون مجرمين لاتفاق
مع أمين باشا على سحق اعدائه ، ولهذا فانـــه يفهمهم ، هو والأغوا
الآخرون بأنه لما كان سيف حسين باشا (الجليلي) هو الذي انقذهم وأها
وأموالهم من جيش طهاسب كلي خان (١) ملك ايران . فانهـــم اعتر
بالجميل مستعدون لاراقة دمائهم وبذل كل ما يملكون في سبيل هذا البا
وابنه أمين باشا ، وبناء عليه فليفعلوا ما يشاؤون ، أما هو وأتباعه فسيدافع
بمدافع القلعة والذخيرة التي لديهم » (٢) .

وشعر والي بغداد بعجزه عن التدخل في شؤون الموصل الداخلية فغ
تراجعه باصدار أمر إلى جميع الأطراف المتنازعة ، بالصلح ، وبدفعهم م
كبيراً من المال يبلغ تسعة أكياس (٣) للموظف الذي أنفذه اليهم .

ورغم أظهار الجميع موافقتهم على الصلح ، فانالصدام ما لبث أن نش
بعنف أكثر بين الطرفين ، فهاجم أغوات باب الميدان عبد الفتاح بك
داره ، إلا أن الأخير كان قد استفاد من التجارب الماضيـــة ، فجلب
صفه – بمغريات شتى – كثيراً من أعوان أمين باشا ، مع معظم الرؤ
الجليليين ، ثم استدعى لنجدته أهل باب العراق أعداء أهل باب الميدا
وملأ داره بالرجال ، واستولى على دور أخرى مجاورة .

وابتدأ الطرفان بحرب شعواء ، واستمر إطلاق النار ليل نهار
اثنين وأربعين يوماً . وأكد كثيرون أن الموصل لم تشهد من قبل فتنة

(١) هو نادر شاه ، و « طهماسب كلي (أوقلي) خان » لقبه قبل
يعلن نفسه ملكاً (شاهاً) ، فان قلي خان ، تعني عبد الخان .

(٢) مذكرات لانزا ص ٥٠ .

(٣) الكيس = ٥٠٠ قرش .

وبدا أن البلدة ستخرب من قبل الفريق الذي يغلب في النهاية ، وجرح عديدون بينما قتل ثلاثون شخصاً من الطرفين (١) .

ثم هدأت الأحوال عندما ورد البريد منبئاً بعودة الحاج حسين باشا الجليلي والياً عليها ، وارسال هذا لأخيه عبد الفتاح براءة بتنصيبه متسلما في الموصل لحين وصوله (٢) ، بقصد استبقائه ، فانقطع اطلاق الرصاص ، وارتسم الخوف على الوجوه وأخذ كل من الفريقين يفاخر بتمكنه من الإنتساب إلى الباشا ، وكف عبد الفتاح عن إدارة حزبه (٣) ، وسارع إلى استقبال أخيه وتقديم الهدايا النفيسة له ، كما حذا كثير من الرؤساء أصحاب النفوذ حذوه ، بغية كسب صداقة الوالي الكبير .

ودخل الباشا المدينـة وسط احتفالات الشعب الذي مل الفوضى ، فكان يظهر البشاشة لهم والرزانة للرؤساء ، وقضى الأيام الثلاثة الأولى من حكمه في الاصغاء إلى شكاوي الطرفين ، ثم أصدر حكمه بعد ذلك بالقبض على عبد الفتاح بك ، وابن عمه عبد الباقي أغا ومحمد أغا (٤) « لما جرى لهم من الفتن مع أمين باشا » (٥) ، وتبين أنه كان ينوي قتل بضعة رجال من أسرته والتنكيل بآخرين كيلا يقوموا أو يجرؤوا على القيام ضد أي كان

(١) مذكرات لانزا ص ٥٢ .

(٢) منية الأدباء ص ٨٥ .

(٣) يذكر لانزا أن حزبه هذا هو حزب الميدان ، وهو سبق قلم واضح ، لاختلافه مع سياق الحوادث التاريخية المذكورة .

(٤) منية الأدباء ص ٨٥ .

(٥) زبدة الآثار الجلية ص ١٨ (مخطوط) . والدر المكنون ص ٦٠٤ (مخطوط) .

من آل بيته ، فصادر أموال أخيه عبد الفتاح وقبض على أمراء أورطـ الأوطوزبير من الينكجرية وسجنهم ثم صادر أموالهم ، وصلب اثنين مز الأشرار (١) ولم ينقذ الجميع من العقاب سوى مرض الحاج حسين ثم وفا بعد حوالي شهرين ، فتولى الموصل بعده ابنه محمد أمين باشا (سنة ١٧٥٨ / ١١٧٢ هـ) (٢) الذي عفى عن عمه عبد الفتاح وكل أتباعه ، ولم يغرم سوى القليل من المال .

وبنقل محمد أمين باشا والياً على شهرزور ، شغل منصبه من بعده الـ نعمان باشا الحلبي الذي سبقت وصوله أنباء حزمه وبطشه ، وبمعونة من ع الفتاح بك حاول القضاء على أمين باشا مبتدئاً بأتباعه ، فقبض على آغا القا من الينكجرية وهم بقتل مفتي الموصل (٣) ، مهيئاً نفسه لحرب أهلية طو الأمد . على أن عزله المفاجىء والمهين حال دون تحقيق أغراضه . فقد جـ من رتبة الوزارة ، ونزعت عنه أطواغه الثلاثة ، ومن المحتمل أن يكون العزل نتيجة لمساعي أمين باشا نفسه ، إذ ما أن غادر الوالي المدينة ، - أعيد أمين باشا إلى ولاية الموصل سنة ١٧٦٠ م / ١١٧٣ هـ (٤) .

وبينما كان أمين باشا منهمكاً في توطيد حكمه ، إذ اتاه أمر العزل أواخر عام ١٧٦٠ م نتيجة لمساعي والي بغداد ، فاضطر إلى مغادرة المو والالتجاء إلى والي أورفه المقرب إلى الأوساط الحاكمة في القسطنطينية ليتو له بالعودة إلى منصبه السابق .

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ١٨ (مخطوط) .

(٢) الدر المكنون ص ٦٠٤ ومحمد ثريا : سجل عثماني ج ١ ص ٠ وسالنامة ولاية الموصل ص ٨٦ .

(٣) منية الأدباء ص ٨٦ .

(٤) سجل عثماني ج ١ ص ٤١٠ ولانزا ص ٥٦ .

الصراع بين أورطات الينكجرية :

وفي الوقت الذي كان أمين باشا ينتظر نتيجة الوساطة ، كانت الأحداث تتوالى في الموصل بسرعة مذهلة ، فقد تغيرت مواقع القوى فيها ، إذ تصالحت أورطة يكرمي يدي مع أوطوزبير بعد طول عداء ، واتفقتا على الأورطات الثلاث الباقية : اللي ايكي ، واللي سكز ، وأونتجي ، واضطروهـا إلى الانسحاب من بعض مواقعها بعد أن وقع من الطرفين أكثر من عشرين قتيلاً . وكانت المدينة تعاني من انعدام الأمن ، وتعطل التجارة والصناعة تماماً (١) ، وبدا جلياً مرة أخرى ، أنه ليس من منقذ من هذا الوضع ، إلا إعادة محمد أمين باشا الجليلي إلى الموصل ليتولى زمام الأمر .

وعلى الرغم من الحماسة التي استقبل بها هذا الوالي وانعقـاد الآمال عليه ، فأنه لم يقم بما كان متوقعاً من معاقبة المفسدين ، مكتفياً بالزام جميع أورطات الينكجرية بدفع سبعة عشر كيسا من الدراهم (٢) . وكان من نتيجة هذا التساهل الملحوظ ، أن عادت الأورطات إلى ما بينها من صراع فور رحيل أمين باشا من الموصل ، وتولي مصطفى باشا الشهسوار مكانه (٣) .

وكان لعبد الفتاح بك دوره الخطير في الصراع الجديد ، فقد جمعت المصالح المتبادلة بينه والوالي المعين حديثاً ، محاولا - من جانبه - الاستفادة

(١) لانزا ص ٥٨ .

(٢) سماه ياسين العمري في منية الأدباء « شاه سوار أوغلي » . وفي الدر المكنون « شاهسوار أوغلو » . وفي قاموس أعلام ٦ / ٤٣٠٨ « شهسوار زاده » .

(٣) منية الأدباء ص ١٨٤ .

من وجود الوالي الشرعي في القضاء على خصومه آل أمين باشا الجليلي وينكجريتهم ، في حين كان الوالي نفسه يحاول تثبيت مركزه وهو الغريب عن الموصل – بضرب زعماء الأسرة الحاكمة بعضهم ببعض (١) .

ولأسباب غامضة تماماً ، تتعلق بطبيعة العلاقات المتغيرة بين أورطات الينكجرية ، فقد ترك عبد الفتاح وحليفه ، التعاون مع أنصارهما القدماء من ينكجرية باب العراق مفضلين استمالة خصومهم من أغوات باب الميدان ، فكان لهذا التغيير ان انضم الفريق الأول إلى آل امين باشا ، إلا أن ضعفهم وتفرقهم مكن عبد الفتاح بك من القبض على مقدمهم عبدو أغا وحبسه ثم نفيه (٢) ، فتولى إدارة حزب باب العراق بعده الحاج أسعد أغا بن عبيا أغا الجليلي ، وصالح أغا بن شوبخ أحد خدم أمين باشا الجليلي ، « وتقطعت الطرق وجعلوا يتضاربون بالتفنك والرصاص ، وكل يوم يقتل من الطرفين جماعة ، وبطلت [صلاة] الجمعة ، وصار يوم عيد الأضحية (عيد الأضحى) وقتل صبيحة يوم العيد سبعة عشرة رجلا من الطرفين » (٣)

وتدهور الموقف بسرعة ، إذ أمر الوالي الشهسوار حزبه باستعما المدفعية ، فأطلقت ١٢٥ « كله » (٤) لكنها لم تصب أحداً ويبدو أن كا

---

(١) الدر المكنون ص ٦٠٧ (مخطوط) .

(٢) منية الأدباء ص ١٨٤ .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ١٨ (مخطوط) ومخطوطة سركيس لمؤلف مجهول ص ٧٤ ، و Longrigg , S . : Four Centuries , p . 218

(٤) الكله ، بكاف فارسية (جيم مصرية) مضمومة ، ولام مشدد كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية كوله ، وكلوله ، وغلوله ، وهي كـ أو شيء كروي ، وتطلق على إطلاقة المدافع القديمة ، حيث تكون كرة صـ (داود جلبي : كلمات فارسية في عامية الموصل ص ١٧٥) .

القتال كانت قد أخذت بالتحول لصالح أعوان أمين باشا الجليلي ، فقد أضطر كل من الوالي وعبد الفتاح إلى الاستعانة بالقوى الخارجية لدعم موقفها المتردي . وكان تردد اليزيدية ، الذين استدعوا على عجل من أطراف الولاية قد حال دون تحقيق الدعم المنتظر فلجأ الزعيمان إلى الاستعانة بأمير طي المجاور ، فجعل « ينهب من وجد من أهل باب العراق » (١) . ولم ينته الصراع الدامي إلا بعد أن أعلن في المدينة عن اعادة محمد أمين باشا الجليلي والياً على الموصل (٢) ، « فخرج مصطفى باشا من ساعته بأتباعه من باب الجسر وعبر الدجلة ، وتبعه فتاح بك وانحل عزم تلك الفرقة الضالة » (٣) .

وبعزل الوالي الغريب ، وعودة الحكم في الموصل إلى واليها الجليلي هدأت الأوضاع السياسية في الولاية ، فلم يرد ، طيلة فترة حكم أمين باشا الممتدة من سنة ١٧٦١ - ١٧٦٨ م / ١١٧٥ - ١١٨٢ هـ ، ما يشير إلى حدوث أي اضطراب أو فتنة .

وشهد حكم خلفه الضعيف حسين باشا ختن الصدر راغب باشا (٤)

---

(١) ياسين العمري : منية الأدباء ص ١٨٥ .

(٢) وكانت الفتنة قد دامت من ١٢ كانون الثاني إلى ٢٢ تموز ١٧٦٢ م (من ٢٠ ذي القعدة إلى نهاية ذي الحجة ١١٧٥ هـ) .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ١٩ (مخطوط) .

(٤) منية الأدباء ص ٨٧ وتكتفي سالنامة الموصل بذكر إسمه الأول فقط ، وينفرد الأب دومنيكو لانزا بالقول بأن الوالي الذي أعقب محمد أمين باشا كان إسمه « مصطفى باشا ».وهي رواية غريبة لم نجد بين المصادر المحلية الأخرى ما يؤيدها ويشير معرب مذكرات لانزا « القس روفائيل بيداويد =

نشوب الصراع من جديد بين أورطات الينكجرية . فقد أدى انضمام «يكرمي يدي» لحزب عبد الفتاح بك ، في المرة السابقة ، إلى استخدام الزعماء الجليليين برئاسة سليمان بك ابن الغازي محمــد أمين باشا . وأسعد أغا ، دهاءهم في تأليف حزب جديد يضم أورطتي أوطوزبير واللي ايكي ، في حين ضمت يكرمي يــدي اليها الأورطتين المتبقيتين : أوننجي واللي سكز : فانقسمت الموصل بذلك إلى حزبين كبيرين .

ولم يكن أحد من آل الجليلي ، حتى الزعيمان المذكوران ، قد أعلن تدخله في الصراع جهرا ، وكان كل شيء قد دبر بالخفاء ، إلا أن الفتنة لم تلبث أن نشبت بعنف بالغ في أنحاء عديدة من المدينة ، ورغم نجاح يكرمي يدي في تحقيق بعض المكاسب لصالحها بادىء الأمر ، فقد توصل الزعماء الجليليون « بالقوة والتهديد والوعد والوعيد » إلى الفصل بين الفرق المتحدة ضدهم ، فلم يبق في الساحة سوى يكرمي يدي وحدها ، فكان من السهل على الأسرة ومؤيديها من الأوطوزبير مهاجمتها وارغامها على الهرب أو الاستسلام . ولم يقف بين الينكجرية المنتصرين وبين جني ثمار انتصار من نهب وتدمير سوى « أن السادة من آل عبد الجليل ، وكانوا متفقة معهم في هذا القتال ، ردعوهم عن شرهم » (١) .

= الى أن مصطفى هذا هو « مصطفى باشا الشهسوار» الذي تقدم ذكره أكثر مرة ، وهذا خطأ محض لمخالفته جميع النصوص الموجودة ، ولأن مصطفى باشا الشهسوار كان قد توفي منذ سنة ١٧٦١ / ١١٧٥ هـ (سامي : قاموس أعلام ج ٦ ص ٤٣٠٨) .

(١) مذكرات لانزا ص ٧١ ويذكر ياسين العمري هذه الحادثة بايجاز بالغ فيقول في حوادث ١٧٦٨ / ١١٨٢ هـ « وقعت فتنــة بين الع... يريــد باب العراق حيث تقيم أورطة أوطوزبير) ومدن (يريــ

وبينما كانت هذه الاحداث تتوالى في الموصل ، كان عبد الفتاح بك الذي ترك مدينته منذ فتنـــة عام ١٧٦١ ، يرقب من مقره ببغداد مجريات الأمور . ولا شك في أنه وجد في التجاء رؤساء اليكرمي يدي السبعين اليه وفي حقدهم على بيت أمين باشا واتباعه ، وعلى رأسهم سليمان بك وأسعد أغا ، وسيلة ذهبية تمكنه من العودة إلى مسرح الأحداث .

ووصلت الموصل اشاعات تنبىء بقرب تعيين عبد الفتاح بك والياً عليها ، فغير ذلك النبأ الموقف السياسي في المدينة تغييراً خطيراً ، ذلك أن قيادة الأسرة الجليلية ، التي استقرت أخيرا بيد سليمان بك ابن محمد أمين باشا ، لم تكن تنفق من المال ما يكفي لادامة التحالف بين أوطوزبير واللي ايكي ، واكتفت بمصالحة أغوات الينكجرية مع بعضهم جميعها ، فأدى هذا الوضع إلى انضمام اللي ايكي ، أواخر عام ١٧٦٩ م / ١١٨٣ هـ ، إلى الأورطات المتحدة الأخرى ، ونشوب القتال بين هذا الحلف وبين أوطوزبير مـــدة ثمانية أيام ، مما تسبب في وقوع جرحى وقتلى كثيرين « دون أن تتمكن تلك الفرق مجتمعة من التغلب على أوطوزبير أو نهب بيوتهم كما كانوا اعتزموا » (١) . ونتيجة لوساطة بعض الوجوه ، والقبضة المحكمة لأغوات أمين باشا العائدين إلى المدينة ، فقد انتهى النزاع بسرعة ملحوظة .

وصول عبد الفتاح باشا للحكم :

ولم تكن الموصل تتنفس الصعداء ، حتى صعقت بأسرها بنبأ تعيين

= باب الميدان حيث تقيم أورطة يكرمي يدي) وهزموا المدن،ونهبوا البيوت » (منية الأدباء ص ١٨٦) .

(١) لانزا ص ٧٢ .

عبد الفتاح بك (باشا) والياً عليها في كانون الثاني ١٧٧٠ م / رمضا
١١٨٣ (١) ، فلم يدر زعماءها من ينكجرية وجليليين ما ينبغي اتخاذه لمواجه
هذه الحالة المفاجئة ، واضطر أسعد أغا واخوانه إلى الفرار مع أسرهم إلى قا
جولان (٢) منضوين تحت حماية أميرها محمد باشا بن خالد باشا الباباني (٣
ولجأ أغوات آخرون إلى غيرها من الولايات أما الذين مكثوا في المدي
فقد طلبوا حماية زوجة الباشا الجديد وأتباعه خشيـة نقمته ، ولم تنج
الاجتماعات العديدة التي عقدت بين الوجوه وأغوات الينكجرية في التوص
إلى اتفاق مفيد بشأن الموقف العصيب ، فأكتفى سليمان بك مع نفر م
أسرته وأتباعه بالتحصن بأسوار داره وانتظار ما يأتي به الوقت . ويؤ
لانزا أن أكثر السادة والشعب لم يكونوا فرحين بقدوم عبد الفتاح عـ
بعض الينكجرية من أعوانه (٤) .

وفي ١٤ نيسان ١٧٧٠ م / ١٨ ذي الحجة ١١٨٣ هـ دخل عبد الفتا
باشا الموصل باحتفال عظيم (٥) ، وما كاد يستقر في قصره حتى « استو

---

(١) حاشية الدكتور محمد صديق الجليلي على مذكرات لا
الخطية ص ١٠٨ .

(٢) هي عاصمة الامارة البابانية في شمالي العراق . قبل إنشاء مد
السليمانية سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م لتكون عاصمتها الجديدة . حرف إسم
عن « قلعة جولان » التي يتلفظها الأكراد (قلاجوالان) .

(٣) تولى الامارة من ١٧٦٤ الى ١٧٧٢ وتوزع ولاءه بين الدولة العثمانية وإي
(رحلة ريج ص ٣١٦ وأمين زكي : تاريخ الدول والامارات الكردية ص ١٨

(٤) مذكرات لانزا ص ٧٥ .

(٥) المصدر السابق ، ومنهل الأولياء ج ١ ص ١٨٤ ومنية الادباء ص
وزبدة الآثار الجلية ص ٢٠ والدر المكنون ص ٦١٥ .

على أموال أسعد أغا وخيلهم وغلانهم وهدم بعض بيوتهم ، فأرسل والي قره جولان محمـد باشا بن خالد باشا البباوي (البابانى) إلى فتاح باشا وصالحه مع أولاد عمه الحاج أسعد أغا وأخوته على عشرة آلاف دينار سوى ما أخذ من الغلات والخيل والخيم والأموال ، فصالحهم وعادوا إلى الموصل ثم جعل فتاح باشا يصادر [أموال] اعدائه من أيام الفتن بالموصل سنة ١١٧٥ وما جرى لـه معهم » (١) . ويذكر العمري أنه « صادر [أموال] أهل الموصل . . واستدان من التجار جملـة صالحة » (٢) وأنه لم يصالح أولاد عمه إلا بعد أن كاتبه والي بغداد في شأنهم ، فكف عنهم بعد استئصال غلانهم واستصفاء أموالهم » (٣) .

على أن عبد الفتاح باشا لم يمكث في الموصل إلا شهورا قليلة ، فقد اضطر بعدها إلى مغادرة مدينته لتولي ولاية طرابلس والقيام بمهام خاصة أوكلها إليه السلطان في تلك السنة ، تاركا في الموصل نائباً عنه ، أحد بني عمه ، أحمد آغا بن مصطفى آغا الجليلي ، وابنه (أي ابن عبد الفتاح) عبد الرحمن بك (ولد سنة ١١٦٣ وتوفي سنة ١١٨٨) .

عودة بيت أمين باشا للحكم :

وبمغادرة عبد الفتاح باشا الموصل ، خلا الجو لأعدائـه الناقمين ، من زعماء الينكجرية ، لفرض سلطانهم مرة أخرى ، فلم تكد سنة ١٧٧١م

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢١ (مخطوط) .

(٢) وفى الدر المكنون ص ٦١٦ «أن فتاح باشا الجليلي استدان من تجار الموصل ثمانين ألف غرش وأعطاهم أملاكه رهناً » .

(٣) منهل الاولياء ج ١ ص ١٨٤ .

/١١٨٥هـ تشرف على الانتهاء ، حتى شكل ينكجريو باب الميدان حلفاً مع أغلب الأورطات الأخرى بزعامة أغا القلعة الداخلية ، وأحد أتباع أمين باشا الجليلي فصالح أغا بن شويخ للعمل ضد متسلم البلدة ، وابن واليها عبد الرحمن بك دون أن يبقى مع الأخيرين من أعوان سوى اورطة واحدة مدافعة .

ولم يكن أسهل من اندلاع الفتنة بين الطرفين « فحاصر أهل الموصل بعضهم بعضا خمسة عشر يوماً » (١) . وباءت محاولة « ويودة » (٢) ماردين حسن باشا لانهاء الخلاف بالتي هي أحسن ، بالفشل ، إذ لم يمض إلا يوم واحد على الصلح ، حتى عـــاد الطرفان إلى القتال ليستمر دا أربعين يوماً ، عقد بعدها صلح ثان ، إلا أنه كان صلحاً ناجحاً هذه الم فقد تدخل سليمان بك بن أمين باشا الجليلي بنفسه لابرامه ، وشاءت الظرو أن يتحول الوضع لصالح أسرة عبد الفتاح باشا ومتسلمه من حيث لم يقه أحد ، فقد « سار صالح أغا (بن شويخ) ، والحـاج الياس المنزلجي ويحيي بن بولو ، وعباس الأشرم أمراء الينكجرية ، ودخلوا بيت فتاح با ليتأكد الصلح بينهم ، فقتلهم عبد الرحمن بك وهربت أجنادهم ، واس بملك الموصل عبد الرحمن بك ثمانية أيام » (٣) .

بيد أن مؤاتاة الحظ لعبـــد الرحمن بك لم تدم أكثر من ذلك ، سرعان ما ورد إليه نعي والده والي الموصل عبد الفتاح باشا ، وتولى ا

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢١ .

(٢) ويودة ، وترد في المصادر العربية أحياناً بشكل (ويوضه) : ك سلافية بمعنى حاكم ، وهي اصطلاح شائع في الولايات الاوربية (الروم ا وفي ماردين . ويوازي درجة (متسلم) .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٢١ (مخطوط) .

مكانه سليمان بك (باشا) بن أمين باشا ، فخرج من البلدة « خائفاً يترقب وتوجه ملتجئاً إلى والي بغداد عمر باشا » (١) .

ودامت ولاية سليمان باشا الجليلي زهاء السبع سنوات (٢) . (من ١٧٧٧ إلى ١٧٨٣ م / ١١٨٥ – ١١٩٧ هـ) لم ينقطع خلالها حكمه سوى مرتين ، استغرق كل منها أمداً قليلا . ففي عام ١٧٧٥م / ١١٨٩ هـ ، كافأ السلطان عبد الحميد الأول أباه ، الوالي الأسبق ، الغازي أمين باشا الجليلي بمنحه ولاية الموصل ، بمناسبة إطلاق سراحه من أسره الطويل في روسيا (٣) إلا أن مرارة الأسر لم تترك من صحته بقية ، إذ سرعان ما توفي ولم يمض على قدومه سوى شهر واحد ، فعاد ابنه سليمان باشا إلى شغل منصبه مرة أخرى (٤) .

وإستغرقت فترة الإنقطاع الثانية زهاء السنة الواحدة (١٧٧٧ / ١١٩١ هـ) أوكل أمر الموصل خلالها الى والي شهرزور حسن باشا ، فعين هذا عليها متسلما من بين أفراد الأسرة الجليلية هو أحمد أغا بن مصطفى أغا ، الذي سبق أن تسلم الموصل نائباً عن عبد الفتاح باشا « فوقعت فتن في الموصل

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٣ ومنية الأدباء ص ١٨٧ وفي مخطوطة سركيس أن سليمان باشا استولى على أمواله .

(٢) ولد سنة ١١٥٢ هـ وتوفى سنة ١٢١١ هـ .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٢٥ . والدر المكنون ص ٦٢٤ (مخطوط)

(٤) ولما كان سليمان باشا ببغداد منهمكاً في عملية عزل عمر باشا واليها، فقد تسلم الموصل - مؤقتاً - محمد باشا بن أمين باشا الجليلي ، وذلك « باشارة الاعيان » . الدر المكنون ص ٦٢٤ (مخطوط) .

مراراً بين الينكجرية » (١) ، ولم يصلح الأمر عزل حسن باشا (وقد
أصبح الآن والياً لبغداد) (٢) لأحمد أغا الجليلي المذكور ، وتعيين ال
عبد الباقي أغا الجليلي (٣) متسماً بدله ، فقد إستغلت أورطات الينكجرية

(١) زبدة الآثار الجلية ص٢٥ (مخطوط) وعنوان الشرف لامين العمر
الورقة ٩٨ (مخطوط) .

(٢) تولى بغداد من سنة ١٧٧٨ الى ١٧٨٠ (١١٩٢ - ١١٩٤ هـ) .

(٣) تختلف المصادر التاريخية إختلافاً غريباً حول شخصية هذا المت
فبينما تسكت سالنامة الموصل عن إيراد إسمه في قائمة الولاة ، لكونه متس
لاوالياً ، نجد أن جودت (ج ٢ ص٢٩٠) يذكر في حوادث سنة ١٧٧٩/٩٣
أن والي الموصل عبد الباقى باشا قام بغارة على العمادية فقتل في أثنا
ولا يشير إلى كونه جليلياً بل يصرح بأنه كان من مماليك بغداد .
في حين ليس في المصادر التاريخية الأخرى مـا يشير إلى تولي أي
في هذه الفترة بهذا الاسم ، وقد حاول الخوري سليمان الصائغ (
الموصل ج ١ ص ٢٩٣) . التوفيق بين الروايتين المتناقضتين بقوله ا
الوالي (الباشا) نفسه المتسلم عبد الباقي (أغا) المذكور ، نا
يكون ذلك المتسلم جليلياً أصلا ، ولانظنه قد أصاب في رأيه هذ
ياسين العمري المعاصر للاحداث يؤكد نسبة المتسلم عبد الباقي ا
الجليلي ، ويشير إلى أن له أخاً إسمه « صالح أغا الجليلي » (ز
الآثار الجلية ص ٢٦) . وحاول آخرون حل المشكلة بطريق مما
فعدوا عبد الباقي أغا المتسلم الجليلي هو نفسه عبد الباقي باشـا
الماتي : الأكراد في بهدينان ص١٥٦) أي أنهم جعلوا المملوك الب
جليلياً ، وهذا القول ، إضافة إلى مخالفته تصريح جودت ينافي
تاريخية أخرى لا تمارى . تكشفها سيرة عبد الباقي أغا الجليلي ال

بقيادة الحاج خليل بن محمود بك حالة الغلاء التي كانت تعم الموصل آنذاك « وتحالفوا على أن لايدخلوا المتسلم إلى البلد ونسبوا حدوث الغلاء منه » (١) مما إضطر عبد الباقي أغا إلى عرض الأمر على حسن باشا ، فأمر هـــذا بتعيين خالد أغا بن أسعد أغا الجليلي متسلماً بدلا عنه (٢) .

بيد أن الحالة السياسية لم تعرف الإستقرار إلا بعد عودة سليمان باشا الجليلي إلى الحكم عام ١٧٧٧ / ١١٩١ هـ ، فتمتعت حينذاك بهـــدوء ، لم يكدره مكدر ، طيلة مدة حكمه التي إستغرقت خمس سنين (٣) .

ولم يكن بين أخلاف سليمان باشا من يستطيع ضبط مقاليد حكمه ، مثله ، فعزل مصطفى باشا الشهير بيازه جي زاده – وكان غريبـــاً عن الولاية – عند فقدانه السيطرة عن الموقف المتدهور نتيجة نشوب الصراع من

= حيث أجمع مترجموه (منهل الأولياء ١٩٦/١ وزبدة الاثار ص٣٠ ومنية الادباء ٨٨ وغاية المرام ١٩٠) على أنه لم يقتل إلا بعد توليه الموصل بسنة واحدة ، أي عام ١٧٨٦م / ١٢٠٠ هـ على أيدي اليزيديـة والذي نراه – بناءاً على ماتقدم – أن ثمة شخصين مختلفين متعاصرين باسم واحد : تسلم أحدهما الموصل عام ١١٩٢ وقتل سنة ١٢٠٠ هو عبد الباقي الجليلي في حين غزا الاخر ، وهو بغدادي ، العماديـــة فقتل سنة ١١٩٣ دون أن يلي حكماً وهو عبد الباقي باشا الذي يذكره جودت وأن تعاصر الاثنين هو السبب في هذا الالتباس .

(١) زبدة الاثار الجلية ص ٢٦ ، والدر المكنون ص ٦٢٧ .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ١٨٧ ومنية الادباء ص ٨٨ وتـاريخ جودت ٢ / ١٩٨ .

جديد بين أورطات الينكجرية (١) . وشهد حكم خلفه ، تيمور باشا الو
- وكان غريباً مثلـه - صراعاً مختلفاً ، بين فريقين من أهل الموص
سمى أحدهما أزرشية ، والآخر كرمليسية ، لأسباب غير معروفـة
تدم ولايته إلا أقل من سنة واحدة (٢) .

ورغم أن الوالي الذي تلاه كان موصلياً جليلياً ، هو عبد الباقي
إلا أن عوامل شتى ، منها شخصيته غير المحببة ، وماضيه السياسي ، وا
إلى فرع من غير أسرة أمين باشا بن الحاج حسين باشا الشهيرة ،
دون إستقرار الحياة السياسية في عهـده القصير (٣) (١٧٨٥ - ٦
١١٩٩ - ١٢٠٠ هـ) ، فقد إستغل فريق من أهل باب العراق تعيينه
للانتقام من أعدائهم أتباع سليمان باشا الجليلي ، وأوقع هو « الرع
قلوب من كان قد عاداه بالسابق ، وإنهزم من كان له معه عـدا
الأمصار ، وصار لأهل دولته عسف شديد ، وتجاوز حـده ،
بالحكومة ونظام البلدة » (٤) . وكان خروجه لقتال الدنادية (إحدى
اليزيدية) آخر مغامرة له ، فقد ختمت بقتله قتلة غريبة ، على أيد
من الدنادية ، بعد أن شاعت في البلدة نبوءة تدل على قرب مصرعه

(١) منية الادباء ص ١٨٩ وزبدة الاثار الجلية ص ٢٩ .
(٢) سالنامة ولاية الموصل ص ١٨٦ .
(٣) وصفه العمري في غاية المرام ص٣٢٩ بأنه كان «لايتفكر في ا
فلهذا لم يكن الدهر له له صاحب » .
(٤) منهل الاولياء ج ١ ص ١٩٦ .
(٥) المصدر السابق وغاية المرام ص ٣٣٠ ومنية الادباء ص ١١
المكنون ص ٦٣٥ (مخطوط) .

وعاد سليمان باشا الجليلي مرة أخرى إلى الموصل سنة ١٧٨٦ / ١٢٠٠ هـ ، وهي « دار عزه ومحل أنسه » (١) ليحكمها أربع سنين متواصلة هادئة ، لم يشأ بعدها ، وقد تجاوز عمره الخمسين عاماً – أن يلي أي منصب آخر وكان مرضه سبباً مناسباً للاعتذار عن تلبية دعوة السلطان بشأن السفر للحرب « فاستعفى من الحكم سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) فأجيب الى ما طلب ، وأقام في داره مكرماً إلى أن توفي في صفر سنة ١٢١١ (١٧٩٦ م) » (٢) دفن في جامع الباشا ،

عهد محمد باشا وإستقرار الأوضاع السياسية :

ولم يكن تولي أخيه محمد باشا بعده إلا إستمراراً للحياة السياسة الهادئة التي عاشتها الولاية في عهده ، فقد كان حكم محمد باشا الجليلي (٣) الطويل ، الذي إستغرق ثمانية عشر عاماً متواصلة (١٧٨٩ – ١٨٠٦ م ١٢٠٤ – ١٢٢١ هـ) تتويجا حقيقياً لوضع سياسي ، سلمي ، مستقر ، نسيت الموصل خلاله فوضى الصراع بين أورطات الينكجرية ، والمحاولات الخارجية لفرض الولاة الأغراب ، وإنشقاق الأسرة الجليلية نفسها ، حيناً من الدهر . يقول مؤرخ معاصر له « قد أمنا به من فتن الأشقياء ، وأيامنا به منيرة ، وحدباؤنا (٤) بوجوده مستنيرة وعيشنا به رغداً (كذا) ، لم نخف من عدو جاهل ، ولا من ظالم باغي (كذا) ولا من جائر طاغي (كذا) ،

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ١٨٧ .

(٢) غاية المرام ص ٣٢٧ .

(٣) ولد سنة ١١٧٠ هـ .

(٤) الحدباء : كنية مشهورة للموصل .

أدامه الله فينا من كل بلية ، وأعظمها فتن الينكجرية » (١) .

وكان محمد باشا ذا شخصية دبلوماسية هادئـة ، يعرف كيف ي
شراء السلم والاستقرار بالحكمة والذهب . ففي عام ١٨٠٣ جنب أربعة آلا
موصلي كان قد طلبهم علي باشا والي بغداد ، الاشتراك في ويلات الحر
الوهابية ، بأن « تشفع فيهم » لدى الوالي المذكور ، مغرياً إياه بالأم
بدلا عنهم (٢) . ولما طلب علي باشا في السنة ذاتها ، المبايعة من أ
الموصل ، وهي كميات ضخمة من الغلال يجري إرسالها إلى بغـداد
شكل مساعدة (٣) ، « أرضاه محمد باشا بالأموال دون الأغلال » (٤
وإذ لم يغن المال عن الجند ، إضطر الوالي الجليلي هذه المرة إلى ت
عدد من الجند الينكجرية ، إلا أنهم كانوا أقل من ربع ما طلبته بغـ
أولا (٥) .

وكان كسب محمد باشا لصداقة القوى الخارجية ، ولعبه دور ا
العدل في النزاعات الناشبة بينها (٦) ، قد مكنـه من أن يكسب للمو

(١) غاية المرام ص ٣٢٩ .
(٢) غرائب الاثر ص ٦٥ .
(٣) سيأتي الحديث عن هذه المساعدة في الفصل الثاني من ال
الثاني (الحياة الاقتصاديه) .
(٤) ياسين العمري : غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الث
عشر ص ٦٦ .
(٥) غاية المرام ص ٢٠٤ .
(٦) غرائب الاثر ص ٧٠ وتفصيل هذا الدور سيأتي في الفصل الر
من الباب الاول .

نفوذاً سياسياً خاصاً بين جيرانها مما أبعد أيديهم - بالتالي - عن إثـارة القلاقل ضد حكمه ، فاستمدت المدينة من طول بقائه والياً ، وحسن إدارته ، إستقراراً ملحوظاً في حياتها السياسية ، أشاد به أكثر من رحالة ، فـذكر أوليفيه أنه سمع تجار المدينة وسكانها يثنون مراراً على الباشا ، ويحمدون له حسن إدارته ، والشرطة التي شكلها في كل أنحاء ولايته ، كما وجدهم معجبين بنزاهته ونزاهة موظفيه وراضين كل الرضا عن الهدوء الشامل والعناية بحماية التجارة ، وتوفير المواد الغذائية ، وذلك بتشجيعه يزيدية سنجـار والأكراد والعرب المجاورين على جلب حاصلات أراضيهـم الى أسواق الموصل دون أن يمسهم أحد بسوء . وكان حرس هذا الوالي - على مايذكره أوليفيه - يهتم « بالمحافظة على النظام وحماية الضعفاء وضبط ذوي النفوذ أكثر من إظهار فخفخة للسلطة لا تحتاج إليها » (١) .

وكان طبيعياً أن يؤدي هذا السلوك الحكيم إلى إستتباب النظام ، وإنقطاع كل مامن شأنه الاخلال بحبل الأمن مهما كانت الأسباب ، فيقول هذا الرحالة الفرنسي أن الموصل أصبحت محطاً للتجار ، يتعاطون فيها أعمالهم التجارية بحرية ، وكثرت القوافل لأن البلدة صارت تستهلك أكثر ، وأصبحت أشبه ما تكون بمخزن كبير ، وإتسعت الصناعات ، وتضاعفت حاصلات الزراعة ، وإزداد عدد السكان كثيراً ، ورأى الشعب الرفاه فذاق فوائد الحياة الخالية من التحريض والاضطراب أما الباشا نفسه فكان قويـاً في مركزه ، محاطا بالرأي العام ، ومعضداً بحب الشعب (٢)

(١) *Olivier , G . A . : Voyage dans I , Empire Ottoman , 11 , p 360 .*

(٢) *Ibid .*

ووصف الميرزا أبو طالب خان ، محمد باشا الجليلي ، بأن « لـ
سطوة عظيمة ويحترمه الشعب كثيراً » (١) .

إضطراب الأوضاع السياسية بعد وفاة محمد باشا :

وتجلى إحترام الشعب حتى بعد وفاة محمد باشا مفلوجا عام ١٨٠٦
١٢٢١ هـ إذ أجمع « أعيان الموصل » على ترشيح إبنه محمود بك (٢) مكا
حاكما ، بيد أن تمتع الإبن بشعبية والده ، وتعيينه رسميا كمتسلم للولاية م
قبل والي بغداد علي باشا ، لم يهيء للموصل الحياة السياسية الهانئـــة ال
كانت تنشدها ، إذ لم يكن للمتسلم الجديد شخصية سلفه القوية بأية حال
فما كادت تمضي على حكمه خمسة أشهر ، حتى نشبت معارضة عنيفة ض
بقيادة أسعد بك (٣) إبن الحاج حسين باشا الجليلي ، الذي كان يعت
بأحقيته بالولاية بوصفه نجل ذلك الوالي العظيم (٤) . وبهذا أسدل الـ
تماما على حياة السلم الوادعة التي وطد أركانها محمد باشا الجليلي مدة ثما
عشر عاما ، لتقوم مكانها فتنة أهلية ، إشتركت فيها أورطات الينكجر
من جديد ، وكانت خسائر سوق الموصل نتيجة هذا الصراع ، فادحة
فقد « نهبوا نحو مائتي دكان ، ونهب منها ماقيمته خمسون ألف قرش » (٥

(١) رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربه ص ٣٧٥ .
(٢) ولد سنة ١١٩٢ هـ وتوفي سنة ١٢٢٥ هـ .
(٣) ولد سنة ١١٧٠ هـ
(٤) ogrigg , S . H . : *Four Centuries* , p . 225 .
(٥) غرائب الاثر ص ٧٢ .

وارتفع عدد الخسائر في الأرواح الى خمسة وعشرين فرداً ، فتدخل « أمراء آل عبد الجليل » بأنفسهم لتهدئة الوضع الذي تأزم بسبب بعضهم ، فسكنت الفتنة أياما معدودات ، ثم عادت كأعنف مما بـدت ، بين الطرفين إذ « انعزل عن أقرانه الأمير أسعد بك بن الوزير الحاج حسين باشا الجليلي ، وعزم على محاربة أقاربه ، واجتمع عنده خلق من أهل الموصل ، فحاصروه سبعة أيام » (١) .

ولم يجد المتسلم المسالم محمود بك مناصاً – أمام تدهور الموقف واصرار أسعد بك – من التنازل عن منصبه « لفساد الزمان » وعندما بدا أن المجال قد أضحى فسيحا لتحقيق حلم أسعد بك بتولي الحكم ، جرت الرياح – فجأة – على غير مايشتهي هذا الزعيم فقد منحت السلطة لطرف ثالث لم يكن بالحسبان ، هو نعمان بك (٢) ابن سليمان باشا وابن عم محمود بك (٣) ، وذلك بتأثير والي بغداد علي باشا (٤) .

هدأت الأوضاع أياما أخري ، ثم اندلعت من جديد لتدور هذه المرة بين أسعد بك من جهة ، ونعمان بك وأتباعه من جهة أخرى . على أن الأخير لم يكن ذا شخصية هينة ، اذ سرعان ما نجح – حال اندلاع الفتنة – بالقبض على أحد اثنين تسببا في اندلاعها ، فقتله ، في حين فر الآخر إلى دار سيده أسعد بك ، ولم يتأخر نعمان عن محاصرة تلك الدار فوراً وقصفها

(١) غرائب الاثر ص ٧٣ .

(٢) ولد سنة ١١٧٤ هـ .

(٣) غرائب الاثر ص٧٣ ومجموعة التواريخ في مدح بني عبد الجليل ص ٣٩٢ (مخطوط) .

(٤) تولى الحكم من ١٨٠٢ الى ١٨٠٧ / ١٢١٧ – ١٢٢٢ هـ .

بالمدافع ، وبعد الاطلاقة السادسة « سعى بالصلح باقي أمراء بني عبد الجل والأعيان » (١) . ورضي نعمان بك بخروج أسعد بك من الموصل سا معافى إلى أربيل ، وبذلك هدأت الحالة السياسية واستتب النظام .

وفي عام ١٨٠٧ ورد الفرمان السلطاني بتولي نعمان بك (باشا الآن ولاية الموصل برتبة وزير ، فاستقر بذلك حكمه تماماً ، وكان عمره ذاك خمسة وخمسون عاماً ، ورغم اعتلال صحته فانه كان يستطيع — أية حال — فرض سلطانه بطريقة ، وصفها المعاصرون بأنها خيالية ، كان أولاده وأشقاؤه يعاونونه على تدبير أمور حكمه هذا (٢) .

وجاءت إصابة نعمان باشا المريض بالفالج عام ١٨٠٧ نهاية لحكم لم أكثر من عام واحد ، إلا انها كانت من جهة أخرى فاتحة فصل ج في تاريخ الحياة السياسية في هذا العهد .

محاولات القضاء على حكم الجليليين :

ففي عام ١٨٠٩ م / ١٢٢٤ هـ ، شهدت الموصل أول حركة أهل استهدفت القضاء على حكم الجليليين والتنكيل بهم ، وهي حركة أحمد ابن بكر أفندي الذي كان يشغل منصب كتخدا الولاة الجليليين ، ور ديوان انشائهم (٣) . وفي الواقع ، لم يكن لهذه الحركة أن تقوم لولا مو

(١) غرائب الاثر ص ٧٣ .

(٢) ...ore, A.: *A Voyage en Perse*, p. 118.

(٣) تناولنا إختصاصات هذا المنصب في الفصل الاول من الباب ا (نظم الحكم والادارة) .

سليمان باشا الصغير والي بغداد ، الذي كان يعد محاولة أحمد باشا في الاستيلاء على الحكم بداية لخضوع الموصل لسيطرة بغداد ، فقد وحد هدف القضاء على الأسرة الحاكمة في الموصل ، بين الرجلين لتحقيق أطماعهم الخاصة (١) وكان أحمد باشا قد صمم على تولي الحكم بأية وسيلة ، بيـــد أنه أخطأ في تقدير قوته ، ومدى شعبيته لدى الأهالي ، خاصة وأن تعاونه التام مع والي بغداد جعل الموصليين يتصورونه مجرد أداة بيد ذلك الوالي هدفها القضاء على الاستقلال المحلي الذي كانوا يتمتعون به تحت حكم ولاتهم الجليليين .

ورغم الاستقبال المظهري الذي شهده أحمد باشا عند دخوله الموصل والياً ، فان أعماله السريعة في محاولة القضاء على نفوذ آل الجليلي ، والاستيلاء على أملاكهم ، والتنكيل بأتباعهم المهمين بقسوة غريبة (٢) ، ومصادرته الأصناف ، قد عجلت بتكتل الرأي العام ضده ، وجاهرت أغلب أورطات الينكجرية بتمسكها بقيادة الأسرة الجليلية دون سواها ، فيما عدا أورطة واحدة هي اللي ايكي ، التي ما لبثت أن انضمت لاخواتها ، فبدت الموصل بذلك جبهة واحدة ، بجليلييها ، وجيشها ، وسكانها ، ضد محاولة أحمد باشا هذه فكان لابد أن تنتهي بالفشل .

---

(١) فصلنا هذه الحادثة في الفصل الرابع من الباب الاول (علاقات الموصل وارتباطاتها بولاية بغداد) اثناء الحديث عن علاقات الموصل ببغداد اما الان فسوف نكتفي باشارة إلى اثرها في الحياة السياسية داخل ولايــة الموصل ذاتها .

(٢) قبض احمد باشا على عبد الرحمن اغا امير التفنكجية وخنقه رغم تعهده له بعدم إيذائه . ثم امر ان يجر من رجليه ويلقي في السوق ففعلوا (غرائب الاثر ص ٨٧) .

على أن احباط هذه المحاولة ، لم يقض على احتمال قيام غيرها فيما بعد ففي عهد يحيى باشا بن نعمان باشا الجليلي (١٨٢٢ – ١٨٢٧) / ١٢٣٨ – ١٢٤٢ هـ شهدت الموصل هزة قوية في حياتها السياسية ، إذ دهم الجراد المدينة وما يجاورها عام ١٨٢٥ وانعدم حاصل الحنطة ، وجاء انتاج حقول الخضر قليلا نزرا ، وزاد الأمر سوءاً في العام التالي ، فأخذ الناس يذبحون الماشية دفعاً لشبح الموت جوعاً ، وتوارد آلاف الجياع إلى المدينة من القرى القريبة والبعيدة والجبال وأعراب البادية . ورغم الاجراءات الاقتصادية التي اتخذها يحيى باشا للتخفيف من حدة الأزمة ، كبناء الافران ، واستيراد الحبوب، فان النكبة كانت عامة شاملة ، فمات بعض الناس جوعاً في الطرقات (١).

واستغلت بعض العناصر المناوئة لحكومة الوالي الجليلي الموقف لصالحها واتهموه بأنه المسبب لغلاء الاسعار في المدينة (٢) . وتفاقمت الأمور إلى أن اصبحت ثورة علنيـة ضد الوالي ،فاضطر يحيى باشا إلى الانتقال إلى بغداد . وفي أثناء غيابه قام الثوار بنهب سراي الحكومة وملحقاته ، وسرقوا مبلغ كبيراً من المال زاد على ستة أحمال من القروش (٣) ، فكان هذا الحادث الأول من نوعه في تاريخ الحياة السياسية في ولاية الموصل ، وبداية لسلسلة متلاحقة من الأحداث ، ساهمت مع غيرها من العوامل الأخرى ، في رسم نهاية حكم الجليليين في الموصل (٤) .

---

(١) Budge , W . : By Nile and Tigris , 11 , pp 38 - 39 .
والدكتور صديق الجليلي : محمد الفهمي ص ٤ .

(٢) المماليك في العراق ص ١٨٦ عن أوراق مخطوطة كتبها أرشيلدوه ابن الشماس حنافي كنيسة مارتوما في الموصل .

(٣) العراق بين إحتلالين ج ٦ ص ٢٩٧ .

(٤) أنظر الفصل الخامس من الباب الاول (نهاية حكم آل الجليلي)

الفصل الثالث

علاقات الموصل وارتباطاتها بالباب العالي

أثر موقع الموصل على علاقاتها بالباب العالي :

كان لموقع الموصل الاستراتيجي العام ، باعتباره عقدة المواصلات التجارية والعسكرية بين عدة أقاليم رئيسية ، دوره الأساسي في رسم سياسة الموصل وارتباطاتها – منذ القديم – بالقوى السياسية الخارجية . وكان طبيعياً أن يكون لهذا الموقع مزاياه الاستراتيجية الحاسمة بالنسبة للدولة العثمانية التي اقتصرت – حتى القرن السادس عشر – على أغلب أجزاء آسيا الصغرى وشرقي أوروبا ، فليس غريباً إذن أن يكون ضم الموصل إلى الأملاك العثمانية في عهد السلطان سليم الأول عام ١٥١٤ بعيد انتصاره في جلديران ، البداية الأولى لالتفات عثماني جدي نحو المشرق العربي ، وأن تكون الموصل – بالتالي – أول ولاية عربية تدخل نطاق السيادة الجديدة .

وكنتيجة لسيطرة الموصل على طريق حوض نهر دجلة ، واتصالها باقليم الجزيرة ، فقد اتخذها العثمانيون قاعدة لتخليص العراق بأكمله من الوجود الصفوي الايراني ، ثم استخدامها كخط دفاع ثان (بعد بغداد) في مواجهة أي توسع ايراني صوب العراق ، من المنفذ الشرقي الرئيسي عند بغداد ، وللتحكم في طريق بغداد – أربيل الحيوي ، وهو الطريق الذي سلكته جيوش الصفويين في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومن بعدهم جيوش نادر

شاه في منتصف القرن الثامن عشر . وعلى ذلك ، فقد كان لموقع الموصل دوره في تكوين أول خيط يشد الولاية إلى الدولة العثمانية .

ومن ناحية أخرى ، كانت الموصل بحكم توسط موقعها بين اقليم الجزيرة ومنطقة الجبال الكردية ، قد أصبحت حاجزاً مهماً لصد أي توسع كردي يستهدف السهل العراقي ، أو الأناضول ، كما أنها من ناحية مشابهة كانت تشكل محوراً قوياً لمنع أية محاولة من قبل سلطات بغداد هدفها ربط حكم الموصل بادارتها المركزية .

وبنتيجة هذه العوامل مجتمعة ، كان على حكام الموصل أن يحددو موقفهم السياسي الدقيق عند أي تغير طارئ في موازين القوى المجاورة والواقع أن ظهور الجليليين على مسرح السياسة عام ١٧٢٦ كان بداية حقيقية لعمل ايجابي ، حاولت فيه الموصل فرض دورها السياسي في المنطقة على نح يؤكد شخصيتها الخاصة ضمن أطار السيادة العثمانية .

دور الموصل في صد التوسع الايراني :

وتكشف لنا دراسة تاريخ الموصل السياسي في القرن الثامن عشر عن مدى أهمية الدور الكبير الذي اضطلت به هذه الولاية في مواجهة الاخطا الايرانية ، وبسط السيادة العثمانية على العراق في ذلك العهد وكانت مساه الموصل في حملات ولاة بغداد : حسن باشا ، وأبنه أحمد باشا قد زادد من أهمية الموصل ذاتها باعتبارها موقعاً عسكرياً متقدماً على تخوم ايران ففي عام ١٧٠٨ م / ١١٢٠ هـ شارك والي الموصل مع قوات عراقية أخر في حملة مشتركة بقيادة أحمد باشا لاسترجاع البصرة من أيدي قبيلة المنتة

القوية (١) . وفي عـام ١٧٢٣ م / ١١٣٦ هـ ساهم والي الموصل أيضاً في الحملات العثمانيـة ضد ايران بقيادة والي بغداد أحمد باشا (٢) ، واخترق في العام التالي (١٧٢٤) إيالة أصبهان (٣) .

ولم يقف الأمر عند حد تقديم المساعدة العسكرية ، بل قدمت الموصل اضافة إلى ذلك ، مساعدات كثيرة على شكل ذخائر وأقوات للجيوش ، وساهمت القوى التجارية المحلية في تموين الحملات الذاهبـة للحرب . وكان لآل الجليلي السبق في هذا المضمار ، فأمدوها « بما تحتاج إليه من الذخائر وأمدوها بالسيف والمال » (٤) وقد أدى ذلك إلى اعتراف السلطات العثمانية المركزية بتلك القوى المحليـة الناشئة (كما اعترفت في نفس الوقت بأسرة حسن باشا الشهيرة ببغداد) كنتيجة طبيعية لحاجتها إلى من يقف في وجه الأخطار الايرانية المستمرة على تخومها . وكان منح ولاية الموصل ، مع رتبة (بكلربكي) إلى اسماعيل باشا بن عبد الجليل عام ١٧٢٦ يمثل أيضاً مكافأة حقيقية لتلك القوى .

ومنذ عزل اسماعيل باشا السريع عـام ١٧٢٧ وحتى منتصف القرن الثامن عشر ، دخلت العلاقات السياسية بين قوى الولاية المحليـة ، وبين السلطات المركزيـة العثمانية مرحلة جديدة ، كان تردد الباب العالي فيها

---

(١) تاريخ راشد ج ٢ ص ٤٧٥ وعبد الرحمن السويدي : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ص ٥٢ .

(٢) عباس العزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٥ ص ٢١٢ وفيه أن والي الموصل آنذاك هو حسين باشا الجليلي ، ويبدو ان هذا خطأ ، لان هذا الوالي لم يعين والياً على الموصل إلا عام ١٧٣٠ / ١١٤٣ هـ

(٣) علي سيد والكوراني : من عمان إلى العمادية ص ٦٨

(٤) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٤ .

واضحاً بين رغبته في حكم الموصل وفقاً للأساليب التقليدية السابقة ، وبين رضوخه لحكم الضرورة بترك الأمور في الولاية إلى قواها المحلية الأقدر على ادارتها والدفاع عنها .

ولا شك أن الدولة العثمانية حاولت جاهدة - ولأكثر من مرة - الحد من تعاظم سلطة الأسر المحلية القوية ، فعينت حسين باشا الدرنده لي (١٧٢٧ - ١٧٢٨) ثم محمد باشا رشوان زاده (١٧٢٨ - ١٧٣٠) والييز بالتعاقب على الموصل ، خلفا لاسماعيل باشا الجليلي ، منتهزة بذلك فترة السل القصيرة التي أعقبت صلح عام ١٧٢٧ م / ١١٤٠ هـ (١) . وتبادل الرسا والهدايا بين السلطان أحمد الثالث العثماني والشاه أشرف خان الافغاني (٢)

بيد أن سقوط الحكم الافغاني في ايران عام ١٧٢٩ م / ١١٤٢ هـ عل أيدي الأسرة الصفوية ، دفع بالأحداث إلى وجهة أخرى مختلفة . فا هجوم الشاه الصفوي طهماسب الثاني (٣) على ما ملكه العثمانيون بموجد الصلح الأخير ، واستعادته همدان وكرمنشاه ، واستيلاءه على تبريز ، محاصرته بغداد نفسها عام ١٧٣٠ (٤) ، الجأ السلطات العثمانيـــة إلى القي

(١) كانت خلاصة معاهدة الصلح أن تبقى كرمنشاه وهمدان وما يليه تحت إدارة الدولة العثمانية ، وأن يبقى أشرف خان حاكماً على إيران وتا؛ للحماية العثمانية .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ١٣ (مخطوط) ورسول حاوي الكركوكا دوحة الوزراء ص ٢٣ ، وسليمان فائق : حروب الايرانيين في العر ص ٥٨ (مخطوط) .

(٣) حكم من ١٧٢٢ الى ١٧٣٢ : زامباور : معجم الانساب والاسر ص ٣٨٨

(٤) *Malcolm, J.: History of persia, 11, q. 10.*

باجراءات مضادة ، واضطرها – مرة أخرى – إلى الاعتماد على قوى التخوم المحلية (١) ، فعينت الحاج حسين باشا الجليلي ابن اسماعيل باشا والياً على الموصل عام ١٧٣٠ ليساهم في تجنيد قواه لدرء الخطر الايراني المرتقب (٢) .

ولم يمكث الوالي الجليلي في ولايته سوى مدة قصيرة ، خرج بعدها بجيشه ليساهم في حملة كبرى ، كانت تتهيأ للتوغل في ايران ذاتها ، بقيادة والي بغداد أحمد باشا (٣) . وأسفرت المعارك التالية عن نتائج سياسية باهرة إذ تداعت قوات الشاه وأجبرت على التخلي عن العراق برمته ، والانسحاب من همدان وكرمنشاه وتبريز ، وتم توقيع معاهدة صلح عام ١٧٣١ للالتزام بحدود السلطان مراد الرابع القديمة (٤) . ولقد كان الحاج حسين باشا الجليلي أحد القادة الذين وجه إليهم فرمان تقدير وشكر « لما بذلوه من جهود جبارة وخدمات جليلة في خدمة الدولة العلية » (٥) » . وجدد له

= وعلي ظريف الأعظمي : تاريخ الدول الفارسية في العراق ص ١١٠ .

(١) تاريخ شمعداني زاده (مخطوط) وكاتب جلبي : تقويم التواريخ ص ١٥٦ ؛

(٢) ياسين العمري : قرة العين في تراجم الحسن والحسين (مخطوط) ص ١٢ ، ومنية الأدباء ص ٨١ومنهل الأولياء ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) حديقة الزوراء ص ٤١ ، والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج٥ ص ٢٢٧ .

(٤) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٢٦ وتاريخ شمعداني زاده . الورقة ١٣٢ (مخطوط) و

Malcolm, J. : History of Persia, 11, p. 8.

(٥) الكركوكلي دوحة الوزراء ص ٢٧ .

فرمان ولاية الموصل مرة أخرى ، بعد أن كانت الدولة العثمانية قد عين أثناء غيابه أخا والي بغداد ، والياً عليها (١) .

وقبل أن يجف مداد المعاهدة المبرمة ، عادت العلاقات بين الدولتي إلى التدهور السريع كرة أخرى . إذ رفض قائد الجيوش الايرانية « ناد خان » شروط الصلح التي وافق عليها ملكه ، مفضلا استئناف الحرب (٢) وتوالت المعارك هذه المرة في صالح الايرانيين . وفي عام ١٧٣٢ كان ناد خان قد توجه إلى سهل بغداد مهدداً متوعداً (٣) ، « فأرسل أحمد با يطلب من الموصل امداداً فبعث له حسين باشا (الجليلي) ألف رجل م الينكجرية » (٤) ، وضرب نادر خان الحصار على بغداد باحكام متقن في الوقت الذي كان يخطط فيه للتقدم شمالا ، فأرسل « جانباً من عسكر مقداره ثمانية آلاف مقاتل ، وجعل الرئيس عليهم من بعض قواده رجلا

---

(١) ياسين العمري : منية الأدباء ص ٨١ .

(٢) وكان نادر قد عزل الشاه ونفاه عام ١٧٣١ وأقام نفسه وكيلا (وصيا) على الشاه الطفل عباس ميرزا .

(٣) إبراهيم متفرقة : تاريخ نادر شاه الورقة ٥٤ (مخطوط) ورسول حاوي الكركوكلي دوحة الوزراء ص ٢٩ — ٣٠ .

Malcolm , J . : History of persia , 11 , pp . 8 - 9 . و

(٤) يذكر ياسين العمري أن أحمد باشا أمر ينكجرية الموصل بالمحافظة على بلدة الكاظم القريبة من بغداد « فأقاموا أياماً وخافتهم أهل الكاظم وأغلقوا الأبواب ، فأرسل أحمد باشا يدعوهم إلى بغداد فدخلوا بغداد » الدر المكنون ص ٥٨٧ (مخطوط) .

يقال له نركز (١) خان ، وأرسله بالعساكر المذكورة إلى الموصل لتخريب قراها وتضعيفها ومضايقة أحوال أهلها ، حتى إذا أخذ بغداد يتوجه إليها ليكون أخذها عليه هيناً » (٢) .

بيد أن الأمر لم يكن سهلاً كما كان يبدو ، فقد استطاعت قوى الموصل المحلية وحدها بقيادة الحاج حسين باشا الجليلي وأسرته وأتباعه ، أن توقع بالجيش الزاحف خسائر فادحة في معركة سريعة بالقرب من أسوار المدينة فتشتت الجند بين أسير وهارب ، وقتل منهم الكثير ، كان من بينهم نركز خان نفسه (٣) .

وفي السنوات القليلة التالية ، كان دور الموصل السياسي والعسكري آخذاً في التعاظم ، نتيجة استمرار الحروب بين الايرانيين والعثمانيين في العراق وشرقي الاناضول . فأضطر الباب العالي إزاء تلك الظروف إلى اللجوء إلى سابقة جديدة في علاقته بولاية الموصل إذ ثبت عميد الأسرة الجليلية

---

(١) وتذكره بعض المصادر الموصلية بشكل (نركس) و (نرجس) .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٧ ؛

(٣) تفاصيل هذه الموقعة في منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٧ ومنية الادباء ص ١٧٨ والدر المكنون في المآثر الماضية من القرون ص ٥٨٨ (مخطوط) وديوان حسن عبد الباقي الموصلي ص ٤١ — ٤٢ وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٧ ؛

و . *Longrigg , S . : Four Centuries , P . 138* وتفيض المصادر الموصلية في وصف هذا النصر ، في حين لا تشير إليه المصادر البغدادية مثل دوحة الوزراء وحديقة الزوراء .

وزعيم أهل الموصل الشهير، وهو الحاج حسين باشا في منصبه أربع سنوا متتالية ، لم ينقطع فيها حكمه سوى أيام معدودة (عام ١٧٣٣م/١١٤٦ ، حين حاولت الدولة العثمانية تعيين أحد الولاة الأغراب (١) .

وفي أثناء ذلك ، كان المسرح السياسي في العراق ، مازال حاف بالأحداث الجسام . فقد نجح المدد العسكري الذي أرسله الباب العالي بقي الصدر الأعظم طوبال عثمان باشا في فك حصار بغداد (٢) ، إلا أن هز العثمانيين السريعة في نواحي كركوك (شرق الموصل) أعادت الحصار وضعه السابق ، ولم ينهه هذه المرة سوى اضطرار نادر خان إلى العو لبلاده لتهدئة الأوضاع هناك (٣)

ولعب الحاج حسين باشا الجليلي دوراً هاماً في الأحداث الجارية ذ الصلة بولايته (٤) على لفت أنظار الباب العالي اليه . ففي عام ١٧٣٤ م/٤٧ طلب والي مصر الوزير عبد الله باشا الكوبرلي ، وكان يومذاك قائداً

---

(١) سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ص٨٦، إنظر الملحق رقم١(قائمة الولا

(٣) تاريخ صبحي الورقة ٤٨ ـ ٥٠ وتاريخ جودت (تعريب الد ج ١ ص ٨٤ . و ‎:es, p . : A History of persia, 11 , p . 253

(٣) تاريخ نادر شاه الورقة ٥٩ (مخطوط) وتاريخ شمعداني ، الورقة ١٥٥ (مخطوط) .

و ‎:es , P . : A History of Persia , 11 , P . 253 .

(٤) ساهمت منطقة الموصل وماردين وديار بكر في تموين كافة الحم العثمانية ، إضافة إلى مساهمتها عسكرياً فيها ، فكان عليها أن تقدم في عام٢ كميات كبيرة من الغلال قدرت بـ ٢٥٠،٠٠٠ وزنة اسطنبول حنط و ٢١٠،٠٠٠ وزنة شعير ومن المال ٤٨٣٣ كيس (تاريخ صبحي . الورقة ٨

للعمليات العسكرية في العراق رتبة الوزارة (بثلاثة أطواغ) إلى الوالي الجليلي ، « فأجيب إلى ما طلب ، وبعث السلطان محمود (الأول) المنشور والخلعة السمور » (١) وفي السنة التالية عهد الباب العالي إلى حسين باشا بادارة ولاية بغداد ذاتها (٢) .

وفي الأعوام التالية ، كانت الدولة تضطر بين حين وآخر إلى اعادة الحاج حسين باشا الجليلي إلى ولايتــه كلما استشعرت خطراً من تحركات نادر خان ، فأعادته عام ١٧٣٨ م / ١١٥١ هـ أثر تهديدات الخان المتواليــة وطلباته مستحيلة التنفيذ (٣) ، ثم أعادته مرة أخرى عام ١٧٤١م/١١٥٤هـ عند وصول الاشاعات المنبئة بعزم نادر خان على التوسع ، بعد أن اعلن نفسه شاهنشاها (وتسمى بنادر شاه) (٤) ، وفي هذه المرة شاء القدر أن تلعب الموصل تحت زعامة واليها الجليلي دورها الحاسم في تاريخ الحروب الايرانية ـ العثمانية بالعراق .

حصار نادر شاه للموصل :

ففي عام ١٧٤٣م / ١١٥٦ هـ اتخذ نادر شاه من رفض الدولة العثمانية طلبه بشأن الاعتراف بالمذهب الشيعي ، ذريعـة لاستئناف الحرب والهجوم على العراق ، فاجتازت جيوشه الضخمة الحدود العراقية ووصلت إلى بغداد

---

(١) غاية المرام ص ٣٢٢ والدر المكنون ص ٥٨٨ (مخطوط) .

(٢) تاريخ صبحي الورقة ٦٨ .

(٣) من تلك الطلبات : إعطائه ديار بكر وأرمينية ، وتخلي السلطان عن حلفه مع المغول في الهند ، وهدم ما كان قد أصلح من أسوار بغداد .
Longrigg , S . : Four Centuries , P , 148 .

(٤) إبراهيم متفرقة : تاريخ نادر شاه الورقة ٦٠ (مخطوط) .

وضربت عليها حصاراً خانقاً ، وفشلت محاولات الشاه للتأثير على والي بغ
أحمد باشا (١) ليسلم له مدينته بالتي هي أحسن (٢) ، فزحف عبر
العراق بجيوشه التي قدرت بثلثمائة ألف جندي ، واستولى على جميع
بغداد وضياعها ، وحاصر البصرة بتسعين ألفاً من الجنود (٣) . فضـ
الأمور ببغداد وتعسرت لدرجة أن أحمد باشا - كما أكد المؤرخون المحا
قد عرض على الشاه الاستيلاء على الموصل تخلصاً من موقفه الحرج (٤

ويبدو لنا أن فكرة فتح الموصل قبل بغداد لم تكن إلا من وحي ن
الشاه لفسه ، هدفها السيطرة على نقطة اتصال العراق بالجزيرة ، وبا

---

ces , P . : *History of Persia* , 11 . 25 . و

(١) وكان قد أعيد إلى ولاية بغداد عام ١٧٣٦ / ١١٤٩ هـ بعد أن
عنها سنة ١٧٣٤ / ١١٤٧ هـ ، ليحكمها مدة أطول إمتدت حتى وفاته
١٧٤٧ / ١١٦٠ هـ .

(٢) رسول حاوي الكركوكلي : « دوحة الوزراء ص ٥٠ » . و
فتح الله القادري المعاصر للاحداث في أرجوزته التي وصف فيها حصار المو
ان والي بغداد أرسل إلى الموصل قبيل الحصار كتخداه محمد بطريقه
القسطنطينية وانه أخبر الوالي حسين باشا الجليلي عن شوكة وقوة نادر
مما أدى الى غضب الموصليين نفر منها .

(٣) دوحة الوزراء ص ٥٠ .

(٤) ياسين العمري : منية الادباء ص ١٨٠ وغاية المرام ص ١٢
والدر المكنون ص ٥٩٣ (مخطوط) ..والصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص
وتابعهم في ذلك لونكريك ngrigg , S . : *Four Centuries* , P.149.

قطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد ، واحكام قبضته على العراق من شماله وجنوبه لكي تسقط بغداد بعد ذلك بيسر وسهولة . وفي الواقع كانت هذه خطة استراتيجية حاولت الجيوش الايرانية الغازية تنفيذها مراراً ، وحاول هو تطبيقها أيضاً أثناء حصاره الأول لبغداد عام ١٧٣٢ بإرساله حملة زكزخان سيئة الطالع ولما كانت السيطرة على طريق بغداد - كركوك - اربيل (طريق شهرزور القديم) تعد أساس كل تقدم مأمون نحو الشمال ، فقد توجه هذه المرة على رأس مائة وسبعين ألفاً من الجند ، أي أكثر من نصف جيشه كله ، فاستولى على منطقة شهرزور وفتح قصبتها كركوك بعد حصار دام بضعة أيام ، وسلمت له اربيل خوفاً بعد ساعات من بدء حصارها ، فلم يبق أمامه عند ذلك سوى الموصل : مدينة الجليليين (١) .

على أن حكومة الموصل لم تكن بغافلة عما يجري ، فقد تسربت اليها أنباء من جيش نادر شاه نفسه عن الخطة المبيتة (٢) . وفي الوقت الذي

---

(١) غنية الادباء ص ١٨٠ وزبدة الآثار الجلية ص١٤ (مخطوط) ومنهل الاولياء ج ١ ص ١٥٠ والسويدي : حديقة الزوراء ص ١٩٠ (مخطوط) والكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٥٠ و

Longrigg , S . : Four Centuries , P 150 .

وتجمع هذه المصادر على فداحة ما إرتكبه نادر شاه بسكان هذه المدن .

(٢) ينفرد محمد طه بن يحيى العراقي (في رحلته التي دونها بعد الحرب بسنة واحدة) بالاشارة الى أن أفراداً من داخل جيش الشاه « أرسلوا خفية إلى أهل الموصل الخبر أن طهماس (يريد نادرشاه) مراده غداً وفي وقت كذا يأتيكم كذا ، اصحوا ، واعملوا جهدكم (رحلة ابن يحيى العراقي ورقة ٧ مخطوط) وهناك تضارب في الترتيب الزمني للاحداث إذ تجمع المصادر المذكورة أعلاه ، وهي محلية على أن تهيؤ الموصل للحرب كان عند فتح نادر=

كان يتم فيه تبادل الوفود بين الشاه ووالي بغداد ، وسط مظاهر الضيا والحفاوة الكاذبة ، كانت الموصل تستعد للمحافظة على كيانها بحماس شه منقطع النظير ، فضرب الوالي حسين باشا الجليلي خيامه حول البلد ، وء أنغام الموسيقى العسكرية شرع الجميع في العمل ، «حتى أن الوزير الوالي هو وأولاده الكرام ، وبنو عمه ، والرفيع والوضيع ، بادروا إلى نقل الترا من الخندق ، ونقل الحجارة لتعمير البدن (السور) ولصب على كل صن من الناس واحداً من المتقدمين عنده » (١) . وما أن فرغ الجميع من عمل حتى كانت خنادق المدينة قد أعدت ، وعمر ما كان قد تصدع من سور بالجص والحجارة ، وحفرت حوله الآبار حماية له من تأثير النسف بالبارو وأزيلت تلال برمتها كانت تشرف على المدينة ، وحصنت القلاع بالمد وجهزت بالذخيرة اللازمة (٢) .

وبعد أن تم ذلك كلـــه ، وقفت الموصل وحدها لتواجه مصير بشجاعة ، دون أن تبدر عن الدولة العثمانية أي بادرة حقيقية لمساندة موة الصعب ، واكتفى السلطان محمود الأول بإرسال والي حلب الوزير حـ

=شاه كركوك ، أو أربيل . في حين ينفرد العمري في (زبدة الآثار الجلية) أن إستعداد الموصل كان منذ ذي الحجة عام ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ (زبدة ص مخطوط) . ويفهم من أعمال ترميم القلعة والسور وحفر الآبار بالخندق تلك الاستعدادات إستغرقت مدة طويلة قبل الحصار .

(١) أمين العمري : منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٢ .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ١٥ (مخطوط) ومذكرات لانزا ص وسالنامة الموصل ١٣٢٥ و

ngrigg , S . : *Four Centuries* , P . 158 .

باشا القازوقجي (١) محافظاً للموصل ، ليساهم مع عدد من أتباعه مع واليها الجليلي في دحر الغزاة .

وبعد مدة قصيرة ، وصلت الموصل سفارة من مقر الشاه في أربيل ، يرأسها مفتي كركوك السابق ، وتحمل رسالة كتبها ملا باشي علي أكبر ، الرئيس الديني للايرانيين إلى مفتي الموصل ، يحاول فيها استمالة الموصليين بتصوير الحرب على أنها وسيلة لحسم نزاع عقائدي مع السلطان العثماني لا شأن لمدينتهم فيه (٢) .

وفي اجتماع تاريخي حافل عند أسوار المدينة ، قرأ الوالي نص رسالة الشاه إلى السكان ، فتعالت الهتافات من كل ناحية تدعو إلى ضرورة التمسك بالمدينة إلى الرمق الأخير ، وإلى تفضيل الموت في الحرب على الإستسلام للعدو ، فعاد الوفد إلى مقر الشاه يحمل جواباً شديد اللهجة ، صيغ بكل ما يمكن من اباء (٣) ، في وقت كانت فيه جموع من فلاحي القرى المجاورة وأسرهم تسرع بالرحيل مع كل ما تملك من غلال ومتاع للاحتماء بأسوار المدينة خوفاً من حرب باتت وشيكة الوقوع (٤) .

وفي منتصف تموز من عام ١٧٤٣ (١١٥٦ هـ) لاحت في الأفق ،

---

(١) في سجل عثماني ٢ / ٢١٠ لقبه (القازيقجي) وقد توفي عام ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م .

(٢) أنظر نص هذا الكتاب في ملاحق الرسالة .

(٣) أنظر نص هذا الكتاب في ملاحق الرسالة .

(٤) مذكرات القس حبش بن جمعة المنشورة مع مذكرات لانزا ص٩٤؛

ولأول مرة طليعة ايرانية قدرت بعشرة آلاف فارس ، فخرجت إلى لقا
ثلة من الخيالة الخفيفة ، بلغ عددها زهاء ٧٠٠ أو ٨٠٠ مقاتل ، يقو
أخو والي الموصل الشاب عبد الفتاح بك الجليلي ، واشتبكت مع الإيرا
في قتال عنيف قتل فيه من الطرفين عدد غير يسير وأفلتوا من محاولة جر
لتطويقهم باعجوبة ، ثم عادوا إلى المدينة ، حيث أغلقت أبوابها استعدا
لحصار قاس طويل الأمد .

وفي منطقة قريبة لا تبعد عن الموصل أكثر من فرسخ واحد (٣ أميا
تدعى « يارمجه » اتخذ نادر شاه مقر قيادتـــه للاشراف على سير عما
الحصار . وبعد أن نقل له رسول آخر – كان قد بعثه مهدداً منذر
عزم المدينة على الاستبسال واصرارها على عـــدم التسليم له بشيء (١
طاف بنفسه حول الأسوار موزعاً تعليماته بشأن تنظيم الهجوم ، وأم
اليوم التالي ببناء اثني عشر برجــاً من التراب والحجارة في مواجهة أ
المدينة الاثنى عشر ، ووزع عليها مدفعيته الضخمة التي كانت تتكون من
مدفعاً ثقيلاً و ٢٣٠ مدفعاً من مدافع الهاون (٢) .

---

(١) في التقرير الرسمي الذي رفعه المحافظ حسين باشا القاز
ووالي الموصل الجليلي ، إلى الباب العالي عقب إنتهاء الحصار مباشرة ، نق
عن تلك الرسائل المتبادلة ، وخلاصة لمحتوياتها (نشر نص التقرير في سا
الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ رومي وسنة ١٣١٠ هـ / ١٣٠٨ رومي
بتعريبه الدكتور داود الجلبي الموصلي ، ونشره الاستاذ سعيد الديوه جي
ملاحق منية الأدباء ص ٢٧٧) .

(٢) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٨ نقلا عن :
:onne de rose No . 12 - 1907 .

وفي أول تشرين الأول ١٧٤٣ (١٦ شعبان ١١٥٦ هـ) ، انطلقت جميع المدافع ، مرة واحدة ، لتصب قذائفها على أسوار المدينة من كل اتجاه فكان ذلك اليوم - كما يصف شاهد عيان - « يوماً عبوساً قمطريرا ، بحيث يرى الناظر أن السماء أمطرت ناراً على الأرض ، وهاجت الحرب ، وماجت الأرض ، وعلا الصراخ ، وكثر الرعيد كالصواعق » (١) .

واستمر القصف المركز ثلاثة أيام بلياليها دون أي توقف . ورغم عدم التكافؤ الواضح بين قوى الطرفين ، فقد حافظت الموصل على روحها المعنوية العالية ، مما مكنها من الصمود والمقاومة . وفي اليوم الرابع أخذ أمل نادر شاه في تسليم المدينة يتلاشى ، فلجأ إلى احداث تغيير أساسي في خطته بهدف تدمير جانب من السور تمهيداً للنفاذ منه عنوة . إذ ركزت مدفعيته نارها - هذه المرة - بعنف على برج « باش طابيه » الشمالي ، وهو مقر قيادة الوالي حسين باشا الجليلي نفسه ، فتعالت من البرج أصوات التكبير ، وردّت مدفعيته باطلاق النار على المهاجمين بيد أن غزارة القصف وشدته كانت أكثر مما يمكن أن يتحمله ذلك البرج القديم (٢) ، فاذا بجدرانه تتصدع وتهوي قطع منها أرضاً « وحدث ثلم تمكن حتى الخيالة من اجتيازها فضلاً عن الرجالة » (٣) فأسقط بيد المدافعين ، ولاح - للحظة - عدم جدوى المقاومة ، ولم ينقذ الموقف العصيب سوى وصول

---

(١) أمين العمري : منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٤ .

(٢) يرتقي بنيان هذا البرج إلى العصر الأتابكي ، وكان مما جدده الوالي حسين باشا الجليلي عند تهيئه للحصار ، ويذكر فتح الله القادري الموصلي ان تدميراً كبيراً لحق بالبرج المذكور أثناء تركيز الضرب عليه (أرجوزة ص٢١).

(٣) تقرير حسين باشا القازوقجي في ملاحق منية الأدباء ص ٢٨٢ .

الوالي الجليلي نفسه ، فأصدر أوامره إلى فريق من البنائين ببناء ما انهدم
ثم جازف بالعمل بنفسه « وأحجار السور تهوي عليه كالمطر » (١) ليحثهم
على الإسراع بالبناء ، فأنقذت شجاعته الموقف وتم احكام البرج من جديد (٢)

وتوالى هدير المدافع خمسة أيام أخرى دون إنقطاع ، قـدر ما ألقي
على الموصل خلالها بأربعين ألف أو خمسين ألف قنبلة مدفع ، ومائة
ألف قذيفة هـاون (٣) وكان الوالي الجليلي « من أول الليل إلى النصف
الأول يدور حول البلد والبروج ، ويقوي المجاهـدين من الغزاة (٤)
والثبات على الأعداء » (٥) ، ثم يقوم ولداه مراد وأمين بالسهر على الحصو
حتى الصباح .

بيد أن جعبة نادر شاه لم تكن قد خلت بعد ، فامر بتحويل إحد
شعبتي نهر دجلة ، وهو مورد الموصل الرئيسي ، « فحصل ضيق وحير
عند المحافظين المحصورين » (٦) . ولما كانت المدينة قد ظلت صامـدة
ومستميتة في الدفاع ، فقد قرر نادر شاه إستغلال عامل الزمن لصالحه

---

(١) منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٦ .

(٢) تقرير حسين باشا القازوقجي في ملاحق منية الأدباء ص ٢٨٤ ؛
و ongrigg , S . : Four Centuries , p . 152 .

(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٥ ومنية الأدباء ص ١٨١ وقرة ال
ص ١٤ (مخطوط) والدر المكنون ص ٥٩٤ (مخطوط) ورحلة نيبور ص ٦
ومذكرات لانزا ص ٤٠ .

(٤) يريد بالغزاة : جمع (غازي) وهو المجاهد .

(٥) منهل الاولياء ج١ص١٥٥ وأرجوزة فتح الله القادري الموصلي ص ١

(٦) تقرير حسين باشا القازوجي (في المصدر الانف ذكره) ص ١٢

فترك الموصل تعاني من ضيق الحصار ويضطر أهلها إلى شرب مياه الآبار ، وغادر هو – مع جزء من جيشه – مقره في شرقي دجلة ، ليطوف في قرى المنطقة ونواحيها مدمراً مخرباً . وعلى هـــذا النحو ، دمرت قرى باكملها ، وأحرقت ونهبت أديرة عديدة بلغت ٣٠٠ ديرا ، ثم تقدم نادر شاه بزحفه على طريق ديار بكر ، فدمر زاخو وجزيرة ابن عمر (١) ، ولم يعد إلا وقد أمست برمتها – على حد تعبير أحد المعاصرين النصارى – « صحراء يعشش في أخربتها البوم » (٢) .

وزاد من خطورة وضع المدينة وحراجة موقفها ، أن إستطاع المشاة الايرانيون حفر أربعة أنفاق أرضية تلتقي باسس السور ، بغية نسفه بكميات من البارود ، في الوقت الذى تجحت فيه أفواج من الجند في إجتيـــاز الخنادق . ونصبت أعداد هائلة من السلالم على تلك الأسوار تهيؤا لدخول المدينة ساعة النسف . على أن مصير هذه الخطة لم يكن باحسن من سابقاتها ، فقد بددت آبار الخنادق قوة تأثير البارود ، وانفجر لغمان ، فآذيا المهاجمين أكثر من المدافعين ، وتعطل آخران فلم ينفجرا ، وصد الجنود الذين على الأسوار وفي « المزاغل » (٣) هجوم متسلقي الســـلالم بوابل من نيران بنادقهم ، وأوقعوا بمن كان في الخنادق ، ثم هبطت جماعات من الموصليين لتفتك بمن وجد في أسفل السور ، وزادت الفوضى والاضطراب من خسائر الايرانيين ، فلم يجدوا مناصاً من مغادرة مواقعهم ، بعد أن تركوا وراءهم

(١) أرجوزة فتح الله القادري ص ١٩ والكلداني : ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣١٧ . والصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٥ .
(٢) كوركيس عواد : دير الربان هرمز د ص ٨٢ .
(٣) المزاغل : هي الكوى الخاصة بإطلاق النار ، في الاسوار والحصون.

عدداً كبيراً من القتلى (١) .

وبهذه المعركة الفاصلة ، حسمت نتيجة الحصار ، بعد أن دام أكثر م
أربعين يوماً (٢) . وأدرك الشاه عدم جدوى الانتظار تحت أسوار المدي
العنيدة ، خاصة وأن أنباء كانت تتوارد عن تحركات عثمانيـــة في شرق
الأناضول (٣) .

وفي اليوم التالي للمعركة ، رد الموصليون رسولا إيرانياً يطلب التفاو
بشأن الصلح ، ثم وافقوا أخيراً على إرسال وفد مكون من قاضي الموصل
ومفتي الشافعية ، وميرالاي العسكر ، للنظر في الموضوع . وتحت خ
نادر شاه ، بمقره الجديد عند قرية القاضية ، ووسط مظاهر التكريم والحف
طلب الفرس عـــدداً من الخيول هدية للشاه ، ولم يكن – بالطبع – أم
من تنفيذ مثل هذا الطلب (٤) وأهدى الشاه للوالي الموصلي – بدوره
هدايا قيل أن بينها مسبحة لؤلؤ ثمينة . وفي منتصف نوفمبر عـــام ٣
(رمضان ١١٥٦ هـ) إنسحب نادر شاه بجيوشه ومعداته إلى وسط العر
ومعه عدد من الخيول ، وهي كل ما حصل عليه من الموصل ، بعد ح

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ١٥٩ وعبد الله السويدي : النفحة المـ
في الرحلة المكية . وتقرير حسين باشا القازوقجي آنف الذكر . ورحلة
يحيى العراقي ٧ (مخطوط) والدر المكنون ص ٥٩٤ (مخطوط) : وار
السيد عبد الله الفخري المثبتة في الروض النضر لعثمان العمري (مخطو

(٢) مذكرات لانزا ص ٣٨ .

(٣) es, P. : A History of Persia, 11, P. 255.

(٤) منهل الاولياء ج ١ ص ١٦٠ ومنية الادباء ص ١٨٢ .

قاس سرير .

ويتضح لنا من دراسة حركات الشاه التالية ، مدى التغيير الـــذي أحدثه صمود الموصل في خططه ومشاريعه في العراق . فقد عدل عن حصار بغداد نهائياً ، وسحب قواته من المدن العراقية الأخرى ، وتراجـــع عن مطالبه بشأن الاعتراف بالمذهب الشيعي . وفي معاهـــدة ١٧٤٧ / ١١٦٠ ﻫ بين الباب العالي والشاه ، وافق الأخير على التنازل عن الأراضي العراقية التي كان قد إحتلها (١) ، وسجلت وفاته في نفس العام ، الفصل الأخير من تاريخ العلاقات الايرانية - العثمانية في العراق آنذاك .

ومن ناحية أخرى ، فان صمود الموصل في وجه القوات الايرانية ، باعتباره دفاعاً عن الدولة العثمانية ذاتها ، كان في حقيقته حدثاً فاصلا في تحديد مصير الاملاك العثمانية في منطقة الهلال الخصيب برمتها . ومن هنا فقد حدد هذا الصمود ، ولفترة طويلة أخرى ، طبيعة علاقات الولايـــة وإرتباطاتها بالباب العالي فاستقبل السلطان محمود الثاني باحترام وحفاوة كبيرة وفداً أرسله والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي برئاسة إبنه محمد أمين (٢) ، ووافق على تمليكه قرية قره قوش ، وكانت آنذاك تيارا تابعاً

---

(١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٥١ والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٥ ص ٢٧٠ . و

Sykes , P . , A History of Persia , 11 , P .255 .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٦٥ والدر المكنون ص ٥٩٦ (مخطوط) وفيه ان السلطان بعث لحسين باشا الجليلي بسيف مجوهر وخلعة سنية .

لولاية شهرزور المجاورة (١) . وبذا اعترفت السلطات العثمانية المركز
رسمياً بحق قوى الولاية المحلية في ملكية الاقطاع العسكري ، متجاوزة بذلك
نظم الاقطاع العثماني التقليدي (٢) .

وفضلاً عن ذلك ، فإن الفشل العسكري الايراني في شمال العراق
ومنطقة الجزيرة ، قد أرغم الإيرانيين على تغيير خطتهم الاستراتيجية إز
العراق تغيراً أساسياً ، مما نجم عنه أن فقدت خطة السيطرة على رأس العرا
الشمالي جاذبيتها بصفة نهائية . وأثبتت الحوادث التالية أن ما صار يشغ
تفكير العسكريين الايرانيين هو النصف الجنوبي من العراق لا شماليه ، ومنا
الخليج العربي لا منافذ الجزيرة . فعندما تولى الزنديون (٣) مقاليد الحـ
في ايران في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وبرزت فكرة غـز
العراق في ذهن كريم خان الزندي ، كانت خطة فتح الموصل القديمة والسيط
على طريق شهرزور أولاً ، قد استبعدت تماماً من تفكير مخططي الغز
لتحل محلها خطة مختلفة ، توجه الثقل هذه المرة إلى سهل العراق الجنوبي
وبخاصة منطقة البصرة الحيوية .

(١) أنظر نص الفرمان الخاص بهذا التمليك في ملاحق الرسالة .

(٢) سنتناول هذه النظم بتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثا
(الحياة الاقتصادية) .

(٣) أسرة كردية ، إستولى رئيسها كريم خان على الحكم في إيران ،
الفوضى التي أعقبت مقتل نادر شاه ، وحكم كريم خان أكثر إيران كوك
عن شاه ايران . الصفوى ٢٢ عاماً ، وبعد وفاته عام ١٧٧٩ نشبت الفتنة
أخرى ولم تفته الا باستيلاء محمد خان القاجارى على الحكم وتأسيس
أسرة حاكمة

ولاشك أن ما جنته القوى المحلية في الموصل ذاتها ، نتيجة الصمود عام ١٧٤٣ ، كان في الواقع أكثر مما توقعته تلك القوى نفسها أول الأمر ، إذ زادت أهمية آل الجليلي لدى الباب العالي باعتبارهم أبطال الصمود ، وامتزجت رغبته بالاستفادة من كفاءتهم كقادة عسكريين وولاة مخلصين ، برغبته في منع تحولهم إلى أسرة وراثية حاكمة ، يمكن أن تشكل عائقاً محلياً قوياً في وجه السلطة العثمانية المركزية .

ولهذا السبب ، فقد أسند الباب العالي إلى الحاج حسين باشا الجليلي حكم عدد من الولايات الهامة ، خلال مدة قصيرة ، مثل البصرة في جنوب العراق (١) ، وأدنه في جنوبي الأناضول ، وقارص في شرقيه ، وكوتاهية في غربيه وسيواس ، ثم حلب (٢) . بيد أن وفاته المفاجئة في الموصل عام ١٧٥٧ / ١١٧١ هـ كشفت بجلاء عن مدى الدور الذي يمكن أن تلعبه الموصل في تحديد نوع ارتباطها بالباب العالي مستقبلاً فقد استطاعت قوى الولاية المحلية بزعامة أسرها صاحبة النفوذ ، أن تحول سيطرتها التامة على مقاليد الحكم والإدارة ومرافق الاقتصاد والقوات العسكرية ، إلى وسيلة تفرض بها ارادتها المحلية على الباب العالي نفسه ، مما أرغم السلطان مصطفى الثالث على القيام ببادرة جديدة ذات أثر سياسي بعيد . إذ أعاد أمين باشا ابن الحاج حسين باشا الجليلي إلى الحكم بعد وفاة والده مباشرة ، ليتولى

---

(١) دوحة الوزراء ص ٩٩ .

(٢) محمد ثريا : سجل عثماني ، وديوان حسن عبد الباقي . الملحق . ونهر الذهب ٣ / ٢٩٨ . والمرادى : سلك الدرر ج ٢ ص ٥١ ، والدر المكنون ص ٥٩٦ (مخطوط) . وتعد كوتاهية أولى ولايات الاناضول وأهمها .

تهدئة الأمور العامة في الولاية (١) وكان قد تولاها - قبل ذلك - مرتين في حياة والده ، فكان ذلك البداية الحقيقية لنظام الحكم الوراثي في الموصل في عهد الجليليين .

وفشلت محاولات الباب العالي المتعددة لتثبيت والٍ غريب على الموصل؛ فبعد أن أسند حكم الولاية إلى أحد الولاة غير المهمين لم تتجاوز مدة حكمه سنة واحدة ، أعيد أمين باشا إلى الحكم عام ١٧٥٩ / ١١٧٣ هـ (٢) ، ثم أعيد مرة أخرى بعد عام واحد فقط ليتولاها مدة بلغت سبع سنين متتالية ؛ نال في آخرها عام ١٧٦٧ / ١١٨١ هـ رتبة الوزارة (٣) .

دور الجليليين في الحروب الروسية - العثمانية :

وفي أواخر القرن الثامن عشر لمع اسم ولاة الموصل الجليليين في الأوساط العثمانية الحاكمة مرة أخرى - فقد شارك ثلاثة منهم في ثلاث عمليات عسكرية كبرى في آن واحد ، أولاها في أوروبا الشرقية ، حيث كانت الحرب قد أعلنت بين الدولة العثمانيــة وروسيا القيصرية ، وباتت أملاك الأخيرة في بسارابيا وأوكرانيا مهددة بالسقوط بيد القوات الروسية هناك (٤) .

ففي عام ١٧٦٩ / ١١٨٣ هـ صدرت الأوامر إلى عدد من « الوزراء

(١) مذكرات لانزا ص ٥٣ وسجل عثماني ج ١ ص ٤١٠ .
(٢) منية الأدباء ص ٨٦ والدر المكنون ص ٦٠٦ (مخطوط) .
(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ١٦٨ وغاية المرام ص ٣٢٣ ومجموع التواريخ في مدح الوزراء من بني عبد الجليل ص ١٦٨ (مخطوط) .
(٤) أحمد راسم : عثمانلي تاريخي ج ٦ ص ٩٢٤ - ٩٢٨ .

والأمراء وزمر الينكجرية لجهاد الكفار ، (١) . وكان ممن صدر اليه الأمر بذلك الوزير محمد أمين باشا الجليلي (٢) ، فسار بقوات جمعها من الموصل وديار بكر (٣) ، وشارك في فتح مدينة خوتن *Khotin* في بسارابيا ، ثم قام – خلال ظروف سيئة – بالدفاع عن مدينة بندر *Bender* (٤) على الساحل الغربي لنهر الدنيستر (طورله عند الأتراك) في وقت كانت فيه الجيوش العثمانية قد تقهقرت متخلية عن مساندته ، وزاد الأمر سوءاً انتشار وباء الطاعون ، وموت من معه من القواد ، واضرام النار في المدينة ، فاضطر أخيراً إلى التسليم ، و فأخذوه راكباً ومعه أتباعه وباقي العسكر وأهل البلد ، (٥) ، ثم أرسل إلى بطرسبرج أسيراً . وبينما كان أمين في أسره ، كانت الأنباء والإشاعات تتوارد إلى الموصل بواسطة الضباط الموصليين من أتباع الوالي الأسير ، مثيرة الفزع عن الخسائر العثمانية القادحة وشاعت في طول ولايـة الموصل وعرضها نبؤات بشأن قرب سقوط الامبراطورية العثمانية واحتمال وصول الروس إلى الموصل عن طريق جورجيا وبحر قزوين (٦)

(١) ياسين العمري : زبدة الآثار الجلية ص ٢٢ (مخطوط) والدر المكنون ص ٦١٤ (مخطوط) .

(٢) وكان قد تولى ديار بكر عام ١٧٦٨ .

(٣) أحمد راسم : عثمانلي تاريخي ج ٦ ص ٩٣٨ .

(٤) مدينة تقع في مقاطعة ملدافيا ، إستقرت تحت الحكم الروسي عام ١٨١٢ بموجب معاهدة بسارابيا (قاموس أعلام ٢ / ١٣٥٨) .

(٥) زبدة الآثار الجلية ص ٢٢ (مخطوط) وأنظر تفاصيل دور أمين باشا في هذه الحرب : أحمد راسم : عثمانلي تاريخي ج٦ ص ٩٣٨ و ٩٤٢ .

(٦) سجل الأب دومنيكو لانزا كثيراً من تلك النبوءات الغريبة في مذكراته ص ٧٠ .

وفي عام ١٧٧٤ / ١١٨٩ هـ تم التوقيع على معاهدة (كوتشك قينارجه بين الامبراطورة كاترينه ، والسلطان عبد الحميد الأول ، فأخلي سبيل أمين باشا بموجب اتفاقيات تبادل الأسرى ، بعد أسر دام أكثر من أربع سنين ورحل إلى القسطنطينية حيث اجتمع بالسلطان الذي منحه لقب « الغازي الرفيع (١) » ، وولاه الموصل مكافأة له ، وزوده بأوامر لتنفيذ خطة اصلاح شاملة ، مبهمة التفاصيل ، إذ « أمره بتعديل نظام بلاد الشرق والعرا وعين معه وزراء وامراء وزعماء » (٢) ويظهر أن هذه الخطة لم تكن — أحد جوانبها على الأقل — إلا مشروعاً للقضاء على حكم المماليك في بغد والبصرة فقد كان استيلاء كريم خان الزنـــدي الإيراني على البص عام ١٧٧٥ (٣) قد أوصل العلاقات الايرانية — العثمانية إلى ذروة التأز وكان المتهم الأول في خلق أسباب هذا الغزو ، هو والي بغـــداد المملو عمر باشا (٤) .

لذا فقد عين الباب العالي أمين باشا والياً على الموصل ، بينما ت

---

(١) المعروف أن منح هذا اللقب لغير السلاطين كان نادر الحدو جداً ، ولا يزيد عدد من حصل عليه على أصابع اليد الواحدة ، كان أولهـ محمد أمين باشا الجليلي ، وآخرهم مصطفى كمال أتاتورك (عن الأستاذ ع صبحي الدفتري) .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ٢٥ (مخطوط) والدر المكنون ص ٤ (مخطوط) .

(٣) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ١٥٢ .

و ngrigg , S . : Four Centuries , pp . 187 - 194

(٤) العزاوي : العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٥٩ .

ابنه – وكان واليها السابق – إلى ولاية شهرزور المجاورة في الشرق ، ليؤلفا مع القادة العثمانيين الآخرين الذين أوفدتهم الدولة ، تشكيلاً مشتركاً للزحف نحو الجنوب ، بهدف ازالة عمر باشا عن ولاية بغداد ، والسعي لانهاء الاحتلال الايراني لمدينة البصرة (١) .

بيد أن مرض أمين باشا في الموصل ، حال دون مساهمته الجدية في تلك العملية الكبيرة ، فلعب جليلي آخر ، هو ابنه والي شهرزور ، دوره في عزل عمر باشا وإدارة شؤون بغداد بعده (٢) .

دور الجليليين في حروب العثمانيين ضد علي بك الكبير :

وفي الوقت الذي كان فيه الغازي أمين باشا يخوض غمار الحرب الروسية – العثمانية في شرقي أوروبا ، كان عبد الفتاح باشا الجليلي ، الذي عين خلفاً لحسين باشا عام ١٧٦٩ (٣) ، يلعب دوراً مهماً آخر في الساحل السوري . ففي عام ١٧٧٠ / ١١٨٤ هـ ، شرع علي بك الكبير حاكم مصر ، بالتقدم شمالاً داخل سورية (٤) ، فانقسمت قوى المنطقة بالتالي إلى معسكرين

(١) ديوان حسن عبد الباقي . ملحق ١ ص ١٠٦ .

(٢) سيأتي تفصيل هذه العملية عند دراسة علاقات الموصل وارتباطاتها بولاية بغداد ، في الفصل الرابع من الباب الأول .

(٣) هو حسين باشا الداماد ، الذي أعقب أمين باشا في حكم الموصل ، ودامت ولايته سنة واحدة .

(٤) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والاخبار ج ١ ص ٣٩٩ .

رئيسين ، أحدهما عثماني يتولاه باشوات ولايات الهلال الخصيب ، والآ
مصري – يسانده عرب فلسطين وجنوبي لبنان والقبائل العربية (١) . و
طبيعياً أن تجند الدولة العثمانية كل قواها للقضاء على القوة الفتية الجديد
قبل أن تشكل خطراً يهدد أملاكها في المنطقة ففي عام ١٧٧١ أمر السل
مصطفى الثالث والي الموصل عبد الفتاح باشا الجليلي بالتوجه إلى بلاد ا
والمشاركة في الحرب الدائرة هناك ، وحثه على العمل بأن منحه رتب
وزير ، مع شاراتها وولاية مدينة طرابلس ، اضافة الى ولايته الموصل
وأوكل إليه حراسة قافلة الحج بتعيينه في منصب « جرده جي » (٣
وهو من صميم اختصاصات والي دمشق التقليدية ، وزوده بمبلغ طائل
مائة ألف قرش للإنفاق على تلك المهام (٤) .

ويحيط الابهام بطبيعة مهمة عبد الفتاح باشا الحقيقية في سوريا
امتنع أهل طرابلس عن التعاون معه ، حتى أنهم « ملكوا القلعة وض
بالمدافع وأخرجوه من البلد » (٥) وتعزو الروايات المحلية الموصلية

(١) محمد رفعت رمضان : علي بك الكبير ص ١٥٧ .
(٢) في قوائم حكام طرابلس التي أوردها أغناطيوس طنوس الخور
كتابه « مصطفى آغا بربر » (بيروت ١٩٥٧ ص ٣٢) أن عبد الفتاح باشا
طرابلس عام ١٧٧٦ / ١١٩٠ هـ .
(٣) الجرده جي : هو المتولي حراسة قافلة الحج ، وكان يخرج على
حملة خاصة لهذا الغرض .
(٤) زبدة الآثار الجلية ص ٢٣ (مخطوط) والدر المكنون ص
(مخطوط)
(٥) زبدة الآثار الجلية ص ٢٣ (مخطوط) .

الموقف الغريب إلى أن عبد الفتاح طلب من سكان المدينة مبالغ جسيمة يبلغ مجموعها ثلاثمائة كيس من النقود (١) ، ولكنها لا توضح لنا سبب هذا الطلب بأية حال . وقد توفي عبد الفتاح أثناء مهمته ، فدفن في موضع يدعى « قدم » في الجنوب من مدينة دمشق (٢) .

الباب العالي وسياسة إلحاق الموصل ببغداد :

وسجل عام ١٧٧١ م / ١١٩١ هـ بداية غريبة في تاريخ الموصل السياسي ، فقد وافق الباب العالي ، ولأول مرة منذ استلام الجليليين السلطة ، على إلحاق ولاية الموصل بولاية أخرى مجاورة . إذ تولاها في ذلك العام حسن باشا أحد المماليك ، ووالي شهرزور الجديد . وبتعيينه والياً على بغداد عام ١١٧٨ م / ١١٩٢ هـ ، غدت الموصل – ولأول مرة أيضاً خلال العهد المذكور – تابعة لولاية بغداد وعلى الرغم من أن هذه التبعية كانت خارجية فقط ، إذ بقيت الإدارة الداخلية بيد متسلمين جليليين (٣) ، فان إلحاق الموصل بحكم حسن باشا ، كان يحمل في جوهره أمراً جديداً فعلاً ، وهو أن خطة « تعديل بلاد المشرق والعراق » قد

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٣ وغاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٣٢٥ .

(٢) المصدران السابقان . وديوان حسن عبد الباقي . ملحق (١) والدر المكنون ص ٦١٧ .

(٣) أنظر الفصل الثاني من الباب الأول (الحياة السياسية) .

أوكل تنفيذها إلى المماليك أنفسهم ، بدلاً من أن تكون خطة للقضاء عليهم (١

وكانت إعادة سليمان باشا الجليلي إلى ولاية الموصل في نفس السنة ثم عزل حسن باشا عن بغداد في العام التالي ، اعترافاً حقيقياً بفشل سيا ضم الولايات هذه ، وعودة الباب العالي إلى سياسته التقليدية في تعيين الجليل ولاة على الموصل وقد دام حكم سليمان باشا بالفعل سبع سنين متواصل تلاه بعدها واليان غريبان دام حكم كل منهما سنة واحدة (٢) . ومنذ نه القرن الثامن عشر وحتى نهاية عهد آل الجليلي في الثلث الأول من الق التالي ، كان حكم ولاة هذه الأسرة قد أخذ بالاستقرار التام ، فأصبح موافقة الباب العالي على تعيين أفراد جليليين في الحكم أمراً مألوفاً ذا ط شكلي . وإذا ما استثنينا فترة ولاية أحمد باشا بن بكر أفنــدي القصير وتأييد الباب العالي لموقف والي بغداد في التشبث بتعيينه عام ١٨٠٨ م / ٢٢٣ فان الموصل لم تشهد طيلة نصف قرن كامل أية محاولة خارجيــة تتح إرادتها المحلية في تعيين ولاتها ، بل يمكن القول بأن مساندة الباب ال لأحمد باشا بن بكر أفندي الموصلي ، كانت في حقيقتها اعترافاً ضمنياً لا سبيل إلى ضرب قوى محلية موصلية ، إلا بقوى محلية أخرى ، لا بت ولاة أغراب بدلاً منها .

---

(١) سنشير إلى هذه الناحية بتفصيل أكثر عند معالجة علاقة الم وارتباطاتها بولاية بغداد .

(٢) تنفرد السالنامة بذكر إسميهما ، وليس في المصادر المحلية ما ي توليهما حكم الموصل فعلياً .

الفصل الرابع

علاقات الموصل بولاية بغداد والامارات المجاورة

اولا : علاقات الموصل بولاية بغداد :

الموصل بين ارتباطها بالشام وبين ارتباطها بمحور بغداد :

يحسن بالباحث ، وهو يدرس علاقات الموصل وارتباطاتها الخارجية خلال عهد الولاة الجليليين ، أن لا يغفل تتبع الجذور التاريخية التي كانت تلعب دورها الهام في تحديد طبيعة علاقات الموصل الخاصة وارتباطاتها بولاية بغداد المجاورة .

ويلوح لنا ، أن العلاقة المتبادلة بين هاتين الولايتين الرئيسيتين ، هي أعقد بكثير من علاقة بغداد بأية ولاية أخرى من ولايات العراق ، نظراً للتميز الواضح الذي اتصفت به شخصية الموصل خلال عصور طويلة متعاقبة، باعتبارها قاعدة لبلاد الجزيرة التي تشكل اقليماً واحداً متكاملاً ، يمتد غرباً حتى يقرب من مدينة حلب . بمعنى أن الموصل كانت خارجة عن الحدود التقليدية لإقليم العراق ، الممتد شمالاً من عانة حتى حلوان (قرب خانقين الحالية) مروراً بتكريت .

على أن موقع الموصل الهام المسيطر على اقليم الجزيرة وطرقها ، من ناحية أخرى ، هدفاً مغرياً ضرورياً لكل الدول المتعاقبة في بغداد ، أساس أن أي ضم يلحق بمنطقة الموصل ، يكفـــل لتلك الدول ، وبث طبيعي ، السيطرة على مفتاح العراق الشمالي من جهة كما يحقق لهـــا للتأثير على القوى السياسية القائمة في أنحاء اقليم الجزيرة الأخرى ، وفي الشام بوجه عام .

وقد شهدت الموصل ، منذ نهاية العصر العباسي في القرن الثالث ع قيام كثير من الدول والإمارات التي كانت تمتد ناحية الجزيرة ، لا نا بغداد (١) . ورغم أن العراق العثماني ، عومل رسمياً منذ القرن السا عشر ، باعتباره مجموعة من الولايات المتساوية والمتوازنة سياسياً ، وجر - بالتالي - على توازن دقيق بين ولايتي بغداد والموصل ، إلا أن خض الولايتين إلى حكم عثماني موحد ، واستعادة بغـــداد لبعض مكانتها الـ باعتبارها مركز الثقـــل الحضاري في العراق ، خلق - بدوره - ظر سياسية وحضارية خاصة ، نشطت بالتدريج عملية تاريخية قديمة ، كانت توقفت منذ القرن الثالث عشر ، وهي محاولة بغداد ضم الموصل إلى محو وتقليص ارتباطاتها - بالتالي - بمحور الجزيرة وبلاد الشام .

ومنذ القرن السابع عشر بدأ دوران الموصل في فلك بغـــداد ي شكله المنتظم ، إلا أنه كان بعيداً - بعض الشيء - عن مركزه ، فبا الموصل محافظة على منزلتها الايالية على الرغم من توسع بغداد قد أدى اختزال أجزاء كبيرة من سناجقها ، وبقي ولاتهـــا يستمدون حكمهم

(١) أنظر التمهيد مبحث (الموصل قبل آل الجليلي) .

القسطنطينية مباشرة وكان من واجباتهم المشاركة في الحرب ضد الإيرانيين (١).

وجاءت الحروب الإيرانية - العثمانية في عهد حسن باشا (١٧٠٤ - ١٧٢٣م ١١١٦ - ١١٣٦ هـ) والي بغداد ، ومؤسس نظام المماليك ، بمضاعفات جديدة في هذا الصدد . فقد دفعت حاجة الباب العالي إلى وجود قوة واحدة في العراق لتستطيع مواجهة الخطر الإيراني ، إلى الإعتراف بسلطة حسن باشا غير الاعتيادية (٢) فامتد نفوذ ولاية بغداد منذ ذلك الحين إلى ما وراء ولاية الموصل ذاتها ، إذ ضمت اليها مدينتي ماردين ونصيبين ، وهما مفتاح طريق الموصل - حلب التاريخي ، فكان ذلك بداية جديدة لإضعاف روابط الموصل بامتدادها الغربي في بلاد الجزيرة والشام ، وجذبها إلى محور بغداد (٣) .

ومن ناحية أخرى ، فقد أخذ النظام السياسي في بغداد يشق - هو الآخر - طريقه الخاص في التطور ، فأرسى حسن باشا وابنه أحمد باشا بناء أول حكومة بغدادية قوية تكفل لها قواها الذاتية الدفاع عن العراق ضد الخطر الإيراني وتحرشات القبائل العربية والكردية المجاورة . ولم يجد حسن باشا وابنه نواة لإرساء تلك الحكومة سوى ما لجأت اليه الامبراطورية نفسها من قبل . فقد اضطر إلى جلب المماليك من نواحي الامبراطورية القاصية في القوقاز وجورجيا ، وتدريبهم وتثقيفهم على نحو يذكر بنظم

(١) أشرنا إلى تلك المساهمات العسكرية في التمهيد .

(٢) *Gibb , H . and Bowen : Islamicx Society and the west , 1 , i ,P . 217 .*

(٣) عبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص ١٤٣ .

المماليك القديمة في التاريخ الإسلامي : ليشكلوا - فيما بعد - طبقة ر
الجيش والحكم في حكومة بغداد . وكان حصر عناصر القوة في طبقة المما
هذه ، قد مكنها بشكل طبيعي من الاستحواذ على مقاليد الحكم والإدار
العراق مدة طويلة دامت أكثر من ثمانين عاماً ، تمتعت البلاد خلالها ب
بوضع سياسي أكثر استقراراً ، وأبعد عن تدخل السلطات العثمانية المر
حتى سقوط النظام بنهاية حكم والي بغداد الشهير داود باشا (١٨١٦ - ٨٣١
١٢٣٢ - ١٢٤٧ هـ) (١) .

لقد كان تأسيس نظام المماليك في العراق ، ضرورة ماسة لملء الفر
الناشيء من ضعف الإدارة المركزيـــة ، وهي نفس الضرورة التي د
- كما رأينا - إلى تأسيس نظام آل الجليلي الوراثي في الموصل ، فـ
طبيعياً إذن أن يؤدي تمتع كلتا الولايتين بنظام سياسي محلي مستقل في إد
شؤونه الداخلية ، مشابهاً في ظروف قيامه لظروف الآخر ، إلى استق
نسبي في علاقة الموصل السياسية ببغـــداد بغض النظر عن التذبذب المس
الذي تسببه عادة أمور اقليمية أو شخصية بحتة .

ورغم أن هذا الاستقرار فك ارتباط الموصل السياسي بإمتدادها الطبي
في الجزيرة وبلاد الشام ، إلا أن الموصل حافظت من الناحية الحضارية
علاقاتها التاريخية المتينة بتلك المناطق ، خالقة من تفاعل العلاقتين : السيا
والحضارية مكونات شخصيتها المحلية المتميزة .

---

(١) عبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص ٢٣ - ٢٨ .

بيد أن استقرار ارتباط الموصل بمحور بغـــداد ، على النحو الذي ذكرناه ، كان من شأنه إفساح المجال لمحاولات ولاة بغداد المتعاقبين ضمها إلى ادارتهم المباشرة ، وبالتالي القضاء على إرادتها المحلية لذا فقد وجد ولاة الموصل من تأييد الباب العـــالي لخدماتهم في الدفاع عن الامبراطورية العثمانية وسيلة أساسية لحفظ كيان ولايتهم تجاه نمو سيادة بغداد المستمر ، ومحاولاتهم ضم العراق بأجمعه اليها . وكان هذا - في الوقت عينه — مدعاة لزيادة أهمية الموصل لدى الباب العالي باعتبارها المفتاح الاستراتيجي الوحيد لإقليم العراق ، ومركزاً لمراقبة ولاة المماليك في العراق في محاولاتهم للتوسع والإستقلال .

إن عدم وضوح الإرادة السياسية للقوى المحلية في العراق قبل نهاية الثلث الأول من القرن الثامن عشر جعلت من الصعب على الباحث أن يتتبع سير « العلاقات » أصلاً ، طالما كانت تلك القوى تخضع لسلطة الدولة العثمانية المركزية مباشرة دون أن يكون لها نصيب واضح في التأثـــير على مقدراتها السياسية .

سياسة مماليك بغداد ازاء الموصل :

وقد شهدت أواسط القرن الثامن عشر تشكيل أول علاقة ذاتية بين ولايتي الموصل وبغداد ، في عهد والييها الشهيرين الحاج حسين باشا الجليلي وأحمد باشا بن حسن باشا فرغم تعاون الواليين في صد الحملات الإيرانية وتأليفهما الحملات للتوغل في ايران مراراً ، فان ذكريات النضال المشترك لم تمنع من توتر العلاقات بين الطرفين لتتحول إلى « محاورة ومخاصمة

على البعد » (١) وعمد أحمد باشا إلى التحرش بأراضي ولاية الموصل ففي مفتتح ولاية الحاج حسين باشا الثالثة (١٧٣٣ م / ١١٤٦ هـ) بعث والي بغداد عساكره بقيادة أحمد آغا كتخداه « فعبروا الزاب ، ونهبوا قرايا اليزيدية من أعمال الموصل ، فتبعهم والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي واستولى على ما نهبوه وأعاده إلى الرعية » (٢) . وفي مفتتح ولاية حسين باشا الرابعة (١٧٣٨ م / ١١٥١ هـ) أرسل أحمد باشا سرية بقيادة كنج محمد أغا ، أحد أتباعه ، فأغار « على نساء الموصل العوا وعادوا » (٣) .

ولما لم يكن ثمة بد من الصلح بعد أن « آل الأمر إلى الفساد خاصة وأن أنباء عن تحشدات ايرانية كانت تتوارد دون انقطاع ، فقد أدرك الحاج حسين باشا عام ١٧٤١ / ١١٥٤ هـ ضرورة عودة التعاون بين الولايتين لمواجهة الأخطار المتوقعة « فسار إلى بغداد ، واجتمع مع الوزير أحمد باشا وتجدد الصلح بينهما ، وعاد مكرماً » والظاهر أن الخلاف نشب بين الطرفين مرة أخرى . ففي عام ١٧٤٤ — أي بعيد حصار نادر شاه الشهير — أرسل الحاج حسين باشا ابنه وكتخداه مراد باشا إلى بغداد ليعقد الصلح مع واليها ، فأكرمه أحمد باشا ، وكان مدة اقامته في بغداد كل يوم يهب شيئاً » (٤) .

---

(١) ياسين العمري : غاية المرام ص ٢٢٣ .

(٢) غاية المرام ١٨٠ .

(٣) الدر المكنون ص ٥٩١ وغاية المرام ص ١٨١ .

(٤) غاية المرام ص ٣٢٤ ومختصر المستفاد من تاريخ بغداد ص ٢٨٥ (مخطوط) .

ويقف سليمان باشا والي بغداد المملوك ، وصهر الوالي الأسبق أحمد باشا (١٧٤٨ - ١٧٦١ م / ١١٦٢ - ١١٧٥ هـ) نموذجاً لسياسة المماليك إزاء ولاة الموصل الجليليين ، فهو من ناحية مبدئية « يخامره دوماً بعض الخوف من آل عبد الجليل » (١) لكنه من نواح أخرى ، لا يدخـــر وسعاً في استغلال كل الفرص الممكنة للتدخل في شؤون ولاية الموصل الداخلية من ذلك أنه عندما نشبت الفتنة في الموصل عام ١٧٥٧ م / ١١٧١ هـ بسبب تأييد عبد الفتاح بك (باشا فيما بعد) وحزبه للوالي الدخيل رجب باشا ، نكاية بأسرة أمين باشا الجليلي ، وجد والي بغداد سليمان باشا فرصته الذهبية في التدخل ، فأعلن تأييده لموقف عبد الفتاح والوالي الجديد ، بل أنه أرسل رسوله يحمل أمراً سرياً بجز رؤوس أتباع أمين باشا من الينكجرية ، إلا أن اصرار الأخيرين على تأييدهم لأمين ، وتمسكهم بزعامة بيته ، أدى إلى فشل محاولة سليمان باشا تماماً ولم يكن لتهديداته أي أثر ملموس (٢) .

ولما كان سليمان باشا يرحب بكل وسيلة يمكنه بها إثبات أهميته لولاة الموصل فقد وافق على تأييد موقف أمين باشا نفسه عندما طلب منه عام ١٧٥٨ م / ١١٧٢ هـ ، مساعدته في التوسط لدى سلطات القسطنطينية بشأن تسوية بعض المسائل المالية (٣) .

ولم يعدم كل فريق أنصاراً ومؤيدين لدى البـــاب العالي ، يؤيدونه لدى السلطات العثمانية المركزية ، ويعملون على توجيه رغبات رجال البلاط

(١) مذكرات دومنيكو لانزا ص ٤٢ و ص ٦١ .

(٢) مذكرات لانزا ص ٥١ .

(٣) مذكرات لانزا ص ٥٤

بما يتفق مع مصالحه . لذا فقد كان أي اختلاف بين ولاة هاتين الولاية الرئيسيتين يجد صداه لدى الباب العالي بواسطة أتباعهم هناك ، من ذل أن عمر باشا والي بغداد المملوك (١٧٦٣ – ١٧٧٥ م / ١١٧٧ – ١١٨٩ ه انتهز فرصة احتياج الدولة العثمانية للقادة العسكريين أثناء حربها ضد روء عام ١٧٦٧ فسعى إلى ترشيح خصمه أمين باشا للمشاركة في تلك الحرب (١

واقتداءاً بسياسة والي بغداد الأسبق سليمان باشا ، حاد عمر باشا إ التزام جانب عبد الفتاح الجليلي كوسيلة لضرب زعامة آل أمين باشا الجل التي كانت قد استقطبت أكثر القوى المحلية الموصلية ، ولم يكتف عمر بس ضد أمين باشا وتسببه في نقله ، بل عمل على تسليم مقاليد الولاية بعده إ صديقه عبد الفتاح بترشيحه للمنصب لدى الباب العالي ، « فأنعم ع السلطان ، وجعله بكلربكي ، وولاه الموصل » (٢) . ولم يمكث الوا الجليلي الجديد سوى شهور قليلة حتى كلف بمهمة عسكرية في بلاد الش فبدا لوالي بغداد أنه حقق هدفه ، ولو إلى حين (٣) .

دور الجليليين في الحد من سيطرة بغداد :

على أن صراع الإرادات لم يكن لينتهي عند هذا الحد . فقد أد تدهور العلاقات العثمانية – الإيرانية ، وتزايد سيطرة المماليك على مقاليـ الحكم في العراق ، وفرضهم رغباتهم على الدولة ذاتها ، إلى تدهور سر

(١) مذكرات لانزا ص ٦٥ .

(٢) غاية المرام ص ١٨٥ ومختصر المستفاد ص ٣٨٥ (مخطوط) ؛

(٣) وقد تولى بعد عبد الفتاح باشا سليمان باشا بن أمين باشا .

في أسهم عمر باشا لدى الباب العالي باعتباره سبباً مباشراً في اساءة العلاقات مع ايران . وكان أن إلتفتت السلطات العثمانية – بالمقابل – إلى الموصل لتتولى الحد من نفوذ عمر باشا المتزايد في المنطقة ، فعينت سليمان باشا ابن أمين باشا والياً على الموصل عام ١٧٧١ م / ١١٨٥ ﻫ (١) . وزاد موقف عمر باشا سوءاً عندما أعيد خصمه أمين باشا الجليلي إلى الموصل – بعد إطلاق سراحه من الأسر في روسيا – ونقل ابنه سليمان باشا إلى ولاية شهرزور المجاورة (٢) . وكان معنى ذلك أن الدولة لم تعد راغبة في الإبقاء على نفوذ عمر باشا في المنطقة الشمالية ، وخاصة في طريق شهرزور الحيوي وبانت أولى بوادر التحرك الجديد فور استلام سليمان باشا الجليلي مهام منصبه كوال على شهرزور ، إذ أطلق سراح أغا ينكجرية بغداد أحمد أغا الأورفهلي وكان عمر باشا قد سجنه في قلعة كركوك مركز الولاية . ولم يكتف سليمان باشا بإطلاق سراحه فقط ، بل « سيره إلى اسلامبول مكرماً » (٣) مما أكد وجود نوع من التفاهم بينه وبين سلطات الباب العالي .

وزاد تدافع الأحداث العامة في المنطقة من أهمية الدور الذي أوكل لولاة الموصل تنفيذه . ففي تلك الأثناء من عام ١٧٧٥ م / ١١٨٩ ﻫ كانت العلاقات الإيرانية – العثمانية قد وصلت إلى أدنى درجة من التدهور ، إذ

---

(١) منية الأدباء ص١٨٧ وزبدة الاثار الجلية ص٢٣ (مخطوط) والدر المكنون ص٦١٨ (مخطوط) . ومجموعة التواريخ في مدح الوزراء من بني عبد الجليل ص ١٢٥ و ١٥٢ و ١٦٥ (مخطوط) .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ٢٣ (مخطوط) .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٢٤ .

حاصرت جيوش كريم خان الزندي البصرة وأتمت تطويقها في نفس السنة (١
في الوقت الذي كانت فيه حملة ايرانية ثانية قد عبرت الحدود متوغلة
أراضي الإمارة البابانية ، باتجاه عاصمتها « قلاجولان » ، فأصبح موقف
العراق العسكري بالغ الخطورة ، مما اضطر عمر باشا إلى طلب مساعدة الدو
العثمانية . ولما كانت هذه الدولة قد فقدت ثقتها بنظام المماليك في بغداد
فقد بعثت (وهبي أفندي سنبل زاده) سفيراً لها إلى البلاط الإيراني لاستجلا
حقيقة الموقف وإنهاء حالة الحرب (٢) .

ورغم أن تقرير السفير – الذي وضعه بالتعاون مع والي بغداد
جاء مؤيداً لوجهة نظر الأخير في ضرورة اعلان الحرب على ايران ، ف
الباب العالي لم يكتف بما جاء فيه (٣) ، بل طلب تقارير أخرى من محا
مدينة قارص الوزير أحمد عزت باشا ، ووالي شهرزور سليمان باشا الجا
عن الموضوع نفسه .

ولم يكن أحسن من هذه الفرصة أمام الجليليين ، لضرب زعامة
باشا وللتخلص من سعيه الدائب ضدهم ، فرفع سليمان باشا الجليلي تقر

(١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ١٥٢ وتاريخ جودت ج ٢ ص
و ...ude, A.: A Vouage up the persian Gulf, p. 281.
(٢) تاريخ جودت ج ٢ ص ٤٢ .
(٣) وقد جاء في ذلك التقرير أن حملة إيرانية بقيادة صادق خان
طوقت البصرة ، وأن حملة أخرى توغلت في أراضي « درنه ، مهروت ، من
بدرة » من أعمال بغداد ، وأن هناك حملة ثالثة تتوغل في كردستان متجهة
كركوك .

مطولاً أعده بالتعاون مع والده أمين باشا في الموصل ، وضع فيه مسؤولية الحرب على عاتق والي بغداد وحده . وكان أهم ما ورد في هذا التقرير الهام ما يلي :

١ – إن عمر باشا مسؤول عن اضطهاد الإيرانيين الذين يفدون إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة عن طريق كرمنشاه – درنه ، وأنه لم يأبه لشكاوى كريم خان بهذا الشأن .

٢ – استحوذ عمر باشا على أموال سبعمائة أسرة ايرانيـــة في كربلاء والبصرة بعد أن قضى وباء الطاعون عليها ، دون أن يهتم بوساطة كريم‌خان بصدد تسليم الأموال إلى وارثيها الشرعيين .

٣ – تحريض القبائل الكردية في امارة بابان على مقاومة أي حركة ترمي إلى اعادة محمد باشا البابانى إلى الحكم ، في حين كان عمر باشا قد قبل وساطة كريم خان حول إعادته إلى امارته ، وقبض مبلغاً كبـــيراً من المال كرشوة في سبيل تحقيق ذلك (١) .

ويبدو أن هذا التقرير لم يكن سوى الحجة الرسمية التي اتخذتها الدولة مبرراً للعمل ضد عمر باشا والقضاء على نظام المماليك برمته . فقد مر بنا (٢) أن السلطان عبد الحميد الأول سبق وأن خول أمين باشا الجليلي – أثنـــاء

(١) تاريخ جودت ج ٢ ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢) عند الحديث عن علاقات الموصل وارتباطاتها بالبـــاب العالي في الفصل الثالث من الباب الأول .

قدوم الأخير للقسطنطينية عام ١٧٧٥ م / ١١٨٩ هـ تنفيذ خطته في القض على ذلك النظام بدعوى « اصلاح بلاد الشرق والعراق » (١) .

وفي عام ١٧٧٥ م ١١٨٩ هـ نفسه ، ابتدىء في تنفيذ الخطة باتقـ وتكتم شديدين ، فوصل بغداد والي ديار بكر الوزير أوزون عبد الله بـ وبمعيته ٣٠٠٠ جندي ، كما جـاء أيضاً الوزير مصطفى باشا الاسبيناقجي بصحبته الميرميران عبدي باشا ، وتحت امرتهما زهاء ٢٠٠٠ من الجنود : وصل والي شهرزور سليمان باشا الجليلي ومعه ما يقرب من ١٠٠٠ جند وعسكر الجميع بالقرب من بغداد ، معلنين أن هدف قدومهم اليها ، التوجه إلى البصرة لانقاذها من الحصار الايراني (٢) .

وبعد بضعة أيام من التلكؤ في تنفيذ الهدف المعلن ، ورد الأمر بـ عمر باشا باعتباره المسبب لهذه الفوضى والإضطرابات ، وعهد بولايتي بغـ والبصرة إلى أمين باشا الجليلي (وكان لا يزال بالموصل بسبب مرضه) وولايتي الموصل وشهرزور إلى ولده سليمان باشا (٣) . وبهذا تم لآل الجـ الامساك بمقاليد السلطة في العراق بأكمله (٤) .

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٥ (مخطوط) .

(٢) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ١٥٢ والعزاوي : العراق احتلالين ج٦ ص ٥٤ . ويذكر ياسين العمري أن أمين باشا أرسل أ أسعد بك بن الحاج حسين باشا على رأس ألف من الجند (غاية المرام ص ١ والدر المكنون ص ٦٢٤) .

(٣) دوحة الوزراء ص ١٥٣ .

(٤) وهي أول مرة يتولى فيها ـ رسمياً ـ وآل جليلي ولاية بغداد .

بيد أن وفاة أمين باشا السريعة في الموصل في نفس السنة ، حالت دون ممارسته مهام منصبه ، بتطهير العراق من حكم المماليك ، فأنيطت هذه المهمة بالوزير مصطفى باشا الاسبيناقجي ، الذي عين – بدلاً منه – والياً على بغداد والبصرة (١) .

تذبذب سياسة الباب العالي إزاء مشاكل العراق :

وسرعان ما لقيت خطة « الاصلاح » هذه الفشل الذريع . حقيقة أن عمر باشا امتثل لأمر عزله دون أية مقاومة ، وأن الاسبيناقجي تمكن من قتله رغم ذلك (٢) ، إلا أن التخلص من والي بغداد ، لم يقض على سلطة المماليك فيها ، كما أنه لم يؤد إلى أنسحاب الجيوش الايرانية من البصرة . ومن ناحيه أخرى ، آثار مقتل عمر باشا موجة من التذمر داخل العراق وخارجه . فانتقد والي طرابزون – في تقرير كتبه عام ١٧٧٦ م / ١١٩٠ هـ – قيام الدولة بقتل أحد ولاتها المخلصين ، وأبدى دهشته من تصديق الباب العالي لبيانات تقدم بها مبغضو ذلك الوالي ومنافسوه (٣) .

---

(١) دوحة الوزراء ص ١٥٢ وغاية المرام ص ١٨٦ وتاريخ المماليك الكوله مند ص ٢٧ .

(٢) دوحة الوزراء ص ١٥٣ وكوك ، ريتشارد : بغداد مدينة السلام ج ٢ ص ٩٦ .

و *Longrigg . S . : Four Centusies , p . 181 .*

(٣) العزاوي : العراق بين إحتلالين ج٦ ص٥٨ عن مخطوطتين لتقرير الحاج علي باشا والي طرابزون ، أقدمها بخط إبنه الحافظ عبد السلام عام١٧٧٧ .

أما في بغداد ذاتها ، فقد أثار عزل عمر باشا ، ومحاولات الاسبيناقج المكشوفة لضرب المماليك ، مع عجزه عن الدفاع عن البصرة ، تذمر الكث من القوى المحلية في الولاية وهاجم المؤرخ البغدادي سليمان فائق (و من المماليك) موقف ولاة الموصل وشهرزور المناويء لعمر باشا ، وانت الباب العالي لركونه إلى بياناتهم المشحونة ضده ، « وذلك بسبب الجو الذي يثير الحسد والبغضاء » (١) .

ونستشف من الحوادث التالية مدى ما أصاب سياسة الباب العالي تغير بشأن معالجته لمشاكل العراق . فبعد عزل مصطفى باشا الاسبيناق ومقتله عام ١٧٧٦ م / ١١٩٠ هـ نتيجة فشله الذريع وسقوط البصرة (٢ جيء بمتسلم ماردين المملوك حسن باشا ليتولى ولايـة شهرزور بدلاً سليمان باشا ، الذي نقل آنذاك إلى ولاية الموصل (بعد وفاة والده أ باشا) وفي العام التالي ١٧٧٧ م / ١١٩١ هـ ، عزل سليمان باشا من المو نفسها لتضاف من بعده إلى ولاية شهرزور ، تحت حكم واليها حسن وبتعيين حسن المذكور والياً على بغداد عام ١٧٧٨ م / ١١٩٢ هـ ، خ العراق برمته إلى حكمه وكان معنى هـذا أن ميزان القوى بين المو وبغداد انقلب لصالح الأخيرة تماماً .

وتبين لنا دراسة الحياة السياسية للموصل في خـلال السنتين ا خضعت فيها رسمياً لحكم حسن باشا ، عن عنف محاولاتها للتملص من ة

---

(١) سليمان فائق : تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد ص ٢٦ .
(٢) نفس المصدر السابق .

هذا الوالي المملوك (١) وكثيراً ما كان لتأييد الباب العالي لحسن باشا أثره في احباط تلك المحاولات . ففي عام ١٧٧٨ م « أكثر الشكاية والي بغداد حسن باشا على سليمان باشا الجليلي ، فأرسل السلطان قابجي (٢) يوسف آغا واستولى على بعض حلال سليمان باشا وأرسلها إلى بغداد » (٣) .

على أن ثقة كبيرة تمنح بهذه السرعة ، كان لابد أن تنتهي بمثل ذلك فان عجز حسن باشا — هو أيضاً — عن معالجة الموقف المتدهور في بغداد وثورة الأهالي والينكجرية ضده علناً ، أدى إلى قيام الباب العالي باسناد منصب ولاية بغداد وشهرزور إلى والي البصرة ، وبطل صمودها قبل سقوطها بيد الايرانيين (٤) ، الا وهو سليمان باشا الملقب بالكبير . وكدليل على إعادة الباب العالي مراجعة حساباته بهذا الشأن ، فقد أعيد سليمان باشا الجليلي والياً على الموصل ، ثم عين بمنصب محافظ بغداد ، لتولي أمورها لحين وصول واليها الجديد (٥) .

(١) شرحنا أوضاعها الداخلية لهذه الفترة في فصل (الحياة السياسية) .

(٢) القابجي ، أو القابجي باشي ، هو الموظف الموكل إليه مصادرة الأموال .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٧٩ (مخطوط) .

(٤) وكان صادق خان الايراني قد عينه والياً على البصرة ، إثر إنسحابه بجيشه منها نتيجة موت كريم خان الزندي في إيران ، وعدم تحقيق خطة غزو العراق كاملة ، وضغط القبائل العربية على الحامية الايرانية .

(٥) دوحة الوزراء ص ١٧٠ ويصف الشاعر البغدادي حسين بن علي العشاري مجريات الامور في بغداد في ذلك الظرف الدقيق في قصيدة مدح فيها سليمان باشا الجليلي (ديوان العشارى مخطوط) .

تحسن العلاقات بين المماليك وآل الجليلي :

وسجلت ولاية سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ – ١٨٠٢ م / ١١٩٤ – ٢١٧ تحسناً ملحوظاً في علاقات المماليك بولاة الموصل الجليليين ولاشك أن ذ باشا الجليلي ، معاصره (١٧٨٩ – ١٨٠٦ م / ١٢٠٤ – ١٢٢١ هـ) د كبيراً في تحسن تلك العلاقات ، بما عرف عنه من مهارة دبلوماسية و وميل إلى السلم والاستقرار (١) ففي عام ١٧٩٤ م / ١٢٠٩ هـ لم يأ من ارسال عدة رؤوس بشرية إلى بغداد ، كان قد قتل أصحابها أثنـ احدى الغارات على جبـــل سنجار ، اظهاراً لتودده واحترامه (٢) و بنفسه في العام التالي (١٧٩٥ م / ١٢١٠ هـ) إلى بغداد حامـــلاً « هدية سنية » « فقابله (واليها) بالإكرام وعاد » (٣) . وفضلاً ذلك ، لم يتردد في المساهمة في تجهيز حملات والي بغداد العسكرية با والذخائر . فعندما طلب منه الأخير الذخائر والأسلحة ، أرسل إليه : باشا « ثلثمائة طغار بغدادي (٤) حنطة ، ودقيقاً » (٥) ، وكثيراً ماسا

---

(١) ivier , G . : *Voyage dans l' Empire Ottoman,* , P . 360 .

(٢) ياسين العمري : غرائب الأثر ص ٣٥ .

(٣) غاية المرام ص ١٩٣ والدر المكنون ص ٦٤٨ (مخطوط) .

(٤) الطغار (أو التغار) البغدادي : إسم لثقل لازال مستعملا العراق حتى اليوم ، ويزن نحو ألفي كيلوجرام ، إلا أنه كان في السابق أقل مما هو عليه الآن ، فقد غير ثقله كثيراً ككثير من الأوزان الأخرى .

(٥) غرائب الأثر ص ٢٤ .

في فرض سلطة بغداد على المناطق القاصية ، كماردين ونصيبين (١) ، مما دفع المؤرخ البغدادي سليمان فائق إلى الاعتقاد بأن سليمان باشا الكبير ضم اليه الموصل وما يليهـا ، وقال « وكان الولاة في الموصل تحت ادارته واشرافه » (٢) . وفي الحقيقة ، مكنت تنازلات سياسية كهذه محمد باشا الجليلي من الحصول على مكاسب اقتصادية لا تقل أهمية . فقد أدى استتباب السلم بين الولايتين إلى انخفاض كبير في حوادث قطع الطرق وأدى ذلك بالتالي إلى نشاط سريع للحركة التجارية في ولاية الموصل وزيادة كبيرة في ثرواتها ورخائها (٣) .

واستمرت تلك العلاقات الطيبة في عهد والي بغداد الجديد علي باشا (١٨٠٢ - ١٨٠٧ م / ١٢١٧ - ١٢٢٢ هـ) . فقد نجح محمد باشا في كسب ثقته تماماً ، محققاً من وراء ذلك مكاسب هامة ، منها أنه استطاع اقناع علي باشا بأن صحته لا تمكنه من المشاركة في الحروب الوهابية ، ونجحت « شفاعته » لديه بتجنيب ٤٠٠٠ موصلي ويلات المساهمة في تلك الحروب ، مغرياً إياه بالمال بدل الجنود ولم تكن مساهمته العسكرية أخيراً إلا بأقل من ربع عدد الجند المطلوبين (٤) ، كما تمكن أيضاً من قطـع

(١) غرائب الأثر ص ٢٤ .

(٢) مرآة الزوراء في أخبار الوزراء ص ٣٩ .

(٣) Olivier , G . : OP . Cit , 11 , P . 358 .

(٤) في غرائب الأثر ص ٦٨ إن علي باشا والي بغداد أرسل سرية من أهل الموصل تقدر بثلثمائة رجل أمرهم بمحافظة البصرة ، وأمر الباقين ، وهم في حدود خمسمائة مقاتل بالعودة إلى الموصل وذلك من أصل المساعدة العسكرية التي قدمها إليه محمد باشا الجليلي سنة ١٢٢٠ وقدرها ثمانمائة=

المساعدة التي تقدمها الموصل لبغداد على شكل كميات ضخمة من الحنطة والشعير ، لقاء ارضاء والي بغداد بالمال بدلاً عنها (١) . ولم يمتنع الوالي الجليلي من المشاركة في حملات علي باشا قصيرة الأمد ، فلبى عام ١٨٠٥ م ١٢٢٠ هـ طلباً تقدم به الأخير للمساهمة في تأديب عبد الرحمن باشا البابانى (٢) وأرسل له « أكثر من ألف مقاتل من ينكجرية وزعماء وقبائل ودالاتية » (٣) وفي العام التالي كانت مساهمة الموصل بزهاء نصف ذلك العدد (٤) . لذا فقد كان من المتوقع أن يؤيد والي بغداد - من جهته - مطالب الموصليين السياسية لدى الباب العالي ، فعندما توفي محمد باشا الجليلي عام ١٨٠٦ م/١٢٢١هـ سارع علي باشا بتأييد اختيار ولده محمود بك من قبل « أعيان الموصل » ليكون متسلماً للولاية بعد أبيه (٥) .

محاولة بغداد مد نفوذها إلى الموصل :

بيد أن مصرع علي باشا عام ١٨٠٧ م / ١٢٢٢ هـ أنهى حالة الهدوء والتفاهم التي سادت علاقات الولايتين أكثر من ثلث قرن . فقد انتهز

= مقاتل . وفي الدر المكنون ص ٦٦٧ (مخطوط) إن محمد باشا كان قد أرسل من الموصل سنة ١٢١٧ سرية عدد أفرادها ٢٥٠ رجلاً من أهل الموصل لمحافظة مشهد الامام علي (ع) بالنجف من هجمات الوهابيين .

(١) غرائب الأثر ص ٦٩ .

(٢) غرائب الأثر ص ٦٩ .

(٣) غرائب الأثر ص ٧١ .

(٤) غرائب الأثر ص ٧٢ .

(٥) غرائب الاثر ص٧٢ .

الوالي الجديد سليمان باشا الصغير فرصة اعتزال والي الموصل نعمـــان باشا الجليلي الحكم عام ١٨٠٨ م / ١٢٢٣ هـ فتدخل في تنحية ابنه يحيى بك عن تسلم الحكم ، و « جاء الأمر من بغداد أن يتسلم البلد أخو الوالي الحاج عثمان بك » (١) . ولم يكن هذا التدخل – في الواقع – الا بداية تدخل أقوى وأعمق ، ومحاولة جديدة من قبل مماليك بغداد للسيطرة على ولاية الموصل . ففي عام ١٨٠٩ م / ١٢٢٤ هـ سعى والي بغداد سليمان باشا الصغير لاسناد الحكم لأول وال موصلي غير جليلي ، هو أحمد باشا بن بكر أفندي كتخدا ولاة الموصل ورئيس ديوان انشائهـــا ، وذلك « لبغضه وحسده لآل عبد الجليل » (٢) وكان والي بغداد – على حد تعبير ياسين العمري – « يعاديهم طمعاً في ملك الموصل لنفسه » (٣) ، بمعنى أن تأييده لأحمد باشا لم يكن إلا تمهيداً لضم الموصل نهائياً إلى بغداد .

وفي الوقت الذي كان فيه وفد جليلي (٤) يحاول ثني سليمان الصغير عن عزمه ، كان أحمد باشا في بغداد « قد جمع له أتباعاً وأعواناً أضداداً » (٥) وفي آذار ١٨٠٩ م / (محرم ١٢٢٤ هـ وصل أحمد باشا إلى الموصل ، فشرع في التنكيل بوجوه الجليليين في المدينة ، « واستولى على بعض مالهم

(١) غرائب الاثر ص ٨٣ .

(٢) ياسين العمري : السيف المهند ص٣٥ (مخطوط) وغرائب الاثر ٨٤ .

(٣) غرائب الاثر ص٨٤ .

(٤) يتكون من ١ ـ سعد الله بك بن الحاج حسين باشا ٢ ـ حسن بك أخوه ٣ ـ محمود بن محمد باشا الجليلي .

(٥) غرائب الاثر ص٨٦ .

من الأملاك ، ثم شرع يهدم من الدكاكين في الاسواق » (١) وفي الأيام القليلة التالية شرع والي بغداد في تنفيذ الجـزء الأخر من خطته ، وهو الالتفاف بقوات ضخمة من وراء الموصل ، والسيطرة على منطقة حوض نهر دجلة لمساندة موقف أحمد باشا الدقيق والمساهمة الفعالة في انهاء سلطة الجليليين في ولاية الموصل :

وبناءً على أوامر صادرة من بغداد ، تجمعت في ماردين قوات كثيفة من كوي واربل ومندلي وزهاو كركوك وتكريت مع قبائل عربية قوية ، ثم تبعهم سليمان الصغير نفسه « بعساكر تسد الفضاء » (٢) ، وفي معيته بعض الجليليين الذين كانوا آنذاك ببغداد . ولما لم يكن ثمـة هدف معلن لهذه الحشود الضخمة ، فقد انتشر الجميع في المناطق المجاورة للموصل من جهة الغرب ، حيث دمرت كثير من القرى والحقول . وفي نفس الوقت وصل والي الموصل الجديد أحمد باشا بقوات جمعها من ينكجرية المدينـة وسباهيتها (٣) ، بينهم كثير من الجليليين الذين أكرهوا على الخروج ، فشارك مع قوات بغداد في عمليات نهب واسعة النطاق امتدت حتى أطراف ديار بكر . وباتفاق تام بين الواليين ، عاد أحمد باشا إلى الموصل ، في حين مكث سليمان الصغير خارج أسوار المدينة لمساندته بقواته (٤) .

---

(١) غرائب الاثر ص٨٦ :

(٢) غرائب الاثر ص٨٧ :

(٣) السباهية : هم الفرسان الاقطاعيون . انظر الفصل الأول من الباب الثاني .

(٤) ابن سند : مطالع السعود ص١٩٦ ـ ١٩٧ (مخطوط) .

على أن تطور الموقف الدقيق لم يكن في صالح الاثنين ، فقد اضطر سليمان باشا إلى الابتعاد عن مسرح الأحداث أثر نشوب الثورة في الموصل بزعامة الجليليين وتأييد أغلب أورطات الينكجرية لهم ، فبات موقف أحمد باشا أكثر دقة وحراجة ، إذ تفرق عنه أعوانه وحاصر الثوار قصره ، ولم يجد أمامه أخيراً سوى انقاذ حياته باللجوء إلى معسكر والي بغداد . وبتشجيع من الأخير ، أو بأمر منه ، صمم أحمد باشا على خوض جولته الثانية ، فعسكر في قلعة « كشاف » على الزاب عند الحدود الجنوبية لولاية الموصل وجمع حوله قوات مختلفة من قبائل العرب والأكراد ، ومن حامية اربيل ثم التحقت به حامية العمادية فاتجه بهذه القوات نحو الموصل ، عابراً نهر الزاب ، وحاصر المدينة ، واعتدى على القرى المجاورة لها (١) .

وفي آخر ذلك العام الحافل ، اصطدمت قلة من الخيالة الموصليين بقيادة الحاج عثمان بك الجليلي وأولاد عمه ، بجيش أحمد باشا (٢) ، والي

(١) لا يذكر المؤرخ الموصلي ياسين العمري (غرائب الاثر ص٩٢) شيئاً عن حصار أحمد باشا للموصل أو تخريبه قراها ، وانما يكتفي بالقول بانه « عزم على نهب قرى الموصل » ، في حين تذهب الرواية البغدادية الى أن أحمد باشا حاصر بجيش كثيف مدينة الموصل « وشدد حصارها» (دوحة الوزراء ص٢٤٧) .

(٢) يشير صاحب غرائب الاثر الى ان قوات الموصل لم تكن تتجاوز ٣٠٠ فارس ، ولا يشير بشيء عن عدد أتباع أحمد باشا ، في حين ينوه صاحب دوحة الوزراء بضخامة جيش احمد باشا ، وتشكيله من مختلف أصناف الجند والحاميات ، بلغ عدد جنود العمادية منهم فقط زهاء ٣٠٠٠ مقاتل فرسانا ومشاة .

الموصل الإسمي ، فلم تكن نتيجة المعركة في صالحهم أول الأمر ، إذ أسر عثمان بك نفسه ، إلا أن مصرع أحمد باشا المفاجيء أنهى المعركة على نحو غير متوقع ، فأسدل الستار بذلك على أعنف الفصول في تاريخ العلاقات بين الولايتين المتجاورتين (١) .

ولم يخل العام التالي من محاولات قام بها والي بغداد للتحرش بأراضي ولاية الموصل . فعلى أثر توارد أنباء قتل أحمد باشا ومصادرة أمواله ، إلى بغداد ، أرسل سليمان باشا الصغير أخاه أحمد بك المعروف بسوت قره داشي (أي أخوه من الرضاع) على رأس فرقــة من العسكر ، فعبر الزاب وجمع حوله بعض قبائل المنطقة ، « ونزل في قرى الموصل ، وملك نحو عشرة قرى للزعماء ولآل عبد الجليل ، وادعى أنها تابعة لبغداد ، وقيل لأربيل ، ثم جعل يصادر عامة قرى الموصل ويأخذ منهم النقود والذخائر » (٢) ولم ينه هذه الفوضى سوى اتفاق الجليليين مع والي بغداد على اعطائه مبلغاً كبيراً من المال يبلغ ٢٠٠ كيس ، على أن تتبع بمثلها حال توجيه الحـ... إلى متسلم الموصل أسعد بك الجليلي ، وبهذا فقط تم التوصل إلى حد ما من السلم والاستقرار (٣) .

---

(١) ياسين العمري : السيف المهند ص٣٦ ـ ٣٧ (مخطوط) .
و *Longrigg ; S : Four Centuries ; P. 225* .

(٢) غرائب الاثر ص٩٥ ويذكر المؤرخ البغدادي رسول حا... الكركوكلي أن حركة سليمان باشا هذه كانت بأمر من الدولة العثمانية . ... شك أن في الأحداث التالية ماينفي صحة هذه الرواية (دوحة الوزراء ص٤٧

(٣) غرائب الأثر ص٩٥ .

دور الموصل في عزل سليمان باشا الصغير والي بغداد :

وجاء في السنة التالية (١٨١٠ م / ١٢٢٥ ﻫ) دور الموصل في تغيير ميزان القوى لصالحها . فقد ارتفعت عرائض الاحتجاج من ديار بكر وأورفه وماردين تطلب انصاف أهلها من أعمال سليمان باشا التعسفية وزاد الأمر سوءاً مماطلة الأخير في تسديد ما بقي في ذمته من مخلفات الوالي السابق . ولم يلبث أن جاء اقتراح سليمان باشا بتعيين أسعد بك الجليلي والياً على الموصل بعد مقتل أحمد باشا ، سبباً في اعادة الباب العالي دراسة موقفه من والي بغداد العنيد ، والتحقيق في أسباب ثورة الموصل ، فأقر أولاً مبدأ تعيين الولاة من آل الجليلي ، باعتبارهم الأقدر على تصريف أمورها واستعرض أسماء رجال هذه الأسرة ، فكان عددهم آنذاك ثمانية وعشرون رجلاً ، أبرزهم ثلاثة : أسعد بك ، وحسن بك ، ومحمود بك . وبعد دراسة أوضاع كل منهم ، تقرر تعيين محمود بك والياً على الموصل باعتباره حائزاً على الصفتين الضروريتين : المال والشجاعة (١) ثم تم استصدار أمر سري يقضي بعزل والي بغداد سليمان باشا ، وكلف رئيس الكتاب السابق محمد سعيد حالت أفندي (٢) بمعالجة الموقف في بغداد ، بعد منحه صلاحية مطلقة بتعيين من يقع عليه اختياره لشغل منصب الولاية فيها .

---

(١) تاريخ شاني زاده ج١ ص٣٤٢ ـ ٣٤٤ وجودت ج١٠ ص٩٢ .

(٢) من موظفي السلطان محمود الثاني الذين لعبوا دوراً هاماً في تاريخ العراق الحديث . فقد ساهم ، اضافة الى مساهمته في حوادث عزل سليمان باشا هذه ، بمهمات شتى ذات طابع سياسي ، منها أنه اشترك في عزل والي بغداد سعيد باشا عام ١٨١٦ . وقد اعدم في قونية عام ١٨٢٢ . =

وفي الموصل ، شرع المندوب العثماني في دراسة الأوضاع العامة ، وا
له شهود عيان أدلة متعددة ضد سليمان باشا الصغير ، ثم رحل إلى بغ
ذاتها لتقصي الحقائق عن كثب ، فمكث فيها تسعة أيام يتسمع الأخبار
واجتمع بواليها مرتين والظاهر أنه شعر بعجزه عن عزل سليمان باشا بالط
الاعتيادية ، فعاد إلى الموصل ليظهر للملأ أمر السلطان بعزل والي بغ
ومصادرة أمواله .

وكان تعاون حالت أفندي ووالي الموصل ، في الخطوات التالية :
وثيقاً ، فقد جمع محمود باشا الجليلي « الأعيان ، والقاضي ، والمفتي
والنقيب ، وزعماء وأمراء الينكجرية ، ورؤوس الأصناف ، والعشائر
والقبائل » وأعلمهم بنبأ عزل والي بغداد واضطلع بكتابة الرسائل
حكام الولايات والامارات المجاورة يطلب مساهمتهم في الحملة التي ستخ
لتنفيذ أمر العزل بالقوة (١) .

ثم شرع حالت أفندي باستمالة أعيان بغداد ذاتها إلى صفه . فان
اليه فريق منهم ، وشعر والي بغداد بما يدبر ضده ، فاستدعى بعض القوا
القبلية الموالية له في ماردين . ولم تكد هذه القوات تصل بغداد حتى
خبر العزل قد انتشر في الموصل وأطرافها . وبتوجيه من حالت أفندي

= محمد ثريا : سجل عثماني ج٢ ص١٠٢ ، وسامي : قاموس أعلام .
ص١٩١٦ ، وجودت ج١٠ ص ١٢٨ ، وسليمان فائق : تاريخ المماليك الكو
منذ ص ٣٩ .

(١) غرائب الاثر ص ١٠٧ ، وتاريخ السليمانية ص ١١٦ ـ ١٧
ومختصر مطالع السعود ص ١١٢

خرجت من الموصل في (آب ۱۸۱۰ م / رجب ١٢٢٥ هـ) قوة كبيرة من الينكجرية والقوات القبلية ، سرعان ما التحقت بها قوات أمير قبيلة طي ووالي السليمانية عبد الرحمن باشا البابانی ، وأمير زهاو ، وقبيلة الجاف الكردية .

وبينما كانت القوات في طريقها نحو بغـداد ، كان علي سليمان باشا الصغير أن يتحرك بسرعة لتلافي الموقف المتوقع ، فأخرج كتخداه فيض الله على رأس قوة عسكرية مزودة بالمدفعية ، ومعززة بمساندة قبيلتي بني خالد والجبور في محاولة لصد القوات الزاحفة .

وفي منطقة نهر ديالى شرق بغداد ، دارت بين الطرفين سلسلة من المعارك والمناوشات دامت بضعة أيام . وزاد من حراجة الموقف أن عصياناً مفاجئاً نشب بين ينكجرية بغداد ذاتها ، ضد واليها سليمان باشا . بيد أن سليمان استطاع الإمساك بزمام الموقف ، فقضى على العصاة ، وأخرج جميع الموصليين من المدينة وأضطهد بعضهم (١) ، وتمكن من حشد أكثر من ثلاثة آلاف جندي من اللاوند والتفنكجية والبراطلية (٢) للدفاع عن بغداد

(١) وقد بقي في بغداد بعض الموصليين الذين كانوا قد ربطوا مصيرهم بمصير واليها سليمان الصغير ، والظاهر أن أسباباً قوية كانت تدعو هؤلاء إلى إستغلال وجودهم في سراي الباشا ، للعمل ضد حكومة الموصل ، وكان أهمهم سليمان بك آل الفخري ، الذي تولى قيادة إحدى الفرق البغدادية تحت أمرة سليمان الصغير .

(٢) أسماء لفرق عسكرية محلية ، كان يترك أمر إعدادها لحكام الولايات ويعد اللاوند من المتطوعة ، وهم من عساكر الدرجة الثانيه ، أما التفنكجية فهم حملة البنادق ، وهم العسكر المسلح ، أما البراطلية فهم طائفة من العسكر =

ولجأ المهاجمون إلى قطع طريق الميرة بين بغداد وقواتها التي تحت قيادة فيض الله ، فاضطر الأخير إلى ترك موقعه والالتجاء إلى أسوار المدينة (١) .

ويذكر ياسين العمري أن والي بغداد كان حتى هذا الحين يعتقد بأن : « هذه الحادثة هي بغير علم السلطان ، وقال هذه عداوة وقعت له في الموصل مع أهلها وملوكها . . . وفرط معاداته لآل عبد الجليل » (٢) . والظاهر أن حليفه أمير بهدينان في العمادية كان يشاطره هذا الاعتقاد (٣) . وعلى أية حال ، فسرعان ما كشفت الأحداث خطأ رأيه ، عندما رفض حالت أفندي طلباً تقدم به وفد بغدادي للصلح مع محمود باشا والي الموصل ، وأسقط بيد سليمان باشا هذه المرة ، فقرر أن يخوض معركته بنفسه خارج بغداد ، وحشد جميع ما أمكنه من قوات ومدفعية في منطقة الأعظمية شمالي المدينة فقدم بذلك للمهاجمين فرصتهم للهجوم (٤) .

ودارت المعارك التالية في صالح الموصليين وحلفائهم ، وأسر بعض قواد والي بغداد ، من ضمنهم سليمان بك آل الفخري ، وفي المساء ، كان جيش بغداد قد أخذ يميل تدريجياً إلى جانب المهاجمين ، واعتصم أغلب

= لهم إمتيازات خاصة بهم وستأتي الاشارة الى أنواع الجند المحلي في الفصل الأول من الباب الثاني .

(١) غرائب الأثر ص ١١١ .

(٢) غرائب الاثر ص ١١٤ .

(٣) غرائب الأثر ص ١٠٧ .

(٤) دوحة الوزراء ص ٢٥٠ والعراق بين إحتلالين ج ٦ ص ١٩٩ ـ ٠٠ والمماليك في العراق ص ١٢٠ وكوك : بغداد مدينة السلام ج ٢ ص ١١٠ .

القواد داخل أسوار بغداد تاركين واليهم سليمان باشا الصغير وحده في الميدان ، فاضطر الأخير إلى الهرب مع قلة من أتباعه إلى أطراف نهر ديالى حيث قتلته هناك قبيلة « الدفافعة » (١) ، وقدمت رأسه إلى حالت أفندي الذي أمر بسلخها فوراً وإرسالها إلى الباب العالي ، وبقتل فيض الله الكتخدا وأعوانه ، تم التخلص تماماً من قيادة سليمان باشا الصغير ، واستولى المهاجمون على سرايه وبيوت أتباعه (٢) .

وشاء القدر أن يقضي محمود باشا الجليلي نحبه في هذا الأثناء ، وكان قد أصيب بمرض شديد منذ مدة ، فدفن في قبر كان أعده سليمان باشا الكبير لنفسه في احدى مدارس بغداد الشهيرة (٣) على شاطيء دجلة .

تحالف الموصل والسليمانية ضد بغداد :

ورفض خلفه أحمد بك بن سليمان باشا الجليلي عرض حالت أفندي المغري ، بتعيينه والياً على بغداد ، ان هو استطاع القضاء على عبد الرحمن

(١) ويشير العمري في غرائب الاثر ص ١١٦ إلى أن الذي قتله هو أمير الدفافعة الذي عزله سليمان باشا من قبل عن إمارة قبيلته .

(٢) غرائب الاثر ص ١١٦ ومطالع السعود ص ١٩٩ (مخطوط) . و ص ١١٢ من مختصره ودوحة الوزراء ص ٢٥٠ ، ومرآة الزوراء ص ٤٠ .

(٣) هي المدرسة العلية التي كان قد أنشأها والي بغداد علي باشا عام ١٧٦٠ ودفن فيها في العام التالي ، وكان قبر محمود باشا الجليلي مجاوراً لقبره . وقد تحولت هذه المدرسة في عهد مدحت باشا عام ١٨٦٩ لتصبح مدرسة الصنائع ، ثم لتصبح داراً للملك فيصل الأول . ثم مجلساً للأمة ، ثم مقراً=

باشا البابانى ، وكان الأخير قد تمكن من بسط نفوذه في بغداد عقب مقتل والبها السابق (١) . وكان سبب ذلك الرفض - على ما يذكر العمري - خشية أحمد بك من أن يتعرض جيشه الموصلي إلى القتل (٢) وهو سبب غير مفهوم ، لأن الوضع ببغداد لم يكن بمثل هـــذه الخطورة بأية حال ويبدو أن الباعث الحقيقي وراء كل ذلك ، هو وجود نوع من التحالف المسبق بين آل الجليلي في الموصل ، وآل بابان في السليمانية ، هدفه الحد من سلطة المماليك ببغداد . لذا فقد كان اضطلاع أحمـــد بك الجليلي بمهمة القضاء على عبد الرحمن باشا البابانى ، يعد - دون شك - تخلياً كاملاً عن سياسة التحالف هذه ، وهو تحالف ستثبت الأحداث التالية متانته . وهكذا عاد أحمد بك إلى الموصل ، تاركاً لحالت أفندي المجال لتعيين أغا الينكجرية عبد الرحمن الأورفلي (٣) لتنفيذ تلك المهمة وكان موقفه هذا السبب الأول في عدم اسناد منصب ولاية الموصل اليه . وإسناده إلى سعد الله باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي (٤) .

= لمحكمة عسكرية ، ثم متحفاً للأسلحة القديمة ، وقد لبث قبر محمود باشا الجليلي مرئياً في هذا المبنى حتى السنين الأخيرة .

(١) غرائب الأثر ص ١٢٠ .

و Longrigg , S Four Centuries , P . 226 .

(٢) غرائب الأثر ص ١٢٠ .

(٣) من أجداد الأسرة الأورفلية الشهيرة إلى اليوم ببغداد ، وقد ذكر إبراهيم فصيح الحيدري أنه أصبح دفتردارا (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ص ٩٩) .

(٤) دوحة الوزراء ص ٢٥٢ ، وغرائب الأثر ص ١٢٢ .

على أن سياسة التحالف مع البابانيين لم تكن – في هذه المرحلة – من وحي فرد واحد ، حتى يمكن لحالت أفندي القضاء عليها بمثل هـــذه السهولة ، وإنما كانت سياسة موصلية ، تولى الجليليون تنفيذها بحرص كوسيلة للحفاظ على كيان ولايتهم من أن يذوب نهائياً ضمن كيان سلطة بغداد المركزية المتعاظمة .

وفي عام ١٨١٢ م / ١٢٢٧ هـ قرر والي بغداد الجديد عبد الله باشا عزل عبد الرحمن باشا البابانى عن ألوية كوي وحرير ، بعد أن كان قد حرمه – في العام السابق – من منصب لواء بابان نفسه . وعندما زحف والي بغداد بجيشه إلى كركوك ، وجد بأن جميع رؤساء المدينـــة وأطرافها وعشائرها يتعاونون سراً مع عبد الرحمن باشا ، كما أنه لاحظ بأن والي الموصل سعد الله باشا الجليلي لم يأبه للفرمان الذي يلزمه بتقديم المساعدة العسكرية المطلوبة ، ثم تحقق لديه أن هناك اتفاقاً تاماً بين الطرفين (١) ، فعزم على انهاء هذا الوضع الغريب بالقضاء على طرف الاتفاق في الموصل ، ألا وهو سعد الله باشا ، قبل قضائه على خصمه البابانى نفسه . على أن دهاء والي الموصل الجليلي وسعة حيلته مكنه من شراء رضا والي بغـــداد بشيء من الدبلوماسية المعززة بتقديم الهدايا (٢) ولم تنته المشكلة إلا بعد وفاة عبد الرحمن باشا البابانى نفسه (٣) .

(١) دوحة الوزراء ص ٢٥٧ ، ويذكر العزاوي(بين إحتلالين٦/٢١٣) أن عبد الله باشا تحقق من وجود مراسلات سرية بين الطرفين .
(٢) دوحة الوزراء ص ٢٥٧ ومطالع السعود ص ٢٠٢ (مخطوط) .
(٣) دوحة الوزراء ص ٢٦١ .

علاقة داود باشا بالجليليين الاواخر :

وشغلت حكومة بغداد عن محاولة التدخل في شؤون الموصل على عه
الوالي الضعيف سعيد باشا (١٨١٣ - ١٨١٦ م / ١٢٢٨ - ١٢٣٢ ه
إلا أن هذه المحاولات عادت إلى أشدها عند تولي داود باشا حكومة بغد
عام ١٨١٦ وعلى الرغم من عدم انقطاع تبادل الهدايا بين الولاية
الجارتين (١) ، فان داود كان عازماً على انهاء استقلال الموصل المحلي
تمهيداً اوضع العراق بأجمعه تحت ادارته المركزية (٢) . وكان طبيعياً
يصطدم داود باشا بوالي الموصل آنذاك أحمد باشا الجليلي (١٨١٢ - ٨١٧
١٢٢٧ - ١٢٣٣ ه) الذي وصف بعدم اكتراثه بوالي بغداد الجديد (٣
فعمد داود إلى الاستفادة من نفوذه القوي لدى الباب العالي ، طالباً اقا
خصمه الجليلي عن الحكم ونفيه إلى حلب (٤) . وكانت استجابة استانب

---

(١) القوانين السلفية ص ١٨ (مخطوط) .

(٢) عبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص ١٤٥ .

(٣) دوحة الوزراء ص ٢٨٢ ولا تشير المصادر إلى أي نموذج لتصرا
أحمد باشا مع داود ، كما لا تقدم لنا يوميات مؤلف «القوانين السلفية » ،
أخبار المجاملات المتبادلة بين الطرفين، وقد تعاون مندوبا الواليين في مار
أكثر من مرة عامي ١٨١٥ و ١٨١٦ « لبعض خصوص وأمور مهمة » ، كما أر
علاقات الموصل مع إمارة بهدينان (حليفة بغداد) كانت في هذه الأ
حسنة (القوانين السلفية ص ١٨) .

(٤) دوحة الوزراء ص ٢٨٢ والعزاوي : العراق بين إحتلالين
ص ٢٥٠ .

اليه تامة وسريعة . فقـــد تم استصدار فرمان يقضي بتعيين حسن باشا بن حسين باشا الجليلي والياً على الموصل (١) ، وأرسل الفرمانان بواسطة والي بغداد نفسه .

وبدلاً من أن يذهب أحمد باشا إلى حلب ، ولى وجهه شطر بغداد محاولاً كسب داود باشا إلى صفه ، ونجح فعلاً في مهمته هذه إلى أبعد الحدود ، وكأن الأقدار كانت تسهل تحقيق مطامحه من حيث لا يتوقع أحد فقد توفي والي الموصل الجديد حسن باشا ، ولم يمض على توليه الحكم سوى بضعة أشهر (٢) . وهكذا انفسح المجال لداود باشا للتدخل مرة ثانية في ولاية الموصل . وكان تدخله هذه المرة لالغاء أمر عزل ضيفه أحمد باشا واعادته إلى منصب الولاية ، وفعلاً عاد الأخير إلى الموصل ليمارس فيها حكمه زهاء الأربع سنوات (٣) ، تميزت علاقاته – خلالها – بداود باشا بالصداقة والمجاملة المتبادلة . وكانت وفود بغداد تلقى ترحيباً زائداً في سراي الموصل ، وتراعى خلال قدومها كافــة مراسيم الاستقبال المخصصة لوفود السلطان . أما الهدايا ، وهي ثمينة دائماً ، فلم تكن تنقطع بين الطرفين ، وامتدت المجاملات إلى أسرتي الواليين الصديقين ، فتبادلت زوجتاهما الهدايا أثناء المناسبات (٤) .

---

(١) دوحة الوزراء ص ٢٨٢ .

(٢) دوحة الوزراء ص ٢٨٢ . وتاريخ شاني زاده ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٣) محمد ثريا : سجل عثماني ج ١ ص ٢٨٧

(٤) القوانين السلفية ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٥٣ (مخطوط) ،

وكان لتحسن العلاقات السياسية بين الموصل وبغداد دوراً أساسياً في موقف داود الصلب تجاه تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ، وتقوية مركز إزاء محاولات القنصـــل البريطاني في بغـــداد كلوديوس جيمس ريتشر Claudius James Rich الرامية إلى اثارة السليمانية والموصل ضده . فعلى أثر احتدام النزاع بين الوالي والقنصل عام ١٨٢٠ م / ١٢٣٦ ﻫ (١) ، قرر ريتش مغادرة بغداد والتجول في المناطق الشمالية من العراق ، أي في أراضي الامارة البابانية ، وولاية الموصل . ورغم اعلانه عن أن هدف رحلته لا يزيد على طلب الراحة والاستجمام (٢) ، فانه كان واضحاً أن الأمر يكن بهذه البراءة ، وأن نوايا خطيرة كان يبيتها ريتش ضد خصمه . ففي السليمانية أجرى القنصل البريطاني محادثات متعددة مع محمود باشا البابانى تكن تخلو من طابع سياسي ، محاولاً من ورائها بث روح المقاومـــة ضد سيادة بغداد (٣) .

وفي الموصل ، حاول ريتش الاستفادة من صداقته القديمة لأحمد باشا الجليلي (٤) ، فقد تبادل الرجلان المجاملات المعتادة (٥) ، كما سهل أ

---

(١) 'exander , C . : Bagdad Bygone Deys . pp
55 - 53 .

(٢) رحلة ريج ص ١ .

(٣) رحلة ريج ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٤) كانت هذه الزيارات هي الرابعة التي يقوم بها ريتش إلى الموصل ، أنظ
:h , C . : Narrative of Residence in Koordistan ,
, . P . 24 .

(٥) Rieh , C . : Op . Cit وتذكر مدونة سيرة ريتش أ

باشا لضيفه زيارة ماردين (١) ، إلا أنه يبـــدو أن ريتش لم يلق ما كان يتوقعه من تعاون واتفاق ضد والي بغداد . حقيقة أنه شغل لفترة من الوقت في زيارة واستقبال رؤساء وأشراف المدينـــة وأطرافها (٢) ، إلا أن من الملاحظ ان اتصالاته الرسمية بالسراي كانت محدودة (٣) ، فقد زاد من صعوبة موقفه السياسي في المدينة ، ما توارد عن غضب داود باشا عليه بسبب ذهابه إلى الموصل . وارساله إلى الموصل الكتب شديدة اللهجة بشأنه ، ثم بمنعه من العودة إلى بغداد ، فاضطر ريتش أن يقطع اتصالاته في الموصل ، والمكوث في دير الآباء الدومنيكان أربعة أشهر ، ركز جهوده خلالها في التنقيب عن أسوار مدينة نينوي القديمة ، والقيام بمسح الخرائب والأراضي المحيطة بها (٤) وهكذا فشل ريتش ، رغم نفوذه الواسع ، في تحقيق أغراضه السياسية في الوقيعة بين الموصل وبغداد ، فكان في ذلك الفشل

=والي الموصل لم يرسل لاستقبال القنصل البريطاني أحدا حتى وصوله شاطىء دجلة وأنه أرسل من يعتذر عن ذلك بأنه لم يكن يعلم تاريخ الوصول :

(*Alexander , C . : Op . Cit . , P . 123 .*

(١) *Alexander , C . : Op . Cit , p . 124 .*

(٢) *Rich , C . : Narrative , 11 , p . 24 .*

(٣) من الغريب أن ريتش ، الذي لم يترك شيئاً إلا ووصفه وسجله بغاية الدقة في رحلته ، نجده يسكت عن الاشارة إلى أي أمر يتعلق ببقائه في الموصل ، وقد إعتذرت ناشرة رحلته عن هذا النقص الواضح في مجريات الرحلة بقولها إنه من المحتمل أن يكون ريتش قد تخلص من ذكرياته ، أو أنه إحتاج إلى دقة متناهية ، بحيث ترك تاريخ إتصالاته الشخصية مع الناس ليقصها في المستقبل . (*Rich , C : Op . Cit , p . 24*)

(٤) *Alexander , C . : Op Cit , pp . 283 - 292 .*

ما شجع داود باشا على التضييق عليه ، ومن ثم طرده من بغداد في العام نفسه (١٨٢٠ م / ١٢٣٦ ه) (١) .

ومما تجدر الاشارة اليه انه لم تنشأ في الموصل في عهد الجليليين أية قنصليات أجنبية في الوقت الذي أنشأت فيه قنصليات في بغداد والبصرة منذ فترات مبكرة .

وفي أثناء الحروب الايرانية - العثمانيــة عامي ١٨٢٠ - ١٨٢١ (١٢٣٦ - ١٢٣٧ ه) وتقدم قوات الشاهزاده محمد علي حاكم كرمنشا نحو الحدود العراقية في دلي عباس ، عين داود باشا قائــداً عاماً للجبهة العراقية (٢) ، وأوعز الباب العالي إلى والي الموصل الجليلي للالتحاق بداود على رأس قواته (٣) ، ولكن ليست ثمة معلومات كافية تدل على مدى مساهمة الموصل الفعلية في هذه الحرب .

ويحيط الابهام بموقف داود باشا من حكم يحيى باشا الجليلي ، الذي أعقب ولاية عبد الرحمن باشا بن عبد الله بك الجليلي القصيرة (٤) . فقد تولى يحيى الحكم عام ١٨٢٢ م / ١٢٣٨ ه دون أن يبــدو على داود أ موقف محدد تجاهه ، سلباً أو إيجاباً ، وطيلة السنوات الأربع التالية التي حـ خلالها يحيى باشا ، لم يكن هناك - على ما يبدو - أي مكدر لصفو العلاقات بين الولايتين . وعندما قاد بعض زعماء الينكجرية في الموصل الثورة ضـ

(١) Rich, C : Op Cit: II, p . 184 ورحلة المنشي البغدادي ص٢٠ وعبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص٢١٠ - ٢١٣

(٢) دوحة الوزراء ص٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣) دوحة الوزراء ص٣٠١ والعراق بين احتلالين ج٦ ص٨٢

(٤) انظر قائمة الولاة في الملحق رقم ١ .

يحيي عام ١٨٢٦ م / ١٢٤٢ هـ (١) ، لم يكن ثمة دليل واضح على أن لداود ضلعاً في هذه الثورة ، بل أن في انتقال يحيي باشا إلى بغداد وبقائه فيها ثلاثة أشهر ونصف الشهر حتى عودته إلى الموصل ، ما يوحي ببراءة ساحة داود . وعلى أية حال ، فان داود لم يكن يميل إلى تغيير الأوضاع السريع في الموصل ، والظاهر أن أسباباً خاصة كانت تدفعه إلى عدم الوثوق بقيادة الثورة الجديدة (٢) فقد توسط لدى الباب العالي لإعادة تثبيت يحيي باشا في الحكم ، وأمده بقوة عسكرية ، استطاع بها أن يشق طريقه عنوة إلى الموصل (٣) .

بيد أن عودة يحيي باشا إلى ممارسة مهام منصبه ، لم تقض على آثار الوضع الجديد ، فان ريح التغيير التي بدأت تهب على حكم الجليليين في الموصل أخذت تشمل في نفس الوقت حكم داود باشا نفسه في بغداد ، فكان الفصل الثاني من تاريخ العلاقات السياسية بين الولايتين ، هو الفصل الأخير في الوقت عينه (٤) . فقد لعبت عوامل مشتركة دورها في انهاء حكم الجليليين في الموصل ، وفي انهاء حكم المماليك في بغداد ، مثلما كانت عوامل أخرى قد لعبت دوراً مشابهاً في قيام كلا الحكمين من قبل .

(١) تفصيل هذه الثورة في الفصل الثاني من الباب الأول (الحياة السياسية) .

(٢) وهو ماسيوضحه موقف بغداد المعادي لقاسم العمري ، وتصميم قاسم على قتل داود والتنكيل به (الفصل الخامس من الباب الاول) (نهاية عهد آل الجليلي) .

(٣) نوار : داود باشا ص١٤٨ .

(٤) انظر الفصل الخامس من الباب الاول (نهاية حكم آل الجليلي) .

ثانياً : علاقات الموصل بالامارات المجاورة :

أثر موقع الموصل على علاقاتها بالامارات الكردية :

في الوقت الذي كانت فيه الموصل تخوض نضالها السياسي للحفاظ ع كيانها المتميز ، وشخصيتها المحلية الخاصة ، إزاء محاولات ولاة بغداد الراه إلى توحيد العراق والجزيرة تحت ادارة مركزية واحدة ، كانت في الوق عينه تخوض — من ناحية أخرى — نضالاً سياسياً مختلفاً مع القوى السيا في المناطق الجبلية المجاورة لها وزاد من تعقيد أوجه هذا النضال ، كان يخضع لتأثير عوامل متباينة ، ليس لأغلبها طابع سياسي واضح ، ف من ناحية ، يمثل صراعاً حضارياً بين اقليمين مختلفين متجاورين (١) اقليم السهل ، بما فيه من قيم متطورة متغيرة ، واقليم الجبل بقيمه المنغ الراسخة ، وهو من ناحية أخرى يمثل صراعاً بين مجتمع مدني ذي نشاط تجارية فعالة وارتباطات اقتصادية واسعة النطاق ، وبين مجتمعات جبلية ر (زراعية أو رعوية) متفرقة ومنعزلة ، يتميز أهلها باستعدادهم للحيـ العسكرية . ويزيد من تأثير هذه العوامل أنهـا كانت تؤدي دورها ض بيئات اجتماعية مختلفة قومياً ، فبينما تغلب على (الموصل — المدينة) الص العربية ، وتنتمي أكثر أسرها إلى أصول عربية معروفة ، ويتشكل ر من خليط قومي متجانس تغلب عليه الصبغة العربية — الكلدانية السام نجد أن معظم سكان المنطقة الجبلية هم من القبائل الكردية .

---

(١) أشرنا الى اهمية هذه الاقاليم في التمهيد .

ولهذه الأسباب إذن ، ارتبطت سيادة الموصل السياسية على هـذه المناطق بتقدمها الحضاري والاداري . ففي العصور الاسلامية الوسطى توسعت الموصل فانتظمت تحت سيطرتها السياسية أغلب اقليم الجبال الشرقية ، حتى وصلت أحياناً إلى حدود أذربيجان (١) وغلبت التنظيمات الادارية المتمدينة على هذه المناطق القاصية ، وصارت الموصل بذلك عقدة هذا التنظيم ومركزه الحضاري النشيط .

على أن تغييراً كبيراً طرأ على هذا الوضع منذ القرن الثالث عشر . فقد أدى انفتاح السهل أمام هجمات القبائل الدخيلة الغازية ، مثل المغول الايلخانيين ، والجلائريين ، والتركمان ، والفرس الصفويين ، إلى تدن خطير في أهمية المراكز المدنية في السهل ، وبالتالي تقلص نفوذه السياسي على الريف فأفسح ذلك المجال لنمو القوى المحلية في المنطقة وملئهـا الفراغ الحاصل سياسياً بتكوين عدد من الامارات والمشيخات القبلية القوية (٢) .

وهكذا ظهرت للوجود مجموعة الامارات والسلالات الكردية الحاكمة

(١) منية الأدباء ص ٢٠٢ (ملحق المحقق) .

(٢) تشير المأثورات المحلية إلى أن أغلب هذه الامارات قد أسسهـا رجال ذوو شأن ، فروا من المدن إلى الجبال النائية أثر تعرض تلك المدن إلى أخطار الفتح والغزو . فـ (كولوس)مؤسس الامارة الصورانية في راوندوز كان - على رأى البدليسي - بغداديا عربياً (شرفنامة ٢٦٨) وبهاء الدين مؤسس إمارة بهدينان كان على ما أكده أحفاده عباسياً من سلالة المستعصم (إمارة بهدينان العباسية ٣٣) ومثله شمس الدين مؤسس إمـارة شمدينان ، وكذلك عماد الدين مؤسس إمارة حكارى (المصدر نفسهص ٤١).

في المنطقة الجبلية المجاورة لسهل الموصل ، والممتدة حتى بحيرة أورمية ، ووان ، وحكاری . وقد بلغ عددها ستة وأربعون امارة (١) .

وعند بداية الحكم العثماني للمنطقة ، لاحظ السلاطين العثمانيون – منذ عهد سليم الأول – مدى الاختلاف الديني بين السكان الأكراد السنيين ، ونظام الصفويين الشيعي ، وأحسوا بصعوبة السيطرة على مناطق جبلية وعرة كهذه (٢) ، ولهذا اهتمت السلطات العثمانية المركزية باقامة أنظمة من الحكم غير المباشر في كثير من أنحائها ، معترفة بذلك بالسلالات الكردية الحاكمة فيها ضمن اطار من السيادة العثمانية . وفي أواسط القرن السابع عشر الميلادي كان عدد هذه الحكومات الكردية الوراثية لا يقل – بأيـــة حال – عن ثلاثين حكومة (٣) منح أمراؤها الرتب العثمانية التقليدية مثل « بك » و « باشا » ضافة إلى اللقب المحلي القديم « خان » .

الصراع السياسي بين الموصل وامارة بهدينان :

ولا ريب أن أهم تلك الامارات وأكثرها تأثيراً على ولاية الموصل في العصر العثماني ، وبخاصة في عهد الجليليين ، كانت ولاية بهدينان العباسية الواقعة في الشمال الشرقي منها . فهذه الامارة – بحكم موقعها الجغرافي . تحد أراضي ولاية الموصل لمسافة تمتد من دجلة حتى الزاب الأعلى ، وتعد – بتكوينها العسكري والاداري – أقوى سلطة سياسية في المنطقة ، باستثناء

(١) أمين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص ١٧٦ .
(٢) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٢٢٨ .
(٣) نفس المرجع السابق .

ولاية بغداد في الجنوب ، كما أنها تشكل - بطبيعتها التضاريسية الجبلية - مصدر خطر دائم على سهل الموصل الخالي من أية حواجز جغرافية هامة .

وينتسب البيت الحاكم لهذه الامارة إلى أحد أبناء المستعصم آخر خلفاء العباسيين ببغداد ويتضح من تتبع تاريخ تطور الامارة السياسي ، أنها نشأت أولاً في أعالي حوض الزاب الأعلى ، على تخوم امارة شمدينان ، ثم امتدت غرباً ، فاستولت على قلعة العمادية الحصينة ذات الموقع الاستراتيجي الهام ، واتخذتها عاصمة لها (١) ، ومنها توسعت فشملت مناطق جبلية واسعة ، تمتد من سفوح جبال حكاري حتى ضفاف الزاب ، ثم استطاعت في أواخر القرن الخامس عشر أن تضم اليها « زاخو » غرباً ، منتزعة إياها من امارة بوطان الحاكمة في أعالي الجزيرة (٢) . كما أنها استطاعت ، ولسنوات معدودات ، أن تخضع مدينة الموصل ذاتها إلى نفوذها (٣) ، ثم اضطرت أثر ازدياد أهمية الأخيرة - كمركز حكم عثماني - إلى الانسحاب إلى ماوراء المناطق الجبلية القريبة ، فرسمت بذلك شكل حدود ولاية الموصل طيلة عهد آل الجليلي .

وليس من اليسير وصف هذه الحدود ، فانها كانت تخضع دائماً إلى

---

(١) البدليسي : شرفنامه ص ١٠٢ ، وفيه أن أجدادهم كانوا قائمين - قبل نزوحهم إلى العمادية - بأعباء حكم قلعة (طارون) من أعمال ولاية شمسدينان (شمدينان) .

(٢) شرفنامه ص ١٠٣ وخضر العباسي : تاريخ بلدة زاخو ص ٨

(٣) الكوراني . من عمان الى العمادية ص٥٣ ، ومحفوظ العباسي . امارة بهدينان العباسية ص٥٣ .

تغير كفتي القوى على جانبيها . ومع ذلك ، يمكن القول - بشكل عام - أنها كانت تتبع حدود الموصل الطبيعية ، وهي التي تفصل سهلها عن الجبال المحيطة به ، فتمتد من نقطة في شمال « أسكي موصل » على شاطيء دجلة في منطقة جبل الطير ، ثم تمتد شرقاً إلى جبل القوش ، فجبل مقلوب فجبل باعذرا ، حتى تلتقي بضفاف نهر الكومل ، وكان معظم توسع هذه الامارة قد جرى في القرن السادس عشر ، مستفيدة من ظروف الصراع الناشب بين الدولتين المجاورتين : الصفوية والعثمانية . وقد خضع أمير « السلطان حسن » إلى الدولة الأخيرة (١) ، ونال ابنه « السلطان حسين » رتبة ميرميران مع لقب « بك » . ومنذ أوائل القرن السابع عشر نال أمير بهدينان لقب « باشا » (٢) . وفي الواقع لم تكن لهذه الألقاب سوى قيمة تشريفية فقط ، فقد بقي نظام الامارة السياسي على حاله دون تغيير يذكر وكانت التشكيلات الادارية فيها قوية بسيطة ، فكان الأمير يسكن في العمادية (العاصمة) يساعده من الوجهة الشرعية « قاض » له صلاحيات حسم الدعاوى والافتاء . وكان على كل من المدن (أو القرى) الرئيسية في الامارة أحد أمراء الأسرة المالكة ، كما كان على كل قبيلة رئيس أو زعيم منوط أمر تعيينه بالأمير الأعلى (٣) .

وزادت أهمية بهدينان في السياسة العثمانية خلال القرنين السادس عشر

(١) البدليسي : شرفنامه ص١٠٤ .

والدملوجي : امارة بهدينان ص١٦ ، والعباسي : امارة بهدينان العباسية ص٥٣ . وأمين زكي : تاريخ الدول والامارات الكردية ص٤٩٢ .

(٢) امارة بهدينان العباسية ص٦٩ و ٧٤ .

(٣) أنور المائي : الأكراد في بهدينان .

والسابع عشر ، إلى حد انها اعتبرت وحدة سياسية قائمة بذاتها لا ترتبط إلا مع الباب العالي مباشرة ، فرجع أمراؤها في نزاعاتهم على العرش إلى سلطات القسطنطينية (١) واستلموا منهـــا الأوامر للمساهمة في الحملات العسكرية (٢) . وكان حق اصدار فرامين حكمهم من اختصاص السلطان العثماني وحده (٣) .

على أن « بهدينان » تأثرت – منذ الربع الأول للقرن الثامن عشر – بسياسة توحيد العراق التي كان يرفع لواءها والي بغداد حسن باشا وابنه أحمد . فبينما كانت ولاية الموصل تخوض – بقيادة واليها ذائع الصيت الحاج حسين باشا الجليلي – صراعاً طويل الأمد للتماص من تلك السياسة ، نجد أن أحمد باشا (١٧٢٣ – ١٧٣٤ م / ١١٣٦ – ١١٤٧ ﻫ) قد نجح في ضم أمير بهدينان المعاصر بهرام باشا الملقب بالكبير (١٧١٤ – ١٧٦٨ م ١١٢٦ – ١١٨٢ ﻫ) إلى دائرة نفوذه بصفة نهائية ، فعدت العمادية وأطرافها « أعمالاً » أو « مضافات » (٤) لبغداد ، وتعين على أمرائها أن يؤدوا

---

(١) البدليس: شرفنامه ص١٠٨و١٠٩ وامارة بهدينان العباسية ص٧٣.

(٢) مرتضى نظمي زاده : كلشن خلفا ص٣٠٥ (الترجمة العربية) .

(٣) شرفنامه ص١٠٥ و ١٠٦

(٤) يقول ياسين العمري « ومن مضافات بغداد مدينة العمادية ومن (كذا) والاها من البلاد وجبال الأكراد » (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٩٢) ويشير الرحالة ابن يحيى العراقي الذي زار المنطقة الكردية في حدود عام ١٧٤٤ م الى أن كثيراً من القرى والقلاع الكردية كانت اعمالا لبغداد .

(رحلة محمد طه بن يحيى العراقي - مخطوط) .

إلى ولاة بغداد الضريبة السنوية ، لقاء اقرار الأخيرين لحكمهم ، ومنحهم « الخلعة » الرسمية سنوياً (١) .

وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الوضع الجديد إلى مضاعفات هامة في طبيعة علاقات الامارة بولاية الجليليين المجاورة ، إذ أن خضوع بهدينان إلى نفوذ والي بغداد كان من شأنه أن يزيد من ضغط الأخيرة على ولاية الموصل ، ويكسب ابغداد حلفاءً جدداً لتنفيذ مساعيها في الالتفاف حول هذه الولاية .

فعندما توترت العلاقات بين والي بغداد أحمد باشا بن حسن باشا وبين والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي في أوائل العقد الرابع من القرن الثامن عشر ، نجد أن العلاقات تتوتر من جهة أخرى بين الموصل وأمير بهدينان بهرام باشا . ففي عام ١٧٤٠ م / ١١٥٣ هـ « حصلت وحشة بين والي العمادية بهرام باشا وبين والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي ، فتجهز الوزير الحاج حسين باشا بالعساكر وتوجه إلى العمادية ونهب رساتيقها (٢) وحاصرها » . ودام الحصار زهاء شهرين ، ولم ينهه سوى دفع بهرام باشا مبلغاً من المال إلى الوالي الجليلي على سبيل المصالحة ، فاستؤنف السفر بين الجبل والموصل بعد انقطاعه طوال مدة الحصار (٣) .

(١) غاية المرام ص٩٣ ، ودوحة الوزراء ص٦٣ والأكراد في بهدينان ٥٣ _ ٥٤ .

(٢) يريد ضياعها .

(٣) غاية المرام ص٩٧ والعراق بين احتلالين ج٥ ص٢٦٣ عن عمد البيان للعمري .

وعمد محمد باشا الجليلي أثناء ولايته الطويلة (١٧٨٩ — ١٨٠٦ م ١٢٠٤ — ١٢٢١ هـ) إلى تغيير هذه السياسة ، وذلك باضعاف ارتباط بهدينان بولاة بغداد ومحاولة كسبه أولئك الولاة إلى صفه والظاهر أنه نجح في تحقيق خطته هذه إلى حد كبير .. فقد أدى تحسن علاقته بوالي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ — ١٨٠٢ م / ١١٩٤ — ١٢١٧ هـ) إلى زيادة ملحوظة في نفوذ ولاية الموصل على امارة بهدينان وأطرافها ، إلى حد أن الوالي الجليلي تدخل — ولأول مرة — في شؤون البيت البهديناني المالك . فعندما نشبت الحرب الأهلية في الامارة أثر وفاة أميرها اسماعيل باشا الأول عام ١٧٩٨ م ١٢١٣ هـ (١) ، وتنازع ورثته مراد خان ومحمد الطيار وقباد بك على السلطة « صالحهم والي الموصل الوزير محمد باشا الجليلي على أن تكون مدينة زاخو للأمير قباد بك ومدينة العمادية وما يليها لمرادخان باشا واستقام الحال » (٢) .

وعندما نشبت الثورة عام ١٨٠٤ م / ١٢١٩ هـ بقيادة عادل باشا ضد أخيه مراد باشا ، فوض والي بغداد شؤون الامارة إلى والي الموصل الجليلي « فبعث محمد باشا إلى والي العمادية عادل باشا فبشره بالملك له ، فبعث إلى الموصل مائة ألف قرش يرسلها إلى والي بغداد ، فأرسل له محمد باشا الخلعة وهي كرك على العادة » (٣) .

وزاد تدخل الموصل في شؤون بهدينان في عهد نعمان باشا الجليلي القصير (١٨٠٧ — ١٨٠٨ م / ١٢٢٢ - ١٢٢٣ هـ) فقد ساهم هذا

---

(١) غرائب الاثر ص٤٧ والدر المكنون ص ٦٥٤ (مخطوط) .

(٢) غرائب الاثر ص٤٧ - ٤٨ .

(٣) غرائب الاثر ص٧٠ .

الوالي في حركات علي باشا العسكرية في المنطقة ، واستطاع أن يتوسط ب
عادل باشا ووالي بغداد ، بعد أن كان الأخير قد أصدر أمراً بعزله ، مقن
إياه بضرورة اصدار الفرمان باسناد الامارة إلى عادل مرة أخرى (١)

وكان لتوتر العلاقات السياسية - مرة أخرى - بين ولاية بغداد و
ولاية الموصل ، في عهد الوالي المملوك سليمان باشا الصغير (١٨٠٧ / ١٨١٠
١٢٢٢ - ١٢٢٥ هـ) دور واضح في عودة الصراع بين ولاة الموصل الجليلي
وأمراء بهدينان ، فقد حاول سليمان بعث سياسة ضرب الموصل ببهدينان
جديد ، وأصدر أوامره إلى أمير العمادية زبير باشا (١٨٠٧ - ١٨٣٣
١٢٢٢ - ١٢٤٠ هـ) كي يساهم في تعزيز قوات أحمد باشا بن بكر أفن
الذي كان يتهيأ عند ذاك لدخول الموصل وانهاء سلطة الجليليين . ولما ط
أحمد باشا من أمير بهدينان المزيد من القوات ، أنجده هذا بعدد ضخم
عشائر امارته ، قدّرهم المؤرخ البغدادي رسول حاوي الكركوكلي بث
آلاف مقاتل فرساناً ومشاة ، على رأسهم أخو الأمير نفسه موسى بك (

وينتقد ياسين العمري الخطيب الموصلي موقف أمير بهدينان الم
لسليمان باشا الصغير ، والمناويء لآل الجليلي ، فيقول : « وكفى ح
بوالي العمادية حين أرسل له والي بغداد يأمره بارسال عسكراً (كـــا
لمعونة أحمد باشا بن بكر أفندي ، فامتثل أمره وجمع العساكر من القبا
والعشائر وسيرهم إلى محاربة أهل الموصل ومعونة أحمد باشا ، فقدموا
مقلوب وقراه التابعة للموصل ، وجعل عسكره يصادر أهل القرى و

(١) أمين زكي : تاريخ السليمانية ص١٠٧ .

(٢) دوحة الوزراء ص ٢٤٧ .

الذخائر ، فكتب له آل عبد الجليل كتاباً وحذروه البغي ، فكتب اليهم الجواب ، ومن بعضه : فلنأتكم بجنود لا قبل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة ، وأنتم صاغرون (١) ، وأمثال ذلك من التهديد والوعيد والقول الذي ليس بالسديد . . . الخ » (٢) .

وكان من نتيجة حل الأزمة الناشبة بين بغداد والموصل ، وعزل سليمان باشا الصغير عن ولاية بغداد ومقتله ، أن خفت حدة الصراع السياسي الصريح بين أمراء العمادية وولاة الموصل . ولم نعد نسمع بحوادث خطيرة بين الطرفين ، بل تحسنت العلاقات أخيراً إلى حد تبادل الهدايا والمجاملات . ويقدم لنا مؤلف « القوانين السلفية » قائمة مؤرخة بسنة ١٨١٨ م / ١٢٣٤ هـ فيها تفاصيل الهدايا التي أرسلها والي الموصل (وكان إذ ذاك حسن باشا الجليلي) إلى زبير باشا أمير العمادية ، وكانت عبارة عن ٤٠ « برنية » من المشروبات الحلوة (٣) . كما توجد قائمة أخرى مؤرخة بعام ١٨٢٠ م / ١٢٣٦ هـ فيها نفس كمية « البراني » وأنواعها ،

(١) يشير إلى الآية القرآنية ٣٧ سورة النمل (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) .

(٢) غرائب الأثر ص ١٠٠ .

(٣) أي (الشربت) وتتألف من أربعة أنواع هي : الليمون ، والصندل والبنفشه والرمان . والبرنية هي الزير .

مهداة إلى موسى باشا (١) أخو الأمير زبير باشا ومساعده (٢) . وفي مـ
ذلك نجد الأخير يرسل خزنداره حليم أغا وبمعيته حصانان هدية إلى الـ
الجليلي (٣) .

أزمة دير الربان هرمزد :

على أن طابع الصراع لم يكن سياسياً دائماً ، فكثيراً ما تدخلت عو
شتى لاظهاره بمظهر مختلف تماماً ، من ذلك أن ولاة الموصل وأمراء بها
لجأوا في كثير من الاحيان إلى الاستفادة من الخلافات الدينية التي
تنشب بين طوائف النصارى في بلادهم بهدف تحقيق مطامحهم السيا
وهو ما تجلى بشكل بارز في عهد ولاية سليمان باشا الجليلي الرابعـ
الموصل (١٧٨٦ – ١٧٨٩ م / ١٢٠٠ – ١٢٠٤ هـ) ومعاصره اسـ
باشا العباسي في بهدينان (١٧٦٨ – ١٧٩٨ م / ١١٨٢ – ١٢١٣ هـ)
هذه الفترة كان كفـاح نصارى الموصل للاستقلال بادارة شؤونهم
البطريركية الرسمية العامة في بلدة « القوش » قد وصل ذروته .

---

(١) هو القائد الذي ساهم مع أحمد باشا بن بكر أفندي في حرو
الجليليين وقد تولى الحكم في العماديه عام ١٨٣٤ م / ١٢٥٠ هـ ووصف
أثناءها الرحالة فريزر .

(*Fraser , J B : Travels in Koordistan and*
opotamia , 1 , p . 186 .

(٢) القوانين السلفية ص ٣٢ (مخطوط) .

(٣) القوانين السلفية ص٣٣ و ٣٧ (مخطوط) .

ويرجع سبب ذلك الكفاح إلى أن منصب البطريركية الهام انحصر وراثياً منذ القرن السادس عشر (١) ، بأسرة واحدة عرفت بآل «الأب» واتخذت دير « الربان هرمزد » (٢) كرسياً لبطريركيتها . وكان هذا الدير من أقدم المراكز الدينية في المنطقة ، إلا أنه ضم – بحكم موقعه على سفح جبل القوش – إلى أملاك امارة العمادية منذ القرن الخامس عشر ، فأدى ذلك بالتالي إلى خضوع كرسي البطريركية نفسه إلى نفوذ أمراء بهدينان .

وكان لبروز الشخصية الموصلية المحلية ، وما صاحبها من تقدم حضاري ونشاط مدني منذ القرن الثامن عشر ، دوره في ايقاظ حركة قوية بين نصارى الموصل المتكثلكين لتحقيق ذاتهم المحلية بالتخلص من سيادة أسرة

(١) تسيران ، أوجين : خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٧٤ ، وبطرس عزيز : كتاب الرعاة ج ٦ (أخبار أبرشية الموصل) ص٨(مخطوط).

(٢) دير عامر يقع فى شمال الموصل ، على مسافة ٣٣ ميلاً منها ، وعلى مسافة ميلين من شمال شرقي القوش وموضعه في أعالي جبل القوش وهو من أعظم ديارات الكلدان ومن أقدمها وأبعدها شهرة . أنشأه الربان هرمزد الفارسي النسطوري في الربع الثاني من القرن السابع للميلاد ، ولبث قائما أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وقد كتب عنه الاستاذ كوركيس عواد كتاباً بعنوان : « أثر قديم في العراق : دير الربان هرمزد » (الموصل ١٩٣٤) . ويسميه المؤرخ الموصلي ياسين العمرى بـ« دير القوش » ويصفه بقوله : « هو دير حسن البناء على جبل شاهق لايكاد أحد يصعد إليه الا وهو راكب ، وبه أب النصارى النسطورية . . وبجاور الدير بيت الأب وكنت رأيته . . وهذا الدير وأب النصارى يؤدي المقطوع عليه لوالي العمادية» (غاية المرام ص ١٠٠) .

« الأب » الخاضعة لسلطة امارة بهدينان . ومن هنا نشط الخلاف هذه المرة على شكل نزاع ديني بين أبرشية الموصل المحلية والبطريركية العامة في القوش وأيد والي الموصل سليمان باشا الجليلي موقف مطران مدينته يوحنا هرمزد ، في حين ساند أمير بهدينان اسماعيل باشا بطريرك القوش ايشوعياب .

وحاولت أبرشية الموصل المؤيدة من الولاة الجليليين أن تنافس بطريركيا القوش في السيادة الدينية على عامة النصارى ليس في ولاية الموصل فقط، بل في المناطق المجاورة كولاية شهرزور وأطرافها ، بل وحتى في النواحي المتاخمة لامارة العادية ذاتها .

واستخدام يوحنا هرمز مطران الموصل تهمة الارتداد إلى المذهب النسطوري (١) سلاحاً بيده يشهره ضد بطريرك القوش ، وصار التبشير بالكثلكة مبرره للتدخل في شؤون الأبرشيات التابعة للبطريرك المذكور أي لنفوذ أمراء بهدينان ، وجذبها لأبرشية الموصل التي ترفع لواء الكثلكة آنذاك (٢) . واستطاع هذا المطران الموصلي النشط - بالفعل - أن يجتذب اليه أبرشية كركوك (شهرزور) ، وأرموطة وكويسنجاق ، وهيران وشقلاوة ، وعينكاوه في اربيل ولما رفع البطريرك ايليا ، المحتمي باسماعيل باشا أمير العادية ، صوته محتجاً ، حمل مطران الموصل أهالي أبرشية كركوك على الالتجاء إلى والي الموصل سليمان باشا الجليلي للشكوى من تدخل البطريرك

(١) وهو المذهب الذي كان يعتنقه أكثر نصارى الموصل والعراق قبل إنتشار الكثلكة فيما بينهم، وقد تناولنا هذه الناحية في الفصل الثالث ، الباب الثاني (الحياة الاجتماعية) .

(٢) تسيران : خلاصة تاريخية الكنيسة الكلدانية ص ١٣١ .

ايليا في شؤونهم (١) ، « فسمعت شكايتهم لأن حاكم الموصل كان يبغض ايليا البطريرك المحتمي بعدوه اسماعيل باشا حاكم العمادية » (٢) . وتدخل سليمان باشا الجليلي بأن أمر البطريرك في القوش بترك شؤون أهالي كركوك « لأن قراها من متعلقات حكومة الموصل » (٣) .

ولما كان مركز مطران الموصل غير مستقر من الوجهة القانونية أمام خصومه ، خاصة وأن نزاعاً آخراً كان يدور بينه وبين بطريرك آمد (ديار بكر) (٤) ، فقد تدخل الوالي الجليلي مرة أخرى واستحصل له عام ١٧٨١ م / ١١٩٦ هـ على براءة سلطانية تعترف به رئيساً على الكلدان والنساطرة (٥) في دائرة ولاية الموصل . ثم اقيم برسوم بابوي مطراناً على الموصل ، ونائباً بطريركياً عاماً . فجاء ذلك ضربة قاضية على نفوذ ايليا بطريرك القوش (٦) ، ومدعاة لتنبه أمير العمادية إلى خطر مطران الموصل على نفوذه نفسه ، خاصة وهو يرى أن خصمه سليمان باشا الجليلي وراء

(١) يوسف غنيمة : بطاركة الكلدان (مجلة النجم ٣ « ١٩٣٠ » ص١٠١ .

(٢) غنيمة : بطاركة الكلدان . نفس الموضع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) كان بطريرك آمد مار يوسف الخامس هندي قد حاول إخضاع الموصل إلى نفوذه الديني بأن عين القس شمعون بن عبد الاحد الصائغ مطرانا على الموصل عام ١٨١١ ، وعاد سنة ١٨٢٨ فعين يوسف أودو مطرانا على نينوى وأوقع المطرانين في خصام مع مطران الموصل مار يوحنا هرمزد. بطرس عزيز : كتاب الرعاة ج ٦ ص ٨ (مخطوط) .

(٥) أي النصارى كاثوليكا كانوا أم نساطرة .

(٦) غنيمة : بطاركة الكلدان (مجلة النجم ٣ (١٩٣٠) ص ١٠٢) .

هذه الحركة ، فعمد – بتحريض من بطريرك القوش – إلى إلقاء القبض على ماريوحنا . ولما لم يتمكن من ذلك ألقى القبض على ابن أخيه القس كيوركيس ، ولم ينقذ الأخير سوى سعي أخيه ماريوحنا لدى والي بغداد سليمان باشا الكبير (١) .

وكان لثروة دير الربان هرمزد دورها – هي الأخرى – في زيادة حدة الخلافات وتصعيدها إلى المستوى السياسي . فقد كانت تتبع هذا الدير أوقاف غنية عديدة ، تدير شؤونها أسرة « الأب » الالقوشية . و خروج الأوقاف من ادارة هذه الأسرة ، يعني خروجها من أملاك امارة العمادية ذاتها وضمها إلى ولاية الموصل المجاورة ، وهو ما حدث فعلاً نجاح ماريوحنا هرمز في نقل كرسي البطريركية إلى الموصل (٢) . ور محاولات الأخير للاحتفاظ بهذه الأوقاف بيد أسرته ، فان وفاته بالموصل عام ١٨٣٨ أشعرت آل « الأب » في القوش بدنو أوان ترجيح الأم الموقوفة على الدير ، وأن الرهبانية التي كانت قد تأسست فيه أخير والبطريركية ، سوف تدعيان بهذه الحقوق الديرية الباقية ، فحرض بعض أمير بهدينان اسماعيل باشا على استرجاع تلك الأوقاف وطرد رهبان الدير وفي عام ١٨٤٢ م هاجم اسماعيل باشا بجنده الدير ، وطردوا رهبانه ، وأ كثيراً من أثاثه ، ثم هاجموا « القوش » القريبة . فسعى وجوهها بنفي أ

(١) بطرس الكلداني : ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٣٨٩ .
(٢) الكلداني : تكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ١٩ (مخطوط) .
(٣) كوركيس عواد : أثر قديم في العراق ص ٢٨

بيت « الأب » . من البلدة تخلصاً من مشاكلهم وارتباطاتهم بامارة العمادية وبهذا ضم الدير بأملاكه إلى ولاية الموصل نهائياً (١) .

علاقات الجليليين بيزيدية الشيخان :

تقع امارة الشيخان شرقي دجلـــة ، في المنطقة المحصورة بين نهري الزاب الكبير والخابور ، ويرتكز بنيانها الاجتماعي على أساس تجمع عشائري قديم ، شاركت فيه عشائر عربية وكردية وأقوام قديمة أخرى . وقد تميز هذا التجمع بعقائد غريبة غامضة ، ساعدت على تكوين شخصيتهم القائمة بذاتها ، واذابت الانتماءات القومية لعشائرها الأصلية ، لتكون منها جماعة متجانسة واحدة ، تتكلم الكردية والعربية ، وتدين بالديانة اليزيدية (٢) ، وتتسمى بأسماء اسلامية .

---

(١) الكلداني : تكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٠ (مخطوط) .
وكوركيس عواد : أثر قديم في العراق ص ٢٨ و ٨٩ .

(٢) تضاربت أقوال الباحثين في تعليل تسمية اليزيدية ، ونظير ذلك إختلافهم الكبير في بيان منشأ ديانتهم . فحاول بعضهم إرجاعهم إلى أصول قديمة ، مجوسية أو غير مجوسية ، مما كان شائعاً في بعض أنحاء الشرق الأوسط قبل الاسلام . ومنهم من عزا بعض معتقداتهم إلى أصول نصرانية ، ومنهم من رأى أنهم لا يعدون إلا فرقة إسلامية غلت فضلت وزاغت عن أصلها القديم وتمادت في الابتعاد حتى إنتهى أمرها إلى ماهي عليه اليوم . وقد أفرد الأستاذ كوركيس عواد بحثاً مستقلاً فيه إحصاء لما كتب عنهم بمختلف اللغات ، وهو شيء كثير (المراجع عن اليزيدية بيروت ١٩٧٠) وليس يهمنا في هذا المبحث سوى تتبع علاقاتهم السياسية بولاية الموصل وتأثير ذلك على علاقة الأخيرة ببهدينان :

وشهدت هذه الامارة في القرن السادس عشر عصراً ذهبياً لم تشهد مثله فيما بعد ، فقد بسطت نفوذها على حوض نهر دجلـــة ، من مصب « نهر بوتان » إلى ديار بكر فالجزيرة، وامتدت حتى مدينة زاخو فالموصل ثم شملت أجزاء كثيرة من منطقة بلاد السوران الكردية ، أي في أنحا راوندوز شمالي أربيل (١) ووصلت من القوة والنفوذ إلى حد أن منح السلطا سليمان القانوني أحد امرائهم منطقتي أربيل والموصل في آن واحد .

على أن عهد القوة ما لبث أن ولى بنهايـــة القرن السادس عشر وصدرت الفتاوى من العلماء تندد بكفرهم ، وبخروجهم على الاسلام (٢ وشنت الحملات العسكرية ضدهم ، فتقلص نفوذهم بسرعة ، لينحصر ع بداية عهد الولاة الجليليين في منطقة الشيخان ذاتها ، في سفوح جبل مقلو وقراه ، وفي جبل سنجار غربي الموصل ، بين الخابور ودجلة ، وصار مصدر خطر لا ينتهي على قافلة الموصل – حلب ذات الأهميـــة الحيو لاقتصاد الموصل ، فتكررت حوادث سطوهم على القوافل حتى أصبـ قطع الطرق وفرض الاتاوات مهنة رئيسية لهـــم (٣) ، وتكررت – ، ناحية أخرى – حملات ولاة الموصل لضربهم والتنكيل بهم ، وشارك بغداد منذ عهد حسن باشا عام ١٧١٥ م ١١٢٧ هـ في تلك الحملات (٤

(١) صديق الدملوجي : اليزيدية ص ٤٤٨ و ٤٥١ .

(٢) العزاوي : تاريخ اليزيدية ص ١٠٠ .

(٣) وصف الرحالة أبو طالب خان اليزيدية في أوائل القرن الثا عشر ، فقال : « وقد عظمت هذه القبيلة بهجرات تترى ، حتى صارت ها للدولة التركية وشؤماً عليها وذلك بغاراتها وقطعها الطريق على القوافل ... ال

(٤) حديقة الزوراء ج ١ ص ٦٥ وتاريخ راشد الورقة ١٢٠ .

ورغم أن جميع اليزيدية كانوا يتبعون أميراً وراثياً واحداً يقطن ناحية « الشيخان » ، فان حركاتهم العسكرية في منطقة سنجار القريبة افتقرت دائماً إلى التنسيق مع اخوانهم في الشيخان . وبينما نجد المنطقة الأولى تعاني من التنكيل المستمر ، كان مركز الامارة لا يحرك ساكناً مهما كانت الظروف وفي هذا – بالطبع – ما يسهل مهمة القيادة العسكرية في الموصل على الدوام .

وكان موقع امارة الشيخان في جبل مقلوب ، على الحدود الفاصلة بين ولاية الموصل وامارة بهدينان ، قد مكن لإمرائها الحفاظ على كيانهم إزاء القوتين السياسيتين المتجاورتين . ففي الوقت الذي كانت فيه الامارة تعد من الوجهة الرسمية تابعة لسيادة ولاية الموصل (١) ، كانت – في واقع الأمر – مستندة إلى سلطة أمراء العمادية بشكل تام ، فهم مرجعها الوحيد عند الأزمات ، واليهم كانت تجبى الضرائب والأموال (٢) وارتبط أمراء اليزيدية بحكومة العمادية إلى حد أن الأخيرة اعتبرت بلادهم جزءاً من أملاكها يتميز بحكم ذاتي من نوع خاص .

ولا ريب أن هذا الوضع قد مكن اليزيدية من الاستفادة من سياسة توازن القوى بين جارتيها المتنافستين ، فلم تشن ضد « الشيخان » أكثر من حملتين طيلة عهد آل الجليلي ، في حين كانت الحملات العسكرية مستمرة في التنكيل بيزيدية سنجار دائماً .

---

(١) صديق الدملوجي : إمارة بهدينان ص ٤١ .
وغرايبه : مقدمة في تاريخ العرب الحديث ج ١ ص ١٨٥ .
(٢) غاية المرام ص ١٠٠ .

وكان الوالي عبدالباقي باشا الجليلي (١٧٨٥ - ١٧٨٦م/ ١١٩٩ - ١٢٠٠م) هو أول من اتجه إلى الاصطدام بهذه الامارة ففي السنة الأخيرة من حكمه توجه على رأس جيشه قاصداً قبيلة الدنادية ، وهي من قبائل الشيخان الرئيسية فاضطر أفرادها للالتجاء إلى أعالي الجبل تاركين مساكنهم نهبــاً للجيش المهاجم . وبينما تفرق الجميع بحثاً عن الغنائم ، نزل زعيم القبيلة « نمر بن سيمو » (١) بثلة من أتباعه ليفتك بالوالي الجليلي وأخيه وحرسه ثم بجيشه من بعده . ويصف لنا المؤرخ الموصلي المعاصر ياسين العمري هذه الحادثة بقوله « فخرج عليهم نمر ومعه خمس فوارس وقيل ثلاثة ، وباقي أتباعه متفرقة في الأودية ، وهربت عساكر الموصل ، وتفرقوا كل منهم يطلب النجاة ، كأن الموت خلفهم ، وهجم نمر ومن معه على الوالي وأخيه ، فلم يتحرك ولا جرد سيفاً مع ما عنده من الشجاعة ، وذلك لأمر يريده الله فقتلوه وقتلوا أخاه عبد الرحمن أغا وابني عمه صالح ومحمود وسلبوهم ثيابهم وهربت أتباعهم وأتباعه ، وكثرت اليزيدية وأكثرهم من أهل قرى الموصل وألقى الله الرعب في قلوب أهل الموصل . . ثم لما نظر اليزيدية إلى هرب العساكر ، وتفرقهم في البر حتى ضلوا الطريق ، ووضعوا السيف في المسلمين حتى قتلوا ما يزيد على مائة نفس ، وأخذوا سلاحهم وثيابهم » (٢) .

على أننا يجب أن نلاحظ - في هذا الصدد - أن هـــذا الصدام يحدث ، إلا بعد هجوم شنه أمير العمادية اسماعيل باشا عام ١٧٨٣ م / ١١٩٧

(١) ما زال إسم (سيمو) من الأسماء الشائعة حتى اليوم ويلفظ (سمو) بكسر السين .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ٢٩ (مخطوط) والدر المكنون ص ٥ (مخطوط) .

على قريتي « كرمليس » و « شاه قولي » اللتين تعودان إلى الحاج عبد الباقي « لما بينهما من الحقد والعداوة » (١) .

ولم تلح دلائل الاتفاق المبرم بين والي العمادية وزعيم الدنادية، تمر أغا إلا بعد مضي عدة سنوات على مصرع والي الموصل الجليلي ، وذلك عندما تعاون الاثنان – مرة اخرى – على قتل أمير اليزيدية نفسه عام ١٧٩٠ م ١٢٠٥ هـ وتنصيب أحد الأمراء الآخرين « خنجر بك » بدلاً منه (٢) .

وجاء رد الموصليين على الحادث متأخراً ، ففي عام ١٧٩٨م / ١٢١٣ هـ تعاونت قوات قبليّة عربية بقيادة أحد أعوان والي بغداد ، عبد العزيز بك الشاوي ، مع قوات الموصل بقيادة بكر أفندي كتخدا محمد باشا الجليلي ، على تأديب قرى الشيخان ، « فهرب أمير الشيخان حسن بك بأهله وصعد الجبل ، ونهبت نحو خمس عشرة قرية ، وسبوا النساء والأطفال ، وجميع ما لهم من أموال وغلال والقرى كلها لأهل الموصل . وقتل من الشيخان خمسة وأربعون رجلاً وحملوا رؤوسهم إلى بغداد » (٣) .

وكان طبيعياً أن يشكل أي تحسن في علاقات الموصل بامارة بهدينان المجاورة خطراً جسيماً على امارة الشيخان ذاتها ، بحكم موقعها بينهما . فعندما تمرد حسن بك أمير الشيخان عام ١٧٩٨ م / ١٢١٣ هـ على أمير بهدينان

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٨ (مخطوط) .
(٢) ياسين العمري : الدر المكنون ص ١٩ (مخطوط) وغرائب الأثر ص ٢٣ . والدملوجي : اليزيدية ص ٤٥٨ .
(٣) غرائب الأثر ص ٥٣ .

قباد بك ، أرسل الأخير إلى والي الموصل محمد باشا الجليلي « يستمد عسكراً » فبعث له الوالي الجليلي ما أراد (١) .

إن قيام فترة سلم طويلة الأمد بين ولاية بغداد وولايـــة الموصل جهة ، وبين الأخيرة وامارة العمادية من جهة أخرى ، واشتراك هذه الق مجتمعة ضد امارة الشيخان ، كان له أثر كبير في الاخلال بالتوازن السيا الذي طالما استمدت الأخيرة منه دعامة وجودها . وتدل الحوادث التالي التي رافقت ازمة تعيين أحمد باشا بن بكر أفندي (٢) على أن انشقاقاً أخذ حدث في البيت اليزيدي المالك ، انقسمت على أثره زعامـــة الامارة جناحين رئيسيين : أولهما بقي على ولائه القديم لامارة بهدينان . والآ جديد فقد ايمانه بجدوى الاعتماد على حليف لا تهمه سوى مصالحه . فعن أرسل سليمان بك الصغير والي بغداد عام ١٨٠٩ م / ١٢٢٤ هـ إلى أهـ الشيخان يحثهم على التحرش بولاية الموصل عن طريق نهب القرى المح بها وتخريبها ، لم يمتثل لأمره أمير الشيخان حسن بك ، بل « امتثل ال أخوه عبدي بك ، وجعل يطوف على غالب قرى الموصل ويصادرهم ويأ منهم دواباً وبسطاً وثيـــاباً حتى أخذ منهم نحو عشرة آلاف قرش مـ البسط والدواب والثياب » (٣) . والظاهر أن أعمالاً كهذه كانت أقل توقع والي بغداد . فقد بعث في نفس العام إلى حليفه أمير بهدينان ؛ باشا يأمره بأن « يرسل إلى قبيلة الدناديه يأمرهم بمحاربة أهل الموصل و،

---

(١) نفس المصدر ص ٦٠ والدر المكنون ص ٦٥٤ (مخطوط) .

(٢) أنظر الفصل الثاني من الباب الأول (الحياة السياسية) .

(٣) غرائب الأثر ص ٩٦ .

قراهم » (١) . إلا أن القبيلة اليزيدية أصرت على موقفها – هذه المرة – في عدم الاستجابة إلى الأوامر الصادرة بشكل أثار استغراب المؤرخ ياسين العمري نفسه (٢) .

ووضح موقف الامارة الجديد أكثر من ذي قبل فور عودة آل الجليلي إلى الحكم . فقد أرسل أمير الشيخان حسن بك إلى الوالي الجليلي محمود باشا يعتذر عن تصرفات أخيه عبدي بك السابقة ، وكدليل ملموس على ولائه الجديد لولاة الموصل ، قام بطرد أخيه المذكور من امارته ، فاستدعاه والي العمادية زبير باشا لبغضه لآل عبد الجليل وصدق خدمته لوالي بغداد ومتابعته لما له من العداوة والبغضاء لأهل الموصل الحدباء وملوكها الوزراء » (٣) .

وفي الواقع ، ليس ثمة ما يدل على أن هذه الامارة قامت بأية تحركات معادية لحكومة الموصل – فيما بعد – حتى انتهاء حكم الجليليين في القرن التاسع عشر .

حملات الموصل ضد يزيدية جبل سنجار :

بيد أن الأمر مع يزيدية جبل سنجار كان مختلفاً تماماً ، فان خروج هذه المنطقة – بحكم موقعها الجغرافي – عن تأثير الموازنات السياسية للقوى المجاورة ، قد أفقدها فرصة الاعتماد على حليف قوى ملائم ، كما أن

(١) غرائب الأثر ص ١٠٠ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) نفس المصدر ص ١٠١ .

سيطرتها على مجموعة الطرق التجارية التي تربط الموصل ببلاد الشام والأنا
قد جعلها مصدر خطر مستمر على اقتصاديات اقليم العراق بأسره
يمكن القول – إلى حد ما – بأن تاريخ هذه المنطقة كان يشكل نفسه
ارتباط بأية قوى خارجية مؤثرة ، اللهم سوى ما كان يشنه عليها ا
المجاورون من حملات قوية بين حين وآخر . من ذلك ما حدث
١٧٥٢ م / ١١٦٦ هـ ، حينما حاول اليزيديون مد ميدان نشاطهم إلى
شهرزور – الموصل ، وقطعوا بذلك أهم طريق حيوي يربط الم
بجنوبي العراق . فقد جرد والي بغداد سليمان باشا أبي ليله حملة عـ
واسعة النطاق طاردت فلولهم حتى موطنهم في جبل سنجار « وا
قلاعهم فدمرها الواحدة بعد الأخرى ، ووقع برجالهم قتلاً وأسراً ،
نساءهم ، وغنم أموالهم وأسلحتهم ، ودمر أماكنهم ، واقتلع بسا
وأحرق مزارعهم وحز أعناق الكثيرين من رجالهم ، وأرسل ثلثمائة
منهم إلى الاستانة ثم عفا عن الباقين وعاد إلى بغداد » (١) .

وساهم محمداً أمين باشا الجليلي في هذه الحملة مساهمة فعالة ، « و
من جسارته ومن تدابيره وبذل من خالص ماله أموالاً جسيمة »
فكانت مكافأة والي بغداد له أن توسط لدى الباب العالي بمنحه ولاية الم
في نفس العام .

وتكشف لنا حوادث حملات ولاة الموصل التالية على جبل س

---

(١) الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ١٢٥ وغاية المرام ص ١٨٣ .
وزبدة الآثار ص ١٦ واليزيدية ص ٤٩٠ .
(٢) زبدة الآثار الجلية ص١٩ .

عن الخلفية الاقتصادية التي تكمن وراء اعداد مثل هذه الحملات . فقد كان الهدف الرئيسي لكل حملة هو تأمين طرق التجارة اضافة إلى امداد الموصل - بين آونة وأخرى - بما تحتاجه من غلال ومنتجات زراعية ومواشي .

ففي عام ١٧٦٧ م / ١١٨١ هـ جهز أمين باشا الجليلي والي الموصل ، ابنه سليمان باشا وأرسله الى قتال أهل جبل سنجار . فسار اليهم وحاصرهم واشترط عليهم تقديم ألفي رأس من الغنم وثلاثمئة رؤوس من الخيل ، فقبلوا الشرط وعادوا إلى الجبل ، وأرسلوا نحو ثمانمائة رأس من الغنم والخيل المذكورة ، وعصوا على الباقي ، فحاربهم سليمان باشا ساعة ، وقتل من العسكر أربعة أنفس ، وعاد إلى الموصل وسجن الأسرى » (١) .

وفي عام ١٧٧٣ م / ١١٨٧ هـ أعاد سليمان باشا الجليلي الكرة . فاستولى على أغنام سكان الجبل (٢) . وفي سنة ١٧٧٩ م / ١١٩٣ هـ أرسل والي الموصل سليمان باشا الجليلي أخاه محمد باشا على رأس حملة عسكرية إلى جبل سنجار ، « فأكلوا زروعهم وقبض منهم على خمسة رجال ، وعادوا إلى الموصل » (٣) . وتكرر مثل ذلك أيضاً عام ١٧٩٢ م / ١٢٠٧ هـ ، حين هاجم والي الموصل محمد باشا الجليلي أهل جبل سنجار « وملك منهم ثماني قرى (٤) وأحرقها بعد أن نهبها ، وحصد زروعها وكانت أكثر من

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٠ (مخطوط) .
(٢) نفس المصدر ص ٢٤ والدر المكنون ص ٦٢٠ (مخطوط) .
(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٢٧ (مخطوط) .
(٤) في زبدة الآثار الجلية « ثمانمائة قرية » (ص ٣٣) .

عشرين تغار (١) » (٢) . وأقدم الوالي الجليلي على اعادة الكرة في ا
التالي أكثر من مرة . . ففي أواخر عام ١٧٩٣ م / ١٢٠٨ هـ « تو
إلى جبل سنجار ونزل على قبيلة المهركان، وأغار على أغنامهم وأكل
زروعهم وعاد إلى الموصل » (٣) . ولم يلبث أن عاد إلى الجبل
أخرى بعد أيام قلائل ، إلا أن هزيمة بعض فرق جيشه من الينكجر
حالت دون جني ثمار هذه الحملة (٤) .

(١) التغار ، أو الطغار : إسم لثقل مستعمل في العراق ، لحقه مستمر في وزنه بين عهد وآخر .

(٢) غرائب الأثر ص ٣١ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٣٤ .

الفصل الخامس

نهاية حكم آل الجليلي

الأسر الموصلية الكبيرة وحركة اقصاء الجليليين عن الحكم :

لم يطل استقرار يحيى باشا في حكم الموصل بعد ثورة عام ١٨٢٧ م ١٢٤٢ هـ . ففي تموز (ذي الحجة) من هذا العام صدر أمر نقله من ولاية الموصل إلى ولاية ديار بكر المجاورة (١) ، دون أن تسجل لنا المصادر شيئاً عن موقف بغداد من هذا التغيير . وعلى أية حال ، فان التغيير لم يكن حاداً ، إذ أن شخصاً آخر من آل الجليلي تولى حكم الموصل بعد يحيى باشا هو عبد الرحمن باشا بن محمود باشا . وتعتبر فترة حكم هذا الوالي (المبتدئة من ٢٠ تموز ١٨٢٧ إلى ١٥ نيسان ١٨٢٨ / ٢٤ ذي الحجة ١٢٤٢ - ٩ شوال ١٢٤٤) (٢) أخطر مرحلة في تاريخ الموصل ، طيلة حكم الأسرة الجليلية وهي مرحلة دقيقة ، كانت - في الواقع - البداية الحقيقية للتداعي السياسي الذي شهدته الولاية ، والذي انتهى في منتصف القرن بانتهاء عهد الولاة الجليليين وزوال الحكم المحلي للموصل .

---

(١) علي أميري : تذكرة شعراء آمد ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢) أنظر قائمة ولاة الموصل (الملحق رقم ١) .

ويمكن القول بأن تحولا جذرياً كانت تمر به الموصل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، وهو تحول حدد - منذ مستهل القرن التاسع عش مصير السلطة السياسية في الولاية . فقد أدى التوسع الحرفي الكبير ، الصناعات المحلية ، وما جر اليه ذلك من تعاظم القوة العاملة في المد إلى خلق فئات جديدة من العامة لم تكن معروفة من قبل . وعندما بعض أصحاب المعامل اليدوية القديمة (١) إلى العمل على زيادة انتاج معا باستيراد الآلات الأجنبية ، وتوفير السلع بانتـــاج أغزر وبأسعار أر كثيراً (٢) ، فقد أدى ذلك إلى كثرة الأيـــدي العاطلة وانخفاض مس الحياة المعاشية للقوة العاملة ، وهو أمر من شأنـــه أن يهز أسس ا الاقتصادي في الولاية هزاً خطيراً .

وقد زاد من سرعة تبلور تلك الأوضاع الاقتصادية وظهور آثار تلك النكبات الطبيعية المتلاحقة التي شهدتها الموصل في السنين الأخيرة آل الجليلي . فمنذ عام ١٨٢٤ م / ١٢٤٠ هـ كانت البلاد في قحط مـ وانعدم حاصل الحنطة عدة مواسم متتالية بسبب توارد الجراد وشدة الج وما كادت الأزمة تنتهي عام ١٨٢٨م / ١٢٤٣ هـ حتى داهم البلاد وباء الطا الذي انتقل اليها مع بعض القوافل التجارية القادمة من حلب (٣) ، فأ على عدد كبير من أبناء الولاية خلال فترة لا تتجاوز تسعة أشهر . و عدد المصابين بالطاعون بين ١٨٫٠٠٠ و ٢٠٫٠٠٠ شخص في الموصل وحدها ا

---

(١) أنظر الفصل الثاني من الباب الثاني (الحياة الاقتصادية) .

(٢) lger , J . : The Nestorians , P . 74 .

(٣) lge , E . : By Nile and Tigris , 11 , P . 38 .

(٤) lge , E . : Op . Cit . , P . 39 .

lger , J . : The Nestorians , P . 74 .

ومع تكرر حدوث النكبات الاقتصادية ، ونمو طبقة جديدة من الحرفيين الذين لم يجدوا لهم المكان المناسب في التغيير الاقتصادي الجديد ، والذين كانوا أكثر الطبقات تضرراً من تلك النكبات ، كانت هنـاك فئات من الطبقة العليا في المجتمع الموصلي تحاول أن تستغل التغيير الجديد لصالحها .

فقد أخذت الأسر الموصلية الكبيرة ، التي طالما قنعت بمناصب الدرجة الثانية والثالثة في سلم البناء السياسي للولاية ، تحس الآن بأهميتها الاجتماعية في الموصل ، وربمـا شعرت بشيء من الغبن السياسي الذي لا يتفق مع ما وصلت اليه من الأهمية والقوة ، فكان طبيعياً إذن أن تستغل هذه الأسر تلك النكبات الطبيعية الشاملة ، وما جرت اليه من تململ اجتماعي (كانت بدوره نامية في هذه الفترة) ، لتقود حركة اقصاء آل الجليلي عن قمة الهرم السياسي ، ولتحاول أن تأخذ – هي هذه المرة – محلها فكانت أولى بوادر الحركة محاولة أحمد باشا بن بكر أفندي الفاشلة عام ١٨٠٩ م / ١٢٢٤ هـ على أنه إذا كانت هذه المحاولة قد فشلت بسبب عدم تأييد القوى الشعبية لها ، فان أسراً بارزة مثل آل العمري وآل ياسين المفتي وآل شويخ ، لم تعدم في القرن التاسع عشر أنصاراً ذوي فعالية من الطبقات المتبرمة اقتصادياً وبهذا انضمت فئات من الموصليين المنخرطين في سلك الينكجرية إلى صفوف الحركة الجديدة .

انقلاب ١٨٢٩ وهرب محمد أمين باشا إلى بغداد :

وفي ١٥ نيسان ١٨٢٨ (شوال ١٢٤٤ هـ) شهدت الموصل أول حادث اغتيال سياسي لوال من ولاتها خلال تاريخها السياسي الحديث . فقد كمن

الثائرون على سطح احدى الدور المطلة على الطريق المؤدية إلى سراي ا
وأخذوا يرقبون قدوم الوالي من المزاغل ، وما أن اقترب موكبه من الـ
ـ الواقع بالقرب من المحكمة الشرعية ـ حتى اطلق الثوار عليه النار
بنادقهم ، فهوى من على ظهر جواده ، ثم ضربوه بالخناجر والسيوف
قضوا عليه ، وهرعوا إلى سراي الحكومة واحتلوه مع من انضم اليـ
وصعدوا إلى دار الكتخدائية وألقوا القبض على محمد الجليلي شقيق ا
وكتخداه وقتلوه بالسيوف ، ثم حمل الجثمانان ليدفنا في جامع جدهما «
باشا » المعروف بجامع الحامد والمحمود (١) .

وبذلك تم للثوار الاستيلاء على زمام السلطة في الموصل ولم
قد برز بينهم أحد كقائد للحركة الجديدة ، هذا في حين تكتل أنصار ا
القتيل ومؤيدوه من العلماء والأعيان وأمراء الجيش لانتخاب خلف لـ
فأجمعوا على ترشيح محمد أمين باشا بن الحـاج عثمان بك الحيائي ا
لمنصب الولاية ، وبعث كل من الفريقين إلى داود باشا والي بغداد ينـ
حدث من وجهة نظره (٢) ، فكان موقف داود إلى جانب زعامة الجـ
ولاشك أن لعلاقة داود باشا الوثيقة بالوالي القتيل دوراً أساسياً في ا
هذا الموقف (٣) ، فقد صادق على طلب أمين باشا ، وأرسل المحضـ
استانبول ، فوافقت السلطات العثمانية على الطلب ، ووصل الفرمان ا

(١) مجهول : أوراق مخطوطة في مكتبة السيد ناظم أفندي العمر
الموصل ، وأنظر العراق بين إحتلالين ج ٦ ص ٣٠٠ .

(٢) الأوراق المخطوطة السابقة ، ومحمد صديق الجليلي : محمـ
الفهمي ص ٦ .

(٣) ويؤكد هذا الموقف أن داود ابى طلب عبدالرحمن باشا عام٤٣

بذلك في أوائل تموز سنة ١٨٢٩ (أوائل محرم ١٢٤٥ هـ) (١) .

وبينما كان الثائرون يتدارسون موقفهم الحرج إزاء تعيين الوالي الجليلي الجديد ، الذي كان متوقعاً أن ينكل بقتلة ابن عمه عبد الرحمن باشا ، جاء أمر محمد أمين باشا الجليلي بعقاب الثائرين خفيفاً هيناً إلى حد غير متوقع . فقد اكتفى بنفي بعض زعماء الحركة إلى بلدة تلعفر القريبة (٢) فمنح لهم بذلك الفرصة لأن يعيدوا تنظيم قواهم ، وأن يجمعوا شملهم بحرية ودون أي رقيب . وفعلاً ، لم يمكث المنفيون في منفاهم إلا شهراً واحداً استطاعوا خلاله تجريد حملة عسكرية من سكان تلعفر نفسها ، قدر عدد أفرادها بـ (١٤٠٠) رجـــل ، من بينهم (٤٠٠) فارس من عربان عشيرة (البو حمد) (٣) .

وفي تشرين الثاني ١٨٢٩ (جمادى الأولى عام ١٢٤٥ هـ) وصلت الحملة إلى أبواب الموصل ، فانقسمت أورطات الينكجرية على نفسها ، وانضمت بعض الأورطات إلى القوات القادمة ، بينما واصلت بقية الأورطات تأييدها للوالي الجليلي ، فنشب قتال عنيف في شوارع الموصل بين الفريقين دام ٢١ يوماً وقتل خلاله عثمان بك الجليلي ، أبو الوالي ، وكان عمره إذ ذاك ثمانين عاماً

= فأمر بالقاء القبض على الشاعر عبد الغفار الأخرس عندما هرب من الموصل الى بغداد (محمد الفهمي ص٦) .

(١) مجهول : أوراق مخطوطة في مكتبة ناظم العمرى ، والعراق بين إحتلالين ج ٦ ص ٢٩٩ .

(٢) بلدة تبعد عن مدينة الموصل بحوالي ٦٨ كيلو مترا .

(٣) الأوراق آنفة الذكر ، والعراق بين إحتلالين ج ٦ ص ٣٠٠ .

كما قتل صالح أفندي السعدي رئيس ديوان الانشاء ، وأحمد بك الاي
وحسين بك بن أحمد باشا (من الينكجرية) ومحمد بك وسالم بك ول
الحاج عبد الباقي باشا بن عبيد أغا الجليلي . وعدد كبير من العامة .
الوالي محمد أمين نفسه ، فقد تمكن من الاختفاء والنجاة بنفسه ، واض
إلى تغيير مخبأه عدة مرات ، حتى غادر المدينة نهائياً إلى بغداد (١)

وعلى هذا النحو نجح الثائرون (٢) في تصفية رجال الحكومة الـ
واستطاعوا أن يمسكوا بمقاليـــد الحكم بيد من حديد . وبرزت إلى مـ
السياسة شخصيات الانقلاب المهمة ، فكان على رأس الجناح المـــدني
قاسم أفندي بن حسن أفندي العمري ، ومحمد سعيد أفنـــدي آل يا
أفندي المفتي ، في حين ترأس الجناح العسكري : خالد أغا بن صالح
آل شويخ آغا أورطة « اللي أيكي » ، ومحمد أغا وسعيد أغا ولـــدا
عبد الله السعرتي من قواد الجيش .

---

(١) الشهر اباني : تذكـــرة الشعراء ص٣٢ . وأوراق خا
في مكتبة المرحوم ناظم العمري . ومن الجدير بالذكر أن كلا من الـ
(تاريخ الموصل ١ / ٣٠٤) والعزاوي (العراق بين إحتلالين ٦ / ٠١
وغرايبة (مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١ / ١٧٠) يقفون في تاريخهم
آل الجليلي عند هذه الحادثة « ناصين صراحة على أن أمين باشا هو آخر ا
الجليليين ، مع إننا نعلم - كما سيأتي في هذا الفصل - أن يحيى باشا الـ
حكم الموصل مرة أخرى عام ١٢٤٨ - ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ - ١٨٣٤ م .

(٢) يصف صاحب تذكرة الشعراء هؤلاء الثوار بأنهم « أسفاه مـ
البلد » (ص ٣٣) .

وتولى الجناح المدني الحكم في الولاية ، فنصب قاسم أفندي العمري متسلماً للولاية ، ومحمد سعيد أفندي آل ياسين كتخدا له ، إلا أن الخلاف سرعان ما دب بين قادة الانقلاب ، وسحبت بعض العناصر تأييدها لزعامة قاسم العمري (١) .

موقف الدولة العثمانية من الاتجاه المعادي لزعامة الجليليين :

وبينما كانت التناقضات قد بدأت تظهر على سطح الحياة السياسية في الموصل ، كانت هناك تناقضات مماثلة تلعب دورها بين الموصل وبغداد ، فان داود باشا الذي آثر السكوت مضطراً أول الأمر ، إزاء ابعاد حليفه محمد أمين باشا الجليلي عن حكم الموصل ، لم يخف استياءه من تعيين قاسم العمري حاكماً للولاية ، وامتنع عن تأييد حكمه لدى السلطات العثمانية المركزية ثم سرعان ما نشب الخلاف بينه وبين قاسم علناً ، فحاول داود مفاوضة الباب العالي على اصدار قرار بعزل خصمه وقتله (٢) . وتذهب الروايات المحلية إلى أن أوامر صدرت إلى داود باشا تقضي بقتل قاسم وأعوانه ، واعادة الوالي محمد أمين الجليلي إلى منصبه ، وأن الباب العالي أرسل الأوراق الخاصة بالأمر مع ساعي البريد (أغا التاتار) . وعند وصول الساعي إلى الموصل ، وقعت في نفس قاسم ريبة من مجيئه ، وشعر بأن لخصمه داود ضلعاً في الأمر ، فاحتال إلى أن فتح حقيبة الرسول - أثناء نومه - وسرق منها الأوراق المطلوبة . وفي الصباح واصل أغا التاتار سفره إلى بغداد وهو لا يعلم بما جرى لحقيبته ، ولكن الأمر سرعان ما اكتشف في حضرة داود

(١) المماليك في العراق ص ١٩٠ .

(٢) الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٣٠٥ .

نفسه ، وبهذا ، فقد أنقذ قلهم نفسه وبقي في منصبه (١) .

والرواية بهذا الشكل تشير الشك في صحتها ، وهي إن صحت ، فالظاهر أنها لم تكن إلا وسيلة لتضليل داود ، ذلك أن الباب العالي لو كان جاداً في ازاحة قاسم لأصدر فرماناً ، ولكن أمراً كهذا لم يحدث (٢) . وفي الحقيقة ، كانت نية السلطات العثمانية على عكس ما تناقلته الروايات المحلية ، فبدلاً من أن يخول لداود حق عزل خصمه وقتله ، كانت الخطة قد بيتت للقضاء على داود نفسه ، بالاستفادة من خصومه الأقوياء في المنطقة والذين كان العمري من بين أقطابهم .

ففي عام ١٨٣٠ تجمع لدى الباب العالي من الأسباب ما جعله يقدم على خطوة طالما راودته فكرة تحقيقها ، وهي التخلص من حكم المماليك في العراق ، كبداية لتصفية الحكومات المحلية شبه المستقلة في الامبراطورية العثمانية ، وكان السلطان محمود الثاني ينتهج إذ ذاك خطة اصلاحية عامة استهدفت ضم أجزاء بلاده ضمن نظام مركزي موحد ، خاصة وأن حكومات أخرى غدت تشكل خطراً شديداً ينذر بتمزق الامبراطورية ، مثل حكومة محمد علي باشا في مصر ، وأسرة القرمانلي في ليبيا .

وحاول السلطان القضاء على داود بالحسنى ، فأرسل مبعوثه صادق أفندي إلى بغداد ليتولى هذه المهمة الشاقة . وفي بغداد اصطدم المبعوث العثماني بالوالي العنيد ، وظهرت للمماليك نوايا صادق أفندي ضدهم وتصميمه

(١) المصدر السابق ، والجليلي : محمد الفهمي ص ٧ .
(٢) عبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص ١٤٩ .

تصفيتهم ، فلم يجدوا أمامهم من سبيل للتخلص منه سوى اغتياله وانقاذ أنفسهم من خططه ونواياه . وزاد حادث اغتيال هذا المبعوث من تصميم الباب العالي على تصفية النظام المتمرد ، فاتخذ اجراءات مشددة ضد داود باشا ، وكلف والي حلب علي رضا باشا اللاظ بقيادة الجيوش للقضاء على والي بغداد ، مسنداً اليه ولايات بغداد والموصل وديار بكـر اضافة إلى ولاية حلب (١) .

وفي أوائل عام ١٨٣١ م / ١٢٤٧ هـ تحرك علي رضا بقوات نظامية من حلب تتألف من ثمانمائة مقاتل مع قوات عشائرية ضخمة برئاسة صفوق شيخ شمر الجربا ، وسليمان الغنام من شيوخ العقيل . وبوصول علي رضا مدينة الموصل – وكانت إذ ذاك دون وال شرعي – أعلن اعترافه بحكم قاسم العمرى المعادي لداود باشا ، وذلك بتعيينه بمنصب قائمقام له (٢) فكان هذا أول اقرار رسمي لحكم العمري منذ توليه السلطة فعليـاً عقب حوادث عام ١٨٢٩ م / ١٢٤٥ هـ (٣) .

---

(١) سليمان فائق : تاريخ المماليك في بغداد ص ٦٠ وعبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص ٢٥٣ .

(٢) يذكر سليمان فائق أن علي رضا عين قاسماً متصرفاً للموصل (تاريخ المماليك ص ٦١) كما يذكر جروفز أن قاسماً كان والياً على الموصل : (*Groves , A . N . : Journal of a Residence . . , P . 185*) . وفي الحقيقة أن قاسماً لم يتول سوى منصب قائمقامية (متسلمية) الموصل لأن فرمان علي رضا كان ينص صراحة على حكم بغداد وحلب وديار بكر والموصل جميعاً *Longrigg , S . : Four Centuries of Modern Iraq , P . 270* .

(٣) سالنامة الموصل لسنة ١٩٠٨ ص ٨٦ .

ويبدو أن الاعتراف بقاسم لم يكن إلا وسيلة للاستفادة منه في الصدام المتوقع مع بغداد ، إذ سرعان ما أمر علي رضا قاسماً بالتوجه إلى بغداد على رأس حملة قوية تعززها قوات الشيخ صفوق من الشمريين وقوات سليمان الغنام من العقيل . ولم يجد قاسم العمري صعوبة حقيقية في دخول بغداد ، فقد كان الطاعون والفيضان قد فتكا بأهلها وصيراهـا دون قوة دفاعية كافية ، إلا أن أعمال العمرى العنيفة ، واصراره على الفتك بقادة المماليـك ، وتخوف البغداديين من القوات العشائريـة المتحفزة لدخول مدينتهم (١) ، أدت إلى اقدام اتباع داود على اغتيال القائد الموصلي وطرد قواته من بغداد (٢) .

وفي نفس الوقت ، كان علي رضا باشا قـد غادر الموصل ليتولى ادارة العمليات العسكرية بنفسه ، تاركاً في الموصل متسلماً يتولى تصريف شؤون الولاية من بعده ، هو محمد سعيد آل ياسين المفتي (٣) ، كتخدا المتسلم السابق قاسم العمرى ، وأحد زعماء الجناح المدني الذى قاد انقلاب عام ١٨٢٩ ، فكان هذا التعيين يمثل تأكيـداً واضحاً للاتجاه المعادي لزعامة الجليليين

(١) Groves , A . N . : *Journal of a Residence* . . P . 138 .

والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٦ ص ٣١٩ .

(٢) Fraser , J . : *Travels in Koordistan and Mesopotamia* , P . 280 & . Groves , A . N . : *Op . Cit .* , 188 . وسليمان فائق : تاريخ المماليك الكوله مند ص ٦١ .

(٣) وكان تعيينه في تموز ١٨٣١ / صفر ١٢٤٧ .

واستطاع علي رضا باشا دخول بغداد على الرغم من المقاومة العنيفة التي استجمعت فيها المدينة آخر ما تبقى من قوتها ، فأخرج داود باشا من بغداد أولاً (١) ، ثم قام بمذبحة مروعة قضى فيهـــا على المماليك قضاءً مبرماً (٢) ليتولى سلطاته الكاملة في العراق بزمته .

أثر سياسة محمد علي العربية على العراق :

على أن الأمر لم يكن سهلاً ممهداً أمام الوالي الجديد ، فان مهاماً خطيرة كانت تنتظره فور استقراره في الحكم ، ذلك أن حركة سياسية عسكرية قوية أخذت تشق طريقها من بلاد الشام للتأثير على مصير الولايات العراقية ولم تكن هذه الحركة سوى مشاريع محمد علي باشا والي مصر لتوحيد بلاد المشرق العربي مع مصر ضمن اطار دولة موحدة قوية .

كان محمد علي قد أخذ باعداد الأنصار والأصدقاء في بـــلاد الشام تمهيداً لضمها إلى مصر ، إلى درجة أن أصبحت فيها شؤون تلك البلاد جزءً من شؤون مصر من الناحية الفعلية . وما أن نشب الخلاف بين والي

---

(١) *Longrigg , S . : Four Centuries . . , P . 280 .*
ونوار : داود باشا ص ٢٧٦ ٢٧٩ .

(٢) عبد المحسن السهروردي : نبذة من تاريخ حوادث ولاة بغـــداد (مجلة المرشد بغداد ١٩٢٩ ص ٤٥٤) والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٧ ص٢١) وقد قدر عدد الذين قتلهم علي رضا باكثر من ثلاثين (الوثائق القومية : محفظة ٤ برا بحرا رقم ٨٧ بتاريخ ٢٥ صفر (كانون أول) ١٢٣٢ من مجهول الى محمد علي) والذي نرجحه أن هذا التقدير أقل من الواقع بكثير .

مصر وعبد الله باشا والي عكا حتى اتخذه محمد علي ذريعة للقيام بأعمال العسكرية ، فعين ابنه ابراهيم باشا قائداً أعلى (سر عسكر) للجيوش المصرية وتقدم الجيش المصري ففتح عكا بعد حصار دام ستة شهور ، وفي حزيران من عام ١٨٣٢ م فتح ابراهيم باشا دمشق ، ثم مزق في أول تموز الجيش العثماني المحتشد في حمص وتفرق الباشوات العثمانيون هاربين إلى عينتاب ودخل ابراهيم حمص وحماة في الشهر نفسه ، وفي منتصفه دخل حلب وشرع في تثبيت حكمه فيها ، ثم أرسل طلائع جيشه إلى جهة الفرات فدخلت أورفه – وكانت تعد من توابع بغداد – ثم ضمت مرعش وعينتاب والرة وبيلهجك ، وبذلك انتهى فتح بلاد الشام وصارت مفاتيح العراق الشمالي بيد القوات المصرية (١) .

وكان لهذا التقدم المصري الباهر أثره السريع داخل كيانات الولايات العراقية ، فقد نشبت الثورات في عدد من المدن العراقيـــة الكبيرة ضد السلطات العثمانية فيها ، وجرت اتصالات عديدة بين الثوار والقيادة المصرية في الشام تحرضها على التقدم لضم العراق بأ كمله إلى بلاد الشام ، حتى ذا

(١) داود بركات البطل الفاتح إبراهيم ص ٤ – ٧ و ١٧ و ٤٤ و ٨ و ٦٣ وكرابيتس ، بيير : إبراهيم باشا ص ١٥٤ و ١٦٢ و ١٦٧ .

وعن سيطرة القيادة المصرية على حوض نهر الفرات أنظر : الوثائق القومية : محفظة ٢٥٠ عابدين . وثيقة تركية رقم ٢٤٩ من إبراهيم باشا إلى محمد علي بتاريخ شعبان ١٢٥٠ هـ / ديسمبر ١٨٣٤ ومحفظة ٢٥٠ وثيقة تركية رقم ٤٨٠ بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٢٥٠ / ٢ أبريل ١٨٣٥ . ومحفظة ٢٥٠ وثيقة تركية رقم ٥٠٣ بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٥٠ / ٢٤ أبريل ١٨٣٥ من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

أن « كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون لقدوم العساكر المصرية المنصورين » (١) وحاول علي رضا الاستفادة من حليفه صفوق بارساله على رأس قواته من الشمريين البالغة زهاء ثلاثين ألفاً أو أربعين ألفاً ، للمشاركة في العمليات العسكرية العثمانية الدائرة ضد قيادة الجيش المصري في الأناضول (٢) ، إلا أن صفوق مال إلى جانب ابراهيم باشا بن محمد علي ووضع ثقله إلى جانب التوسع العربي لمصر ، ثم أيدته في موقفه هذا أهم العشائر العراقية وأقواها . ففي منتصف عام ١٨٣٢ م كتب كل من الشيخ صفوق والشيخ محمد الجدعان أحد شيوخ العقيل ، وشيخ عشيرة زبيد ، رسائل إلى ابراهيم باشا يعلمونه فيها بتأييدهم للقيادة المصرية ، ويرجون منه ارسال قوة رمزية لا تزيد على ثلاثمائة فارس مصري ليعلنوا انضمامهم رسمياً إلى مصر ، ويقومون بتطهير العراق من الوجود العثماني (٣) ، وأظهر متسلم « عانه » (٤) طاعته للحكومة المصرية ، وأعلنت « هيت » (٥)

(١) الوثائق القومية . محفظة ٢٣٨ عابدين . وثيقة رقم ٦٨ تقرير وحيد أفندي بتاريخ ٨ ربيع الآخر ١٢٤٨ هـ / ٤ أكتوبر ١٨٣٢ م .

(٢) الوثائق القومية : محفظة ٢٣٤ عابدين . الوثيقة التركية رقم ١٧ بتاريخ ٤ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ / ٦ مايو ١٨٣٢ . ومرسوم علي باشا والي الشام محفظة ٢٢١ وثيقة ٢٨ - في ٩ جمادى الأولى ١٢٤٨ هـ / أكتوبر ١٨٣٢ م .

(٣) جاء في المرسوم الموجه إلى محمد الجدعان شيخ عرب العقيل «وطلبتم أن نرسل لكم شرذمة من عساكرنا المنصورة لكي يقبضوا ذلك الظالم وشرحتم ما صدر منه من المظالم» ولم يشر المرسوم إلى إسم ذلك الظالم ، ولعله أراد علي رضا باشا والي بغداد .

(٤) عانة : بلدة عراقية على الفرات .

(٥) هيت : بلدة عراقية على الفرات أيضاً .

انضمامها إلى جانب مصر (١) ، فزاد ذلك من حراجة الموقف العثم
في بغداد .

وزاد من الأمر سوءاً بالنسبة للعثمانيين أن ثورات أخرى قامت أنحاء متعددة من العراق (٢) ، وكان الوضع السياسي في غاية تأزمه في بغ ذاتها ، حتى أن قنصل انجلترا فيها ذكر في تقرير له « أن هذه الولاية الآن في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا . . . وأ الشعب العربي متجهة في المحبة نحو ابراهيم » (٣) . وشبت الثورة فعلا الجانب الشرقي من بغداد في آخر أيّار ١٨٣٢ م (٢٧ ذي الحجة ٢٤٧ بزعامة مفتي المدينة عبد الغني آل جميـل (٤) . وتشير التقارير إلى نصف أهل بغداد مخلصون لعلي باشا ، وأما نصفهم الآخر فأعداء له ، ولم يستطع والي بغداد القضاء على الثورة إلا بعد قصف مراكزها بالم

(١) محفظة ٢٣٨ عابدين . الوثيقة العربية رقم ٢٦٢ . مراسيـ شيوخ القبائل العراقية بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٨ / سبتمبر ١٨٣٢م

(٢) الغرض من الاشارة إلى هذه الثورات هو إيضاح الوضع الس في العراق في آخر حكم الجليليين ، وذلك ضروري لفهم الدور الذي لع تلك الأوضاع وأسباب ذلك ، والظروف التي أدت إلى إنتهاء حكمهم فيه

(٣) من تايلر القنصل الانجليزي في بغداد إلى كامبل القنصل الانج في الاسكندرية بتاريخ ٦ نوفمبر ١٨٣٣ (داود بركات : البطل ا إبراهيم ص ٩٤) .

(٤) العزاوى : العراق بين إحتلالين جـ ٧ ص ١٤ .

(٥) الوثائق القومية : محفظة ٢٣٨ عابدين . وثيقة رقم ٦٨ لوحيد أفندى عن يوم ٨ ربيع الآخر ١٢٤٨ هـ / ٤ أكتوبر ١٨٣٢ م .

والتنكيل بالثوار وحرق دورهم (١) ، ولم تكد الثورة تنتهي حتى نشبت ثورة أخرى في الجانب الغربي من بغداد، قامت بها عشيرة العقيل النجدية التي سبق أن اتفق بعض زعمائها مع القيادة المصرية في الشام ، ونجح علي رضا في القضاء على الثورة بعد استعمال مدفعيته مرة أخرى (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فقد انسحبت بقايا المماليك إلى البصرة ليشكلوا قيادة جديدة تحت زعامة عزيز أغا متسلم البصرة في عهد داود ، وحاول عزيز ازاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد بالقوة ، فقدم على بغداد في جموع كثيرة من العسكر ، (٣) إلا أن الأوضاع السياسية بين الدولة العثمانية وايران لم تمكنه من الوقوف في وجه والي بغداد فاضطر إلى الفرار إلى ايران (٤) ، وتعكس الإشاعات التي انتشرت بين الناس في تلك الآونة مدى ضعف السلطات العثمانية وحراجة موقف علي رضا ، فقد أشيع أنه اعتصم بقلعة بغداد (٥) ، وأنه فر من المدينة (٦) وأنه لقى ،

(١) العراق بين إحتلالين ج ٧ ص ١٥ وعبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ٤٥٢ .

(٢) الوثائق القومية . محفظة ٢٤٦ عابدين . وثيقة ٦٥ بتاريخ غرة شعبان ١٢٤٨ / ٢٤ ديسمبر ١٨٣٢ . والعراق بين إحتلالين ج ٧ ص ٢٩ .

(٣) الوثائق القومية : محفظة ٢٣٥ وثيقة رقم ١٩٨ بتاريخ محرم ١٢٤٨ / مايو ١٨٣٢ .

(٤) العراق بين إحتلالين ج ٧ ص ٢٥ .

(٥) الوثائق القومية . محفظة ٢٣٥ الوثيقة السابقة .

(٦) الوثائق القومية : محفظة ٢٥٠ الوثيقة رقم ٤٨٠ بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٢٥٠ هـ / ٢ مايو ١٨٣٥ .

مصرعه (١) وأن أهل بغداد أزالوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية ع
وعينوا مكانه والياً من بينهم ابرازاً لميلهم إلى مصر (٢) . هذا في الو
الذي كانت فيه العشائر المحيطة بالمدينة قد أعلنت عصيانها على علي ،
والي بغـــداد (٣) .

التوسع الراوندوزى وحصار الموصل :

وفي هذه الأثناء ، كانت الموصل التي توارت عن مسرح الأحد فجأة بعد اغتيال عبد الرحمن باشا الجليلي ، ومصرع قاسم باشا العم في بغداد ، قد فقدت استقلالها تماماً باعتبارها ولاية قائمة بذاتها ، وأصبح تابعة لسيادة بغداد رسمياً ، وكان محمد سعيد آل ياسين المفتي يتولى حكو بصفته متسلماً فقط منذ تموز عام ١٨٣١ م / صفر ١٢٤٧ هـ . وليس معلومات كافية توضح لنا طبيعة الحياة السياسية داخل الموصل في هـ الفترة العصيبة من تاريخ العراق ، وعن دور القوى المؤيدة لزعامة الجليل فيها ، وعلاقة هذه القوى بحكومة محمد سعيد آل ياسين التابعة لبغداد إلا أن الأحداث التالية كشفت بوضوح عن ضعف هذه الحكومة وعج

---

(١) الوثائق القومية : محفظة ٢٣٥ وثيقة رقم ١٩٨ محرم ١٢٤٨ . مايو ١٨٣٢ .

(٢) الوثائق القومية . من محمد علي إلى محمد أغا تركجه بلمز بتار ٩ صفر ١٢٤٨ / ٨ يوليو ١٨٣٢ . دفتر ٤٠ معية تركي وثيقة ٨٢٣ ،

(٣) الوثائق القومية . من إبراهيم باشا يكن إلى إبراهيم باشا بن محمد علي . بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ١٢٤٨ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٣٢ م محفظة ٨ عابدين وثيقة ١٤٩ .

عن اتخاذ أي دور ايجابي في الأحداث الدائرة حولها . خاصة عندما تعرضت المدينة إلى خطر التوسع الزاوندوزي في عام ١٨٣٢ . ففي تلك الفترة المليئة بالثورات ، استغل أمير راوندوز (١) الكردي محمد باشا ميركور ضعف السلطة المركزية في بغداد وانشغال القوات العثمانية في محاولة صد التقدم المصري ، وملاحقة الموالين لمصر في العراق ، فشرع يجهز الجيوش ويوسع إمارته (٢) ، فاستولى على أربيل ، وكانت إذ ذاك تابعـة لإمارة بابان المجاورة ، فاضطر علي رضا إلى اقرار هذا الوضع إزاء عجزه عن تغييره واستفاد ميركور من الظروف السائدة إلى أقصى حدود الاستفادة ، فاستولى على بلدة « آلتون كوبري » على طريق أربيل - بغـداد ، وأخضع إلى نفوذه مدناً ومناطق هامة من شمالي العراق . وفي عام ١٨٣١ م ابتدأ ميركور في احتلال أراضي امارة بهدينان (٣) المجاورة لولاية الموصل ، فاستولى

---

(١) راوندوز : بلدة في شمالي العراق تتميز بموقعها الطبيعي الحصين .

(٢) تعرف إمارة راوندوز بامارة الصوران ، أو السوران ، أو السهران ، وهي امارة كردية نشأت في منطقة راوندوز في القرن الثاني عشر للميلاد وفي عهد السلطان سليمان القانوني ألحقت الامارة بولاية أربيل (شهرزور) ، ثم ما لبث أن أعلن الصورانيون استقلالهم عنها ، وأخذت الامارة في التوسع والانكماش حتى عام ١٨١٠ حين تولى الحكم فيها الأمير مصطفى بك ، فشرع بتثبيت حكمه وبتوسيع الامارة ، وفي عهد ابنه ميركور (وتعني الأمير الأعور) الذي ابتدأ حكمه عام ١٨٢٦ ، استطاعت راوندوز أن تحقق انتصارات سريعة ضد البابانيين ، وذلك بتشجيع من داودباشا . أنظر : حسين حزني المكرياني : موجز تاريخ أمراء سوران ص ٥٦ وأمين زكي : تاريخ الدول والامارات الكردية ص ٤٠٠ وعبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ١٠١ - ١١٠ .

(٣) تحدثنا عن هذه الامارة في الفصل الرابع من الباب الأول =

على العمادية ثم على مدينة « عقره » . وهي من أهم مدن الامارة ، ومنه انطلق نحو مدينة الموصل ذاتها (١) .

واستعدت الموصل للحصار ، فعبأ متسلمها القلاع والحصون والأبراج ثم « سد أبواب القلعة على نفسه وتحصن فيها » (٢) وأزيل الجسر الذي يصل بين المدينة وبين شاطيء دجلة الشرقي استعداداً للطواريء . ولم يشأ ميركور أن يضيع وقته أمام أسوار الموصل ، فسرعان ما تجاوزها بجيشه ليعيث في ريفها تخريباً ، فاستولى على قراها ، ونهب ضواحيها ، ثم ترك بعضاً من جنوده لمحاصرة المدينة (٣) . وينفرد المؤرخ الكردي حسين حزني المكرياني بالقول بأن ميركور حاصر الموصل بقوة ووجه إليها المدافع أخذ يهاجمها مما أوقع المدينة في إرتباك وهلع فظيعين ، وأن سعيد آل ياسين إضطر إلى أن يضع نفسه تحت رحمة الأمير الراوندوزي » فكاتبه ... وقدم إليه الهدايا ، وعقد معه الصلح خانعاً خاضعاً ، فكتب له الأمير بولاية الموصل وأنعم عليه وأعاده الى مقره » (٤) .

وانطلق ميركور في توسعه ، فضم إلى امارته النامية دهوك وزاخو

= (علاقات الموصل وارتباطاتها الخارجية) .

(١) علي سيد والكوراني : من عمان الى العمادية ص ١٣١ وصديق الدملوجي : امارة بهدينان ص ٤٠ والدملوجي أيضاً : اليزيدية ص ٤٦٥ .

(٢) حسين حزني المكرياني : موجز تاريخ أمراء سوران ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٦ و ongrigg , S . : Four enturiesof Modern . Iraq , P . 292 .

(٤) المكرياني : موجز تاريخ أمراء سوران ص ٥٦ — ٥٧ .

ثم أعاد فتح العمادية . ولم يكتف بذلك فحسب ، بل شرع في مهاجمة نصيبين وماردين (١) ، وبذلك أصبحت قواته تهدد الجيش العثماني الذي كان يحاول الصمود تجاه ضربات الجيش المصري المتلاحقة في أعالي الفرات (٢) . حتى قيل أن اتفاقاً خاصاً تم عقده بين أمير راوندوز وبين محمد علي والي مصر عام ١٨٣٢ م / ١٢٤٧ هـ خلاصة مواده أن يقدم كل منهما مساعدته للآخر « وأن يأتي محمد علي باشا بجنوده إلى سوريا ويتوجه نحو أطنه ، ويتوجه الأمير نحو ماردين وديار بكر » (٣) وأن رسائل تبودلت بهذا الصدد بين الطرفين في تموز ١٨٣٢ عند وصول ابراهيم باشا بن محمد علي حمص ، وقدوم أمير راوندوز إلى ضواحي الموصل (٤) .

وروي أيضاً أن بعض علماء بغداد ووجهائها - الذين بلغ بهم التذمر أشده - كتبوا إلى ميركور يحرضونه على التوجه لفتح بغداد نفسها (٥) ،

---

(١) المكرياني : موجز تاريخ أمراء سوران ص ٥٤ وخضر العباسي : تاريخ بلدة زاخو ص ١١ والكوراني : من عمان الى العمادية ص ١٣٣ وأمين زكي : تاريخ الدول والامارات الكردية ص ٤٠٥ - ٥١٣ .
Longrigg , S . : Four Centuries of Modern Iraq , P . 293 .

(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ٣ ١ .

(٣) المكرياني : موجز تاريخ أمراء سوران ص ٥٤ والكوراني : من عمان الى العمادية ص ١٣٢ .

(٤) موجز تاريخ أمراء سوران ص ٥٤ .

(٥) المصدر السابق ص ٥١ .

ومن المعروف أن قوات عربية كانت ضمن جيش الأمير الكردي (١)
كما تشير بعض الوثائق إلى أن اتفاقاً عقد بين الأمير وبين مماليك داود
السابقين (٢) . وقد لاحظ بعض المراقبين المعاصرين أن هؤلاء الح
« يريدن الاستيلاء على بغداد والبصرة وسائر العراق بعد استيلائهم
الموصل ، وأن هذه الحركة ليست جزئية وإنما هي حركة واسعة الن
يحتاج القضاء عليها على وصول الجيش السلطاني » (٣) وأكد بعض القاد
من العراق إلى حلب أن هدف هذه الحركة بعيد المدى ، « وأن الخ
القائل أنهم يريدون الاستيلاء على بغداد صحيح » (٤) ، ولعل هذا اله
هو السبب وراء تجاوز ميركور الموصل دون فتحها ، واكتفاء جنوده
« طالبوا الموصل بشيء كثير من المال فأخذوه » (٥) .

استرجاع يحيي باشا الجليلي لسلطاته في الموصل :

وبينما كانت الأوضاع السياسية في العراق في ذروة تأزمها واضطر
تتنازع البلاد تيارات قوية متعددة ، وتعمها الثورات المتوالية ، وفي ذ
الوقت الذي كانت فيه القوات المصرية تحرز في بلاد الشام انتصارات ب

(١) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ١٠٢ .

(٢) الوثائق القومية . محفظة ٢٣٥ عابدين . الوثيقة رقم ٨٤ بتا
١٢ محرم ١٢٤٨ / ٢ يونيو ١٨٣٢ .

(٣) الوثائق القومية . محفظة ٢٣٥ عابدين . الوثيقة السابقة .

(٤) الوثائق القومية : تقرير وحيد أفندي عن يوم ٨ ربيع الآخر ٤٨
٤ أكتوبر ١٨٣٢ محفظة ٢٣٨ عابدين . وثيقة رقم ٦٨ .

(٥) الوثائق القومية : محفظة ٢٣٨ عابدين . الوثيقة السابقة .

كان يحي باشا الجليلي الذي عزل عن ولاية ديار بكر يعيش مقيماً في مدينة حلب (١) ، يرقب الأحداث الدائرة في الساحة السورية من جهة ، ويتحين الفرص للعودة إلى ولايته من جهة أخرى .

وتشير التقارير المرفوعة إلى القيادة المصرية ، إلا أن يحي باشا غادر حلب قبيل وصول القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا اليها في منتصف تموز عام ١٨٣٢ م (منتصف صفر ١٢٤٨ ﻫ) (٢) . ورغم أن هذه التقارير لا تشير إلى ما يفيد اتصال يحي باشا بالقائد المصري ، فان الأحداث التالية من اغتيال عبد الرحمن باشا والأحداث التي تلت ذلك دلت بوضوح على أن يحي – الذي رأى خسائر العثمانيين وهزيمتهم في حلب – بات عاقداً العزم على نفض يديه من التبعية لسلطات الباب العالي ، وشعر بأن السيادة على المنطقة في المستقبل ليست للباشوات العثمانيين على أيـــة حال ، فتوجه نحو الموصل وهو مصمم هذه المرة على استرجاع سلطاته كاملة فيها .

وفي الطريق إلى الموصل ، استطاع يحي باشا أن يعقد اتفاقاً مع الشيخ صفوق الفـــارس حليف المصريين (٣) شيخ عشائر شمر الجربا ، وكان

(١) يشير الدكتور محمد صديق الجليلي في بحثه عن الشاعر محمد الفهمي ص ٨ الى أن الباب العالي نقل يحيى باشا من ولاية ديار بكر الى ولاية اماسيا ، مع أن الأحداث التاليه تشير الى أنه مكث في حلب ، ولم يذهب الى غيرها من الولايات ، والظاهر ان يحيى باشا لم ينفذ الأمر ، ومكث في حلب .

(٢) الوثائق القومية : من إبراهيم يكن إلى إبراهيم بن محمد علي بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ١٢٤٨ ﻫ / ١٣ سبتمبر ١٨٣٢ م .

(٣) الوثائق القوميه : محفظة ٢٣٨ عابدين . الوثيقة العربية ٢٦٢ بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٨ ﻫ / سبتمبر ١٨٣٢ .

الأخير قد فصم اتفاقه مع علي رضا والي بغداد ، وقصد إلى منطقة سنجار في غرب الموصل ، ليجمع قوات تكفي للتوجه بها إلى بغداد (١) . وهكذا اتفقت أهداف الطرفين : يحيى وصفوق ، وتم جمع نحو أربعة آلاف رجل من العرب ، وقصد الجميع الموصل (٢) .

وتشير بعض الوثائق إلى أن يحيى باشا الجليلي « قد استولى على الموصل بمساعدة بعض سكانها » (٣) بينما تذكر وثائق أخرى بأن استيلائه عليها جرى « بمساعدة الشيخ صفوق شيخ العشائر الجربا » (٤) ويبدو أن القوة العثمانية المرابطة في الموصل وأنصار محمد سعيد آل ياسين المفتي أبدوا بعض المقاومة قبل أن يسيطر يحيى باشا على المدينة تماماً ، « ولما لم يبق في يد المتسلم المنصوب من قبل علي (رضا) باشا إلا حي واحد فقط ، وهو قريب من السقوط . . احتج المتسلم . على يحيى ، فأعلمه بأنه استولى على

(١) عبد المحسن السهروردي : نبذة من تاريخ حوادث ولاة بغداد . (مجلة المرشد البغدادية لسنة ١٩٢٩ ص ٤٥٤) .

(٢) الوثائق القومية : من إبراهيم باشا يكن الى إبراهيم باشا بن محمد علي بتاريخ ٩ جمادي الأولى ١٢٤٨ / ٤ نوفمبر ١٨٣٢ . محفظة ٢٣٩ . وثيقة رقم ٧٣ .

(٣) الوثائق القومية : من إبراهيم باشا يكن إلى إبراهيم باشا بن محمد علي بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ١٢٤٨ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٣٢ . محفظة ٢٣٨ . وثيقة رقم ١٤٩ .

(٤) الوثائق القومية : محفظة ٢٣٩ وثيقة ٧٣ بتاريخ ٩ جمادي الأولى ١٢٤٨ / ٤ نوفمبر ١٨٣٢ .

الموصل بأمر من دولة ابراهيم باشا » (١) . حقيقة أن يحيى لم يلتق بابراهيم وأنه لا دليل على أنه دخل الموصل بأمر منه ، إلا أن تعاونه الوثيق مع صفوق ، وكان هذا قد وضع كل ثقله إلى جانب مصر ، يعطي انطباعاً على أن دخول يحيى باشا الجليلي الموصل كان متفقاً مع رغبـــة ابراهيم باشا وأهدافه كل الاتفاق . وكان في الموصل ذاتها – على ما ذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تايلر *Taylor* – حزب قد أخذ جانب مصر (٢) ، وثبت أن مراسلات جرت بين أعيان الموصل وعلمائها وبين القيادة المصرية في الشام (٣) فكان من المنطقي إذن أن يعتمد يحيى باشا الجليلي على مثل هذه القوى في حكمه الجديد (٤) .

واستمر تحالف يحيى – صفوق قائماً حتى بعد تولي الأول مقاليـــد الحكم في الموصل ، وكان هدف التحرك الجديد المشترك – هذه المرة – هو تخليص العراق من الوجود العثماني كله ، والقضاء على سلطة علي رضا باشا

---

(١) الوثائق القومية : الوثيقة السابقة .

(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ١٩٤ .

(٣) الوثائق القومية : من خورشيد إلى الباشمعاون بتاريخ غرة جمادي الآخرة ١٢٥٥ هـ ١٢ أغسطس ١٨٣٩ محفظة ٢٦٧ عابدين وثيقة ٤ حمراء

(٤) ومما يوضح موقف هذه القوى إنها ثارت مرة أخرى عام ١٨٣٩ م ١٢٥٥ ضد علي رضا . « فحصل بينه (أي علي رضا) وبين أهل الموصل وقعة فقتل من أعيانهم أثنان وسبعون شخصاً وسير من العلماء سبعة إلى نواحي البصرة من دون ذنب غير أنهم كانوا سعادة أفندينا إبراهيم باشا » الوثائق القومية : من خورشيد إلى الباشمعاون بتاريخ غرة جمادى الآخرة ١٢٥٥ هـ ١٢ اغسطس ١٨٣٩ محفظة ٢٦٧ عابدين وثيقة ٤ حمراء .

في بغداد ذاتها . ولم يكن والي بغداد العثماني في موقف يساعده على توجيه حملة سريعة ضد يحيى باشا ، طالما كان هذا الوالي متمتعاً بحماية عشائر شمر الجربا ، وبتأييد جانب فعال من سكان ولايته ، هذا علاوة على أن خسائر العثمانيين المتوالية أمام القوات المصرية في حوض الفرات ، وسيطرة القيادة المصرية التامة على طريق حلب - الموصل الاستراتيجي الهـام ، لم تكن تسمح بالقيام بأي تصرف من شأنه إرباك الوضع العثماني العام ، وفتح جبهة جديدة أمام القيادة العثمانية . لذا فقد فضل علي رضا باشا الابقاء على الوضع الراهن في شمال العراق مؤقتاً ريثما يتسنى له تغييره ، واضطر في العام نفسه (١٨٣٢ م / ١٢٤٨ هـ) إلى الاعتراف بحكومة يحيى باشا الجليلي في الموصل وتوجيه منصب الولاية اليه رسمياً (١) .

ولم يغير اعتراف علي رضا بسلطة يحيى باشا شيئاً من موقف الأخير أو من موقف حليفه صفوق المناوىء للحكم العثماني في العراق ، فقد شرع شيخ شمر الجربا بعملياته العسكرية ضد علي رضا ، وكان واضحاً منذ البداية أن هذا التحرك جرى بتشجيع يحيى باشا الجليلي (٢) ، ومطابقاً لرغبـة القيادة المصرية في الشام في اشغال العثمانيين ، وحرمانهم من فرصة تحويل العراق إلى قاعدة لضرب التحركات العسكرية المصرية ، وهو ما أدى بالوكيل السياسي البريطاني في بغداد تايلر *Taylor* إلى القول بأن مهاجمة صفوق لبغداد كانت بايعاز من محمد علي والي مصر (٣) . وفي الواقع كان هناك ما يوحي بوجود اتفاق بين صفوق وسلطات القاهرة ، فان رسلاً من طرفه

---

(١) سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٩٠٨ ص ٨٧ .

(٢) العزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٧ ص ٢٧ .

(٣) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ١٩٤ .

كانوا يفدون إلى القيادة المصرية في الشام ، حاملين كتباً موجهة إلى محمد علي في القاهرة (١) ، كما أن اشاعات ترددت عن وجود مصريين في معسكر صفوق يحرضونه على العمل ضد القوات العثمانية في بغداد (٢) . وليس من المستبعد أن يكون المصريون قد أعانوا صفوق في ثورته بأن أرسلوا اليــه مستشارين عسكريين ، خاصة وأن صفوق سبق وان طلب قوة عسكريــة مصرية ، وأن القيادة المصرية وعدته بارسال مثل هذه القوة (٣) .

عزل يحيى باشا ونهاية الحكم الجليلي :

وفي الوقت الذي كان فيه صفوق يحاصر بغداد ويهدد علي رضا باشا كان والي بغداد يحاول التخفيف من وطأة القوات الشمرية بالاستفادة من عشائر عنزة القوية ، التي وفدت إلى العراق في هذه الأثناء ، مشجعاً اياها على الوقوف في وجه صفوق ، وبهذا اشتبكت العشائر مع بعضها في نزاع عنيف حوالي بغداد (٤) ، مما منح لعلي رضا الفرصة لاصدار أمره بعزل يحيى باشا عن ولاية الموصل ، وتوجيه بعض القوات العثمانية ضده (٥) ولما

(١) الوثائق القومية : محفظة ٢٤٩ عابدين . وثيقة ٧ بتاريخ ٣ محرم ١٢٥٠ هـ / ١٣ مايو ١٨٣٤ م .

(٢) تاريخ العراق الحديث ص ١٦٤ .

(٣) الوثائق القومية : مراسيم الى شيوخ القبائل العراقية بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٨ م / سبتمبر ١٨٣٢ . محفظة ٢٣٨ . الوثيقة العربية رقم٢٦٢

(٤) الوثائق القومية : من ابراهيم يكن الى ابراهيم بن محمد علي بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٢٤٨م/٦ سبتمبر ١٨٣٢ . محفظة ٢٣٨ وثيقة رقم٧٥.

(٥) تاريخ العراق الحديث ص ١٦٥ .

استنجد يحيي بحليفه صفوق ، كان هذا في موقف حرج للغاية ، يواجه القوات العثمانية وقوات عنزه في آن واحد ، فاضطر أخيراً إلى الانسحاب وفك حصاره عن بغداد ، وبهذا انتهت خطة فتح بغداد التي خطط لها كل من يحيي وصفوق ، وأصبح موقف الحليفين نفسه في خطرٍ داهم ، فقد عزل علي رضا يحيي باشا ، ثم أعقبه بعزل صفوق ذاته عن مشيخة شمر ، وذلك بتأييد أحد المرشحين الآخرين في الوصول الى المشيخة

وبعزل يحيي باشا الجليلي عن ولاية الموصل (١) ، انتهى حكم آل الجليلي للولاية نهائياً ، وأعيد المتسلم السابق محمد سعيد آل ياسين ليمارس سلطاته فيها بصفته مرؤوساً من والي بغداد علي رضا باشا (٢) ، أما يحيي باشا فقــد أرسل إلى « تكفورطاغ » على بحر مرمرة ، ثم استدعى إلى القسطنطينية وعين عضواً في مجلس شورى الدولة (شوراى دولت) ومنح لقب كبير الوزراء (٣) ، فكان ذلك بمثابة ابعاد له عن مسرح الأحداث(٤)

وتظهر الحوادث التالية أن عزل يحيي باشا لم يكن إلا امتداداً لسياسة السلطان محمود الثــاني التي استهدفت القضاء على الحكومات المحليــة في الامبراطورية واحلال سيادة الدولة المركزية بدلها ، وهي السياسة التي قضت

(١) في كانون الثاني ١٨٣٤ (رمضان ١٢٤٩) محمد ثريا : سجل عثماني ج ٤ ص ٦٤٤ .

(٢) سالنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ ص ٨٦ .

(٣) محمد ثريا : سجل عثماني ج ٤ ص ٦٤٤ .

(٤) وقد استمرت اقامة يحيى باشا في القسطنطينية حتى وفاته عا ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧م ودفن عند مسجد ابي أيوب الأنصاري فيها .

من قبل على والي بغداد داود باشا ، واصطدمت بمشاريع والي مصر محمد علي الرامية إلى تأسيس دولة عربية ،وحدة تضم معظم البلاد العربيـــة في آسيا وافريقيا (١) وكان القضاء على أسرة آل الجليلي ، وفي هـــذا الظرف العصيب الذي كانت تمر به الدولة العثمانية ، يعد ـ دون شك ـ قضاءاً على احدى القوى العراقية التي كان من المتوقع أن تؤيد مشاريـــع محمد علي ، ومقدمة للقضاء على تسرب النفوذ المصري إلى العراق برمته. ففي عام ١٨٣٤ م / ١٢٥٠ ﻫ تم للعثمانيين القبض على صفوق ، ونجحوا في كسبه ضد العمليات العسكرية المصرية في الشام ، وفي نفس العام أيضاً أصدر علي رضا أمره بعزل محمد سعيد آل ياسين المفتي بعدما تبين ضعفه وعجزه عن أن يكون حائلاً دون عودة الجليليين أو أن يكون قوة كافية ضد تحركات أمير راوندوز القريبة (٢) وعين بدله محمد باشا اينجه

(١) كتب بروكس أوستن الى الكونت متر نيخ في ١٦ تموز ١٨٣٣ يقول « أن أسباباً عديدة تثبت أن فكرة تأليف الامبراطورية العربية لا تزال موجودة . . أضف الى هذا كله يقظة الروح العربية بعد سباتها فمحمد علي يتمتع بحسن السمعه والصيت الحسن في جميع الاقطار العربيه » وكتب بالمرستون الى كاميل قنصل انجلترا في الاسكندريه يقول « كان قصده (أي محمد علي) تأليف مملكة عربية لجميع بلاد العرب ، والمشروع جليل الشأن بذاته لولا أنه يقضي بتقسيم تركيا . . » (محمود بركات : البطل الفاتح إبراهيم ص ٩٤ ـ ٩٥) . وقال البارون دي بوالكمت في تقريره عن مصر وسوريا (١٨٣٣) ان إبراهيم قد أعلن إليه في صراحة ووضوح إنه يبغي إحياء القومية العربية وأن يجعل من العرب شعباً ناهضاً له كيانه الخاص » (د. السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ص ١٠٥ و ١٦٤ .

بيرقدار ، الذي اشتهر بمقاومته للتوسع المصري في الأناضول ، وبأعماله التي استهدفت اثارة أهل الشام ضد القيادة المصرية . وبتسلم هذا القائد العثماني مقاليد الحكم في الموصل ، بدأت بجد سياسة تصفية آثار الحكم السابق في الولاية ، فتم القضاء أولاً على أورطات الينكجرية ، وفرض نظام التجنيد الإجباري ، وابتدىء في تطبيق الأنظمة الادارية الحديثة فكان ذلك بداية حقيقية لتغيير سياسي واجتماعي شامل ، وبادرة لمرحلة حضارية جديدة .

الباب الثاني

التطور الحضاري

الفصل الأول

نظم الحكم والادارة

التقسيمات الادارية :

كان تطبيق العثمانيين لنظام التيمار الاقطاعي في الموصل ، منذ منتصف القرن السادس عشر (العاشر الهجري) تقريباً ، قد أدى بطبيعة الحال إ بناء عسكري ذي طابع اداري ، على أسس اقطاعية خاصة (١) . فقـ قسمت أراضي الموصل – بموجب ذلك النظام – إلى عدد من الوحدا الاقطاعية يلتزم أصحابها بخدمة الدولة عسكرياً . وتشكل كل مجموعـة م هذه الاقطاعات وحدة سياسية ادارية ، أطلق عليها اسم (سنجق) برأ قائد بعنوان « سنجق بك » وبلقب « ميرلواء » وهو مسؤول عن ادا الشؤون المدنية في منطقته ، فضلاً عن مهامه العسكرية (٢) . وبهذه الطر عرفت الموصل أولى نظم الحكم والادارة العثمانية على أرضها (٣) .

(١) تناولنا هذه الناحية في الفصل الثاني من الباب الثاني .
(٢) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ١٩٥ .
(٣) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ ودفتر ٦٦٠ .

وكان السنجق ، بموجب القوانين العثمانية ، الوحدة الادارية الرئيسية في تقسيم مقاطعات الدولة ، يترأس كل مجموعة منها قائـــد يدعى بكلربكي (أي بك البكوات) أو مـــير ميران (أي أمير الأمراء) ، ويطلق على مجموع سناجقه اسم ولاية ، أو أيالة .

ورغم أن الموصل ، عدت – منذ أول العهد العثماني – ولاية مستقلة يحكمها وال ، إلا أن أوضاعها الداخلية لم تكن من الوضوح بحيث يمكن معرفة تقسياتها الادارية على وجه الدقة . إذ تختلف المصادر بصدد عدد سناجقها اختلافاً بيناً ، فبينما يعدها عين علي أفندي ستة ألوية (سناجق) هي : لواء الموصل ، ولواء باجوانلو ، ولواء تكريت (١) ولواء هورن (٢) ، ولواء بانه ولواء اسكى موصل (٣) ، يجعلها فريدون بك ثلاثة فقط ، هي

---

(١) تكريت : بلدة قديمة ، ورد اسمها في القرن السابع قبل الميلاد ، وذكرها عدد كبير من الجغرافيين في العصر الاسلامي ، فوصف ابن جبير سورها وأبراجها ، وأطرى ابن بطوطة أسواقها وجوامعها . وتكريت اليوم مدينة عامرة على شاطيء دجلة ، تبعد عن بغداد زهاء (١٧٠ كم) ، أي أنها تتوسط المسافة بين بغداد والموصل تقريباً . وهي الآن مركز قضاء تابع لبغداد .

(٢) وردت في سجلات الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٣٩ على أنهـــا (تيمار) فقط .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٣٦ عن قوانين آل عثمان . لعين علي أفندي . وأسكي موصل ، قرية تبعد زهاء ٥٠ كم عن شمال الموصل ، ورد اسمها في الكتابات الآشورية ولدى الجغرافيين العرب باسم « بلد ـ بلط » (المرشد الى مواطن الآثار والحضارة . رحلة ٣ ص ٦٦) .

لواء خارون (هرون) (١) ، ولواء كشاف (٢) ، ولواء أسكى موصل (٣) وتتردد قوائم أولية جلبي المستندة إلى قوانين السلطان سليمان في تحديدها لسناجق الموصل فتذكر - تارة - أنها ثلاثة فقط ، ثم تعود فتذكر تارة أخرى ، أنها أربعة . وتتفق القوائم على أن من تلك السناجق ، باجوانلو تكريت ، هارونلر (أو هروان) ولكنها تختلف في السنجق الأخير ، أهو أسكي موصل ، أم يانه (بانه) (٤) . هذا في حين لم نجد في سجلات الموصل المعاصرة نفسها ، إلا الألوية التالية : لواء الموصل ، ولواء كشاف ولواء أسكي موصل ، ولواء تكريت .

وتكشف لنا دراسة سجلات الموصل العثمانية ، عن حقيقة هامة في هذا الصدد ، فان ما عرفته هذه السجلات - في القرن السادس عشر - باسم (لواء الموصل) ، يطابق من حيث الخريطة السياسية ، ما عرف فيما بعد - وعلى الأخص في عهد الجليليين - باسم (ولاية الموصل) ، بمعنى أن فقدان ولاية الموصل القديمة - كما حددتها المصادر المذكورة - لألويتها آنفة الذكر ، قد جعلها تقتصر أخيراً على لواء « الباشا » نفسه ،

(١) الظاهر أنها (هورن) المار ذكرها ، أو (هروان) كما سيأتي بعد سطور .

(٢) كشاف قلعة قديمة لم يتبق الا خرائبها الآن . ذكر ياقوت وأبو الفداء بأنها « قلعة عامرة بين الزاب والشط (دجلة) قريبة من مصب الزاب في الشط » (نفس المصدر ص ١١) .

(٣) المماليك في العراق ص ٩ عن مجموعة منشآت السلاطين لفريدون بك ٢ / ٢٩٨ .

(٤) أوليا جلبي سياحتنامه سي ج ١ ص ١٧٥ و ١٨٧ ، ١٩٣ .

أي لواء الموصل فقط ، فظل هذا اللواء محافظاً على اسم ولايته ، دون أن يحمل معه هذا الاسم أي لواء آخر طوال المدة التي حكم فيها آل الجليلي .

وتدلنا تلك السجلات أيضاً ، على لواء (سنجق) الموصل ، كان كسائر الألوية الأخرى التي تؤلف ولاية الموصل ، يحكم من قبل (سنجق بك) برتبة ميرلواء ، في حين يرأس الألوية جميعاً « بكلربكي » (مير ميران) .

وبتقلص الولاية ، وانسلاخ ألويتها ، واقتصارها على اللواء القلب (وهو سنجق الباشا) فقط ، أضحت وظيفتا البكلربكي والسنجق بك شيئاً واحداً ، ومن هنا حظيت ولاية الموصل ، رغم حدودها الضيقة قبل عهد الجليليين ، بوال بدرجة بكلربكي (أي مير ميران) .

وفي عهد الجليليين ، لحقت بهذا النظام ، كما لحق بغيره من نظم الحكم والادارة ، تطورات مختلفة متعددة الجوانب ، تتلائم في الواقع مع تطور الأوضاع العامة الأخرى في الولاية : السياسية والاقتصادية والاجتماعية لذا فسوف ندرس هذه النظم - في العهد المذكور - على النحو التالي :

١ - الوالي (الباشا) :

هو رأس الجهاز الحكومي للولاية ، وأرفع منصب وأهمه فيه . فالوالي - بحسب النظام الاداري المنبثق من النظام العسكري العثماني - هو الوحيد الذي يتمتع بمنصب « بكلربكي » وبلقب « مير ميران » باعتباره - ولو نظرياً على الأقل - رئيساً (بك) لبكوات السناجق في ولايته وكان أغلب

حكام الموصل في الفترة التي سبقت حكم آل الجليلي ضباطاً برتبة « بكلربكي »(١)

ورغم أن تدهور الحياة العسكرية في الدولة العثمانية – منـذ القر السابع عشر – قد قلل من أهمية الدور العسكري لمنصب البكلربكي (٢) فان ولاة الولايات (أو الايالات) كانوا جميعهم تقريباً من حامـلي ا المنصب المذكور وألقابه . وكلما برزت أهمية « الولاية » كوحدة ادار سياسية مدنية في الامبراطورية العثمانية ، ضعفت بالمقابل وظيفة « بكلربكي كضابط عسكري اقطاعي ، حتى غدا المنصب في الموصل – على عهد الو الجليليين – نوعاً من التشريف المدني ينعم به السلطان على بك السنجق فيكون سنجقه بذلك « ولاية » ، ويكون هو – بالتالي – « والياً » عا ويميزه عند ذلك حق رفع طوغين (٣) بدلاً من طوغ واحد .

ولما كانت الموصل قد اعتبرت – طيلة عهد الولاة الجليليين – و مستقلة ، فقد نال جميع الولاة الذين حكموها رتبـة « البكلربكية » بغ النظر عن المناصب التي كانوا يشغلونها قبل توليهم إياها .

وفضلاً عن ذلك ، فان الموصل شهدت منذ أواخر القرن السابع وحتى ظهور آل الجليلي ، ظاهرة سياسية جديدة تتعلق بمنصب الولاية ، إذ منح بعض ولاتها رتبة « وزير » مماثلة لرتبة ولاة بغداد وحلب المجاور وكانت ظاهرة منح رتبة « الوزارة » إلى حكام الولايات المهمة ، ق

(١) أنظر ياسين العمري : منية الأدباء ص ٧١ ـ ٧٨ .
(٢) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٢٠٣ .
(٣) الطوغ : شارة تشريفية عثمانية تتكون من خصلة من ذيل الفر

أخذت في الشيوع منذ أواخر القرن الخامس عشر . غير أنها لم تزد ـ بأية حال ـ عن كونها وظيفة شرفية ، يميز صاحبها بمنحه حق رفع ثلاثة أطواغ بدلاً من اثنين (١) . وفي عهد آل الجليلي ، كانت عادة منح الوزارة لولاة الموصل قد استقرت إلى حد كبير ، فمنحت إلى أغلب الولاة الجليليين وبخاصة المهمين منهم ، فنالها لأول مرة الحاج حسين باشا الجليلي لقاء خدماته للدولة في حربها ضد ايران (٢) ، ونالها ابنه محمد أمين باشا مكافأة له على خدماته في الولايات المختلفة (٣) ، ونالها عبد الفتاح باشا لقاء مشاركته في الحرب ضد علي بك الكبير في الشام (٤) ، ونالها في القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري) ولاة جليليون دون أن يكونوا قد أدوا أعمالاً باهرة كأسلافهم ، مما جعل منح رتبة الوزارة يأخذ بالتدريج شكلاً آلياً فمنحت الى محمد باشا بن محمد أمين باشا الجليلي سنة ١٧٩٧ م / ١٢١٢هـ (٥) والى ابنه محمود باشا (٦) والى سعد الله باشا سنة ١٨١٠ م / ١٢٢٥ هـ والى أحمد باشا بن سليمان باشا سنة ١٨١٣ م / ١٢٢٩ هـ (٧) . كما منحت إلى حسن باشا بن الحاج حسين باشا ، والي يحيى باشا بن نعمان باشا سنة

---

(١) جب وبوون : المجتمع الاسلامي ج ١ ص ١٩٩ ،

(٢) غاية المرام ص ٣٢٣ والدر المكنون ص ٥٨٨ (مخطوط) .

(٣) منهل الاولياء ج ١ص١٦٨ و محمدثريا : سجل عثماني ج١ ص٤١٠.

(٤) غاية المرام ص ٣٢٥ .

(٥) غرائب الأثر ص ٤٤ .

(٦) نفس المصدر السابق .

(٧) محمد الغلامي : الجمان المنضد في مدح الوزير أحمد ص ٦ .

١٨٢٢ م / ١٢٣٨ هـ (١) الذي « خول رتبة كبير الوزراء » (٢) .

وكان أشد ما يمكن أن يلحق بوال من ضروب الاهانة : أن يجر من وزارته ، وتنزع منه أطواغه الثلاثة الممثلة لها ، على أن ذلك لم يحدث لولاة الموصل الجليليين ، وانما حدث غير مرة لسواهم ففي عام ١٧٥٧ ١١٧١ هـ عزل الوالي الدخيل بعد أن استعيدت منه أطواغه الثلاثة ، « فأخفى سقوطه هذا قبـــل سفره » (٣) . وشبيه بذلك ما حدث عام ١٧٥٨ ١١٧٣ هـ حين « غضب السلطان على نعمان باشا ورفع عنه الوزارة ، وأخذ الطوغات والسنجق منه وخرج من الموصل وقت الظهر بلا طبول » (٤)

ولما كان الوالي – بحسب المفهوم العثماني – ممثلاً عن السلطان نفسه فقد كانت سلطته في ولايته غير محدودة ، وهو بموجب فرمان الوزارة « أن يتصرف بادارة هذه الولاية ، وأن على الجميع الطاعة والإصغاء » (٥)

وعلى الرغم من أن سلطة الولاة كانت تحدها من الوجهة القانو

---

(١) عبد الباقي العمري : نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوز يحيى (مخطوط) .

(٢) محمد ثريا : سجل عثماني ج٤ ص٦٤٤ وسليمان الصائغ : تار الموصل ج ١ ص ٣٠٣ .

(٣) مذكرات دومنيكو لانزا ص ٤٨ .

(٤) منية الأدباء ص ٨٦ والدر المكنون ص ٦٠٦ (مخطوط) .

(٥) محمد الغلامي : الجمان المنضد في مدح الوزير أحمد ص ٦ فرمان وزارة أحمد باشا بن سليمان باشا .

البحتة سلطات الموظفين الكبار في ولايته ، كالقاضي وآغـا الينكجرية (قائد الجيش) إلا أنه كان مطلق التصرف فعليـاً ، بشكل يتجاوز به - في كثير من الأحيان - على اختصاصات هؤلاء الموظفين ، فيقوم مثلاً بعمل هو من صميم اختصاص القاضي نفسه ، فيعزل المتولي على الأوقاف الشرعية (١) ، أو يقوم باجراءات مالية كثيرة ، مثل الفصل بين الأصناف في الأمور المالية ، وتحديد الديون المتبادلة بينها (٢) ، وتثبيت قيمة العملة المزيفة ، وجلب العملات الصحيحة التامة (٣) ، كما يتدخل بنفسه في الشؤون الضرائبية المتنوعة ، فيعين مقدار ما على العشائر المجاورة دفعه من مال ، وتاريخ دفعهم له (٤) ، ويضع على القرى والمزارع مقدار ما تقدمه لخزينة الولاية من الرسوم ، بشكل يصعب معه التمييز بين ارادته وارادة موظفيه الذين يفترض فيهم ادارة تلك الشؤون .

ولما كان من أهم واجبات الوالي ، هو المحافظة على الأوضاع الراهنة في ولايته ، ومحاربة البدع المستحدثة فيها ، فلم يكن من المنتظر منه - على ما يبدو - أحداث تغييرات اقتصادية واجتماعية هامة لإصلاح الأمور العامة لذا ليس من اليسير على الباحث أن يميز بين الاصلاحات التي يقوم بها الولاة بصفتهم الرسمية ، وبين اصلاحاتهم التي ينهضون بهـا في سبيل الاحسان والبر . ومن ذلك مثلاً : توزيع الطعام على الفقراء في الجوامع (٥) وبناء

(١) غاية المرام ص ٣٤٧ .

(٢) القوانين السلفية ص ٣٠ (مخطوط) .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٣٠ (مخطوط) وغرائب الأثر ص ١٤ .

(٤) القوانين السلفية ص ٤٨ (مخطوط) .

(٥) زبدة الآثار الجلية ص ١٨ (مخطوط) والعراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٥ .

بعض الأفران لتوفير الخبز (١) ، واخراج اللاجئين الأغراب من المدينة أثناء المجاعات لتوفير القوت الضروري لسكانها (٢) ، والتدخل لدى السلطات بعدم دفع قرى الموصل مقدار ما عليها من الضرائب على شكل غلال زراعية أثناء سني الغلاء (٣) ، والأمر بضبط الموازين وأحكامها (٤) .

ولم يكن من شأن الوالي التدخل في الشؤون الداخلية لطوائف ولايته إلا أنه كان أحياناً يستفيد من بعض النزاعات الناشبة بين الطوائف الدينية في ولايته وطوائف الولايات والامارات المجاورة لتغطية تدخله في شؤون مجاوريه السياسيين من ولاة وامراء (٥) . أما بين طوائف ولايته نفسها فلم يكن يتدخل في منازعاتها إلا نادراً ، وغالباً ما يكون تدخله ذلك نتيجة لسعي بعضها ضد البعض الآخر فيأمر عند ذلك بحبس المشتكى ضدهم (٦)

وكان للوالي حق مطلق في مصادرة أموال أعدائه ، دون استشارة أحد من موظفي ولايته . لذا كثرت في هذا العهد حوادث المصادرات كوسيلة عقابية من جهة ، وكأداة لجمع المال من جهة أخرى ، إلى درجة يرى فيها لانزا *Lanza* أن كثرة المصادرات « والبحث عن الأغنياء وتحر

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٣٠ وغرائب الأثر ص ١٠ ومنهل الأولياء ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) مذكرات دومنيكو لانزا ص ٥٨ .

(٣) غرائب الأثر ص ٦٦ .

(٤) منية الادباء ص ٨٤ .

(٥) أنظر : الفصل الخاص بـ (الحياة الاجتماعية) .

(٦) الكلداني : ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣١٧ .

ثرواتهم للتوسل الى الاستيلاء عليها ، كلها أو بعضها » (١) كان من أهم الأسباب المؤثرة على اقتصاد الولاية . من ذلك أن عبد الفتاح باشا لما استدعى لأداء بعض المهام خارج ولايته « صادر (أموال) أهل الموصل قبل رحيله عنها ، واستدان من التجار جملة صالحة ، وصادر من بني عمه جماعة »(٢) وعندما تولى أحمد باشا بن بكر أفندي ولاية الموصل « شرع يصادر الأصناف » (٣) نكاية بآل الجليلي ، ولم يمض إلا قليل حتى قام أسعدبك الجليلي بالاستيلاء على أموال أحمد باشا واخوته وأملاكهم متعهداً لوالي بغداد – أن هو عينه متسلماً بدله – أن يبعث اليه بـ ٤٠٠ كيس من المال ، وفعلاً « بعث له مائتي كيس جمعها من تجار البلد » (٤) .

بيد أنه كان على الوالي بدوره واجبات عامة ثقيلة ، أهمها على الاطلاق المحافظة على المدينة من أعداء الدولة ، والعناية بتجديد تحصيناتها وترميم أسوارها ، وكان ذلك يستلزم أموالاً طائلة ، ومصادر مالية غير محدودة، فيضطر الوالي عند ذاك إلى الاستدانة والمصادرة ، أو الزام الأغنياء بالانفاق على مثل تلك المشاريع . وفي حالة تعرض المدينة لخطر داهم ، كانت تقع على عاتق الوالي مهمة استنهاض الهمم للقيام بأعمال عامة ضرورية . فعندما ورد النبأ بزحف الجيوش الايرانية على الموصل، أمر واليها الحاج حسين باشا الجليلي « جميع أهل البلد الخاص والعام » بالعمل « وضرب نوبة الوزارة بالطبول

---

(١) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٧ ، ويظهر لنا أن مفهوم المصادرة هو غير مفهومها الحالي ،

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٨٤ .

(٣) غرائب الاثر ص ٨٧ .

(٤) غرائب الاثر ص ٩٤ .

لترغيب الناس » (١) . وفي الظروف العادية ، كان الوالي يضطر عن تكليفه بعمارة السور أن يستعين بأموال السكان « من تجار وأعيان وأصناف على حسب قدرتهم » (٢) .

ومن واجبات الوالي تجاه السلطات المركزية ، المشاركة الفعليــة الحرب الناشئة بين الدولة وأعدائها من الدول الأجنبية ، فكان من نتائ تلك المشاركة أن أسر الوزير محمد أمين باشا الجليلي في روسيا خمس سنين (٣ وتوفي عبد الفتاح باشا أثناء مهمة له في الشام (٤) ، فصار تكليف الدو بمثل هذه المهام شؤماً على الولاة الجليليين ، إلى درجة أن سليمان باشا أمين باشا الجليلي « استعفى من الحكم » عند دعوة السلطان له للجهاد (واعتذر أخوه محمد باشا « بشفاعة والي بغداد » للسبب نفسه (٦) وعنا طلبه الوالي المذكور للمشاركة في حرب الوهابيين « تمنع لمرض أصابه » (٧

وقل خروج الولاة الجليليين تدريجياً على رأس حملاتهم العسكري حتى إقتصر دورهم العسكري ، منذ أواخر القرن الثامن عشر على ... حدود الولاية نفسها ، والقيام بأعمال تأديبية ضد القبائل العربية والكر

---

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ١٥١ .

(٢) غرائب الاثر ص ٦٠ .

(٣) زبدة الاثار الجلية (مخطوط) وتاريخ الموصل ج ١ ص ٢٩١ :

(٤) منهل الاولياء ج ١ ص ٣٢٥ وأصفر : مختصر المستفاد ص ٢٨٥

(٥) غاية المرام ص ٣٢٧ .

(٦) غاية المرام ص ٣٢٨ .

(٧) غرائب الاثر ص ٦٥ .

المجاورة والمساهمة في بعض الحملات العسكرية المشتركة القريبة المدى (١) وشهد حكم محمد باشا بن أمين باشا الجليلي الطويل (١٧٨٩ - ١٨٠٦ م ١٢٠٤ - ١٢٢١ هـ) ظاهرة جديدة في هذا المجال ، إذ تنازل الوالي عن أهم مهامه بتقليد قيادة الجيش إلى كتخداه وكاتب ديوانه ، للمشاركة في حملة والي بغداد (٢) .

٢ - المتسلم :

هو نائب الوالي ، وأقرب الناس اليه ، وولي عهده . يقوم « بتسلم » مهام ادارة الولاية عند مغادرة واليها لأي سبب من الأسباب ، وتعيينه بهذا المنصب يأتي من الوالي نفسه دون الرجوع إلى سلطة أعلى . فاذا ما توفى الوالي دون أن يتسلم منه الولاية أحد ، كان لوجوه المدينة وأعيانها الحق في ترشيح أحدهم متسلماً عليهم ، ولوالي بغداد أخيراً الرأي الفصل في تعيينه بهذا المنصب رسمياً انتظاراً للوالي الجديد .

ولما كان المتسلم مرشحاً بطبيعة الحال لأن يرث منصب الولاية ، في حالة وفاة واليها ، أو نقله إلى ولاية أخرى ، فقد حرص الولاة الجليليون طيلة فترة حكمهم على أن يكون هذا المتسلم جليلياً على الدوام ، ومن أقرب أفراد أسرتهم إلى أنفسهم . فعندما ولي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي سنة ١٧٥٧ م / ١١٧١ هـ وهو ما يزال في حلب « جعل المتسلم في الموصل

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك فيما يلي ، عند الحديث عن القوات المسلحة .

(٢) غرائب الاثر . ص ٢٠٤

أخاه فتاح بك وقدم الى الموصل » (١) . وحين أسندت إلى عبد الفتا
باشا ولايــة طرابلس ، علاوة على منصبه كوال للموصل ، سنة ١٧٧١
١١٨٥ هـ ، ترك في الأخيرة متسلماً ، هو قريبه أحمد أغا بن مصطفى أ
الجليلي ، يعاونه في مهمته ابنه عبد الرحمن بك بن عبد الفتاح باشا (٢) .

وكان من المحتمل أن يتسلم أحد الجليليين ادارة البلدة أكثر من مرة
فمما روي عن مصطفى أغا بن ابراهيم أغا الجليلي ، وكان « أحد الأسخي
الموصوفين (٣) بالكرم والعطاء » أنه « تسلم مدينة الموصل مرتين وق
ثلاث مرات » (٤) . ومن ناحية أخرى ، كان من الجائز أن يتسلم الموص
أثناء غياب واليها - أكثر من متسلم واحد . فعندما أضيفت الموصل إ
ولاية بغداد تحت حكم واليها حسن باشا (١٧٧٨ -- ١٧٨٠ م / ١١٩٢ - ١١٩٤
اضطر هذا إلى تعيين ثلاثة متسلمين على التوالي ، ليتمكن من حفظ النظ
والأمن . فكانوا جميعاً من آل الجليلي ، هم : أحمد أغا ، وعبد الباقي أ
وخالد أغا ، ولم يدم حكم كل منهم سوى شهور (٥) . وكان للمتسلم ت

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٤ (مخطوط) وكان تعيينه هذا وسي
لابقائه في الموصل حتى مجيئه .

(٢) غاية المرام ص ٣٣٣ ومجهول : مجموعة خطية بمكتبة سركي
ص ٧٤ .

(٣) في الأصل : الموصوف .

(٤) غاية المرام ص ٣٣٣ وأصفر : مختصر المستفاد ص ٢٨٩ (مخطوط

(٥) زبدة الآثار الجلية ص ٢٦ (مخطوط) وأمين العمري : منو
الشرف . الورقة ٩٨ (مخطوط) .

الحق في أن يعزل نفسه (١) ، كما كان اوالي بغداد أن يعزله في حالة وفاة الوالي نفسه ، أو عجزه عن الحكم . فحينما أصيب نعمان باشا الجليلي بالشلل « تسلم البلد ولده يحيى بك ، ثم جاء الأمر من بغداد أن يتسلم البلد أخو الوالي الحاج عثمان بك » (٢) .

ولما كان « المتسلم » عادة ولي عهد الوالي ونائبه ، فقد كان يحظى لديه – في حال حضوره أيضاً - بأهميـــة خاصة ، وقد يدعى حينذاك بقائمقامه (٣) .

٣ ــ الكتخدا :

اصطلاح فارسي مركب بمعنى صاحب الدار ، وقد يخفف إلى كاهيه وكهيه ، وكخيا ، ويراد به وظائف متعددة متنوعة ، أهمها مساعد الوالي ومعاونه ومدير مكتبه الخاص لمختلف الشؤون الادارية والعسكرية والماليـــة فهو إذن بمثابة الوزير للوالي . ورغم ازدياد أهمية هذا المنصب في الولايات العراقية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وتحديد اختصاصاته ، فانه تميز في الموصل – خلال عهد آل الجليلي – بعدم وضوح تلك الاختصاصات فكثيراً ما اختلطت اختصاصاته باختصاص رئيس كتاب ديوان الانشاء ، أو بمهام المتسلم . فحل الأخير محله بشأن النيابة عن الوالي عند غيابـــه أو

---

(١) غرائب الاثر ص ٧٢ .

(٢) غرائب الاثر ص ٨٣ .

(٣) رحلة أبي طالب خان ص ٣٥٧ .

وفاته ، وأخذ الأول مكانه في المجال الاداري والعسكري ، فكتب الرسا
وقاد الجيوش ، حتى غدا كلا المنصبين واحداً .

ويمكن القول ، استناداً إلى دراسة تراجم من تولى هذا المنصب هؤلاء « الكتخدائية » أو « الكهيات » كانوا من الأسرة الجليلية ذاتها وحتى مطلع أواخر القرن التاسع عشر لم يكن « الكتخدا » إلا ابن الوا الجليلي ، أو أخاه ، أو ابن أخيه ، وكان مصيره مرتبطاً – إلى حد كبير بمصيره ، إذ يقوم بأداء مهام وظيفته معه أينما ولى ذلك الوالي منصباً فمراد باشا مثلاً كان كتخدا والده الحاج حسين باشا الجليلي (١) . وك حسن بك بن الحاج حسين باشا كتخدا ابن أخيه سليمان باشا بن أمين با يتبعه في شتى المناصب ، « فلما عين السلطان لمحافظة بغداد سليمان باشاه معه اليها ، ولما عاد سليمان باشا عاد المترجم معه ، ولما ولى سليمان با سيواس بعد ارفه كان المترجم (حسن بك) كتخدا في تلك البلاد ، و ولى قرص فارقه المترجم وعاد إلى الموصل » (٢) . ومثله أخوه سعد بك بن الحاج حسين باشا الذي تولى منصب الكتخدا لابن أخيه أيا سليمان باشا أثناء حكمه في الموصل « وسافر معه إلى سيواس ، ولما استعفى من هذه الخدمة » (٣) .

ومنذ عام ١٧٨٥ م / ١٢٠٠ هـ شهد منصب « الكتخدا » تطو ملموساً . فقد منح هذه المرة لتتوارثه أسرة موصلية غير جليلية ، اشت

(١) غاية المرام ص ٣٢٤ .
(٢) غاية المرام ص ٣٣٢ .
(٣) غاية المرام ص ٣٣١ .

أفرادها كتاباً ورؤساء لكتاب ديوان الانشاء ، فتولاها أولاً – في تلك السنة – يونس أفندي كاتب انشاء الوالي محمد امين باشا الجليلي ، « وصارت له الرياستان : رياسة السيف والقلم » (١) ، ثم تولاها بعده ابنه بكر (أو أبو بكر) اوالي الموصل آنذاك سليمان باشا ، ثم حفيده أحمد أفندي ابن بكر ، والذي تولى « الكتخدائية » لمحمد باشا بن سليمان باشا الجليلي طيلة مدة حكمه (٢) .

وزادت أهمية هذا المنصب على عهد أحمد أفندي إلى حد تنازل له الوالي عن قيادة جيشه أكثر من مرة (٣) ، إلا أن استغلاله فرصة اعتزال نعمان باشا الجليلي سنة ١٨٠٨ م / ١٢٢٣ هـ ومحاولته تولي الحكم بمساندة والي بغداد (٤) جعلت الولاة الجليليين يعمدون إلى التقليل من السلطات الممنوحة للكختدا ، واعادة حصر هذا المنصب بأفراد أسرتهم مرة أخرى ففي عام ١٨٢٢ م / ١٢٣٨ هـ عين والي الموصل يحيى باشا الجليلي أخاه النشاطي محمد أسعد « كتخدا » له « وقلده حمائل الحكومة والسياسة » (٥) .

٤ – ديوان الانشاء :

وهو جهاز حكومي يتبع الوالي مباشرة ، ويضم عدداً من الكتاب

---

(١) منهل الأولياء ج ١ ص ٣٠٠ وغاية المرام ص ٣٦٥ .

(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ٣٠١ والشهرباني : تذكرة الشعراء ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) غرائب الأثر ص ٢٠٤ .

(٤) غرائب الاثر ص ٨٣ .

(٥) عبدالباقي العمري : نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيى ص٧ (مخطوط) .

والمترجمين ويختص بتحرير كتب الوالي ورسائله باللغات المتداولة . وقد عر
هذه المؤسسة في كثير من الولايات العثمانية في القرون المتأخرة ، إلا أننا
نجد لها أي ذكر في ولاية الموصل حتى ظهور الجليليين على مسرح السيا

وسواء أكانت تلك المؤسسة قد ظهرت إلى عالم الوجود قبل ت
آل الجليلي السلطة ، أم أنها شكلت خلال عهدهم نفسه ، فانه مما لا
فيه أن أهميتها ازدادت أثناء حكمهم ازدياداً واضحاً . فكان لديوان الا
عدد من الكتاب الضليعين بأكثر من لغة ، يرأسهم موظف بعنوان « رئ
كتاب الانشاء » أو « ديوان أفنديسي » .

وقد حرص الولاة الجليليون على انتخاب أعضاء هذا الجهاز بأه
خاص ، فضم بذلك – دائماً – عـــدداً كبيراً من مشاهير أدباء المو
وشعرائها ممن برع في فنون النثر والنظم براعة تامـــة ، وكان لكل و
منهم تخصصه في احدى لغات العصر : العربية ، والتركية ، والفارسي

وتدلنا دراسة تراجم هؤلاء الكتاب على مدى حرص الولاة في اختيا
فكان أحمد بن بكر بن علوان ، كاتب العربية ، في ديوان سلـــيمان
الجليلي وأخيه محمد باشا ، مشهوراً « بشعر فائق ونظم رائق ، وخط
وله اطلاع تام على التواريخ والفنون الأدبية » كما كانت له « معرفة بال
ومعالجات الأمراض » (١) . وكان الشيخ قاسم الحمدي آل محضر ب

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٩٠ وغاية المرام ص ٢٦٦ وداود الجلي
مخطوطات الموصل ص ٢٣ نقلا عن مخطوطة « السيف المهند فيمن إسمه أح
لياسين العمري . ولاحمد هذا مدرسة شهيرة بناها في الموصل وأوقف عل

الذي اختاره الوالي يحيى باشا الجليلي كاتباً لديوان انشائـه ، من شعراء الموصل المبرزين في عهده (١) .

ولما كان منصب رئيس هؤلاء الكتاب يستلزم من شاغله أن يكون أحسن أقرانه وأبرعهم علماً وأدباً ، فقد حرص الولاة الجليليون على انتقاء أكفأ العناصر لتتولى مثل هذا المنصب الهـام ، حتى كان « رئيس ديوان كتاب الانشاء » مرشحاً طبيعاً للترقي إلى وظيفة « كتخدا » والي الموصل نفسه .

ولنصف قرن تقريباً (٢) ، توارثت رئاسة الكتاب هذه أسرة موصلية واحدة ، نشأ مؤسسها يونس أفندي من أصل متواضع (٣) فاختاره محمد أمين باشا كاتباً للديوان ثم رقاه إلى وظيفة « كتخدا » فصارت له بذلك على حد تعبير بعض المعاصرين « رياسة السيف والقلم » (٤) ، وبوفاتـه

= كتباً كثيرة . وقد وصفه الحاج عثمان بك الجليل بأنه كان «أعجوبة الزمان» (الحجة على من زاد على إبن حجه ص ٥٨) .

(١) عبد الباقي العمري : نزهة الدنيا ص ٢٢ (مخطوط) وقد أفرد له المرحوم عباس العزاوي بحثاً مفصلا . أنظر مجلة الاقلام العراقية ٧ (أذار ١٩٦٧) ص ٤٩ ـ ٥٥ .

(٢) الربع الاخير من القرن الثامن عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر .

(٣) الظاهر أنه يحترف الوراقة (نسخ الكتب والتجارة بها) . يقول العمري عن أبيه «يكتب ويأكل من ثمن كتابته »(منهل الاولياء ج١ ص٣٠٠)

(٤) منهل الاولياء ج ١ ص ٣٠٠ .

عام ١٧٩٢ م / ١٢٠٧ هـ ورث عنه ولده بكر أفندي كلا المنصبين ، ا
ذلك من أهمية أسرته ونفوذها (١) ، حتى امسى اضافة منصب « الكتخدا
إلى رئيس ديوان الانشاء تقليداً متبعـاً محصوراً في نفس الأسرة ، ف
المنصبان مرة ثالثة الى أحمد أفندي بن بكر أفندي ، ليتولاها أثناء حكم
باشا بن أمين باشا الجليلي ، وكان هذا « مشهوراً بالفروسية » (٢) است
أن يكون أقرب الناس الى الوالي الجليلي وأكثرهم منزلة عنده .

بيد أن محاولة أحمد أفندي الفاشلة عام ١٨٠٨ م / ١٢٢٣ هـ لض
الجليليين وتولي السلطة ، قد أدت بولاة هذه الأسرة المتأخرين إلى الف
بين المنصبين الخطيرين « رياسة السيف والقلم » وعدم جمعها في أسرة وا
فتولى رئاسة ديوان الانشاء في عهد يحيى باشا الجليلي الأديب الشهير م
السعدي آل محضر باشي ، وكان رجلاً موهوباً له مؤلفات في أكثر
علم ، ويتقن عدداً كبيراً من اللغات نظماً ونثراً ، ويكتب باثني عشر
مختلفاً (٣) .

وليس أدل على أهمية ديوان الانشاء في هذا العهد ، من أن سليم
البابانى – أخو حاكم امارة بابان القريبة – لما أخفق في نزاعه مع ا

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٣٠١ والدر المكنون ص ٦٤٤ (مخطوط)
(٢) عبد القادر الشهرابانى : تذكرة الشعراء ص ٢٣ .
(٣) عبد الباقي العمرى : نزهة الدنيا ص ٢٣ (مخطوط) وتذ
الشعراء ص ٣٢ وقد أفرد له الاستاذ عبد الله الجبوري بحثاً مفصلا . أ
مجلة الاقلام العراقية ج ١٠ (حزيران ١٩٦٨) ص ٤٤ – ٥١ والبغدادي ه
العارفين ج ١ ص ٤٢٤ .

بغداد علي باشا والتجأ الى الموصل (١) ، عينه واليها محمد باشا رئيساً في ديوان الانشاء ، ليتمكن من الاستفادة من دوره السياسي المهم في المنطقة (٢).

ومن الملاحظ أخيراً أن هذا الديوان بقي قائماً ، بشكله المذكور حتى ما بعد حكم الولاة الجليليين بمدة غير قصيرة .

٥ ــ الموظفون الماليون :

من الظواهر الأساسية للنظام المالي في الموصل خلال العهود العثمانية أن هذا النظام لم يعرف الفصل بين سلطة الوالي والأدارة المالية لولايته ، على خلاف ما كانت تؤكده التقاليد الادارية العثمانيـــة من وجوب اضفاء نوع من الاستقلال على وظيفـــة « الدفتردار » (وهو المختص بالشؤون المالية) للحد من تدخل السلطة السياسية في الولاية ، ومنع تلاعبهـــا في الشؤون الضرائبية (٣) .

وفي الواقع كانت مسؤولية ادارة الأمور المالية والاشراف على حسابات

(١) يذكر الميرزا أبو طالب خان في رحلته عام ١٧٩٩ أن سليم المذكور كان حاكما على كردستان . وفي الواقع كان الحاكم أخاه عبد الرحمن باشا ، وقد تعاون معـــه سليم بك للقيام بأعمال ضد ولاة بغداد في أثناء فترة حكمه الاولى (١٧٨٨ ـ ١٧٩٩ م / ١٢٠٣ ـ ١٢١٣ هـ) . زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ص ٣٩٨ .

(٢) رحلة ميرزا أبي طالب خان ص ٣٥٩ .

(٣) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٢١٢ .

الولاية تقع على عاتق ولاة الموصل أنفسهم ، فهـــم مسؤولون عن جـ
الضرائب وارسالها الى القسطنطينية سنوياً ، فاذا ما مات وال دون ارسا
المبالغ اللازمة ، قام خلفه بضبط ما في خزينته وارسال المال بدلاً عنه (
وهكذا كان الوالي مسؤولاً دائمـــاً أمام السلطة المركزية ، دون أن يكو
هناك « دفتردار » وسيط بينه وبين تلك السلطة ، كما هو الحال في ولايا
أخرى ، مثل بغداد وديار بكر وغيرهما (٢) .

على أن وجود مثل هذا الوضع الخاص في الموصل ، لم يكن يعني – ب
حال – عدم وجود عدد من الموظفين الماليين إلى جانب الوالي ، يساعد
في تصريف الأمور المالية للولاية ، ويشرفون على تنظيم حساباتها . إذ نست
من بعض النصوص التاريخية على وجود أكثر من منصب مالي في حكو
الموصل في عهد الولاة كان أهمها « الخزندار » أو « الخزنوي » (٣) و
الأمين الموكل بصندوق المال أو بخزانة الولاية (٤) . ويصعب التمييز أحـ
بين مهمة هذا « الخزندار » بصفته موظفاً في حكومة الولاية ، وبين مهـ
باعتباره أحد أتباع الوالي ذاته ، بل من المحتمل أن يكون من أقرباء الو
وأحد أفراد أسرته (٥) .

ويشرف الخزندار على أمور شتى ، منها حفظ سندات ديوان الأصناف (

---

(١) غرائب الاثر ص ١٠٦ .

(٢) جب وبوون ج ١ ص ٢٠٩ (حاشية) .

(٣) فتح الله القادري الموصلي : ملحمة الموصل ص ١٧ .

(٤) عبد القادر الشهرباني : تذكرة الشعراء ص ٩٠ .

(٥) غاية المرام ص ٣٣٦ .

(٦) القوانين السلفية ص ٢٠ (مخطوط) .

وتسجيل الفرمانات الواردة للولاية وحفظها (١) ، وتسجيل مقدار الضرائب المفروضة على القرى ، وتثبيت مقـــدار ما استحصل منها ، سواء أكانت ضرائب نقدية أم عينية (٢) ، كما يقوم أيضاً بتسجيل نفقات الوالي المختلفة مثل المكافآت والهدايا التي كان يقدمها لرسل الدولـــة وموظفيها وللولاة المجاورين (٣) ، اضافة إلى انفاقه على المشاريع العامـــة ، كتعمير جسر الموصل مثلاً (٤) .

وكان هناك إلى جانب « الخزندار » موظفون آخرون ذوو اختصاص في بعض أمور الولاية المالية ، مثل « أمين الجزية » (٥) ، وآغا الخراج(٦).

٦ – القوات المسلحة :

شاركت الموصل أغلب الولايات العثمانية أوضاعها العسكرية ، فوجدت فيها ثلاثـــة أنواع متميزة من القوات المسلحة ، هي : الجنود الاقطاعيون والجيش الثابت (الينكجرية) ، والجند الخاص (٧) .

(١) القوانين السلفية ص ٣٦ .

(٢) القوانين السلفية ص ٤٨ و ٤٣ .

(٣) القوانين السلفية ص ٥٠ و ٢٢ و ٢٩ و ٢٧ .

(٤) القوانين السلفية ص ٤٣ .

(٥) عبد الباقي العمري : نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيى ص ٢٤٠ (مخطوط) .

(٦) القوانين السلفية ص ٥٠ .

(٧) أنظر : جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ص ٦٦ـ ١٥٤=

أ ـ الجنود الاقطاعيون : وهم الفرسان الذين حازوا على اقطاعيات في أراضي الموصل بموجب نظام التيمار العسكري العثماني (١) المطبق فيها منذ القرن السادس عشر (العاشر الهجري) (٢) . وبغض النظر عن أسباب تقسيم تلك الاقطاعيات إلى الأنواع الثلاثة : الخاص والزعامت ، والتيمار (وهي أسباب مالية بحتة تقوم على أساس ما يقدمه الاقطاع من واردات) فانه كان من اللازم على كل صاحب اقطاع (سباهي) أن يؤدي الخدمة العسكرية للدولة لقاء تمتعه برسوم اقطاعه ، فيذهب بنفسه إلى القتال دون أتباع ، أو يصطحب معه تابعاً مسلحاً كامل العدة يمتطي جواداً (ويسمى

= وللمقارنة مع أوضاع الولايات العربية المشابهة . أنظر : عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني ص ٧٠ ـ ٧٨ ، وعبد الكريم غرايبة : سوريا في القرن التاسع عشر ص ٤٨ ـ ٥٨ ، وأنظر أيضاً عن أصناف هذه العساكر ومواردها : حسين أفندي : ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية نشر وتعليق الاستاذ شفيق غربال . مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة . مجلد ٤ ج ١ (١٩٣٦) ص ١ ـ ٦٩ .

(١) بما أن لهذا النظام جوانبه الادارية والعسكرية فقد أشرنا إلى الناحية الادارية منه في صدر هذا الفصل كما فصلنا عن تكوينه الاقتصادي في فصل (الحياة الاقتصادية) وسنقتصر هنا على بعض مظاهره العسكرية .

(٢) في سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ و ٦٦٠ تفصيلات عديدة عن التيمار في الموصل في القرن السادس عشر . وتوجد تفصيلات مهمة أيضاً في رسالة عين علي أفندي : قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان وقد نشرها ساطع الحصري في كتابه : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

جبهلي) ، فاذا مازاد دخل الاقطاع عن ٥٠٠٠ آقجة (١) أعفى صاحبه من الذهاب بنفسه إلى الميدان ، واكتفى بارساله أتباعه المسلحين بدلاً منه. وكان من الواجب على هؤلاء الفرسان السباهية والأتباع ، أن يحافظوا على مستوى تدريبهم العسكري طالما كانت وراثتهم للاقطاع نفسه متوقفة على مقدار ما يمكن أن يقدموه للدولة في الحرب (٢) .

ومع أن السباهية كانوا يتبعون – أثناء الحرب – بكوات سناجقهم (أمراء الألوية) الذين يتبعون بدورهم حاكم الولاية بك البكوات ، بكلربكي (أمير الأمراء) فانه كان يوجد بينهم قادة متدرجو الرتب ، دعي أعلاهم آلاي بك ، وأعطي اقطاعــاً من درجة « زعامت » مدى الحياة (٣) . وبلغ من أهمية هذا المنصب أن صاحبه عد – في بداية عهد آل الجليلي – أحد ثلاثة ، هم أغنى أعيان ولاية الموصل قاطبة (٤) . وقد أوكل اليه أمر الدفاع عن مدينة الموصل أثناء الحصار الايراني لها سنة ١٧٤٣ م ، فعين « محافظاً » للموصل (٥) . وفي عهد الولاة الجليليين ، انحصر تولي رتبة

---

(١) جب وبوون ج ١ ص ٧٤ ودائرة المعارف الاسلامية . مادة تيمار *J . Deny* لـ .

(٢) تاريخ جودت ج ١ ص ٩٩ (تعريب الدنا) ومحمد جودت : حقوق إدارة ص ٢٨٩ وأنظر جب وبوون الموضع السابق ، ومحمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ٧٧ ـ ٧٩ .

(٣) جب وبوون ج ١ ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٤) منية الأدباء ص ٨١ ـ ٨٣ .

(٥) منهل الأولياء ج ١ ص ١٦٠ وفيه أنه كان من أكابر البلد وأعيانها وفتح الله القادري الموصلي : ملحمة الموصل ص ٢٥ .

الآلاي بك (ميرآلاي) في اسرة موصلية واحدة . فعندما توفى عمربك آلاي بكي عام ١٧٨٥ م / ١٢٠٠ هـ ، أقيم مكانه ولده محمود بك » (١) فأدى ذلك بالتالي إلى غلبـــة اسم المنصب على الأسرة حتى عرفت ببيت آلاي بكي عهوداً طويلة (٢) .

ومن الملاحظ أنه على الرغم من التحولات الاجتماعية والادارية الطارئة فقد استطاع سباهية الموصل المحافظة على تنظيمهم العسكري طيلة عهد آل الجليلي ، ولم يزد عددهم في أواخر القرن الثـــامن عشر عن ١٥٠ فارساً سباهياً (٣) ، أي بزيادة طفيفة عما كان عليه عددهم في القرن السادس عشر (٤) . ويبدو أن تقدماً طرأ على هذا النظام في عهد محمد باشا الجليلي (أواخر القرن الثامن عشر) ، فكان عدد الزعماء (ذوي التيمارات) في أيامه يبلغ ٢٦٤ نفراً ، يمكنهم مع أتباعهم (جبهلى) تشكيل فرقـــة من

---

(١) ياسين العمري : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون ص ٦٣٦ (مخطوط) »

(٢) كان جد هذه الأسرة أمير الموالي (من قبائل الجزيرة) وأول من سكن الموصل منهم هو يعقوب أغا » وأسس فيها مسجده الذي لم يزل يعرف باسمه (مسجد يعقوب أغا) في محلة المكاوي (سيوفي : مجموع الكتابات المحررة على أبنيه مدينة الموصل ص ١٠٩ ومنية الأدباء ص ٨٢ - ٨٣) .

(٣) رحلة نيبور ص ١١٢ .

(٤) كان ما يقدمه سنجق الموصل (وهو ولاية الموصل في عهد الجليليين) يبلغ ١٣٦ فارساً(ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية نقلا عن قائمة عين علي أفندي ص ٢٣٦) .

نحو ٦٠٠ رجل كما يمكن أيضاً الحاق نحو مائتي سباهي بهذا العدد في بعض الظروف (١) .

وقد شارك السباهيون في معظم الحملات العسكرية التي كان يقودها والي الموصل ، وكان رئيسهم (آلاي بك) يعد عند ذاك (مقدم عسكر الموصل) (٢) ، أي أنه كان يتولى قيادة الجيش بأنواعه ، السباهين وغيرهم من الأصناف العسكرية الأخرى ، في حين كان للسباهيين قائدهم الخاص ويدعى « زعيم زعماء الموصل » (٣) . وكان هناك أيضاً سبعة ضباط برتبة « سنجق بكي » (٤) .

وأدى فوز القوى المحلية بالحكم في عهد الجليليين ، ومحاولـة تغلغلها داخل نظام التيمار الاقطاعي نفسه ، إلى دخول بعض العناصر الموصليـة غير الاقطاعية الأصل في سلك فرسان السباهية . وقد استطاع الجليليون أن ينفذوا إلى هذا النظام ، عن طريق نظام المالكانة (٥) فصاروا بذلك من زعماء الموصل . ولم يكن من الصعب انكار تلك الزعامة في الملمات تخلصاً من المشاركة في بعض الحملات العسكرية (٦) .

(١) *Olivier , G . : Voyage dans L ' Empire Ottoman , 11 , P . 360 .*

(٢) غرائب الأثر ص ٦٨ وغاية المرام ص ٢٠٩ .

(٣) المصدران السابقان .

(٤) *Olivier , G . : Voyage , 11 , P . 360*

(٥) أنظر فصل (ظهور آل الجليلي على مسرح السياسة) .

(٦) غرائب الاثر ص ٨٨ حوادث عام ١٨٢٨ م / ١٢٢٤ هـ .

وفي الواقع كان ضعف الضبط العسكري قد أفقد نظام السباهية أهم مزاياه ، فقد منحت الاقطاعات (ومنها رواتبهم) إلى أهل المدن والمزارعين ورجال الدولة ، وشاعت الرشاوى بين الضباط للتخلص من الخدمة العسكرية فلم يكن يخرج للحرب - والحالة هذه - إلا ذوو الاقطاعات قليلة الغلة (١) « ولما لم يكن يعمل شيء في الذين بيدهم تلك الزعامات والاقطاعات » (٢) فقد أمرت الدولة العثمانيــة والي الموصل (مع غــيره من الولاة) عام ١٨٢٥ م / ١٢٤١ هـ باصدار مرسوم « يستجلب فيه أهل لواء موصل الى الموصل ، ثم فرزهم فرداً فرداً على طبق دفتر المسلمين (جبــه) الذي سيرسل ، فاذا لم يحضر بعضهم يقام مقامه من بيده شهادة الملازمة والترشيح ان كان من أهل الحرب والضرب » (٣) . ورغم أن صدور هذا الأمر كان في زمن يحيى باشا الجليــلي (الفترة الأولى من ١٨٢٢ - ١٨٢٦ م ١٢٣٨ - ١٢٤٢ هـ) فليس ثمة ما يدل على أن هذا الوالي أو من أعقبه من ولاة حتى انتهاء عهد الجليليين ، قد اهتموا بتنفيذه تنفيذاً حقيقياً .

ب - الينكجرية : غني عن البيان أن قوة الموصل العسكرية من الجنود الينكجرية (٤) ، لم تكن سوى جزء من مجموع قوى الدولــة من هؤلا

(١) جب وبوون ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) لائحة عامة من الصدارة العظمى بتوزيع الزعامات والاقطاعات (أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية . بيان بوثائق الشام ج ص ٧٤ - ٧٥) .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٧٦ الوثيقة المذكورة .

(٤) الينكجرية ، وتلفظ (ينيتشرية) كلمة تركية من ينكي (يو بمعنى جديد ، وتشرى بمعنى نظام ، فيكون معناها (النظام الجديد) .

الجنود ، الذين يتكونون من ١٩٦ جماعة مختلفة الأعداد تسمى كل منهــا (أورطة) . وكانت ١٠١ من هذه الأورطات تكون ما يعرف بعسكر (الجماعات) ، في حين تدعى الأورطات الباقية بالبلوكات والسكمانات ، ويخضع الكل لقيادة مركزية واحدة ، يتولاها أغا الينكجرية في القسطنطينية (١) .

ونظراً لموقع الموصل الاستراتيجي الهام ، فقد اتخذت أولاً مستقراً لثلاث أورطات من نوع (الجماعات) ثم زاد عددها – ولم يكن قد مضى على ابتداء عهد الجليليين سوى سنين معدودات – إلى خمس أورطات من نفس النوع . ففي سنة ١٧٢٩ م / ١١٤٢ هـ نفى والي بغداد أحمد باشا بن حسن باشا (١٧٢٣ – ١٧٣٤ م / ١١٣٦ – ١١٤٧ هـ) أورطة الأوطوزبير ثم ألحقهم الوالي التــالي اسماعيل باشا سنة ١٧٣٥ م / ١١٤٨ هـ بأورطة اليكرمي يدي فقدم الجميع الى الموصل لينظموا إلى أورطاتها الأخرى فيها (٢) وبهذا تشكلت ينكجرية ولاية الموصل – خلال عهد الولاة الجليليين – من الأورطات (٣) التالية :

١ – أونجي	(الأورطة رقم ١٠)
٢ – يكرمي يدي	(الأورطة رقم ٢٧)
٣ – أوطوزبير	(الأورطة رقم ٣١)
٤ – اللي ايكي	(الأورطة رقم ٥٢)
٥ – اللي سكز	(الأورطة رقم ٥٨)

(١) جب وبوون ج ١ ص ٨٨ .
(٢) الدر المكنون ص ٥٩٠ (مخطوط) وغاية المرام ص ١٨٠ .
(٣) المعنى الحرفي لكلمة (أورطة) هو مركز .

وليس هناك من النصوص التاريخية ما يدل على عدد جنود كل أوره
من الأورطات الخمس (١) ، ذلك أن هـذا العدد كان يتبـع حالاه
الحرب والسلم المتتاليـة في الولاية ، فيزيد بسرعة عند اعداد الحملاه
الكبيرة وينقص في عهود السلم والهدوء . ومن هنا جاء اختلاف أكثر ه
رحالة في تقدير قوة الموصل العسكرية خلال هذه الفترة ، فبينما رأى تافرن
في أواخر القرن السابع عشر أن قوة الموصل - من الينكجرية والسباهية
تبلغ زهاء ٣٠٠٠ رجل (٢) ، نجـد أن أوليفيه - الذي زار الموصل
عهد محمد باشا - يزيد عددهم إلى ستة آلاف أو سبعة آلاف ينكجري (
وقدر بكنجهام عدد ينكجرية الموصل عام ١٨١٦ / ١٢٣٢ ه بما يقل ،
ذلك كثيراً ، فقد ذكر أن القوة العسكرية الموكل اليها أمر الدفاع عن المد
وما جاورها لا تتجاوز ألف رجل ، ومعظم هؤلاء من الخيالة ، ويع
نصف هذا العدد منهم في قصر الباشا أو منزله (٤) .

ويمكننا القول ، من خلال تتبعنا للحملات العسكرية التي كان الو
الجليليون أو أعوانهم يقودونها ضد المناوئين في المناطق المجاورة ، أن قو
الموصل الخارجية للحرب لم تكن تزيد - في أضخم حملـة - عن ..

---

(١) كان تعداد الأورطة الموجودة في الولايات العثمانية الأخر،
يتراوح بشكل عام بين ٣٠٠ و ٥٠٠ رجل (جب وبوون ج ١ ص ٩٠ حاشية)
(٢) تافرنييه ص ٥٩ .
(٣) ivier , G . : *Voyage* , 11 , P . 359 .
(٤) ckingham , J , S . : *Travels in Mesopotamia* , , P . 34 .

جندي ينكجري (١) . فاذا ما اعتبرنا أن الجند الذين يتبقون في المدينة آنذاك لحمايتها هم نصف هذا العدد ، جاز لنا أن نستنتج بأن متوسط عدد الجند في كل أورطة من الأورطات الخمس كان يبلغ ٣٠٠ ينكجرياً تقريباً على أن عدد الجند في أية أورطة ، لم يكن مساوياً – بالضرورة – لعددهم في غيرها فكان ينكجرية يكرمي يدي ، وأوتوزبير المنفيتين من بغداد ، يزيدون على مجموع ينكجرية الأورطات الثلاث الأخرى : اللي ايكي ، واللي سكز واونمجى (٢) .

وبموجب التقاليد العسكرية العثمانية السائدة في ذلك العصر ، فقد احتفظت كل أورطة بشخصيتها الخاصة المستقلة عن الأورطات الأخرى ، وان كان الجميع يخضعون – آخر الأمر – إلى قائد واحد هو (أغاالينكجرية) الذي يتخذ القلعة الداخلية (ابج قلعة) – عادة – مقراً لقيادته . وكان تولي الجليليين السلطة في ولاية الموصل قد أدى إلى منع حدوث أي صدام بين الينكجرية والوالي ، كما كان يحدث مثل ذلك في الولايات العربية الأخرى (٣) فكان الوالي الجليلي هو القائد الأعلى لجيش الموصل ، وليس لآغا الينكجرية أي تأثير على ارادته ، وكان بامكانه ان يفرض الغرامات على الأورطات برمتها (٤) ، أو أن يصادر أموال أمراء الينكجرية المنهزمين (٥) ، أو

(١) غرائب الاثر ص ٣٩ حوادث عام ١٢١٠ هـ مثلا .
(٢) مذكرات دومنيكو لانزا ص ٥٨ .
(٣) كدمشق مثلا : أنظر أحمد البديري الحلاق : حوادث دمشق اليومية ، ففيه تفاصيل عن تلك الصدامات الدامية .
(٤) مذكرات لانزا ص ٥٩ .
(٥) غرائب الاثر ص ٣٣ .

يأمر باعدام مناوئيه منهم (١) .

وكانت قيادة الجيش من أبرز مهام الوالي ، إلا أنــه كان يستط التنازل عنها لكتخداه ورئيس كتاب ديوانه (٢) ، بل حتى لبعض أعو من رؤساء القبائل العربية المجاورة ، كأمير قبيلة طي مثلاً . وكان من المم للوالي أن يضع في مناصب الينكجرية الهامة أفراداً من أسرته أيضاً (٣)

ويمكننا أن نلحظ نوعاً غريباً من التلاحم والتآزر بين آل الجليـ ورؤساء ينكجرية الموصل على الدوام ، وهو ما استفاد منه كــلا الفري على حد سواء فاستطاع آل الجليلي عن طريقه فرض ارادتهم على السلط المركزية ، باجبارها على عدم منح ولاية الموصل لغيرهم ، كما تمكن رؤ الينكجرية – من جهة أخرى – من الحفاظ على مراكزهم القوية في ا السياسية دون تدخل خارجي ضدهم وبعبارة أخرى ، فان المصلحة المتب بين الطرفين قد جردت كل واحد منهما من صفة التسلط على الآخـ ولهذا السبب وحده ، كانت ثورات الينكجرية المستمرة تأتي – غالب بنتائج حاسمة في صالح الأسرة الجليلية مؤدية إلى فشل السلطات العثمان فرض وال غريب على الموصل ، من ذلك ما حدث عام ١٧٧٨ م / ٧١ حين هدد أغوات الينكجرية المتحصنين بالقلعة مندوب والي بغداد بام المدفعية ضده ، ان هو أيد الوالي الغريب ضد محمد أمين باشا الجليلي (

(١) غرائب الاثر ص ٨٣ .
(٢) غرائب الاثر ص ٧١ و ص ٧٨ .
(٣) غرائب الاثر ص ٤٠ .
(٤) مذكرات لانزا ص ٥ .

وبما أن سلطة الجليليين وشعبيتهم ، لم تكن في الواقع سوى تجسيد لشخصية الموصل المحلية (١) ، فان دراسة علاقتهم بأورطات الينكجرية تجرنا بالضرورة إلى دراسة ناحية أخرى خطيرة وهي ارتباط الينكجرية ذاتها (باعتبارها جيش الدولة المركزية) بتلك الشخصية المحلية ، أو بتعبير آخر بسكان الموصل أنفسهم .

وفي الحقيقة ، كان هذا الارتباط مظهراً لعملية تاريخية بطيئة شملت كثيراً من أنحاء الدولة العثمانية ، جوهرها الفساد التدريجي الذي أخذ يدب في نظام الينكجرية نتيجة اهمال الأسلوب القديم في تزويد الجيش بالجند اللازم . وبحكم اقامة هذه الأورطات في المدن ، واحتياج الجند إلى ماينتجه الحرفيين فيها من سلع ضرورية ، فقد تمكن كثير من أصحاب الحرف من الانضواء تحت حماية تلك الأورطات ، ليستفيد كل فريق من الآخر (٢) وقد أدى هذا بالتالي إلى حدوث شبه اندماج بين الينكجرية والسكان المحليين ومن الطبيعي أن تزداد عملية الاندماج هذه سرعة في المدن ذات النشاط التجاري والحرفي كمدينة الموصل ، التي كان لها في هذا المضمار أوضاعها الخاصة ، كما أن عدم وقوعها على الحدود الخارجية العثمانية مباشرة ، قد أدى إلى خلوها من ثكنة (قشلاق) خاصة بمبيت أفراد الينكجرية ، وهذا سهل بدوره عملية تطوع الأهالي في الأورطات الموجودة . ويذكر نيبور *Niebuhr* (عام ١٧٧٦ م / ١١٨١ هـ) أنه كان في الموصل عدد قليل

(١) أنظر الفصل الثاني من الباب الأول .

(٢) جب وبوون ج ١ ص ٩٢ ويقول الأب لانزا « وكل الأتراك تقريباً ينتسبون إلى إحدى الأورطات ليحتموا بواسطتها من الغير » (مذكرات ص ٥٨ حاشية) .

من ضباط الينكجرية مهمتهم تجنيد المتطوعين من أهالي البلدة إذا اقتض
الحاجة ، وعندها يتمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها الينكجرية . ور
أنه لا يحق للنصارى الانخراط في هذه الفرق والتمتع بامتيازاتها ، فان بعض
كان يلتحق بالخدمة فيها خدماً أو ما أشبه ، لقاء أجور معينة ، وبهـ
الواسطة يأمنون على أنفسهم أثناء الاضطرابات التي تقع كثيراً في الموصل
كما يأمنون شر الينكجرية الذين يعتدون على الناس وينهبون ما يريدون (١

ويبدو أن أورطات الينكجرية خلال عهد آل الجليلي لم تعد مـ
سكان الموصل أنفسهم بأزياء عسكرية . فقد أكتسبت كل هذه الأورط
منذ استقرارها في الموصل نفس مؤثرات بيئتها الاجتماعية ، وكلما از
اندماجها في خضم الحياة المدنية ، كلما أخذت تتشكل بحسب الأحوال الاجت
التي كانت سائدة في الأحياء التي سكنتها . فعندما سكنت أورطتا الأوطو
واليكرمي يدي في محلتي باب العراق وباب الميدان « وانتسب اليهم كثير
أهل الموصل » (٢) ، اتخذت الصراعات التي كانت تنشب بين سكان هـ
الحيين المهمين ، شكلها الجديد باعتبارها - الآن - صراعاً بين أور
الينكجرية القاطنين فيها . وكان نشوب النزاع المسلح بين هاتين الأور
وانقسام الأورطات الثلاث الأخرى بين مؤيد لهذه أو لتلك ، من الأ
المعتادة المتكررة في الولاية ، وكثيراً ما استعملت الأورطات المدفعية للق
على خصومها . كما حدث ذلك مثلاً في أعوام ١٧٥٦ و ١٧٥٧ و ٨
و ١٧٦٩ و ١٧٧١ و ١٨٠٦ و ١٨٢٩ . وكانت عمليات قطع الطرق و
بعض البيوت والدكاكين من الحوادث المألوفة أثناء تلك النزاعات ،

(١) رحلة نيبور ص ١١٥ .

(٢) غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ١٨٠ .

عدّ المعاصرون « فتن الينكجرية » أعظم ما يمكن أن يصيبهم من بلايا (١) بيد أنه على الرغم من ذلك ، فقد كان تحول الينكجرية إلى قوات محلية « أكثرهم مواصلة » (٢) وانتظام السكان في سلك الأورطات للانتفاع منها ، قد أدى بدوره إلى خلق نوع من الترابط العضوي بين المدينة وقواتها فعندما نقل المؤرخ الموصلي المعاصر ياسين العمري خبر محاولة السلطان سليم الثالث انشاء « عسكر جديد » بخلاف « زمر الينكجرية » عام ١٧٩٣ م ١٢٠٨ (٣) ، لم يشأ أن يخفى تهكمه من « القوانين غير المستقيمة » الصادرة بذلك الشأن (٤) وصار وجود هذه الأورطات من السمات المميزة للعهد الذي ندرسه إلى حد كان إلغاؤها (في ولاية محمد باشا اينجه بيرقدار) في نفس الوقت وللاسباب نفسها التي انتهى فيها حكم الولاة الجليليين (٥) .

ج - الجند الخاص : لما كانت التقاليد الادارية العثمانية قد أباحت للوالي أن يدخل إلى خدمته عدداً من الأتباع من مختلف الأنواع وفقـاً

---

(١) غاية المرام ص ٣٢٩ وتعرف تلك الفتن فى الموصل باسم (قوغات) ومفردها (قوغه) تحريف (لغوغاء) .

(٢) منية الادباء ص ١٩١ .

(٣) ويعرف هذا الجيش الجديد « بنظام جديد » وهي أولى محاولات السلاطين العثمانيين لانشاء جيش عثماني جديد .

(٤) غرائب الاثر ص ٣٣ .

(٥) ورد ذلك تفصيلا في الفصل الرابع من الباب الاول (نهاية حكم آل الجليلي) .

لامكانياته (١) ، فقد حفل سراي الموصل - خلال هذا العهد - بعدد م
الأتباع ، بلغ مجموعهم في أواخر القرن الثامن عشر زهاء المائتي رجل (٢

فمن هؤلاء كان هناك مائة شخص بعنوان « ايج أغاسي » (وتع
بالعربية أغا الداخل ، المختص بشؤون السراي) وهم في خدمة الباشا نف
» فاذا خرج الباشا ساروا خلفه على أجمل هيئة ، وأفره الخيل ، ولكل منه
سائس يسوس فرسه ، وكلهم أتباع للخزندار أي خازن الباشا ، وللسلحدا
أي حامل السيف ، غير أن الثاني يتولى في الغالب قيادتهم في الحرب
والأول يكون رئيسهم في المدينة » ، وأربعة وعشرون من هؤلاء الايج أغاس
الذين لكل واحد منهم وظيفة خاصة دائماً بالباشا (٣) .

والموظف الثالث هو « الجوخدار أغاسي » ويحتل هـذا الموظف
(أو الباشجوخدار) مركزاً خاصاً بين أتباع الوالي ، فهو بحكم اختصاص
بملابس الباشا وبحجابته (٤) ، استطاع أن يكون من أصحاب المناصب الفعا

(١) جب وبوون ج ١ ص ٩٨ .

(٢) Olivier , G . : Voyage , 11 , P . 359 .

(٣) نيبور ص ١١٩ وقد أشار هذا الرحالة إلى وجود الايج أغاسي الموصل ولكنه لم يصف أحوالهم إلا عند حديثه عن أمثالهم في ولايه بغد المشابهة .

(٤) الجو خدار بفتح الخاء وذكره (رسملي قاموس عثماني) بقاف ساكنة مكان الخاء المفتوحة ، ولم يتبين كيفية تركيب الكلمة ، وقال في تعريفا موظف يرسل إلى هنا وهناك في أشغال ، ويقال له (قپوجوقداري) يع جوخدار الباب ، وجوخدار أو جوقدار مركب من كلمتين :جوخه (النوع

في السراي ، فكان يخرج أحياناً لاستقبال رسل الدولة المهمين (١) ، وكان يترأس عدداً من الموظفين الجوخدارية يدعى أكبرهم وأقدمهم بالجوخدار الثاني (وبالتركية ايكنجي جوخدار) ، وكان من واجبات الأخير الخروج لاستقبال ضيوف الولاية (٢) أو توديعهم حتى الحدود (٣) .

ومن المناصب الهامة أيضاً في الولاية ، منصب « القبوكهيه سي » أو « القبوجيلر كهيه‌سي » وهو الذي يقوم مقام الكهية (الكتخدا) في غيبته والايج مهترباشي ، وكان يترأس فرقة الموسيقى الخاصة بالوالي ، وتـــدعى فرقته بالمهترخانة (٤) ، والتاتار أغاسي ، وهو الموكل بنقل البريـــد ، وله مكتب خاص على مقربة من قصر الباشا يدعى (قوناق‌ططر – تتر – آغاسي)

= المشهور من القماش) ودار فارسية معناها صاحب . محافظ ، مراقب ، حامل فيكون المعنى : الموكل بالجوخ ، حامل الجوخ (الدكتور داود الجلبي : كلمات فارسية في عامية الموصل ص ٦٤) .

(١) القوانين السلفية ص ٢٧ (مخطوط) .

(٢) القوانين السلفية ص ٥٢ .

(٣) *Olivier ' G . : Op . Cit . , 11 , p . 365 .*

(٤) القوانين السلفية ص ٤ مثلا . وكان هناك مهتر خاص بالقلعة (نفس المصدر ص ٧) . وقد جاء في معجم ديران كليكيان التركي الفرنسي أن من معاني « مهتر » : الموسيقار ، في إصطلاحات ماقبل التنظيمات التركية . (رحلة نيبور ترجمة د . مصطفى جواد . مجلة سومر ٢٠ (١٩٦٤) ص ٦٧ حاشية) .

كما يدعى محافظ خيول البريد بـ (سروجي باشي) (١) ، ومنهم أيضاً ، « الابج كيلارجي » وهو الموكل بحفظ المربيات (٢) وتحت امرته أكثر من « كيلارجي » (٣) ، و « آخور كهيهسي » وهو الموكل باصطبلات الوالي (٤) و « ملات الكولات » وهو المشرف على تعليم مماليك السراي (٥) وعدد كبير من الأتباع تفصح ألقاب أكثرهم عن طبيعة مهماتهم ، مثل : « القهوجي باشي » و « التوتونجي باشي » (٦) ، و « الابريقدار » (وهو الذي يجيء للباشا بالماء ليغتسل) (٧) ، و « العلمدار » (حامل العلم) و « بخوردانجي » و « شمعدانجي » و « بشكيرجي » (٨) ، و « سجادجي » و « سفره چي باشي » و « مزراقجي » (٩) . وهنـاك إلى جانب ما تقدم وظائف أكثر التصاقاً بشؤون القصر الداخلية ، مثل « جر

---

(١) Buckingham, J. : Travels in Mesopotamia, 1, P. 33.

(٢) رحلة نيبور ص ١١١ .

(٣) القوانين السلفية ص ٧ (مخطوط) .

(٤) القوانين السلفية ص ٧ .

(٥) القوانين السلفية ص ٧ .

(٦) القوانين السلفية ص ٧ والتوتون (ويعرف في العراق حالياً تتن (هو التبغ) .

(٧) رحلة نيبور ص ١١٤ .

(٨) البشكير ، فارسية : قطعة من القماش توضع على الركبتين لوقاية الثياب عند الأكل .

(٩) القوانين السلفية . ص ٧ .

كهيه سي » وهو رئيس طباخي القصر (١) ، وكان من الجائز أن يكون « خواجه » نصرانياً (٢) .

ورغم أن لهذه الحاشية الكبيرة مهامها العسكرية المعينة أثناء حملات الوالي الخارجية ، فقد كان هناك بالاضافة اليهم – فرق عسكرية محلية مختلفة المهام والعدد ، تخضع للوالي مباشرة وتتكفل بتنفيذ أوامره .

وكان من أهم تلك الفرق « التفنكجية » الذين اشتق اسمهم من (تفنكه) أي بندقية ، نظراً لكونهم من المشاة حاملي البنادق ، ومهمتهم الرئيسية هي حفظ الأمن والقيام بأعمال الشرطة ، وكان رئيسهم يدعى « تفنكجي باشي » وقد انحصر هذا المنصب وراثياً في أسرة موصلية واحدة طيلة عهد آل الجليلي (٣) ، وكان عدد تفنكجية الموصل يزيد على الأربعمائة فرد يخضعون لرئيسهم خضوعاً تاماً (٤) ، بينهم عدد من النصارى (٥)

(١) رحلة نيبور ص ١١٥ ويشير هذا الرحالة إلى أن « حرم كهية سي» في سراي ولاية بغداد كان بمثابة تاجر خاص بقصر الباشا .

(٢) بطرس نصري الكلداني : ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٣٠ وقداشتهر الخواجه عبد الأحد صليوا الموصلي بأنه كان بمقام حرم كهيه سي في بيت عبد الجليل فسعى بتأييد الآباء الدومنيكان . وخواجه : كلمة فارسية تطلق في الموصل على كبار المسيحيين (كلمات فارسية في عامية الموصل ص ٧٤) .

(٣) وتعرف هذه الأسرة بـ (بيت شويخ) وآخر من تولى منصب « التفنكجي باشي » هو عمر أغا فعرفت الأسرة ببيت عمر أغا حتى الآن .

(٤) غرائب الاثر ص ١٢٢ ويشير نيبور إلى أن عددهم كان لا يتجاوز المائة .

(٥) رحلة نيبور ص ١١٥ .

ولم يكن غريباً أن يتولى التفنكجي باشي أحياناً قيـادة قوات الموصل من الينكجرية في الحملات الخارجية (١) ، أو أن يتولاها أحياناً أخرى كتخدا الوالي الجليلي في أعمال عسكرية مختلفة (٢) .

ومن القوى العسكرية المحلية التي وجدت في الموصل أثناء عهد الولاة الجليليين ، الجند المعروفون بـ « الدالاتية » (٣) ، وكانوا يشاركون في الحملات الخارجية (٤) ويخضعون لسلطة قائدهم الذي يدعى (باش دللي) (٥) ومن تلك القوى أيضاً « الدلاوجة » (٦) و « البراطلية » (٧) ، ويصعب تحديد اختصاصات كل منها على وجه الدقة .

وإلى جانب هؤلاء الجند ، كان للوالي أن يلزم سكان قرى ولايتـه

(١) الدر المكنون (مخطوط) .

(٢) غرائب الاثر ص ٢٠٤ .

(٣) مخففة من كلمة « دليل » العربية (جب وبوون ج ١ ص ٢١٦) ويرى بعضهم أنها مشتقة من كلمة *Deli* التركية وتعني الاحمق أو المجنون دعوا بذلك لطيشهم (د . عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني ص ٨٠) وعن الدالاتية في الولايات العربية الاخرى أنظر :
Gibb and Bowen : Islamic Society and the West , I , i , p . 218 .

(٤) غاية المرام ص ٢٠٦ .

(٥) القوانين السلفية ص ٦ (مخطوط) .

(٦) القوانين السلفية ص ٤ .

(٧) غرائب الأثر ص ٨٩ .

- عند الضرورة - بتقديم عدد معين من الرجال للاشتراك في الحمـــلات العسكرية الخارجية (١) ، كما كان له أن يكلفهم بتقديم عدد من البغال أو وسائل النقل الأخرى للمساهمة في نقل الجند ومعدات القتال . وقد بلغ ما طلبه والي الموصل محمد باشا الجليلي - ذات مرة - من أهالي بلـــدة تلكيف ٢٠٠ رجل و ٢٠٠ بغل للمشاركة في احدى حملاته ضد اليزيدية (٢) وفي حالات اعلان النفير العام يمكن للوالي أن يجمع عسكراً خاصاً يعرف بـ « السردنكستي » من المسلمين والنصارى على حد سواء (٣) .

بالاضافة إلى ما تقدم ، فقد كانت القبائل العربية المجاورة تشكل على الدوام قوى احتياطية استفاد منها الولاة الجليليون في بعض عملياتهم العسكرية الكبيرة . فعندما وقعت الفتنة في قرية تلعفر « أرسل والي الموصل محمد باشا الجليلي جيشاً مع أمير طي » (٤) . وعندما أرسل الوالي جيشه لحرب عبد الرحمن باشا البابان عام ١٧٨٥ م / ١٢٠٠ هـ كانت « القبائل » تشكل جانباً من ذلك الجيش (٥) .

---

(١) غرائب الأثر ص ٦٨ .

(٢) يوسف جمو : تاريخ تلكيف ص ٥٠ .

(٣) رحلة نيبور ص ١١٥ وفيه تفصيل عن « السردنكستي » عند حديثه عن ولاية بغداد .

(٤) غرائب الاثر ص ٤٠ .

(٥) غرائب الاثر ص ٦٨ وغاية المرام ص ٢٠٦ .

٧ – القاضي :

وهو أرفع منصب شرعي في الولاية ، ورأس النظام القضائي فيها (١) وبحسب التكوين المذهبي للسكان ، فقد وجد في الموصل منذ الفتح العثماني قاض حنفي (٢) ، له مكانة خاصة باعتباره مطبقاً للفقه الحنفي الذي هو المذهب الرسمي للدولة (٣) .

وقد ارتبط قاضي الموصل – بموجب النظم العثمانية – بقاضي عسكر الأناضول (٤) الذي له حق تعيينه وعزلـــه ، وهو ما كان يقترن بصدور

---

(١) عرف حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة العثمانية في مصر القاضي بأنه « نائب عن السلطان في الاحكام الشرعية»(ترتيب الديار المصرية. نشرها الاستاذ شفيق غربال بمجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة ج ٤ /ص٢٢) .

(٢) يذكر نيبور (ص ١١٢) انه كان في الموصل قاضيان ، أحدهمـا حنفي والآخر شافعي وليس ذلك بصواب وربما قصد من ذلك المفتي الحنفي والمفتي الشافعي .

(٣) *Gibb and Bowen : Islamic Society and the West , I , ii , p 121 .*

(٤) قسمت الدولة العثمانية إلى منطقتين قضائيتين يرأس كل منهم قاضي الروم ايلي وقاضي عسكر الاناضول اللذان إرتبطا بشيخ الاسلام أعلى منصب في الامبراطورية . وقد إرتبطت الولايات العربية الأسيوية بالاخير *Gibb and Bowen : Op . Cit . , I , ii : P . 123 .*

فرمان سلطاني بذلك . ولم يكن مستغرباً أن يضمن منصب القضاء لـدى السلطات المركزية بالمال . فعندما سافر عبدالباقي العمري الحنفي ، وكان شاعراً مجيداً إلى القسطنطينية « امتدح شيخ الاسلام والوزير وامتدح قاضي العسكر فأعطاه قضاء سبع بلاد ، فضمن الجميع بالمال وعاد إلى الموصل » (١) .

ورغم أن القاضي كان يأتي من حيث الدرجة والمقام في الولاية ، بعد الوالي ، فانه كان يفترض فيه الاشراف على أعمال الوالي نفسه والنظر في مطابقتها للشرع الاسلامي ، وحسم الدعاوى الحقوقية والجزائية ، ودعاوى الأحوال الشخصية وفق الأحكام الشرعية ، ومراقبة سائر المؤسسات المالية والادارية ، وتسجيل العقود وتصديق الوثائق (٢) ، كما كان من الجائز أن يتولى الفصل في المنازعات الناشبة بين أبناء الملل غير الاسلامية (٣) ، وأن يشرف على مراقبة الأسعار والمواد الغذائية ، ويقوم بتنفيذ أحكامه وأوامره مسؤول مدني يدعى « صوباشي » (٤) ، وربما ترك القاضي للأخير أمر

---

(١) ياسين العمري : منهج الثقات في تراجم القضاة ص ٢٠٢ (مخطوط) وفي الروض النضر لعصام العمري ورقة ٩ ـ ب نماذج من مدائحه تلك .

(٢) Gibb and Bowen : *Op . Cit .*, I , ii , p . 132 .

وأنظر حسين أفندي : ترتيب الديار المصرية (نشرها الاستاذ شفيق غربال في مجلة كلية الآداب ج ٤ (١٩٣٦) ص ٢٢ وحاشية ص ٢٣) .

(٣) يوسف السمعاني : كتاب تواريخ كافة الجثالقة (مخطوط) .

(٤) الصوباشي : وظيفة ذات أصل عسكري ، إتخذت شكلاً مدنياً لان صاحبها كان يتولى حكم المدينة أثناء السلم ، وفي العصر العثماني كانت مهمة الصوباشي هي تنفيذ أوامر قاضي المدينة والقيام بأعمال (الحسبة) التقليدية من أمر بمعروف ونهي عن منكر ، ومعنى باشي بالتركية رأس =

الفصل في بعض الدعاوى (١) .

وتعد الأوقاف من أهم ما ينظر فيه القاضي من أمور (٢) ، وكثيراً ما تولى الوقف بنفسه ، أو شارك المتولى عليه في مهمته . من ذلك أن القاضي السيد عبيد الله بن خليل البصيري ولي على أوقاف جامع النبي جرجيس في الموصل « مشاركة مع ابن المتولي سابقاً فأقام بأوامره » (٣) وكان على القاضي أيضاً النظر في الحجج الوقفية والتصديق عليها (٤) ، واصدار أحكام شرعية لصحتها .

وتميز نظام القضاء في عهد آل الجليلي بأن جميع قضاة الولاية كانوا من أبناء الموصل ذاتها ، في الوقت الذي كانت فيه الأكثرية الساحقة من القضاة الحنفيين في الولايات الأخرى من أصل رومي (تركي) (٥) :

=وسو بالتركية القديمة (جيش) . وقد وردت هذه الكلمة في المصادر الموصلية النصرانية بشكل «زوباشي» لان نصارى الموصل يبدلون السين زاياً ، وتذكر بعض المراجع الموصلية أن الصوباشي كان مقدماً على مائة (يوسف جمو تاريخ تلكيف ص ٥٠) وليعقوب سركيس (مباحث عراقية ٢ / ٢٣٢ تحليل جيد لهذا اللفظ .

(١) السمعاني : كتاب تواريخ كافة الجثالقة (مخطوط) .

(٢) Gibb anp Bowen : Op . , I , ii , P . 125 .

(٣) ياسين العمري : منهج الثقات في تراجم القضاة ص٢٠٦(مخطوط والدر المكنون (مخطوط) .

(٤) ياسين العمري : منهج الثقات في تراجم القضات ص ٩٢ .

(٥) عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني ص ٤ وحسين أفندي : ترتيب الديار المصرية (مجلة كلية الآداب ٤ (٩٣٦)ص

وكان آخر قاض رومي عرفته الموصل، معاصراً للحاج حسين باشا الجليلي (١) وبعده لم نعد نسمع بذكر أي غريب تولى مثل هذا المنصب الهـام، بل انحصر القضاء وراثياً بأشهر أسر الموصل وأقدمها (فيما عدا آل الجليلي أنفسهم) مثل آل العمري، وآل الغلامي، وآل الفخري.

ويمارس القاضي عمله في «المحكمة الشرعية»، وهي بنايـة مستقلة عن سراى الوالي (٢) رمزاً لاستقلال القضاء عن السلطة السياسية، ويعجب الرحالة البريطاني جاكسون الذي زار الموصل عام ١٧٦٧ م / ١١٨١ هـ من سرعة المحاكمات التي كانت تعقد في تلك المحكمة فيقول: «والمحاكمات هنا قصيرة جداً لأن المتهم يمثل أمام المحكمة لأقل من خمس دقائق، فان وجد مجرماً أقتيد إلى السجن لينال عقوبته، وتفتح محكمة العـدل عند شروق الشمس ولكنها لا تستمر أكثر من ساعتين لأنها اعتادت أن تنجز أعمالها بسرعة فائقة» (٣).

ونستدل من تراجم من تولى منصب القضاء خلال هذا العهد على أن

---

(١) كان هذا القاضي ممن أرسلهم الوالي الجليلي للمفاوضات مع نادر شاه عند حصاره الموصل عام ١٧٤٣ ولم تشر المصادر إلى إسمه (منية الادباء ص ٨٢ وأرجوزة السيد فتح الله القادري الموصلي في وصف حصـار الموصل ص ٢٥).

(٢) وتقع في محلة (باب لكش) جنوبي البلدة، ولازال موقعها معروفاً حتى اليوم.

(٣) رحلة جاكسون ص ٦٠.

أغلب هؤلاء القضاة كانوا من المتقنين للعلوم الدينية السائدة ، فوصف القاضي فتح الله العمري بأنه « أوحد أدباء العصر وعلامة الدهر » (١) ، وكان القاضي محمد بن ملا أحمد الشهير بابن الكوله الحنفي « جيد الحفظ يتوقد شملة نار ذكاؤه ، وله مشاركة في علم الرمل والزيج » (٢) ، وقيل عن القاضي عبيد الله أفندي الفخري بأنــه « له مشاركة في بعض العلوم وله شعر جيد » (٣) ومثله القاضي عبد الباقي العمرى ، الذي وصف بأنــه « أجل أدباء العصر . . الشاعر المجيد » (٤) .

وكان للقاضي مكانة رفيعة مرموقة لدى الوالي الجليلي ، واحترام كبير في سراي الحكم ، حتى أن نعمان باشا الجليلي أمر – ذات مرة – باعتقال أحد النصارى لتغليبه على القاضي (الملا) (٥) عند مروره في الطريق (٦) وكان القاضي علي أفندي الغلامي الشافعي « من جلساء الوزير الحاج حسين

(١) منهج الثقات في تراجم القضاة ص ٢٠٨ (مخطوط) .

(٢) منهج الثقات ص ٢٨٥ (مخطوط) .

(٣) منهج القضات ص ٢٠٧ .

(٤) منهج الثقات ص ٢٠١ .

(٥) أصل كلمة (ملا) غير معروف ، وهي كلمة شاعت في العصور المتأخرة في البلاد العربية وخاصة في العراق . ولعلها تكون محرفة عن كلمة (ملاء) وهو الذي يملي الكتابة . ويذكر بعضهم بأنها مشتقة من كلمة (منلا) التركية أو أنها لفظة آرامية من كلمة (ملالا) بمعناها المتكلم أو الخطيب ويذكر الأب انستاس ماري الكرملي أنها قصر لكلمة (مولى) العربية بمعنى السيد .

(٦) Dupre , A .: A Voyage en Perse , P . 119 .

باشا ثم من بعده كان مقدماً عند والده الوزير أمين باشا ثم تقدم عند الوزير فتاح باشا الجليلي » (١) . وكان القاضي عبيد الله أفندي الفخري « يجالس ملوك (٢) الحدباء (٣) ، وهم يكرموه (كذا) ويعظموه (كذا) ويقربوه (كذا) (٤) » (٥) . وبلغ من احترام الجليليين للقضاة أن القاضي محمد أفندي العمري لما غضب على « أحد أمراء بني عبد الجليل . . . وحلف أن يسافر إلى اسلامبول يشكو ذلك الأمير » أتى الأمير الجليلي إلى مجلس على أفندي (العمرى) « واعتذر مما وقع منه وتصالح مع القاضي المذكور فعفى عنه ، ثم أن ذلك الأمير رجع على نفسه بالملامة حيث كان جاهلاً ، فبنى له مدرسة » (٦) ترضية له واحتراماً .

وكان القاضي يتدخل أحياناً في الحياة السياسية للولاية ، من ذلك أن القاضي محمد بن الكوله ، وكان سلفياً ثائراً على الصوفية ، اتفق مع متسلم الموصل عبد الرحمن بك بن عبد الفتاح باشا أثناء فتنة عام ١٧٧١م/١١٨٥هـ وشوهد وهو « يحرض الناس على القتال ويحسن للأمير أفعاله » (٧) .

(١) منهج الثقات ص٢٠٣ (مخطوط) .

(٢) يريد (ولاة) وقد شاع إطلاق كلمه (الملوك) على ولاة الموصل من آل الجليلي .

(٣) الحدباء : كنية مشهورة للموصل .

(٤) الصحيح : يكرمونه ويعظمونه ويقربونه .

(٥) منهج الثقات ص ٢٠٦ (مخطوط) .

(٦) منهج الثقات ص ٢٨٤ (مخطوط) .

(٧) منهج الثقات ص ٢٨٤ (مخطوط) ، والسيف المهند فيمن إسمه أحمد ص ٣٢ (مخطوط) .

٨ - المفتي :

ويأتي « المفتي » بحسب الأنظمة العثمانية ، في الدرجة الثانية من الجها
القضائي للولاية (١) . وكان للموصل - باعتبارها ولاية عثمانية - مفتيا
أولهما حنفي على المذهب الرسمي للدولة ، والآخر شافعي (٢) ، ويقوم كل
منهما بمساعدة القاضي وتبيين وجهة نظر الشريعة الاسلامية في شتى المعاملا
الحقوقية (٣) .

ولما كانت طبيعة منصب الافتاء تؤهل صاحبه للوصول إلى رتبة القض
فقد كان أغلب قضاة الموصل - خلال هذا العهد - من المفتين السابق
وكثيراً ما احتفظ هؤلاء القضاة بوظائفهم السابقة اضافة إلى منصبهم الجد
فجمع الشيخ علي الغلامي الشافعي بين المنصبين ، ولما مرض « استعفي
القضاء فتركه واستمر على الافتاء إلى أن مات » (٤) ، وعلى عكس ه
القاعدة ، كان من الجائز - أحياناً - أن يلي رجل القضاء قبل توليه الإ

---

(١) *bb and Bowee : Islamic Society and the est , I , ii , P . 133 .*
ومادة *Mufti* في دائرة المعارف الاسلاميه .
(٢) رحلة نيبور ص ١١٣ .
(٣) التفصيل عن مهام المفتي الشرعيه في :
bb and Bowen Op . Cit , I , ii , P . 135 .
(٤) منهج الثقات ص ٢٠٤ (مخطوط) .

فالسيد حسن أفندي بن ابراهيم ولي القضاء سنة ١٧٧٢ م / ١١٨٦ ﻫ ثم ولي الإفتاء سنة ١٧٧٥ م / ١١٨٩ ﻫ » وجمع بين القضاء والإفتاء » (١) .

ومن الملاحظ أن الإفتاء ، خضع هو الآخر إلى قانون الوراثة الذي كان يلعب دوراً مهماً في تكوين مؤسسات ذلك العهد ، فلم يكد يخرج منصب المفتي الحنفي طيلة عهد الجليليين عن ثلاث أسر موصلية شهيرة ، هي : آل العمري وآل ياسين وآل الفخري الأعرجي ، في حين توارثت أسرة آل الغلامي منصب مفتي الشافعية جيلاً بعد جيل .

وليس أدل على أهمية هذا المنصب ، أن مفتي الحنفية السيد يحي بن فخر الدين (٢) كان الناطق الرسمي بلسان والي الموصل وشعبها أثناء حصار نادر شاه عام ١٧٤٣ م ، وتدل ألفاظ الاحترام والتوقير التي أطلقها الأخير على ذلك المفتي في رسالته الشهيرة إليه (٣) ، على مدى أهمية منصب الإفتاء

---

(١) ياسين العمري : قرة العين في تراجم الحسن والحسين ص ٧ (مخطوط) .

(٢) وهو أول من تولى الافتاء من آل الفخري . ولد عام ١٧٠٠ م ١١١٢ ﻫ ، ووجهت إليه الفتوى عام ١٧٣٠ م / ١١٤٣ ﻫ وهي سنة تولي حسين باشا الجليلي الموصل . و « كان عليما بالفتاوى خبيراً بدقائق ورموزها وأسرارها ماهراً في علم التفسير » وتوفي في عام ١٧٧٣ م / ١١٨٧ ﻫ (منهل الأولياء ١ / ٢٣٩ والمرادي : سلك الدرر ٤ / ٢٣٣ والعمري : الروض النضر ٦٧ ـ ب (مخطوط) .

(٣) نص الرسالة في ملاحق الكتاب .

في تلك العهود ، وكان علي بن مصطفى الغلامي (١) مفتي الشافعية أحد الثلاثة الذين خرجوا من المدينة — أثناء الحصار — ليبرموا الصلح مع نادر شاه (٢) .

وكان المفتي يتدخل – أحياناً – في الحياة السياسية للولاية ، فكان له أتباع يعاضدونه في الفتن الناشبة في المدينة (٣) ، كما كان يقوم بالتوسط لعقد الصلح بين الأطراف المتنازعة (٤) .

٩ — نقيب الأشراف :

ضمت الموصل ، مثلها في ذلك مثل أغلب الولايات العربية الأخرى نقابة للاشراف ، وظيفتها الأساسية العناية بأمور المنحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وضبط أنسابهم وتدقيقها (٥) . وفي الواقع لم يكن لهذا

(١) تولى الفتوى عام ١٧٣٦ م / ١١٤٤ هـ وكانت لـــه « خبرة وافر وبصيرة حاذقة بأمور الفتاوى وأحكام الدعاوى» وله شعر حسن ، وكان مختصاً بالحاج حسين باشا الجليلي (قرة العين ص ٢٦ (مخطوط) وسلك الدرر ٣/٢٥٨ والروض النضر الورقة ١١٧ (مخطوط) .

(٢) منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ص١٨٢ وأرجوزة السيد فتح الله القادري الموصلي في وصف حصار الموصل ص ٢٥ .

(٣) مذكرات دومينيكو لانزا ص ٥٦ .

(٤) مذكرات دومينيكو لانزا ص ٦٨ .

(٥) Gibb and Bawen : Islamic Society and the West , I , ii , P . 93 - 94 .

المؤسسة الشرعية أي دور مؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية لولاية الموصل خلال هذا العهد ، حيث كانت مهمة النقيب الوحيدة هي التدقيق في أنساب الأشراف ودراستها وعدم المصادقة على صحة أي نسب دون التأكد منه وكان تأني النقيب في اثبات صحة الأنساب المقدمة اليه ، وتمهله في دراستها ، وعدم وثوقه بالشهود ، مثار تبرم بعض المعاصرين (١) ، إذ كان للاشراف – عادة – من الامتيازات الاجتماعية ما لا يستهان به ، وكان تزييف الأنساب من الأمور محتملة الحدوث دوماً .

وقد انحصر منصب نقيب الأشراف في أسرة موصلية واحدة ، تنتمي نسباً إلى السادة نقباء الموصل العلويين أحفاد الامام عبيد الله الأعرج الحسيني العلوي . وقد تسلسلت النقابة في هذه الأسرة « وكان لهم اتصال بخدمة ملوك (أي ولاة) الموصل ، ثم بخدمة ملوك (ولاة) بغداد فصارت لهم التقدمة وحصلت لهم الرياسة التامة » (٢) ، واشتهر منهم بالنقابة في عهد الجليليين عدد من الأشخاص عرفوا بالفخريين نسبة إلى أحد أجدادهم

= وذكر شابرول في مقالته عن عادات أهل مصر أن نقيب الأشراف ينبغي ألا يحكم على الأشراف المدانين إلا بعقوبة خفيفة . وليس له أن يتصرف فيما يستحق عقوبة الأعدام : ترتيب الديار المصرية : نشر وتعليق الأستاذ فربال . مجلة كلية الآداب ١٩٣٦ ص ٢٥) ولم نجد من النصوص ما يشير إلى أن نقيب أشراف الموصل كان يتمتع بمثل هذه السلطة .

(١) أمين العمري : منهل الأولياء ج ١ ص ٢٤٦ و ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٤٠ .

فخر الدين (١) ، منهم السيد حسن أفندي المفتي (١٧٨٧ م / ١٢٠٢ هـ) (٢) والسيد فيض الله النقيب بن علي (٣) وغيرهم .

---

(١) وقد توفي عام ١٧١٩ م / ١١٣٢ هـ (منهل الاولياء ١ / ٢٣٩ والمرادي : سلك الدرر ج ٤ ص ٣ وعصام العمري : الروض النضر في تراجم فضلاء العصر . الورقة ٦٦ ـ أ مخطوط) .

(٢) ياسين العمري : قرة العين في تراجم الحسن والحسين ص ٧ (مخطوط) ومنهل الاولياء ج ١ ص ٢٤٣ .

(٣) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٤٦ وكان معاصراً لامين العمري ثم عاش بعده .

الفصل الثاني

الحيــــاة الاقتصادية

الأرض والزراعة :

اشتهرت الموصل منذ القديم بالزراعة ، فهي تقع وسط منطقة زراعية واسعة شديدة الخصوبة ، تمتد ما بين دجلة والزاب الأعلى ، وبين هـــذا النهر والزاب الأسفل ، وتضم سهل الموصل الممتد على طرفي نهر دجلة بين جبل الشيخان وجبل سنجار والمنطقة المحصورة بين الزابين (١) ، وهي تعتمد في زراعتها على الأمطار وتزرع أغلب الغلال على مدار السنة ، لذا فقد اشتهرت الموصل بثرواتها الزراعية الهائلة ، حتى عدت في العصر العباسي مخزناً كبيراً للغلال تزود بغداد بالميرة عدة أشهر من كل سنة ، وتنتج من الفواكه ما يزيد على حاجة أهلها (٢) .

وكان طبيعياً أن تتعرض الموصل خلال عهود الفوضى السياسية التي

---

(١) طه الهاشمي : مفصل جغرافية العراق ص ٢٨٤ .

(٢) سعيد الديوه جي : صناعة الموصل وتجارتها في العصور الوسطى ، مجلة سومر المجلد ٧ (عام ١٩٥١ م) ص ٨٩ .

أعقبت سقوط العراق بيد المغول ، إلى فوضى في نظم ملكية الأرض الزراع
فأمست الأرض أحياناً ملكاً مشتركاً لكل قبيلة غازية قوية ، أو ملكاً ممتاز
عليه من جانب عدد كبير من الأمراء والرؤساء وقد أدت تلك الفوضى
إلى اضمحلال مركز الموصل الزراعي ، فداهمتها المجاعات ، وتقاربت مد
الضيق الاقتصادي فيها ، واشتد في عدة سنين الغلاء ، والقحط (١).

وفي عهد العثمانيين ، كانت الموصل ضمن المناطق الزراعية التي ط
فيها نظام الاقطاع العسكري العثماني ، المعروف باسم « التيمار » ، و
كان لهذا النظام أهميته الادارية والعسكرية ، اضافة إلى كونه تنظيماً زرا
فقد أعيد تنظيم ملكية الأرض وتسجيلها ، وأحصي ما يمكن أن تقدمه
موارد زراعية وحيوانية لمعرفة ما يمكن أن تعيله من المحاربين بموجب النظ
وكان « التيمار » تنظيماً للملكية الزراعية ، الهدف منه اعالـة الفرسـ
(السباهية) مقابل إلزامهم بالذهاب إلى الحرب بكامل أسلحتهم وتقد
عدد من الجند (أو الملاحين) مناسب لدخل الاقطاع الذي في حوزتهم (٢).

وتنقسم الاقطاعات الحربية – بحسب الايراد الذي تدره – إلى ثلا
أنواع رئيسية على النحو الآتي : الخاص من ٠٠٠ر١٠٠٠ إلى ٠٠٠ر٢٠٠ آقجة (

(١) عن هذه المجاعات ، أنظر : ياسين العمري : منية الأدباء ص ١
١٧٧ وزبدة الآثار الجلية ص ٤ – ٦ (مخطوط).

(٢) دائرة المعارف الاسلامية . مادة تيمار لـ J. Deny

(٣) آقجة : عملة فضية عثمانية . (أنظر الملحق رقم ١٣ الخا
بأنواع العملة).

الزعامت من ٩٩٩ر١٩٩ إلى ٠٠٠ر١٠٠ آقجة ، التيمار (١) من ٩٩٩ر٩٩ إلى ٣٠٠٠ أو ٢٠٠٠ آقجة ، وتمتاز « الخواص » (جمع خاص) ، وهي أكبر الوحدات الاقطاعية ، بأن فيها ما ليس اقطاعاً حربياً ، فبعضها كان ملكاً خاصاً للسلطان (خواصي همايون) (٢) أو لبعض أفراد أسرته . وكان في لواء الموصل عدد كبير من المزارع والقرى الصغيرة مقطوعة للسلطان ، وهي تشكل « خاص » يبلغ دخله ٠٦٦ر٤٦٧ آقجة (٣) . أما « الخواص » الأخرى فكانت تربط بوظائف تنتقل حيازتها بتوالي الشاغلين لها . وكان أعلى الاقطاعيين في الولايات مرتبة ، هم كبار السباهية : بكوات البكوات (بكلربكي) أي أمراء الألوية (ميرلوا) فلكل منهم اقطاع من درجة « خاص » . وقد اعتبرت القرى الكبيرة في الموصل اقطاعات من هذا النوع ، مثل القوش (٤) وقرةقوش (٥) وبارمجه (٦) وكرمليس (٧) ، وبرطلي (٨) وباطنايا (٩) علاوة على الموصل ذاتها (١٠) .

(١) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٧٢ ، وجودت باشا ج ١ ص ٩٩ (ترجمة عبد القادر الدنا) .

(٢) تاريخ جودت ج ١ ص ٣٩ .

(٣) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ .

(٤) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٧٢ .

(٥) سجلات ولاية الموصل ـ دفتر ١٩٥ لوحة ٢٨ .

(٦) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٢٩ .

(٧) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٣١ .

(٨) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٣١ .

(٩) سجلات دفتر ١٩٥ لوحة ٣٣ .

(١٠) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٣٤ .

وفي قائمة عين علي أفندي (كتبت عام ١٦٠٩ م / ١٠١٨ هـ) نجد أن ولاية الموصل قسمت إلى ستة ألوية (سناجق) على كل منها « ميرلواء» له اقطاع من درجة خاص بدر (فيما عدا لواء أسكي موصل) مبلغاً لايقل عن ٢٠٠ر٠٠٠ آقجة ، في حين يبلغ وارد لواء الموصل (سنجق الباشا) ٦٨١ر٠٠٠ آقجة (١) . وفي سجلات الموصل لعام ١٥٤٢ م / ٩٥١ هـ يبلغ « خاص » مير لواء الموصل ٧٣٣ر٩٠١ آقجة (٢) . والظاهر أن واردات « الخواص » لم تكن تتبع قاعدة واحدة ، فاننا نجد في السجلات أن ماتدره قرى عدة « خواص » كان يقل عن الحد الأدنى لواردات « الخاص » النظامي ، فبلغ دخل قره قوش مثلاً ١٥٠ر٠٠٠ آقجة وكرمليس ١٢٣ر٠٠٠ وبارطله ٣ر٢٠٠ آقجة (٣) .

ويشترك كل من « الزعامت » و « التيمار » في أنهما يتكونان عادة من جزأين ، هما : الأرض الأصلية المسماة « قليج *Kilic* » أي سيف والاضافات المسماة « ترقي » التي تمنح كل منها بقصد توفير عشر المدخول التي يدرها « القليج » . وعلى عكس القليج ، الذي كان يورث غالباً وطبقاً لشروط خاصة ، كان من الممكن اقتطاع وحدات الترقي – وتدعى « حصص» – بمجرد انحلال الاقطاع ، واضافتها إلى ملكيات أخرى . وهكذا ظل « القليج» كنواة اقطاعية غير قابلة للتجزئة (٤) تنتقل من الأب لابنه ، فاذا لم يكن له ولد ، أو كان ولده غير قادر على تصريف شؤون الاقطاع ، بقي الاقطاع

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٣٥ .
(٢) سجلات . دفتر ١٩٥ .
(٣) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ١٦٧ .
(٤) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٧١ - ٧٥ .

شاغراً ، وتجمع الدولة عندئذ واردانه حتى يتم تعيين شخص آخر (١) . ولم يكن القليج ليقسم بين ورثة المتوفى ، بل يعطى لأحق أبنائه وأكبرهم سناً . ورغم ذلك فقد كان يحدث أن يختلف أكثر من ولد على وراثة القليج، ولدينا على ذلك مثال جرى في الموصل سنة ١٦٣١ م / ١٠٤١هـ(٢).

ويشير عين علي أفندي في قائمته المدونة في مطلع القرن السابع عشر إلى أنه كان في الموصل بحسب الدفتر الخاقاني ٢٧١ تيماراً وزعامت (٣) ، في حين يذكر أولياجلبي (القرن نفسه) أنها كانت ٦٦ زعامت و ١٠٠٤ تيماراً (٤) . ونحن لا نميل إلى الرأي الأخير فان عدد الزعامات المسجلة في سجلات الولاية المعاصرة لا يزيد على ١٦ زعامت، بينما بلغ عدد التيمارات زهاء ١١٠ تيماراً (٥) .

ورغم الاحصاءات الدقيقة التي تقدمها سجلات الولاية لتحديد عدد الأيدي العاملة في كل ناحية من نواحي الموصل ، فاننا لم نجد لقوة العمل هذه أي تأثير واضح في تقسيم الوحدات الاقطاعية ، إذ كثيراً ما زاد عدد فلاحي التيمار ، وهو أصغر وحدة اقطاعية على فلاحي الزعامت والخاص

---

(١) أشرنا إلى واجبات السباهية الاقطاعيين في الفصل الاول من الباب الثاني (نظم الحكم والادارة) .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ٧ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٣٥ .

(٤) أولياء جلبي سياحتنامه سي ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٦ و ١٩٣ .

(٥) سجلات ولاية الموصل دفتر ١٩٥ .

فبلغ عدد الفلاحين في تيمار بعشيقه ٢٠٠ فلاحاً (١) ، في حين انخفض عددهم في حطاره وهي خاص مير لواء إلى ٣٥ فلاحاً فقط (٢) . وبينما زاد عدد فلاحي بعض الزعامات إلى أكثر مما هو عليه في الخواص ، فبلغ في زعامة آل عزيز ١٦٧ فلاحاً (٣) ، نجده ينخفض في زعامات أخرى إلى أقل مما هو عليه في التيمار نفسه ، فلم يزد عدد الفلاحين في احـــدى الزعامات عن ١٨ فرداً فقط (٤) .

وكانت أهمية الوحدة الاقطاعية تأتي بالدرجة الأولى ، من مقـــدار ما يمكن أن تقدمه هذه الوحدة من انتاج زراعي وحيواني فأرض زراعية خصبة ، كأرض « باطنه » (٥) كانت تنتج من الغلة أكثر من ثلاثـــة أضعاف ما تنتجه جماعة قره قوينلو الرعوية (٦) رغم أن عدد الفلاحين في الأولى (٧) يقل قليلاً عن عددهم في الثانية (٨) ، وفي الوقت الذي يتساوي

---

(١) سجلات دفتر ١٩٥ لوحة ٤٥ .

(٢) سجلات دفتر ١٩٥ لوحة ٦٠ .

(٣) سجلات دفتر ١٩٥ لوحة ٣٧ .

(٤) سجلات دفتر ١٩٥ لوحة ٣٦ .

(٥) هي باطناي / قرية عامره في شمال الموصل على بعد ١٥ ميلا منه يشتغل معظم سكانها بالزراعة .

(٦) قره قوينلو (أو الخروف الأسود) قبيلة تركمانية ، كانت تحكم الموصل في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) .

(٧) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ لوحة ٣٤ .

(٨) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٧٣ .

فيه عدد الفلاحين في كل من بارمجــة (١) وباعويره (٢) نجد أن انتاج الأولى (٣) يبلغ ضعف انتاج الأخيرة (٤) على وجه التقريب .

ولم تخرج عن هذا النظام ، من أراضي ولاية الموصل ، أية ناحيــة فيها ، سواء أكانت الأرض ملكاً خاصاً ، أو مشتركاً ، أو وقفاً . وكان واضعو السجلات العثمانية قد قسموا أراضي الموصل ، من حيث طبيعتهـــا الزراعية ، إلى الأنواع التالية :

١ ـ القرى : وهي الوحدات السكنية الرئيسية خارج مدينة الموصل ذاتها . ويذكر العمري أن للموصل في الجانب الشرقي من دجلـــة ٢٠٠ قرية تقريباً ، وفي الجانب الغربي ١٥ قرية تقريباً ، فيكون المجموع زهاء ٢١٥ قرية أو أكثر من ذلك بقليل (٥) . وفي أغلب الأحوال تكون مثل هذه القرى « خواص » لفرسان بدرجة « مير لواء » مثل قره قوش وبارمجة وكرمليس ، وبارطلي ، وباطنه (باطنايا) ، وقره كوز ، تليها قرى من نوع « زعامت » كالمحلبية مثلاً ، وقرى أخرى تمثل كل منها تياراً مستقلاً مثل الحسنية ، والقنطرة ، وباعشيقة ، وناعورة . وكثيراً ما ألحقت بالنوع

(١) قريه عامرة على ضفة دجله الشرقية ، جنوب الموصل .

(٢) قرية صغيرة قرب تلكيف في شرقي دجلة على خمسة أميال من الموصل .

(٣) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٣١ .

(٤) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٢٧ .

(٥) أمين العمري : منهل الأولياء ج ١ ص ٦٢ .

الأخير مزارع لتزيد من واردات التيمارات الصغيرة ، مثل قرى باعشيقة (١)
وشاه (٢) .

وهناك - إلى جانب ما تقدم - قرى أخرى سجلت أوقافاً على الحرمين الشريفين مثل حطارة (٣) ، كما كان هناك قرى موقوفة على الجوامع الكبيرة والأضرحة المشهورة في الموصل ذاتها ، فقرية تلكيف الغنية كانت وقفاً على جامع النبي جرجيس (٤) ، وقرية كوكجلي (٥) كانت وقفاً على جامع « نبي الله يونس » (٦) ، وفضلاً عن ذلك ، فهناك قرى ونواحي عديدة موقوفة على مساجد أو أضرحة أقل أهمية ، كمزار الإمام عبد الله بن عمر (٧) وجامع نور الدين الشهيد (٨) ، ومزار قضيب البان

(١) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٤٥ .

(٢) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٤٣ .

(٣) سجلات دفتر ١٩٥ لوحة ٦٠ ودفتر ٦٦٠ لوحة ٢٦٢ وهي قرية كبيرة ، أهلها يزيدية (منية الأدباء ص ١٤٤) .

(٤) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٨ ،
و *ch , C . , J . : Narrative of Residence , 11* . 104 .

(٥) ذكرها ياسين العمري بقوله إنها قرية « عامرة (تبعد) عن الموصل ثلاث ساعات » .

(٦) منية الأدباء ص ١٦١ .

(٧) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٧٤ .

(٨) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٧٥ .

ومرقد يحيي أبي القاسم (١) . . . الخ .

وكان من القرى ما يعمر أحياناً « وتسكن وتزرع ، وأحياناً تتعطل » (٢) فيطبق فيها حينذاك مبدأ التكافل الجماعي ، فاذا ما انقرضت قرية ما ، تدفع القرية المجاورة ضرائبها (٣) ويشير العمري عند حديثه عن قرية (جام كرك) إلى أنها « قرية لها اسم بلا جسم ، وأغلب الأعوام يزرع عقارها [أهل] تل كيف » (٤) .

٢ — المزارع : ويذكر العمري أنها بلغت ٦٠ مزرعة (٥) . وقد عدت كل مزرعة منها تيماراً كاملاً مستقلاً (٦) ، وأضيف بعضها إلى وحدات اقطاعية أكبر ، وكثيراً ما سميت مثل هذه المزارع بأسماء أصحاب التيمار أنفسهم أو نسبت إلى أسماء القرى أو المواقع القريبة .

وليس ثمة حد فاصل بين المزرعة والقرية من حيث مواردهما المالية ، إذ كثيراً ما زاد ايراد المزرعة ، التي من نوع التيمار ، على ايراد القرية من نفس النوع ، كما لم يكن غريباً أن توقف المزارع على الحرمين الشريفين

---

(١) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٧٧ .

(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ٦٢ .

(٣) *Lutsky ; Modern History of the Arab Countries. , P . 25 .*

(٤) منية الادباء ص ١٤٠ .

(٥) منهل الاولياء ج ١ ص ٦٢ .

(٦) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٥٢ .

والجوامع والمشاهد المشهورة في الموصل ذاتها أو في أطرافها (١) مثلها في ذلك مثل القرى التي سبق ذكرها .

٣ ـ الجماعات : وتكشف لنا السجلات العثمانية عن أن كثيراً من الوحدات الاقطاعية من الأنواع الثلاثة : خاص ، وزعامت ، وتيمار ، كانت تسكنها القبائل والجماعات والطوائف منذ عهود سابقة على الفتح العثماني على شكل ملكيات مشتركة لجميع أفراد الجماعة (٢) . وكان اقرار مثل هذه الملكية المشتركة وتسجيلها كوحدة اقطاعية ثابتة ، قد أدى بدوره إلى القضاء نسبياً على حالة فوضى الملكية الزراعية التي نتجت عن انكماش سلطة المدن وعلى هذا النحو تحول الكثير من الأراضي المشتركة إلى ملكيات فردية عائدة

(١) سجلات ولاية الموصل . دفتر ٦٦٠ لوحة ٣٦٢ ـ ٢٨٩ .

(٢) تعتبر مثل هذه الملكية من المراحل المتدنية في سلم الحضارة ، فهي تمثل مرحلة وسطى بين الفوضى المشاعية للأرض ، وبين الملكيه الفرديه المستقرة ، فالارض ملك للقبيله بصفتها الجماعيه ، طالما كانت تقيم فيها وتحافظ عليها ، فاذا ما انتقلت منها زالت ملكيتها لها فوراً لتكتسب ملكية أرض جديدة في المنطقه التي ستحل فيها . وقد بقيت في العراق مثل هذه الملكيات حتى سن قانون دائرة (الطابو) في عهد مدحت باشا (١٨٦٨ ـ ١٨٧٢) وتسجيل الاراضي التي تسكنها القبائل (وكانت تعتبر أراضي أميرية) بأسماء الشيوخ وبعض الملاك . والاسم الشائع في العراق الجنوبي لملكية القبيلة هو الديرة كديرة المنتفق وديرة ربيعة مثلا ، ولا شك في أن قيام العثمانيين بتسجيل ملكيات القبائل الجماعية للأرض في الموصل منذ القرن السادس عشر ، كان خطوة هامة لاحلال العلاقات الاقطاعية محل العلاقات القبلية السابقة .

إلى الأمراء والشيوخ ، مع الإبقاء على أراضي أخرى عديدة ملكاً جماعياً للقبائل والأسر التي تعيش عليها (وقد سميت آلوسات) (١) وكانت هذه الأراضي مقيدة بكفالة على نحو متضامن لدفع الضرائب والمكوس الاقطاعية ، كما كان بعض أصحابها ملزمين بضمان حراثة أراضي الاقطاعيين (٢).

ورغم أن نظام الجماعات هذا ، لم يكن - اسمياً - سوى نظام يتعلق بنوعية الملكية ، لا بطبيعة الأرض ، إلا أننا نستنتج من دراسة الرسوم المفروضة ، وأغلبها رسوم أغنام ، أنها كانت تمثل مناطق الرعي فقط ، وهي الأراضي التي لا تصلح للزراعة المستقرة . وتكشف لنا السجلات العثمانية أن أغلب تلك المراعي كان ملكاً لقبائل وجماعات وطوائف ، مثل آل غرير (١٦٧ نفراً) (٣) وآل عبيد (٥٠ نفراً) (٤) وأولاد علم (٤١ نفراً) (٥) وجماعة كازور (٣٤ نفراً) (٦) وطائفة القرة قوينلو (١٤٨ نفراً) (٧) .

---

(١) الآلوس : معناها القبيلة التي يقوم قوادها بقيادتها أثناء الحرب (العزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٣ الملحق الثاني ص ٤٠) .

(٢) *Lutsky ; Modern History of the Arab Countries , P . 11 .*

(٣) سجلات ولاية الموصل . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٠٨ .

(٤) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢١٠ .

(٥) سجلات دفتر ٦٦٠ لوحة ٢١١ وفي دفتر ١٩٥ لوحة ٧٢ أنهم ٢٤ فرداً

(٦) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحة ٢١١ .

(٧) سجلات دفتر ٦٦٠ لوحة ٢١٦ وفي دفتر ١٩٥ لوحة ١٧٣ إنهم (٦٦ نفراً فقط)

وفي بعض الأحيان ، قسمت ملكية القبيلة الواحدة إلى عدة ملكيات لتختص كل جماعة منها بأرضها الخاصة ، فقبيلة القرة قوينلو المذكورة اعتبرت – لظروف خاصة – ثلاث جماعات ، ومنح لاثنين من رؤسائ لقب « كتخدا » مع بعض المزارع ترغيباً لهم بالزراعة والاستقرار (١) وأعتبرت أراضيهم في بعض السجلات اقطاعاً بدرجة « خاص ميراواء »(٢ ورغم تقسيم هذه القبيلة إلى ثلاث جماعات ، فانها كانت تؤدي الرسوم ع أرضها بصفة مجتمعة (٣) .

ومنذ القرن السادس عشر كانت جميع أراضي ولاية الموصل ، بما في من قرى ومزارع ومراعي ، قد أمست مسجلة رسمياً في سجلات الدولة كوحدات اقطاعية مختلفة الايراد . ومن هنا يبدو لنا أنـه ، رغم كو نصف الأراضي الأقطاعية فقط كانت في أيدي الفرسان السباهية (٤) ، ف الأراضي الأخرى ، لم تستثن هي أيضاً من تقسيمها إلى الوحدات الثلا المعروفة في النظام الاقطاعي العثماني : الخاص والزعامت والتيمار ، هذا الرغم من أن في تلك الأراضي ما كان ملكاً خاصاً ، أو وقفاً دينياً ، ملكاً جماعياً .

وليس هناك من النصوص ما يدل على حدوث أي تغير هام في التنظيمات – من الناحية الشكلية على الأقل – طيلة القرن السابع عشر .

(١) سجلات دفتر ٦٦٠ لوحة ٢١٧ ولا يشير في دفتر ١٩٥ إلى هذا التقـ

(٢) سجلات . دفتر ١٩٥ لوحة ٧٣ .

(٣) سجلات . دفتر ٦٦٠ لوحه ٢١٧ .

(٤) جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ ص ٧٧ .

أن هذا القرن شهد ظهور نزعة واضحة المعالم ترمي إلى جعل الاقطاعات العسكرية ممتلكات خاصة وراثية ، فأدى ذلك بدوره إلى اضعاف الجانب العسكري من النظام ، وتحويله بالتدريج إلى نظام زراعي بحت .

وفي القرن الثامن عشر انتقلت كثير من القرى - التي كانت تمثل في السابق وحدات اقطاعية عسكرية - إلى القوى المحلية في الولاية ، فنمت بذلك طبقة الاقطاعيين المحليين ، وظهرت الأسر الموصلية الاستقراطية لتتولى قيادة تلك الطبقة في الصراع الذي أخذ ينشب بينها وبين السلطة المركزية المتمثلة في الوالي وفرسانه الاقطاعيين وفرقه الينكجرية (١) .

ولم يكن بروز الأسرة العمرية كأكبر قوة اقطاعية محلية بالأمر المفاجيء فقد استطاعت هذه الأسرة - إلى جانب تأييد السلطات العثمانية لها - أن تنمي أملاكها بالوقف المستمر على جامع العمرية ومزار الامام عبد الله بن عمر (٢) ، حتى أصبحت تلك الأوقاف مثار منافسة الوالي (الذي يفترض فيه أن تكون له أكبر الاقطاعات) هو نفسه . ويقول العمري في ترجمته لمفتي الموصل الشهير علي بن مراد العمري المتوفي سنة ١٧٣٤ م / ١١٤٧ هـ « أنعم عليه السلطان باثنتي عشرة قرية ونصف قرايا (أي قرى) جبل مقلوب ، وهو أول من ملك القرايا (أي القرى) في الموصل ، وكانت من قبل للحاكم في الموصل » (٣) ويضيف بأنه كان لهذا المفتي من القرى اضافة إلى نصف جبل مقلوب ، « تل أسقف » ، وكبر اسحاق » ، والقبة ،

---

(١) أنظر الفصل الأول من الباب الأول .

(٢) سجلات ولاية الموصل . دفتر ٦٦٠ لوحة ٣٧٤ .

(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٢٥ عن منهج الثقات لياسين العمري .

وكبرلشكست ، وحسين شامي ، وبرطله ، وجنكجي وجام تكرم (١) وآغ
قلعة ، والمان ، وخراب كرك ، وسندانك ، (٢) . . . وغيرها .

ولم يهمل الجليليون – قبل استلامهم مقاليد الولاية – هذا الجانب
الاقتصادي ، فاستطاعوا أن يجمعوا – خلال فترة من الزمن – بين كونه
رأس الطبقة التجارية ، وبين موقعهم الجديد باعتبارهم احدى الأسر الاقطاع
القوية فيها وذلك بتوليهم حق التصرف بأراضي قرة قوش بموجب نظا
المالكانة ، وفي سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ كافأ السلطان العثماني حسين باش
الجليلي لدفاعه المجيد عن الموصل ضد الجيوش الايرانية ، بأن ملكه قر
قره قوش رسمياً بما فيها ، فما كان من الوالي الجليلي إلا أن وقف هذ
القرية ، بما فيها من مزارع ومراع ورسوم وحقوق مطلقة من جميع التكاليف
على ابنه محمد أمين باشا وعلى أخيه سليم بك ، وعلى ابن أخيه عبد ا
ابن مراد باشا بالتساوي ، على أن يقوم هؤلاء ببناء جسرين على الطري
بين بغداد والموصل والبصرة وكركوك ، في قرية لك (٣) وقرية كوكجهلي (٤
والقيام بأمور نافعة أخرى (٥) وما أن أشرف القرن الثامن عشر على الانته

---

(١) وقد ذكرها ياسين العمري في منية الأدباء ص ١٤٠ بـ « جام كرك
(٢) ياسين العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلا
ص ٣٤٠ .
(٣) اللك ذكرها ياسين العمري بأنها قرية « عامرة ، وأهلها مسلمو
وهي وقف نبي الله يونس » منية الأدباء » ص ١٦٣ .
(٤) قرية عامرة وهي وقف نبي الله يونس (منبة الادباء ص ١٦١) .
(٥) أنظر الملحق رقم ٧ المتعلق بهذا التمليك .

حتى كانت أملاك الأسرة الجليلية تشمل عدداً كبيراً من القرى والضياع : مثل قرية كرمليس ، وقرية شاقولي (١) .

وكنتيجة لتدهور نظام السباهية الاقطاعي وفقدانه الضبط العسكري فقد استطاعت القوى المحلية في الولاية – وعلى رأسها الأسرة الجليلية – النفوذ إلى داخل هذا النظام وامتلاك وحدات التيمار الاقطاعية ، وغدا أغلب أفراد آل الجليلي فرساناً من ذوي الاقطاعات بدرجة « زعامت » ، أي بدخل يزيد على المائة ألف آقجة سنوياً (٢) .

ورغم ما ألم بالموصل من اضمحلال في كافة مجالاتها الاقتصادية خلال قرون الفوضى التي سبقت العهد العثماني ، فقد بقي انتاج الحبوب ، وخاصة الحنطة والشعير ، أهم المنتجات الزراعية في المنطقة ، ويمكن القول استناداً إلى دراسة مقادير الرسوم المفروضة على أنواع الغلال ، بأن هذين المحصولين كانا يمثلان العمود الفقري لدخل معظم الاقطاعات ، على اختلاف أنواعها مما يثبت أن الموصل بقيت – كسابق عهدها – مخزناً ضخماً يمد المناطق المجاورة بكميات من هذه الغلة الأساسية . ونظرة فاحصة واحدة على سجلات الولاية ، تبين بوضوح مدى أهمية الغلة المذكورة في اقتصاد الولاية برمته .

ولفت انتاج الموصل الغزير للحبوب انتباه كثير من الرحاليين الذين

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ٢٩ (مخطوط) .

(٢) تاريخ جودت ج ١ ص ٩٨ ـ ٩٩ .

زاروا المنطقة . فقد لاحظ الأب دومنيكولانزا الذي أقام في الموصل خلال القرن الثامن عشر ، أن أراضي الموصل الممتدة على الضفة الغربية للنهر كانت تحرث كلها ، وكذلك أراضي القرى العديدة القائمة على ضفته الشرقية ووصفها بأنها خصبة للغاية خصباً يفوق التصور « لذلك فغلتها تكفي ، لا بل تفيض ، عن حاجة الولاية ، وربما تكفي لسد حاجة الولاية المجاورة » (١) ويذكر المنشي البغدادي (سنة ١٨٢٢ م / ١٢٣٧ هـ) أن جميع القرى الكثيرة التي في أنحاء الموصل ، تزرع الحنطة (٢) . ويشير بادجر إلى أن انتاج الولاية الأساسي ، هو الحنطة والشعير ، وأن انتاجها على أيامه (أي منتصف القرن التاسع عشر) كان بكميات وفيرة جداً (٣) .

وكان تصدير الحبوب إلى المنطقة الجبلية المجاورة ، وإلى العراق الجنوبي وبخاصة ولاية بغداد ، من الأمور الجارية على الدوام ، حتى أن انقطاع الحصاد التام في الولاية المذكورة ، رغم مساحتها الكبيرة ، كان – على ما لاحظ المستر جروفز *Groves* سنة ١٨٣١ م / ١٢٤٧ هـ – لا يترتب عليه مصاعب كبيرة « لأنه كان بالامكان ورود الحبوب بسهولة من الموصل وكردستان » (٤) .

---

(١) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٥ .

(٢) رحلة المنشي البغدادي ص ٧٨ .

(٣) *Badger , G . P . : The Nestorians , Vol , 1 , P . 71 ,*

(٤) *Groves , A . N . : Journal of a Residence at Bagdad , P . 96 .*

وإلى جانب انتاج الحبوب ، كانت ولاية الموصل تنتج القطن الذي يستخدم في صناعات النسيج الكثيرة التي اشتهرت بهــا المنطقة منذ عهود قديمة ، وكان يزرع عادة في القرى التي تتوفر فيها مصادر دائمة للمياه ، إلا أن انتاجه لم يكن يكفي حاجة السوق المحلية ، فكان التجار يستوردونه أيضاً من المناطق الجبلية المجاورة (١) .

وكانت الموصل تنتج – خلال الصيف – أنواعاً مختلفة من الخضروات والفاكهة ، كالبطيخ والخيار وغيرهما ، ويزرع أغلبها على شواطيء دجلة والجزر التي تظهر في النهر عند انخفاض مستوى الماء فيه . كما أنها عرفت في هذا العهد بساتين « الفستق » الكبيرة التي أسسها الجليليون حوالي المدينة .

ورغم ذلك كله ، كانت الموصل تعاني بين حين وآخر من نكبات اقتصادية فادحة تترك آثارا عميقة على الحياة الاجتماعية في الولاية . وكان اعتماد الزراعة شبه التام على الأمطار يعرضها – عند تأخر موسم المطر أو انقطاعه – إلى خسائر جمة ، كما كان قدوم الجراد الأصفر المعروف بالنجدي (لقدومه من الجزيرة العربية) يسبب سلسلة متقطعة من الضيق الاقتصادي هذا بالاضافة إلى تعرض الموصل إلى نكبات أخرى بين حين وآخر ، بسبب ظروف المناخ وانخفاض درجات الحرارة وسقوط الثلج شتاءاً إلى الحد الذي يقضي فيه على أغلب المحاصيل الزراعية .

وطوال القرن السابع عشر تعرضت الموصل لنكبات مؤلمة . ففي سنة ١٦٧٦ م / ١٠٨٧ هـ قحط بها المطر . وكان الزرع قد نبت ، وجاء

(١) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٦ .

الجراد النجدي وأكل ما نبت ، وهربت الرعايا ، وخربت القرايا ، ... مات خلق كثير » (١) . وفي عام ١٦٨٧ م / ١٠٩٩ هـ « كان ابتداء الغلا الشديد بها ، وسببه مجيء الجراد وأكل الزرع » (٢) . وتكرر مثل ذا بعد سنة والحدة ، أي في عام ١٦٨٨ م / ١١٠٠ هـ ، إذ « اشتد بها الغ والقحط ، وتشتت الرعايا ، وكان قد بذرت الغلات فلم تنبت ولا حبا ومات من الجوع خلق ، وأكلوا لحم الدواب » (٣) .

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر شهدت الموصل سلسلة أخرى النكبات المتشابهة . ففي عام ١٧٤١ – ١٧٤٢ م / ١١٥٤ – ١١٥٥ هـ ... الغلاء نتيجة لقلة المطر (٤) . وفي سنة ١٧٥٧ م / ١١٧٠ هـ تضافرت عوامل طبيعية لالحاق أفدح ضرر عرفته الولاية منذ عهد طويل ، إذ ... منطقة الجزيرة موجة من البرد الشديد امتدت حتى ديار بكر ومار... وحلب (٥) ، وبلغ الأمر أن تجمد دجلة تماماً حتى كانت القوافل تمر طوال عشرين يوماً (٦) . وارتفعت الأسعار في الموصل في الوقت شهدت فيه المدينة تدفق أعداد ضخمة من أهالي القرى ومن الأماكن

(١) منية الادباء ص ١٧٣ وزبدة الآثار الجلية ص ٩ (مخطوط) .

(٢) منية الادباء ص ١٧٥ .

(٣) منية الادباء ص ١٧٦ وزبدة الآثار الجلية ص ١٠ ومنهل ال... ج ١ ص ١٤٠ .

(٤) منية الادباء ص ١٧٩ والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٥ ص

(٥) كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٦) مذكرات دومنيكو لانزا ص ٤٢ ومنية الادباء ص ١٨٤ . الآثار الجلية ص ١٠ (مخطوط) وسليمان الصائغ تاريخ الموصل ج ١ ص

بحثاً عن القوت . وتدهورت الحالة المعاشية بسرعة كبيرة ، حتى باع كثير من الفقراء أمتعتهم ثم أولادهم ونساءهم لمد حياتهم مدداً قصيرة ، وما أن انقضى الشتاء ونبت العشب حتى أمر والي الموصل (وكان دخيلاً على الولاية) باخراج الفقراء الغرباء من البلدة لتخفيف الشقاء عن أهلها . على أن مثل هذا الإجراء لم يكن كافياً ، إذ فجعت المدينة بهجوم الجراد بكثرة هائلة « وكان أول ما جاء زحافاً بلا جناح ، فما نزل بأرض وترك فيها حشيشة خضراء ، وتقدم إلى نهر دجلة ، وجعل ينزل بالماء أولاً فأولاً حتى صار مثل الحصير وعبر نهر دجلة وقطع إلى ذلك الجانب (الشرقي) وأكل زروع القرى الشرقية وما سلم منها إلا القليل » (١) . وزاد من تدهور الموقف ، فشل جميع المحاولات الرامية لاستيراد المواد الغذائية بما يكفي حاجة السكان الجائعين (٢) .

وكان من الآثار الاجتماعية التي ترتبت على هذا الشقاء الاقتصادي المستمر أن احتكر بعض الأغنياء تجارة الحبوب ، وكثرت السرقات بحيث كانت تقع يومياً ، وتفكك كثير من الأسر الفقيرة التي اضطرت إلى بيع بعض أفرادها طلباً للطعام ، وسرت روح التذمر والتمرد بين الناس ، المسلمين منهم والنصارى على حد سواء (٣) .

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ١٨ (مخطوط) .

(٢) مذكرات بولس بن عبد العزيز المنشورة مع مذكرات لانزا ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) مذكرات لانزا ص ٤٥ ورحلة نيبور ص ١١٤ وبطرس الكلداني : ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٣٢٧ . *Longrigg , S . Four Centuries* *p : 172 .* ومخطوطات الموصل ص ١٢٩ .

وفي عام ١٧٩٤ م / ١٢٠٩ هـ تضافر الجراد مع البرد مرة أخرى ، فأكل الجراد ثلث مزروعات الموصل وقراها ، وأتلف البرد زروع ٣٦ قرية ثم جاء الجراد ثانية فأتلف محاصيل خمس قرى أخرى (١) . وتكرر قدوم الجراد سنة ١٧٩٥ م / ١٢١٠ هـ « فأكل غالب الحنطة والشعير ، ثم أكل القطن المزروع ، ثم زرعوه ثانية فلما نبت أكله الجراد مرة ثانية ، فزرعوه ثالثة أواخر حزيران وغلت الأسعار » (٢) .

وفي السنين الأخيرة للحكم الجليلي ، عانت الموصل عدداً من المجاعات المنهكة . ففي عام ١٨٢٤ م / ١٢٤٠ هـ دهم البلاد الجراد ثم انعدم حاصل الحنطة ، وقل انتاج حقول الخضر الممتدة على شاطيء دجلة وفيما حوا القرى . وفي عام ١٨٢٦ م / ١٢٤٢ هـ انعـدم المحصول بسبب الجفاف واشتدت الضائقة الاقتصادية بالولاية سنتين كاملتين (٣) .

ورغم اعتياد أغلب الموسرين الموصليين خزن كميات كبيرة من الغلا في أقبية خاصة تحت الأرض (٤) ، فان تلك الكميات لم تكن تكفي — كثير من الأحيان — لمكافحة ما تسببه النكبات من مجاعات قاسية . وقد شكا أكثر من رحالة من اهمال حكومة الولاية أمر التموين ، وعدم الاستعد

---

(١) غرائب الاثر ص ٣٧ وزبدة الاثار الجلية ص ٢٠ (مخطوط) .
(٢) غرائب الاثر ص ٤٠ .
(٣) dge, W.: By Nile, and Tigris, 11, P. 38.
(٤) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١١ و dge, W.: Op.
t, 11, P. 39.

للغوائل الطارئة بادخار المواد الغذائية الكافية (١) .

وفي الواقع لم تكن اجراءات الوّلاة المتعاقبين ، في معالجة مثل تلك الظروف السيئة ، إلا اصلاحات مؤقتة ، تخفف من حدة الأزمات أحياناً ، ولكنها تعجز عن ايجاد الحلول المجدية لمواجهة أسباب تفاقم الأزمات الخانقة ففي ضائقة سنة ١٧٤٢ م / ١١٥٥ هـ أمر الحاج حسين باشا الجليلي بعمل أفران لاطعام الفقراء والمحتاجين (٢) . وفي أثناء نكبة عام ١٧٥٧ م / ١١٧٠هـ أمر محمد أمين الجليلي أن تطبخ في جامعه الذي ابتناه « شوربة كل يوم وتطعم للفقراء » (٣) . وفي ذلك يقول عصام العمري « فبذل وسعه ببذل الطعام ، وتربية الأرامل والأيتام ، وكفن من الأموات عدد كثير . ونال من الثواب الوافر الغزير » (٤) . وشبيه بذلك ما حدث أثنـاء الغلاء الحاصل سنة ١٧٨٥ م / ١٢٠٠ هـ حيث أمر محمد باشا الجليلي « بعمـل خمسة عشر فرناً للخبز ، فكثر الخبز في الموصل ، وبيعت القرصة من الخبز بمصرية » (٥) . وفي آخر عهد الجليليين حاول يحيى باشا الجليلي التخفيف

---

(١) رحلة نيبور ص ١١٤ و Badger , G . P . : the Nestorians , I , P . 71 .

(٢) العزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٥ ص ٢٦٥ .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ١٨ (مخطوط) .

(٤) عصام العمري : الروض النضر في تراجم رجال العصر . الورقة ١٥٤ (مخطوط) .

(٥) عملة عثمانية تساوي ٣ أقجات (أنظر الملحق رقم ١٣ الخاص بأنواع العملة) .

من حدة الضائقة الاقتصادية التي شهدتها ولايته ببناء الأفران ، واستيرا
الحبوب من المناطق المجاورة (١) .

الصناعة :

كان للاستقرار النسبي الذي شهدته ولاية الموصل منذ أواخر القر
السادس عشر أثره الواضح في اذكاء حركة صناعية ما انطفأت جذوتها ق
إذ لم تستطع قرون الفوضى التي أعقبت الفتح المغولي الايلخاني في القر
الثالث عشر أن تقضي على رواسب الصناعات المختلفة ، مما اشتهرت
المدينة خلال العصور العباسية وخاصة في العهد الاتابكي ، كصناعة الأنس
بأنواعها : الحريرية والقطنية والصوفية وصناعة التحف المعدنية (٢) .

على أن الاستقرار السياسي وحده ليس بكاف ، بأية حال ، لاح
تقدم صناعي سريع ، ما لم يصاحبه نشاط تجاري يكفي لتبادل الخبرة الا
بين مراكز الصناعات ، ويتيح الفرصة لايجاد أسواق كافية لتصدير المنتج
بما يخلق نوعاً من الاقتصاد المركب ، لذا فلم يكن من شأن العلاقات الاقطا
التي كانت تسود المجتمع العثماني آنذاك ، أن تشجع أي توسع صناعي
ذلك أن الاقتصاد العثماني المبني على الاقطاع العسكري (التيمار)
اقتصاداً بسيطاً ، تعيش كل وحدة اقطاعية فيه في اقتصاد مغلق لا يع
التبادل إلا في القليل النادر . وكانت حاجات الاقطاعي وعائلته و
العديدين ، في نظام كهذا ، تسدها منتجات أرضه والضرائب والرسوم

(١) محمد صديق الجليلي : عامد الفهمي ص ٤ .
(٢) سعيد الديوه جي : أعلام الصناع المواصلة ص ٣٠ .

يأخذها من فلاحيه ، وما ينتجه الحرفيون الذين يعملون في أراضيه ، من ملابس وأحذية وأسلحة وأدوات زراعية ومنشآت سكنية ، كما كان الفلاح نفسه ، يمارس - إلى جانب الزراعة - أعمالاً تتخذ مادتها الأوليـــة من منتجات عمله الزراعي ولم يكن ذلك يعني انعدام المبادلات ، فقد كانت المنتجات القليلة التي يستحيل تدبيرها أو الحصول عليها في نطاق هـــذا الاقتصاد المغلق تحملها القوافل التجارية بين مدينة وأخرى .

وتدلنا ظواهر متعددة ، على أن الموصل شهدت منذ القرن الثامن عشر بداية لحركة صناعية نشطة استدعى إلى قيامها ظهور الطبقة التجارية القوية في الولاية ، وتحولت الموصل تدريجياً إلى مركز تجاري هام يصل بين تجارة البحر المتوسط وبين الخليج العربي والمحيط الهنـــدي ، بعد أن كانت مجرد اقطاع عسكري بدرجة سنجق . وأدى ظهور هذه الطبقة التجارية النشطة إلى زيادة أهمية المدينة ذاتها ، وما تمثله من نشاطات صناعية مهمة تصلح للتبادل والتجارة . وبما أن ذلك النشاط التجاري كان يجري برمته ضمن نطاق العلاقات الاقطاعية السابقة ، فقد نجم عن ذلك دخول الأسر التجارية الكبيرة وفي مقدمتها آل الجليلي ، إلى حقل الملكية الاقطاعية ، وجمعها بين نشاطها التجاري وملكيتها الواسعة للأرض ، أدى ذلك بالتالي - إلى زيادة أهمية الريف نفسه ، بما فيه من قرى ومزارع ومراع ، باعتباره وسيلة لتوسعة الانتاج الحرفي المنزلي ، ومده ليشمل أراضي ولاية الموصل بأسرها .

ولما كانت صناعة الأنسجة تعد أهم الصناعات الموصلية وأكثرهـــا حيوية بالنسبة للتبادل التجاري ، فقد كان على القرى أن تقوم بصنع النسيج البدائي (الخام) ، لتختص مدينة الموصل ، بعد ذلك ، بقصره وصبغه

وتلوينه لاستعماله تجارياً . وتكشف لنا بعض المصادر التاريخية أنه كان لدى حكومة والي الموصل « دفتر خام » خاص بما يجب على القرى الرئيسية تقديمه من ذلك النسيج ، حسب القائمة التالية (١) :

القرية	عدد الأطوال
تلكيف	١٥٠
تل أسقف	١٠٠
بعشيقه	٤٠
برطله	٥٠
كرمليس	٣٠
قره قوش	١٢٠
باطنه (باطنايا)	لم يحدد لها ما تدفعه (٢)

ويذكر لانزا أن نسج القطن كان يمثل - على أيامه - مهنة الناس ، « فيهتم الرجال بنسجه أشكالاً مختلفة ، وآخرون بقصره ، وغيرهم بصبغه أو رسمه بصور شتى ، وغيرهم بنقله وبيعه ، وهكذا فالجميع يشتغلون به » (٣) .

(١) مجهول : القوانين السلفية ص ٤٣ (مخطوط) وترتقي هذه القائمة إلى سنة ١٨١٨ م / ١٢٣٤ هـ .

(٢) في الأصل : وضع إزاء هذه القرية رقم (٥٠) ثم شطب ، وكتب بجواره « ماعليها قانون » .

(٣) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٦ .

وكان طبيعياً أن يؤدي تركز النشاط الحرفي وتقدم الصناعة اليدوية في مدينة الموصل وازدياد طلب التجار لها، إلى محاولة خلق ظروف جديدة للعمل ، والخروج من نطاق الحرفة المنزلية إلى مجال العمل الجماعي الأكثر رقياً ، وذلك لتحقيق انتاج أكثر وأسرع يفي بمطالب التجـارة الواسعة ، فكان من نتيجة هذا ، أن نشأت مصانع بسيطة لانتـاج مختلف السلع ، وخاصة الأنسجة بأنواعها .

ولاحظ الرحالة البريطاني جاكسون عام ١٧٦٧ م / ١١٨١ هـ أن سكان الموصل أكثر اهتماماً بالصناعة من أي قوم آخرين رآهم منذ مغادرته الهند ويقول « هناك عـدة مصانع يجري تشغيلها وبعض مصنوعاتها تتفوق على المصنوعات الأوروبية فسروج الخيول وأحزمتها تظهر جد أنيقة بوجه خاص وهم يصنعون سجاد الحرير ويطرزونه بالأزهـار فيظهر أحسن وأمتن من السجاد الذي نصنعه نحن ، وهم مبرزون في صنع المطرزات الثمينة المدهشة للرجال وللنساء معاً ، ولديهم العديد من مصانع النحاس والحديد ، وهناك كميات كبيرة من مختلف المواد التي تصنع من هذه المعادن يتم ارسالها عبر نهر دجلة نحو الجنوب حتى البصرة » (١) .

وكان الرحالة ايفز الذي زار الموصل سنة ١٧٥٨ م / ١١٧٢ هـ قد أشاد بمصانع النسيج الموصلي (الموسلين) واثنى على جودة مصنوعاتها (٢) كما أشار الرحالة نيبور سنة ١٧٦٦ م / ١١٨١ هـ إلى وجود « مصانع كثيرة

(١) جاكسون : مشاهدات بريطاني عن العراق . ص ١٠٥ .

(٢) *Ives , E . : A Voyage from Ingland to India , P . 324 .*

للنسيج والحياكة والصياغة وطباعة النقوش على المنسوجات » (١) . وأشا
أوليفيه في كتاب رحلته عام ١٧٩٤ م بانتاج هذه المصانع ، وذكر أنهـ
منتشرة فى المدينة ، وأن قيمة منسوجاتها كبيرة ، حيث أنها تباع في حلب
إلى التجار الفرنسيين فتشحن من هنـاك إلى مرسيليا (٢) . ونوه رحالو
عديدون بالصناعة الموصليـة ، مثل دوبريه *Dupre* (٣) ، وبكنجهـ
Buckingham (٤) ، وبادجر *Badger* (٥) .

وكنتيجة طبيعية للنشاط الحرفي المتزايد ، وتطور العلاقات الانتاج
بين الحرفيين من جهة ، وبين كل من الفلاحين ، والتجار من جهة أخر
فقد تعاظمت أهمية (الأصناف) كتنظيمات اقتصادية – اجتماعية تحم
أصحاب كل حرفة من التعدي ، وتضمن مستوى مقبولاً للمهنة ، وتحد
أسعار منتجاتها ، ورغم أن نظام الأصناف هذا لم يكن مختصاً بولاي
الموصل وحدها ، فان هناك من الاشارات ما يدل على ارتفاع شأن
النظام وازدياد أهميته في الموصل بصفة خاصة منذ القرن الثامن عشر .
عام ١٧٢٠ م كان كل من اسماعيل أغا الجليلي وهو من كبـار التجا
وقره مصطفى بك محافظ الموصل ، وعلي أفندي مفتيها ، وهم أكثر أ

---

(١) رحلة نيبور ص ١١٤ .

(٢) *vier , J . : Voyage dans L , Empire oman , II , P . 359 .*

(٣) *ɔre , A . : Voyage en Perse , P . 121 .*

(٤) *kingham , J . S . : Travels in opotamia , 11 , P . 37 .*

(٥) *ger , G . P . : TheNestorians . Vol . 1 , p 71 .*

الولاية ثروة ، يعملون كضامنين للضرائب المفروضة على أصناف الحرف(١) .

وكان كسب ولاء « أرباب الصنائع ، والمدافعة عنهم والسعي لهم بالمصالح وإزالة المظالم وتبديل البدع » (٢) من الأسباب الرئيسية التي مكنت آل الجليلي من الوصول إلى السلطة (٣) .

ونستدل من بعض النصوص على أنه كان في الموصل سبعة أصناف يرأسها شيخ يعرف باسم « شيخ الأصناف السبعة » (٤) وأغلب الظن أن تحديد عدد الأصناف بسبعة فقط ، لم يكن إلا تحديداً رسمياً ، بهدف توحيد إدارة كل مجموعة من الأصناف المتقاربة في حرفها ، في صنف واحد رئيسي ، تسهيلا للاشراف على الحرف العديدة التي كانت منتشرة في ولاية الموصل آنذاك ، وضم الجميع تحت « مشيخة » عامة واحدة(٥) . وليس ثمة معلومات كافية عن العدد الحقيقي لأصناف حرفيي الموصل ، فقد كانت هناك صناعات كثيرة مثل الحياكة ، والحدادة ، والنجارة ، والخفافية(٦) ، والدباغة ، والسراجة،والصياغة،وصناعة الأواني النحاسية. الخ .

---

(١) منية الأدباء ص ٨٠ وأنظر الفصل الاول من الباب الاول من الكتاب .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ .

(٣) تفصيل ذلك في الفصل الاول من الكتاب .

(٤) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ وكان قد عمر مسجد حمام السراي الشيخ يونس سنة ١٦٤٧ م / ١٠٥٧ هـ شيخ الاصناف السبعة (سيوفي : مجموع الكتابات المحررة على أبنية مدينة الموصل ص ٣٦) .

(٥) كان عدد الاصناف في حلب المجاورة (٧٢) صنفاً على كل واحد منها شيخ أنظر توتل : وثائق تاريخية عن حلب .

(٦) الخفافة: صنع الاحذية التي تشبه الخف، وتسمى في الموصل(يمني) .

ولما كان للحرف ضامن ، ملتزم أمام حكومة الولاية بتحصيل الضرائب المستحقة على أهل الأصناف ، فقد أمسى شيخ الأصنـــاف مسؤولا أمام الضامن مباشرة ، وليس أمام الحكومة (١) . ويفهم مما أورده العمري أنه كان على هذا الشيخ أن ينظم حساباته في « دفتر » خاص يبين فيه ماينفقه وسبب إنفاقه ، وأنه كان عليه أن يقدم دفتره هـــذا إلى الضامن ليشرف بنفسه على سير الأمور المالية للأصناف بأسرها (٢) .

وليس في النصوص المعاصرة مايوضح طبيعة العلاقة بين شيخ الأصناف من جهة ، وبين شيخ كل صنف من جهـــة أخرى ، ولا مـــا يبين شكل التكوين الاجتماعي داخل الصنف نفسه . ولعل من أهم ميزات هذا التكوين خلال عهد الجليليين ، أنه تأثر بالنظام العائلي السائد في تلك الفترة ، فكان أن تحولت مشيخة الصنف إلى منصب وراثي محض ، تتولاه في كل حرفة أسرة معينة مبرزة في صنفها (٣) .

وكان من الطبيعي أن يؤدي توسع القاعدة الحرفية في الموصل إلى أن تتولى الأصناف حماية حرفييها من منافـــة الأيدي العاملة الرخيصة القادمـــة

(١) وذلك بخلاف القاعدة السائدة . أنظر :
Gibb and Bowem Islamic Society and the West , II , p . 77 .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٣) مجموع الكتابات المحررة على أبنية الموصل ص ٥٧ حاشية . وعن إختصاصات شيخ الصنف في الولايات العثمانية عموماً . أنظر :
Gibb and Bowen : Op . Cit . 11 P . 278 .

من الريف ، بحرمانها من الانضمام إلى تشكيلاتها ، مما أدى بتلك الأيدي – بالتالي – إلى العيش في مستويات إقتصادية منخفضة ، وجمعت حرفة غزل النسيج القطني – وهي أكثر الحرف إنتشاراً – أرخص الأيدي العاملة أجراً ، فكان منهم « الأراذل والنسوان » (١) . وشبــه بعض الأدبــاء الأماكن التي يمارس فيها هؤلاء مهنتهم بالسجون ، حيث يعانون من مشقة العمل ، وسوء الأحوال الصحية ، وفداحة الضرائب ، ممـــا كان يجعل الحياة نكداً متصلا (٢) .

(١) ، (٢) جاء في قصيدة نظمها الحاج علي بن جـار الله الموصلي (ت ١٦٩٣ م / ١١٠٥ هـ) « وكان عالما شاعرا ، يمتهن الحياكة ، ويأكل من كسب يده » مايلي :

فصرت من بعد أخذ العلم متخذا … أدنى الصنائع أخدم طاقة القطن
مع الاراذل والنسوان مجتمعا … في سوق غزل كأني فيه في سجن
وأشتري الغزل من بعض النسا … والبعض منهن في شيء تعيرني
آتي الى دندل الوزان أوزنــه … إن لم أبرطله إلا خان بالوزن
وصاحب المكس حقا مع رفاقته … عليهـم من الهي أكبر اللعن
لانهم إستباحوا بدعة حدثت … وما أكتفى بعد أخذ المكس يزجرني
وبعده إقتل الدولاب شبه نسا … شبيــه بلعم يوم العيد يشبهني
والنول قرح صدري كاد يخسفه … كمثله السجن والمتيت (*) جرحني
شاروفة (**) لاشرف الله قدر صاحبها … تكادفي زيجل (***) المعوج تصلبني

(*) المتيت خشبتان عريضتان توضعان في مقدمة النول .

(**) شاروفه : الحبل الذي يثبت فيه السداء .

(***) الزيجل : عمود مستدير الشكل من أجزاء النول . (أعلام الصناع المواصلة ص ٦١ ـ ٦٣ عن الدر المكنون للعمري) .

التجارة :

لعب موقع الموصل بين أربعة أقاليم جغرافيــة متمايزة ، هي أقليم الجزيرة ، وأقليم العراق ، والمنطقة الجبلية ، والبادية الصحراوية ، دوراً أساسياً في نشاط الموصل الحضاري منذ أقدم عهودها (١) . ولا ريب في أن للتجارة النصيب الأوفى في ذلك النشاط بما تسببه من تأثير متبادل بين مختلف الحضارات . وقد إنتبه كثير من الجغرافيين إلى أهمية موقع الموصل على تجارتها ، فوصفت قديماً بأنها « محط الركبان ، ومنها يقصــد إلى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصــد إلى أذربيجان . . » (٢) . ووصفت في القرن الثامن عشر بنفس الوصف تقريباً ، على بعد شقة الزمن فقيل « أنها تستفيد من موقعها الجغرافي المتوسط بين الجهات ، فتأتيها الأعراب من البادية ، والأكراد من الجبال ويبتاعون منها ما يحتاجونه ، وللسفر منها إلى إيران يكفي إجتياز الجبال وكذلك إلى بغداد يكون السير منها سهلاً بالبر ، وأكثر سهولة منه بالنهر ، ومن بغداد فالبصرة فالهند ، كما يفعل كثير من التجار ، والبضائع التي تجيء بها القوافل من إيران والهند إلى المملكة العثمانية تمر بالموصل ، كما وأنه لابد أن تمر بها البضائع التي تنقل من الأقطار العليا الشمالية إلى الأقطار السفلى الجنوبية » (٣) .

ونتيجة للعلاقة الوثيقة بين التجارة والسياسة ، أدت الأوضاع السياسية

---

(١) أنظر التمهيد من هذا الكتاب . مبحث (موقع الموصل) .
(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان . مادة (الموصل) .
(٣) مذكرات لانزا ص ١٧ .

المتغيرة التي سادت المنطقة منذ عهود المغول والتركمان ، وإقتسام البلاد بين قوى قبلية واقطاعية متناحرة ، إلى إقامة حواجز سياسية عديدة حدت من النشاط التجاري الذي يستلزم بطبيعته طرق مواصلات مفتوحة ، وحداً أدنى من الأمن . ففقدت الموصل بذلك كثيراً من مزايا موقعها التجاري الفذ ، وتحولت إلى مجرد موقع حربـــي تتنـــافس عليه أقوام شتى ، من إيلخانيين وجلائريين وقبائل تركمانية وفرس وعثمانيين . وكان من الطبيعي أن يؤدي تدهور النشاط التجاري في الموصل ، وما صحبـــه من كســـاد حرفي ، إلى ضمور الطبقة التجارية فيها ضموراً ملحوظاً . فلم يبق للمدينة – خلال القرن السادس عشر – سوى بعض شهرتها التجارية القديمـــة ، كما لم يبق لقافلة الموصل – حلب إلا بعض الأهمية (١) .

وبضم الموصل نهائياً إلى أملاك العثمانيين الواسعة منذ الثلث الأول من القرن السابع عشر ، إشتركت هذه الولاية مع ولايات عثمانية أخرى ، في تشكيل منطقة إقتصادية واحدة ، تمتد من البحر المتوسط غربـــاً حتى الخليج العربي جنوباً أي بامتداد يشمل منطقة الهلال الخصيب بأسرهـــا ، إضافة إلى مايرتبط بهذه المنطقة من طرق متشعبة في إيران والجزيرة العربية ومصر (٢) ، فخلق ذلك مجالاً أرحب للنشاطات التجارية .

ومنذ بداية القرن الثامن عشر أخذت الموصل تجني فوائد موقعهـــا السياسي الجديد ، فقد أصبحت – مرة أخرى – نقطة وصل بين شبكـــة

(١) عبد الكريم غرايبة : مقدمة في تاريخ العرب الحديث ج١ ص١١٠.
(٢) فصلنا أهمية موقع الموصل الجغرافي في (التمهيد) من هذا الكتاب .

طرق تجارية متعددة الأطراف ، وصارت قوافلها تقوم بعملية تبادل ضخ بين منتجات بلاد متباعدة مختلفة ، علاوة على قيامها بتصدير ما تنتج الموصل ذاتها من مواد زراعية ، أو بضائع مصنوعة ، و خامات صناعي إلى الأسواق المحلية المجاورة ، أو إلى المراكز التجارية الأخرى ، كحا وبغداد ، ليتولى تجار هذه المراكز - بدورهم - تصريفها في الأسو الخارجية . ويمكننا أن نصف هذه الشبكة الاقتصادية الحيوية على النحو التالي

١ - مجموعة طرق متعددة تربط الموصل وبلاد الأناضول والجز والشام ، وهي :

أ - طريق بري يبدأ من حلب ويمر ببيره جك على الفرات ، فأور عند منابع نهر البليخ ، فماردين ، فنصيبين ، ثم جزيرة إبن عمر دجلة ، ومنها ينحدر نهراً إلى الموصل (١) . وأداة النقل الو في هذا الطريق هي « الكلك » (الرمث) وهي عبارة عن أخ مصفوفة إلى بعضها البعض وموثقة بالحبال ترفعهــا قرب جلد عديدة منفوخة بالهواء (٢) .

ب - طريق برى يمر ببيره جك فديار بكر (٣) ومن هناك ينحدر بو الأكلاك في دجلة إلى الموصل ، وعند إنخفاض مناسيب الميــ

---

(١) *per , S . : Through Turkish Arabia,P . 55 .*
وفيه وصف جيد للطرق التجارية التي تربط الموصل بحلب .

(٢) *re , A . : Voyage en Perse , p . 131 .*

(٣) *per , S . , Op . Cit , p . 55 .*

النهر ، تسلك القوافل التجارية طريقاً برياً يمر بماردين ، فنصيبين ، فجزيرة إبن عمر ، ثم زاخو فالموصل (١) .

ومنذ خضوع إقليم الجزيرة والعراق للحكم العثماني ، إزدادت أهمية هذه الطرق إزدياداً كبيراً ، فاتسع نطاق التجارة مع القسطنطينية عن طريق سورية وبنوع خاص عن طريق ديار بكر ، ونزل العراق بعض البيوتات التجارية الأرمنية من تلك النواحي ، لتشرف على مصالحها الجديدة بين الولايات العراقية والولايات العثمانية الأخرى (٢) . وقد أشرنا في فصل سابق (٣) إلى أن عبد الجليل نفسه ، جد الأسرة الجليلية ، كان قد نزح إلى الموصل من ديار بكر في أوائل القرن السابع عشر وكان يستخدم نهر دجلة الذى يصل بين المدينتين وبغداد وسيلة لنقل البضائع التجارية المختلفة . وفي الواقع كانت ديار بكر تمثل عقدة مواصلات هامة بالنسبة إلى تجارة الموصل ، إذ عن طريقها تنفذ هذه التجارة شرقاً حتى بتليس ووان وأورمية ، لتنقل إلى تلك الأصقاع منتجات العراق وبلاد الشام .

٢ - طريق الموصل - بغداد : ويمثل وادي دجلة شرياناً إقتصادياً هاماً يصل بين الموصل وبغداد ، في أقصر خط مستقيم بينهما . وكان من الممكن للقوافل أن تسلك طريق البادية البري مارة بتكريت

(١) جون أشر : مشاهدات جون آشر في العراق : ترجمة جعفر خياط . مجلة سومر

(٢) يوسف غنيمه : تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٧٣

(٣) أنظر الفصل الأول من الباب الأول .

وسامراء حتى تصل بغداد ، إلا أن إندثار كثير من القرى الواقعة على الطريق ، وغلبة المناخ الصحراوي عليه ، وعدم توفر الأمن ، جعل ت القوافل تفضل سلوك طريق النهر ونقل تجارتها بواسطة « الأكلاك » ح يمكن التوقف عند القرى العديدة التي تقع على ضفتي دجلة (١) . ويص لنا الرحالة نيبور هذا الطريق المهم بقوله : إن السفر من الموصل إلى بغ في نهر دجلة سهل جداً ، والواسطة الوحيدة للسفر هي (الكلك) ، لا توجد واسطة غيره وهو واسع جداً ، والتجار يحملونه بضاعة كثير وإذا أراد التجار مرافقة بضاعتهم ، فانهم يبنون فوق الكلك غرفة ص لتقيهم من المطر وحرارة الشمس . وتستغرق الرحلة النهرية إلى بغداد أيام الربيع عندما يكون تيار الماء قوياً ثلاثة أيام إلى أربعة عشر يوم ولذلك فان المسافرين والتجار يفضلون الطريق البري (٢) .

٣ – طريق الموصل – العمادية : ولهذا الطريق أهمية تجارية وسيا خاصة ، لأنه يربط بين الموصل وأملاك إمارة بهدينان العباسية في العما وأنحائها ، كما أنه يصل بين أغنى قرى تلك الامارة ، مثل دهوك وعق فكان إنقطاع هذا الطريق يعني حرمان أسواق الموصل من كثير مما تن المنطقة الجبلية (٣) .

---

(١) وكان الرحالة الدمشقي مصطفى بن كمال الدين البكري قد ـ هذا الطريق سنة ١٧٢٦ م / ١١٣٩ هـ ووصفه وصفاً ممتعاً دقيقاً في ر « كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وماوالاها من البلدان » (مخطو

(٢) رحلة نيبور ص ١٢٥ .

(٣) أنظر طه الهاشمي : مفصل جغرافية العراق ص ١٩٣ .

٤ – طريق الموصل – أربيل (١) : وهو أهم طريق يربط الموصل بالمدن والقرى الواقعة في شرقي دجلة . وتأتي أهميته من أنه يعد مفتاح شبكة متشعبة من الطرق تنفذ إلى معظم الامارات الكردية المجاورة ، فطريق أربيل – السليمانية ، أو أربيل – كوي ، كانا يصلان إلى قلب إمارة البابانيين ، وطريق أربيل – راوندوز كان يربط الموصل بامارة الصوران القاصية ، لينفذ من هناك – في طرق جبلية وعرة – إلى داخل إيران : أما طريق أربيل – كركوك فكان يربط بين ولاية الموصل وولاية شهرزور الغنية إقتصادياً ، فضلا عن أنه يتصل جنوباً ببغداد ليشكل معهما طريقاً واحداً ذا قيمة إستراتيجية كبيرة(٢) لذا فقد عمد الولاة العثمانيون في العراق دائماً إلى تطهيره من اللصوص ، وجعله مفتوحاً للقوافل التجارية ، حتى بلغ الأمر بوالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي أن جعل تعمير جسرين في هذا الطريق ، من شروط وقفه لقرية قره قوش (٣) على أبنائه . ويشيد نيبور بحالة الأمن التي تسود هذا الطريق ، وبانخفاض رسوم المرور في قراه ونواحيه بالنسبة إلى مايدفع من مال لقاء المرور في طرق أخرى (٤) .

وتقوم الموصل ، خلال هذه الشبكة المتشابكة من خطوط المواصلات بعمليات تجارية غير يسيرة ، فهي تستورد أولا من حلب سائر منتجات الشام وكثيراً من السلع الأوربية الآتية عن طريق البحر المتوسط مثلا الحديد

---

(١) وصف هذا الطريق وفروعه المنشي البغدادي في رحلته ص٦٣ و ٧٥.

(٢) يتصل هذا الطريق بمحور كرمنشاه - خانقين الذي يعد أخطر منفذ بين العراق وإيران .

(٣) وقفية قرية قره قوش (الملحق رقم ٨ من هذا الكتاب .

(٤) رحلة نيبور ص ١٠١ .

والمفارش والعباءات والنيلة (١) التي تبلغ قيمة ماتستورده منها ما يزيد د
ألف قرش (٢) .. ليستهلك برمته في صباغة المنسوجات (٣) . وجاء
تقرير فرنسي مخطوط (٤) لمترجم قنصلية فرنسا في بغداد المسيو آش
مراديان (ت عام ١٨٩٥) أنه كان يرد إلى العراق من البضائع الفرنسي
في أوائل القرن التاسع عشر عن طريق الآستانة وحلب ، ما تبلغ قيمة
ثلاثة ملايين فرنك ، منها الجوخ والمخمل والقيطان (٥) والقرمز والبقم (٦

وقدرت كمية البضائع الأوربية المستوردة عن طريق حلب والشام
العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأكثر من (٧٥٠٠
بالة (٧) ، تشتمل على الأقمشة القطنية والأقمشة المطبوعة ، والياز
(لباس الرأس للنساء) وسائر المنسوجات القطنية والحريرية والو
(٢٢٠ بالة من الورق الأبيض و ٣٠٠ بالة من الورق الملون) وال
والكتان وحجر القدح والبنادق وسلفات النحاس والكبريت والمـ

---

(١) per ، A : *Voyage en Perse* ، P 121
(٢) عملة عثمانية ، سيأتي التفصيل عنها في الملحق رقم ١٣ الخ
بالعملة .
(٣) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٧ .
(٤) غنيمة : تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٧٥ .
(٥) القيطان : شرائط من نسيج خاص محبوك .
(٦) البقم (بتشديد القاف) : خشب أحمر يستخدم في الصباغة
(٧) بالة : كلمة فارسية تعني في الأصل كيس توضع فيه الشيا
وهي في إصطلاح التجار رزمة كبيرة من بضاعة أحكم ربطها ، ويوافقه
الفرنسية بال *Balle* (داود الجلبي : كلمات فارسية في عامية الموصل ص

والأسلاك الحديدية والزجاج والمرايا وفناجين القهوة واللآليء الصناعية . هذا بالاضافة إلى كميات كبيرة أخرى من مصنوعات حلب والشام مثل غزل القطن والسكر المصفى والنحاس والمرجان وصابون حلب (٣٠٠بالة) وصابون الشام (٢٠٠ بالة) . . إلى غير ذلك (١) .

وبلغ من ضخامة قافلة حلب وأهميتها ، أنها لما نهبت سنة ١٨٠٠ م ١٢١٥ هـ أخذ منها ما تبلغ قيمته أربعمائة كيس ، أي ٢٠٠٫٠٠٠ قرش (٢) . ومثل ذلك ما حدث سنة ١٨١٠ م / ١٢٢٥ هـ حيث « راح للناس ماقيمته مائة ألف قرش سوى الجمال والخيل والدواب » (٣) . وأصبح « تاجر حلب » صفة يوصف بها – في الأمثال الموصلية – كل ذي ثروة طائلة (٤).

وفي الوقت نفسه ، كانت الموصل تصدر إلى حلب نسيج الموسلين والأقمشة الحريرية المطرزة والمقصبة بخيوط الذهب والفضة ، حيث كانت تباع هناك إلى التجار الفرنسيين ليشحنوها إلى مرسيليا (٥) ، وكميات

---

(١) رحلة نيجبولت : ترجمة مير بصري (جريدة البلد البغدادية بتاريخ ٥ / ٢ / ١٩٦٧) .

(٢) ياسين العمري : غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر ص ٥٥ والكيس يساوي ٥٠٠ قرش .

(٣) المصدر السابق ص ٨١ :

(٤) عبد الخالق الدباغ الهذلي : معجم أمثال الموصل العامية ج ١ص٧٠.

(٥) *Olivier , G . : Voyage dans l ' Empire Ottoman , II , P . 358 .*

أخرى كبيرة من « العفص » لبيعة للتجار الأوربيين (١) . هذا فض
عن السمن والماشية والتمر والطنافس الفارسية والتنباك وغيرها (٢)

وترتبط الموصل بالامارات الكردية المجاورة بعلاقات تجارية فكانت تستورد منها العفص بكميـــات كبيرة والصوف والحرير و والشعير والخشب والحطب والبسط والطنافس والأحزمة وقشر الر والصمغ والتبغ والزبيب والفواكه والرخام والجبس والأغنام والماعز وج وصوفها وسمنها ، وتصدر اليها البن والشاي والسكر والأقمشة الهن والأوربية (٣) .

وينوه تافرنييه ، في أواخر القرن السابع عشر ، بالعلاقات الت بين الموصل والمناطق الكردية المجاورة ، فيقول : « وليس لهذه ا من شأن إلا كونها ملتقى مهما للتجار ، خاصة تجـــار العرب والكرد يقطنون بلاد آشور القديمة المسماة اليوم بكردستان ، التي يكثر فيها الرائج للتجارة » (٤) كما يشير نيبور إلى هذه العـــلاقات ، فيذ ما يرد إلى الموصل من كردستان سنوياً أكثر من ألفي قنطار من

(١) مذكرات لانزا ص ١٦ .

(٢) غنيمة : تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ١٠٥ .

(٣) *er , G : The Nestorians ,*
l , p . 80 .

وعلي سيدو الكوراني : من عمان إلى العمادية ص ١٤٧ .

(٤) رحلة تافرنييه ص ٥٨ ـ ٥٩ .

واللوز والجوز ، فتقوم هـذه بتصـديره إلى حلب (١) ويذكر المقيم البريطاني ريتش بما كانت تستورده الموصل من السليمانية عاصمـة إمارة البابانيين على أيامه سنة ١٨٢٠ (١٢٣٦ هـ) ، فيقول « والمتاجرة مع الموصل مستمرة بعض الاستمرار ، وتستورد منها الأحذية والغتر (لباس للرأس) والخام (قماش) والأقمشة القطنية الملونة ومنتوجات الشام وديار بكر وغير ذلك ، أما الصادرات إليها فالعفص وغيره » (٢) . وفي سنوات الضيق الاقتصادي ، كانت الموصل تعتمد في ميرتها على ما يستورده تجارها من محاصيل تلك النواحي ، مثل قره‌جوالان ، وكوى ، وكركوك ، وغيرها (٣) .

وتعتبر بغداد مركز الثقل الجنوبي للتجارة الموصلية ، فهي تصـدر إلى الموصل أغلب ما تنتجه محلياً ، أو ما تستورده من الخليج العربي ومن إيران مثل التبغ الأصفهاني والفواكه والفضـة والجواهر واللؤلؤ وشالات كشمير وكرمان والسكر والشاي والفلفل والبن والصابون والشمع والكبريت والعباءات والأحذية وملابس الأعراب والأدوية والفواكه المجففة والسجاد(٤) . وتصدر الموصل إلى بغداد ، بدورها ، أغلب مايصلها من التجارة الحلبية ، إضافة إلى محاصيل الموصل (٥) وأطرافها ، كالحنطـة والعفص والرصاص

(١) رحلة نيبور ص ١١٤ .

(٢) رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ ج ١ ص ٢١٧

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ١٧ ومذكرات بولس بن عبد العزيز المنشورة مع مذكرات لانزا ص ٩٩ .

(٤) رحلة نيجهولت : ترجمة مير بصري (جريدة البلد البغدادية بتاريخ ٥ / ٢ / ١٩٦٧) .

(٥) أنظر سليمان الصائغ : تأريخ الموصل ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

والزبيب والحمص والعدس ودهن السمسم والصابون والشحوم وشعر الماعز والنشوق ونبات الزعتر (١) . كما تصدر إليها أيضاً ما تصنعه أنوالها من ملابس قطنية وغيرها (٢) . ويشير جاكسون إلى أن تجارة هامة جديـــدة لم تكن معروفة من قبل ، إزدهرت بسرعة في الفترة التي سبقت رحلتـــه سنة ١٧٦٧ ، وهي تصدير النحاس بكميات ضخمة من الموصل إلى بغداد لتشحن من هناك إلى أوروبا ، حيث أنه « من نفس النوع الذي يجري صنعه في إنكلتره » (٣) .

ورغم توفر بعض المعلومات عن طبيعة المواد التي كانت تدخل نطاق التجارة الموصلية ، فان من الصعوبـــة بمكان على الباحث ، أن يتوصل إلى أي تقدير لكمية الأموال الداخلة والخارجة التي كان يستعملها الموصليون في تجارتهم الواسعة ، كما ليس هناك من نصوص توضح حقيقة وضع الميزان التجاري للولاية وبخاصة في عهد الولاة الجليليين . ويستنتج هود Heude من إتساع تجارة الموصل وشمولها مواد عديدة كالسجاد والخيول والحديـــ والمعدات النحاسية ، أن ثروتها أضخم من ثروة أية مدينة كبيرة أخرى (٤) إلا أنه لا يكشف لنا شيئاً عن طبيعة هذه الثروة .

ولا شك أن تعدد العمليات التجارية التي كان يقوم بها تجار الموص وإنعدام التمييز بين ما كانت تصدره الموصل من بضائـــع مستوردة سا

---

(١) رحلة نيجهولت : الموضع نفسه .

(٢) upre , A . : Voyage , P 121 .

(٣) جاكسون : مشاهدات بريطاني عن العراق ص ١٠٥ .

(٤) eude , A . : A Voyage up the Persian ulf , P . 219 .

(ترانسيت) وبين ماتصدره من منتجاتها المحلية ، أدى إلى إختلاف أكثر من كاتب في تقييم ميزانية الولاية ، فبينما وصفت هذه الميزانية ، في منتصف القرن التاسع عشر بالعجز ، نتيجة زيادة الأستيراد على التصدير (١) ، ذهبت مصادر أخرى في نهاية القرن ، إلى القول بأن مبلغ صادراتها كان يربو على مبلغ الوارد اليها بثلاثة أضعاف تقريباً (٢) . هذا على الرغم من تشابه الأوضاع الاقتصادية العامة في كلا العهدين .

إن حركة تجارية واسعة كالتي مر بنا وصفها ، لم يكن لها أن تنشط أبداً دون نشوء طبقة تجارية قوية تأخذ على عاتقها السيطرة على الأسواق وحماية القوافل والاستغلال التجاري للحرف المحلية . ولما كانت الادارة العثمانية الاقطاعية التي تحكم الموصل منذ القرن السادس عشر مشغولة بالصراع مع القوى الاقطاعية المحلية ، وعاجزة - بالتالي - عن توفير الضمانات الكافية لحماية مصالح الطبقة التجارية صاحبة النفوذ ، كان لابد لرؤوس هذه الطبقة من الاستيلاء على السلطة لصالحها ، وهو ماحدث فعلا ، كما رأينا سابقاً (٣) بتولي آل الجليلي مقاليد الحكم .

وبما أن السلطة السياسية في الموصل ، كانت تستند - حسب نظام التيمار العثماني - إلى أرضية إقطاعية متناسبة معها ، فقد خلق تولي الجليليين للسلطة وما يمثلونه من قوى تجارية ، وضعاً جديداً غريباً من نوعه ، لكنه لا يغير - من حيث الشكل - أسس التنظيم العثماني السائد ، فهي قوى

(١) *Badger , G.: The Nestorians , Vol . 1, 17 .*

(٢) سامي : قاموس أعلام ج ٦ ص ٤٤٨٣ .

(٣) أنظر الفصل الأول من الباب الأول .

تجارية تمارس سلطة سياسية ، بموجب ملكياتها الاقطاعية الشرعية . ومن هنا فقد اهتم الجليليون – وخاصة في الفترة الأولى من حكمهم – بحماية المصالح الاقتصادية ، حتى تناقل التجار عنهم الكرامات (١) ، وروي عن ابراهيم آغا بن عبد الجليل « أنه كان ذا صيانة وحماية ورعاية لأهل الموصل » (٢) واشتهر الحاج حسين باشا الجليلي بأنه « قطع دابر قطاع الطريق واللصوص » (٣) كما عرف بوقفيته لقرية قره قوش التي اشترط فيها بناء جسرين على طريق بغداد – كركوك – الموصل ، عند قريتي اللك ، وكوكجهلي (٤) . وكان الولاة الجليليون يعمدون ، عند خروج القوافل الكبيرة إلى ارسال فريق من الجند معها ليتولى حمايتها من اللصوص وقطاع الطرق . ففي سنة ١٨٠٢ م / ١٢١٧ هـ كادت احدى العشائر أن تنهب قافلة موصلية ضخمة لولا العسكر الذين أرسلهم والي الموصل محمد باشا الجليلي للدفاع عنها (٥) .

وتجرنا دراسة الأحوال التجارية في الموصل ، خلال هذا العهد ، إلى نقطة هامة أخرى جديرة بالبحث ، تتعلق بطبيعة العلاقة الانتاجية التي كانت تربط بين أصناف الحرفيين ، كطبقة منتجة للسلع ، وبين التجار كموزعين لها . ورغم ندرة النصوص التاريخية المعاصرة عن هذه الناحية المهمة ، فـ لنا أن نستنتج من دراستنا لتجارة الموصل مع المدن الأخرى أن أغلب الانتـ

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٣ .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) منهل الاولياء ج ١ ص ١٤٦ .

(٤) وقفية قرية قره قوش (مخطوطة) .

(٥) غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر ص ٦١ :

الموصلي كان يوزع في الأسواق البعيدة ، كديار بكر وحلب وبغداد ، مما يجعل للتاجر أهمية غير محدودة كوسيط وحيد بين « الصنف » المنتج ، والمستهلكين في المدن الأخرى . وهذا بالطبع يمنحه فرصة تحديد أسعار البضائع المنتجة أكثر مما يستطيع الحرفيين أنفسهم أن يفعلوا بالرغم من تجمعهم في أصناف منظمة ذات قوة . وبلغ من خضوع الأصناف لنفوذ التجار أن بعض كبار التجار كان يضمن دفع ضرائب الأصناف جميعها ، فيكون بذلك مشرفاً مباشراً على الحرف والصناعة ، ويكون شيخ الأصناف مسؤولاً أمامه مباشرة عن أمور أصنافه برمتها (١) .

على أن السبل أمام التجارة ، لم تكن – هي الأخرى – سهلة ممهدة فقد وقفت عدة عوامل في وجهها ، منها ما كان يفرضه عليها الواقع الاقطاعي للأرض من رسوم وضرائب متنوعة ، تتعلق بحق المرور واستخدام الطرق ودخول المدن (٢) ، ومنها انعدام وجود نظام نقدي تمثل فيه العملة ما تحتويه من معدن نفيس تمثيلاً صحيحاً (٣) . على أن أخطر تلك العوامل كان بلا شك التهديد المستمر الذي تتعرض له طرق القوافل التجارية من قطاع الطرق المحترفين ، ومن القبائل المتمردة ، هذا اضافة إلى أن السلطات كانت كثيراً ما تترك مهمة حفظ أمن تلك القوافل إلى القبائل البدوية نفسها لقاء نفحها بالعطايا والهبات ، فاذا ما عجزت الأخيرة عن أداء مهمتها الشاقة ، وهو ما كان يحدث كثيراً ، أو سولت لأحد الولاة نفسه

---

(١) فصلنا الحديث عن هذا الاشراف فيما تقدم ذكره من قسم « الصناعة » من هذا الفصل .

(٢) سيأتي الحديث عن هذه الضرائب في هذا الفصل .

(٣) أنظر الملحق رقم ١٣ الخاص بالعملة .

أن يستوفي المال من هؤلاء الأعوان ، فانهم – على ما يذكر نائب القنصـ
الفرنسي ببغداد المسيو نيكولا – يضربون بمهمتهم عرض الحائط ، وقـ
لا يكتفون أحياناً بأن يدعوا القوافل ، التي عهد اليهم بتوفير الطمأنينة لـ
وحمايتها ينهبها الناهبون ، وإنما يأخذون هذا المجهود على عاتقهم فينهبو
بأنفسهم (١) .

وتحفل الكتب المعاصرة بالعديد من الأمثلة التي تدل على فداحة ما
يتعرض له تجار ذلك العهد من خسائر نتيجة فقدان الأمن ، فعلى طر
الموصل – ديار بكر – حلب كان اليزيدية يمارسون عملية فرض الضرا
بالاكراه على القوافل ونهبها إذا ما أحجمت عن الدفع ، ومما زاد
خطورتها « أن كثيراً من سلابيها اندفعوا بغاراتهم أحياناً إلى البلاد المتا
لمواضعهم لإرتكاب سرقات فيها وقتول أيضاً » (٢) . وعلى طريق المو
– البصرة ، لعبت قبيلة الجربا القويـة دوراً خطيراً في تعريض اتـ
الموصل بتجارة الخليج للانقطاع ، ففي سنة ١٧٩٨ م / ١٢١٣ هـ « غـ
القهوة في الموصل لفساد طريق البصرة » (٣) . وفي عام ١٨٠٥م / ٢٠
« غلا الملح والاشنان (٤) والسمن بالموصل . . لفساد عرب الجربا »

(١) بيير دي فوصيل : الحياة في العراق منذ قرن ص ٣٠ .
(٢) رحلة أبي طالب خان ص ٣٥٤ .
(٣) ياسين العمري : غرائب الاثر ص ٤٨ .
(٤) الاشنان : نبات ينتشر في جنوب العراق ومنطقة الصـ
الجنوبية والصحراء الغربية والمنطقة الرسوبية كما ينمو أيضاً في كر
والموصل وهو مهم في الصناعة الموصلية باعتباره مصدراً للمادة القلوية المسـ
في صناعة الصابون وإسمه الانجليزي (*Haloxylon*) .
(٥) غرائب الاثر ص ٧١ .

وتكرر ذلك سنة ١٨٠٧ م / ١٢٢٢ هـ (١) ، وسنة ١٨١٠م / ١٢٢٥ هـ (٢) ولم يسلم الطريق النهري بين الموصل وبغداد من تهديد قطاع الطرق الذين كانوا يستغلون ابطاء « الأكلاك » في المواضع الخطرة ، ليستولوا عليها (٣) .

وكان لاضطراب الأحوال السياسية في المنطقة دور آخر لا يمكن اغفاله في الاضرار بالتجارة الموصلية ، فعندما نشب الصراع بين أفراد البيت المالك في امارة العمادية (بهدينان) سنة ١٧٦٩ م / ١١٨٣ هـ تعرضت الموصل لضرر فادح « لأنها كانت ترسل إلى العمادية بضائع كثيرة ، وتستورد منها أشياء أخرى لا غنى عنها » (٤) . ويذكر المؤرخ الموصلي ياسين العمري أنه لما « حصلت وحشة » بين والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي وأمير العمادية بهرام باشا سنة ١٧٤٠ م / ١١٥٣ هـ « انقطعت السفّار عن العقر مدة شهرين » (٥) ، ويذكر المؤرخ نفسه ، أنه في عام ١٨٠٤ م ١٢١٩ هـ عم الغلاء بلاداً كثيرة « منها ديار بكر لجور الولاة ونهب أموال العباد وقتل النفوس الجياد (كذا) ، ومنها الموصل لكثرة عربانها وأهلها .. ومنها العقر لجور الأمراء وبغي الزيبار أهل الدمار ونهب القرى ، ومنها

---

(١) غرائب الاثر ص ٧٤ .

(٢) غرائب الاثر ص ١٢٣ .

(٣) مصطفى البكري الدمشقي : كشط الصدا وغسل الران ص ٥٠ (مخطوط) .

(٤) مذكرات دومنيكو لانزا ص ٦٣ .

(٥) ياسين العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٩٧ .

العادية لجور ملوكهم وبغي امرائهم وكثرة فسادهم ونهب قوافلهم » (١)

ومن ناحية أخرى ، كان لتأزم العلاقات السياسية بين الدولة العثما وايران دور لا يقل أهمية في التأثير على تجـــارة الموصل ، فعندما نشب الحرب بين الدولتين في منتصف القرن الثامن عشر « توقفت حركة القافلا بين العجم وأزمير عن طريق حلب وجبل طوروس » (٢) ، وتحولت طريق بغداد – الجزيرة دون المرور بالموصل (٣) . واستمر هذا الوة قائماً حتى انتهاء الحروب العثمانية – الايرانية بسقوط حكم نادرشاه (٤)

الضرائب :

لم تعد هناك – خلال هذا العهد – حدود واضحة كالتي عرفها الفق بين الضرائب الشرعية ، وبين الضرائب غير الشرعية . فقد اختلطت ضرا الأرض الزراعية بمكوس التجارة في أحيان كثيرة ، وتردد الوضع القان للرسوم المفروضة على الصناعات المحلية ، بين كونهـــا جزءاً من ر الأرض في الريف ، وهي التي يجبيهـــا الاقطاعيون ، وبين أن تـ رسوماً مفروضة على الأصناف في المدينة ذاتها ، خاصة بعد أن شهد العهد ظاهرة متميزة وهي استقرار الاقطاعيين أنفسهم في المدينة ، وتر الاقامة في أراضيهم الريفية . وكان تحول الموصل من مركز لمجموعة

---

(١) غرائب الاثر ص ٦٧ .

(٢) فردينان توتل اليسوعي : وثائق تاريخية عن حلب ص٦٣ نقلا
:ock , R . : *Beschreibung des Margenlandes* .

(٣) وثائق تاريخية عن حلب ص ٦٧ .

(٤) المصدر السابق ، نقلا عن سوفاجيه .

الملكيات الاقطاعية إلى مركز تجاري ذي شخصية حضرية متميزة ، قد زاد من تعقد النظام الضرائبي للولاية ، وضيع الحدود التقليدية الفاصلة بين أنواع الضرائب والرسوم .

ومن ناحية أخرى ، فان تطور مركز الوالي من كونه قائداً عسكرياً اقطاعياً إلى رئيس مدني يقوم بتصريف كافة شؤون الولاية ، قد ضاعف من أهمية الضرائب التي يجبيها ، وصيرها مصدر المال الرئيسي لدفع نفقات الحملات العسكرية ولتعمير المباني العامة كالأسوار والقلاع ودور الحكومة ودور العلم والعبادة ولدفع رواتب الموظفين .

ويمكننا هنا أن نقسم أنواع الضرائب والرسوم بصورة عامة تقريبية إلى أربع فئات ، فهناك الضرائب الاقطاعية ، ثم الضرائب التجارية « المكوس » وضرائب « الجزية » الاسلامية على أهل الذمة ، وأخيراً الضرائب الموسمية التي تجبى بأمر الباشا أو الأغا أو شيخ القبيلة .

أما الضرائب الاقطاعية ، فهي العائدات التي كان يتقاضاها السباهي نظير خدماته العسكرية ، من الفلاحين ، سواء أكانت من العائدات المعروفة باسم « حقوق شرعية » (وهي التي تصدر عن فتوى شرعية) أو من العائدات المعروفة باسم « رسوم عرفية » وهي التي تصدر بارادة سلطانية (١)

وتبين لنا سجلات ولاية الموصل العثمانية ، الموضوعة في عهد السلطان

(١) دائرة المعارف الاسلامية . مادة « تيمار » J . Deny
ومحمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٦٤ .

سليمان القانوني ، تفاصيل مهمة عن هذه الرسوم ، مع ذكر أنواعها ال
وهي أنواع لا تختلف كثيراً عن أمثالها في سائر الولايات العثمانية .
مثلاً رسم باسم (اسبنجه) أي الخمس ، ورسم عن العزاب، ورسم عر
وهي ضرائب الزواج ، ورسوم احتساب، ورسوم مختلفة عن الغنم والجام
ورسوم أخرى عن المراعي الشتوية والمراعي الصيفية ، وضرائب تتعلق بال
والكيل (كيل الحنطة) (١) ، وتكشف وثيقة تمليك قره قوش
المؤرخة سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ عن أن كثيراً من تلك الرسوم والض
بقي جارياً حتى عهد الجليليين فكان هناك رسم التنباك (٣) ، ورسم ا
ورسم الفدان ، ورسم النحل ، ورسم الرحى (الطاحون) ورسم ا
والبشارة بالعبد الآبق والعاصي .

على أن تضخماً كبيراً لحق ببعض الضرائب الاقطاعية لتأخذ
جديداً يتلائم مع تطور الحياة الاقتصادية وتناميها ، فزادت رسوم
المعروفة بـ (الباج) و (التمغا) بزيادة القوافل التجارية المارة وف
الثروات التي تقوم بنقلها براً ونهراً ، ورغم أن هذا النوع من الض
كان معروفاً في أنحاء العراق منذ عهود قديمة ، وربما منذ العهد البويه

---

(١) سجلات ولاية الموصل . دفتر ١٩٥ اللوحات ٣ ـ ٤ . ودفتر
اللوحات ٣ ـ ٦ .

(٢) وثيقة تمليك قره قوش مخطوطة (أنظر الملحق رقم ٧) .

(٣) هو حق الحصول على الوقود للغرباء عن التيمار (دائرة ال
الاسلامية . تيمار) .

(٤) سجلات ولاية الموصل دفتر ٦٦٠ اللوحة ٤ .
وعباس العزاوي : تاريخ الضرائب العراقية ص ٤٩ .

فان تزايد النشاط التجاري في هذا العهد قد أدى إلى تنوع تلك الضرائب وتعدد أسمائها . فبعد أن كانت لا تؤخذ – في أوائل العهد العثماني – إلا عن منتجات محدودة كالأنسجة الحريرية والقطنية ، على أساس نسبة ١ : ٤٠ نجدها قد توسعت فشملت أموالاً أخرى ، كالأواني المعدنية والفضية وغيرها حتى غدت – أخيراً – تؤخذ عن غالب ما يباع في الأسواق من عروض التجارة مما لا يدخل في عداد الصادرات والواردات الأجنبية (١) . فهناك كانت ضريبـة على الدواليب ، وعلى ما يسمى بالشواريق (مزررعات الشواطىء الموسمية) وبيع التركات وسائر المحاصيل ، كما أنها كانت تؤخذ داخل المدينة ذاتها ، على سائر الأعمال والصناعات .

وكانت حقوق استيفاء ضرائب (التمغا) تعطى بالالتزام وتفوض لمن ترمي عليه المزايدة سنوياً . من ذلك أنها أعطيت عام ١٧٦٤م / ١١٧٨ﻫ لمدة سنة كاملة بمبلغ (٤٠٠٠) قرش ، ومثلها (قرەطمغة) عن سوق الخيل وسوق الغزل سنة ١٧٧٥ م / ١١٨٩ ﻫ بمبلغ (٤٨٠٠) قرش سنوياً ومنها أيضاً (التمغا) على تخمين الشواريق سنة ١٧٨٩ م / ١٢٠٤ ﻫ ، ورسم الدواليب سنة ١٧٩٠ م / ١٢٠٥ ﻫ ، وكانت ضريبة بيع التركات قد ضمنت سنة ١٧٩١ م / ١٢٠٦ ﻫ بمبلغ (٣٥٠٠) قرش سنوياً (٢) .

ويذكر نيبور أنه كان على التجار أن يدفعوا ، على كل حمل جمل من الأقمشة سواء أكان من الكتان أو من الحرير ، عشرة قروش ، وعلى حمل البن سبعة قروش ونصف القرش ، وعلى حمـل الجمل إذا كانت

---

(١) تاريخ الضرائب العراقية ص ٥٠ .

(٢) تاريخ الضرائب العراقية ص ٥١ .

البضاعة محملة على حمار أو بغل فانها توزن ويدفع رسم المرور (الباج)(
عليها بالنسبة للأحمال السالفة (٢) ويشير دوبريه إلى أن مقدار ما كان يستو
من الرسوم على السلع عند دخولها الموصل أو الخروج منها ، يتراوح
قرش وستة قروش على الأكثر (٣) .

وليست ثمة معلومات تدل على أن استيفاء رسوم التجارة كان يجر
عيناً كما هو الحال في الولايات المجاورة ، مثل بغداد (٤) وحلب (٥)
وكان المحتمل أن تضع السلطات بعض الرسوم على المرافق العامة لسد نفقة
اصلاحها ففي عام ١٧٦٦ م / ١١٨٠ ه وضع على كل راكب يم
على جسر الموصل قرش واحد وذلك لتغطية نفقات تجديـــد قناطره
ذلك العام (٦) .

أما الضريبة الاسلامية الشرعية (الجزية) فكانت تجبى من النصا

(١) يقوم بجباية هذه الرسوم ملتزمون خاصون يقف كل منهم
أحد أبواب المدينة ليجمع بعض الايرادات المقننة على الداخل والخار
وكان هذا النظام مطبقاً في كثير من الولايات العثمانية وفي دمشق كان ي
على ملتزم هذه الضريبة إسم «قولقجي» في حين تسمى التزاميته « قو
(محفظة ٢٣٨ عابدين . وثيقة عربية رقم ٢٢١ / ٢٣ ربيع الثاني ١٣٤٨)
(٢) رحلة نيبور ص ١٠٢ .
(٣) ore . A . : *Voyage en perse* . p . 128 .
(٤) سعاد هادي العمري : بغداد كما وصفها السواح الاجانب ص
(٥) توتل : وثائق تاريخية عن حلب ص ٣٩ .
(٦) الديوه جي : جسر الموصل في مختلف العصور ص ١١ .

واليهود بحسب النسبة الشرعية القديمة ، فالغني يدفع أربع « دوكات » (١) عن كل رأس ، ومتوسط الحال يدفع « دوكين » ويدفع الفقير « دوكة » واحدة ، ويحصل لقاء ذلك على ورقة أو وصل يحتفظ به طول السنة لكي لا يدفع مرة أخرى (٢) .

وهناك إلى جانب ما تقـــدم ، ضرائب أخرى لا تخضع في تنظيمها لقاعدة معينة ثابتة ، وتجبيها حكومة الولاية من سكان القرى والعشائر التي تمتهن الرعي فكان على القرى المعروفة بانتاج النسيج مثلاً أن تقدم كميات محددة من انتاجها إلى سلطات ولاية الموصل كل عام (٣) وكانت الضرائب المفروضة على العشائر تدفع اما بنسبة معلومة من منتجاتهـــا ، أو نقداً ، فعشيرة « جحيش » مثلاً كانت تدفع عام ١٨١٦ م / ١٢٣٢ هـ مبلغاً قدره (١٥٠٠) قرش إلى خزينة الولاية (٤) . وكان على شيوخ عشيرة الشرابين تقديم كمية من السمن تقدر بمائة (من) (٥) في شهر جمادى الآخرة من كل سنة إلى مطبخ والي الموصل (٦) ، أما شيخ طي فكان يقدم مبلغـــاً

(١) الدوكه *ducat* عمله تضرب في البندقيه ، وكانت قيمتها تختلف بين عشرة فرنكات و ١٢ فرنكا ، ويذكر نيبور أنها كانت تساوي عملة عثمانية ذهبية معروفة في الموصل « زر محبوب » (الكرملي : النقودالعربيه ص ١٧٥) .

(٢) رحله نيبور ص ١١٥ .

(٣) القوانين السلفية ص ٤٣ (مخطوط) .

(٤) القوانين السلفية ص ٤٨ (مخطوط) .

(٥) المن : الذي يكال به السمن وغيره ، وقيل الذى يوزن به رطلان (المصباح المنير ص ٢٤٩) .

(٦) القوانين السلفية ص ٤٨ (مخطوط) .

يتراوح بين (٢٥٠٠) و (٣٠٠٠) قرش (١) .

ورغم كثرة هذه الضرائب وتنوعها ، فالظاهر أنها لم تكن بأية حال وكان الجليليون قد اهتموا منذ الفترة السابقة على توليهم بالغاء بعض الضرائب أو تخفيفها . فمن أعمال ابراهيم آغا بن عبد المأثورة أنه ألغى نسبة الـ ١ : ٢٠ التي كان القاضي يأخذها من تر المتوفى باسم (القسامية) ومنها أيضاً منعه أخذ دية الميت من أهله كانت الوفاة حدثت قضاءاً وقدراً ، وغير ذلك من الضرائب (٢)

وقد لاحظ أوليفيه (الذي زار الموصل في عهد محمد باشا الجـ أن الباشا لا يلجأ - كغيره من الحكام المجاورين - إلى ارهاق ا بالضرائب وإنما كان يرى في تشجيع الزراعة والصناعة والتجارة و الحقيقية في تنمية منابع ثروته لذا فقد خفض الرسوم المفروضة على ا وأهتم بالزام موظفي الجمرك عدم تجاوز الرسوم المقررة عنـد نقد البضائع (٣) . وكان نيبور الذي زار الموصل عام ١٧٦٦ م قـ بانخفاض رسوم جمرك الموصل على البضائع والأمتعة بالنسبة إلى غير الولايات (٤) . ويبدو أن في هذا القول شيئاً كبيراً من الصواب بعض الرحالين لاحظوا قلة الواردات من الضرائب (٥) ، وأن

(١) القوانين السلفية ص ٤٨ .

(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) *:er, J . : Voyage dans L ' Empire nan . II . 358 .*

(٤) رحلة نيبور ص ١٠١ .

(٥) *e , A : Voyage en perse , p I28 .*

الواردات لم تكن تزيد عادة على مبلغ مائة كيس أو ٠٠٠ر١٠٠ فرنك ، وذلك بعد اسقاط قيمة المصروفات (١) .

وكان من المدفوعات العينية التي تدفعها ولاية الموصل إلى ولاية بغداد خلال عهد آل الجليلي ، على شكل معونة (وتدعى مبايعة) « مائة ألف كيلة (٢) من الحنطة والشعير » (٣) . ويذكر العمري في حوادث عام ١٨٠٣ م / ١٢١٨ هـ أن علي باشا والي بغداد « طلب المبايعــة من قرى الموصل ، وهي خمس وثلاثون ألف كيلة حنطة ، وخمس وعشرون ألف كيلة شعير » (٤) .

---

(١) Olivier , J . : Op . Cit II ; p . 357 .

(٢) الكيله *Kila* وحدة قياس للأوزان ، كانت تحسب رسمياً فى الدولة العثمانية بـ ٢٠ أقة أي ٦٥٦ و ٢٥ كيلو جرام ، أما كيلة الشعير فالمظنون أنها تقل عن ذلك قليلا ، إذ تبلغ ٢٥ر٢٣ كيلوجرام (فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية ص ٧٢ - ٧٣) ويستعمل في الوقت الحاضر في منطقة الموصل مقياس حجم يعادل ١ من ٢٠ من طغار الموصل ويقرب من ١٢٫٥ كيلو .

(٣) زبدة الآثار الجلية ص ٢٥ .

(٤) غرائب الاثر ، ص ٦٥

الفصل الثالث

الحيــاة الاجتماعية

احصاء السكان :

ليس من السهل تقدير عدد سكان ولاية الموصل خلال العهد الذ ندرسه ، فأغلب الظن أن هذا العدد لم يكن ثابتاً بأية حال . وكان طبي أن تصاحب النكبات الطبيعية من طواعين وأوبئة ومجاعات ، هجرات ، المدينة إلى الأقاليم المجاورة بحثاً عن الطعام ، كما كانت المدينة نفسها تستق في أحايين مختلفة هجرات أخرى بسبب انعدام القوت أو قلته في تل الأقاليم هذا فضلاً عما كانت تسببه النكبات - أحياناً - من زيادة سر مفاجئة في وفيات السكان .

وعلى أيــة حال ، فمن الممــكن أن نفترض استناداً إلى استق الأحوال الاقتصاديــة التي سبقت دراستها ، واستتباب حــد أدنى الاستقرار السياسي وتوالي الهجرات من المناطق المجاورة ، أن زيادة كب قد طرأت على سكان الموصل خلال القرنين الثــامن عشر والتاسع عشر وقد أشاد الأب دومنيكو لانزا بضخامة عدد سكانها في النصف الثاني

القرن الثامن عشر ، فقال : « ان هذه البلدة خلافاً للظن هي كثيرة السكان جداً . بحيث يمكن اعتبارها من المدن ذات الشأن في الامبراطورية . وبعد أن أقمت فيها وتجولت في أنحائها في ظروف عديدة وتأملت جميع أقسامها تبين لي كثرة سكانها الهائلة وفاتحت الأب فرنسيس وعدة أشخاص من أهل البلدة لأعرف كم هو عدد سكانها عند ظنهم ، فأجمعنا على أن عددهم يتجاوز ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة » (١) . ومما يستند اليه لانزا في تقديره هذا ، أن حراس أبواب المدينة أحصوا عدد من أخرج ليدفن خارجها أثناء الطاعون الجارف سنة ١٧٧٢ م / ١١٨٦ هـ ، فكان ما يزيد على ١٠٠٫٠٠٠ جنازة هذا في حين يذكر المؤرخ الموصلي ياسين العمري أن عدد هؤلاء المتوفين جميعاً كان زهاء ٦٠٫٠٠٠ (٢) . وقدر بعض المتأخرين عدد سكان الموصل قبل الطاعون بـ ١٣٠٫٠٠٠ (٣) أو ١٢٥٫٠٠٠ (٤) نسمة ، مستندين إلى أن الوباء قضى على أربعة أخماسهم ، أي ما يقرب من مائة ألف نسمة .

على أن هناك أسباباً قوية تدفعنا إلى الشك في صحة هذه الأرقام الكبيرة ، إذ أن جميع تقديرات اعداد السكان في القرن التالي (التاسع عشر)

---

(١) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٣ و *Ives, E. : A Voyage From Ingland to India, P 324.*

وقد زار الأخير الموصل سنة ١٧٥٨ م / ١١٧٢ هـ واقتبس كثيراً من معلوماته عن المدينة من لانزا نفسه ، فالظاهر أن تقدير عدد السكان هذا ، كان قبل حدوث الطاعون الذي يستند إليه لانزا في إثبات كلامه .

(٢) زبدة الآثار الجلية ص ٢٤ (مخطوط) .

(٣) بطرس نصري الكلداني : ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٤) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٩٣ .

لم تكن تتجاوز نصف تقديرهم قبل الطاعون . وكان الرحالة سيستيني ذكر في كتاب رحلته عام ١٧٨١ م / ١١٩٦ هـ (أي بعد الطاعون بعشـ سنين) أن عدد السكان يبلغ ٥٠ ألفاً (١) . وفي سنة ١٨١٧ م / ١٢٣٣ زار الرحالة هود المدينة ، وتكلم عن سكانها فقال : « لقد قيل أنها تحتو على عشرين ألف دار ، قـد خرب أكثرها ، ونصفها الذي في الجانـ الأيسر ، هو - فقط - ما يزال آهلاً ، وفي المتوسط يسكن كل دار ـ أو سبعة أنفار ، وعلى أية حال فان العدد المطابق للواقع يجب أن يقـ بـ ٤٠،٠٠٠ أو ٤٥،٠٠٠ نسمة » (٢) . ويؤيد ذلك الرحالة بكنجهام الذ زار الموصل في نفس الوقت تقريباً (٣) ، فيقول : « ويظن أهل الموصـ أن عددهم يتجاوز مائة ألف ، لكنني بعد احصاء غير دقيق قمت به ومقارنة لأرقام مختلفة أجريتها أعتقد بأن السكان أقـل من نصف ذا الرقم » (٤) . ويستفاد مما أورده جرانت سنة ١٨٤٠ م / ١٢٥٦ هـ سكان الموصل بلغوا ٣٠،٠٠٠ نسمة (٥) ، وهم حسب تقدير بادجر ١٨٤٩ م / ١٢٦٦ هـ يتكونون من ٤٤٥٠ أسرة (٦) ، أي أن عددهم

(١) stini , J . : Voyage de Constaninople Bassora , P . 149 .

(٢) ude . A . : Voyage up the Persian Gulf , . 218 .

(٣) زار بكنجهام الموصل عام ١٨١٦ .

(٤) ckingham , J : Travels in Mesopotamia , , P . 33 .

(٥) ant , A . : The Nestorians , P . 28 .

(٦) dger , G . P . : The Nestorians , P 84 .

قريباً مما أورده جرانت . وفي أواخر القرن التاسع عشر لم يكن عدد سكان الموصل ليزيد عن ٦١٫٠٠٠ (١) أو ٦٣٫٠٠٠ (٢) نسمة على أكثر تقدير .

على أنه من المرجح أن عدد سكان الموصل – خلال عهد آل الجليلي بعد حدوث الطاعون – كان يقارب الخمسين ألفاً أو أقل قليلاً (٣) ، وذلك إذا أخذنا في الاعتبار أن سكان العراق كله في أواسط القرن التاسع عشر ، لم يزيدوا إلا قليلاً عن المليون وربع المليون نسمة ، وإن أقل من ثلث المليون فقط كان يسكن المدن ويكسب معاشه فيها (٤) .

طوائف السكان :

تميزت الموصل ، عبر حقب التاريخ ، بتعدد العناصر البشرية التي سكنتها . فكان هناك العرب الذين عاشوا في منطقتها منذ عصور ما قبل الاسلام وانتشروا في أطرافها ابان حركة الفتح الاسلامي ، واستمروا يغذونها بالهجرات العربية حتى منحوها صبغتها القومية وكان هناك الأكراد بقبائلهم المختلفة الذين سكنوا المنطقة الجبلية المحيطة بها وكان هناك كذلك بعض

(١) سامي : قاموس أعلام ج ٦ ص ٤٤٨٠ (استنبول ١٣١٦) .

(٢) *Budge, W. : By Nile and Tigris, II, P. 47.*

(٣) يذكر الرحالة *Ellis, T. F.* في رحلتـــه إلى الموصل سنة ١٨٨١ م إن عدد سكان الموصل كان يتراوح بين ٤٠ ألف و٥٠ ألف نسمة . أنظر : *On a Rraft, and Through the Desert Vol. 1, P. 93. (London 1881).*

(٤) محمد سلمان حسن : التطور الاقتصادي في العراق ص٥١ .

التركمان ممن سكنوا ضواحي المدينـــة ، وخاصة في قرى طريق شهرز القديم (١) . هذا إلى جانب أقليات دينية محدودة من سكان البلاد الأقد أو من بقايا القبائل التي تدفقت على الموصل في العهود الغابرة كجه الشبك (٢) ، والباجوان (٣) .

وقد عاشت هذه العناصر أزماناً طويلة متجاورة ، مشتركة المص وعانت من الظروف السياسية والحضارية أوضاعاً متشابهة ، وشهدت هج بشرية مختلفة ، فخفف ذلك – إلى حد ما – من حدة الفواصل الق بينها ، خاصة في مدينة الموصل ذاتها ، باعتبارها سوقاً تجارية كبيرة . لاحظ بكنجهام في أوائل القرن التاسع عشر أن سكان هذه المدينة ي وكأنهم ينتمون إلى عنصر واحد وذلك لاختلاط بعضهم ببعض منذ طويل (٤) .

(١) e , H . : *Mosul and its Minorietes* , P . 13 .

(٢) الشبك جماعات من الأتراك تقطن أكثر من عشرين قر الجانب الشرقي من الموصل . عددهم بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف وهم من بقايا الفرق المغالية في الاسلام . يتكلمون بلسان غريب من الفا والكردية والعربيه والتركية . وهم يمتهنون الزراعة . (أحمد حامد الص الشبك ، أصلهم ، لغتهم . . . الخ ص ٢ - ٨) .

(٣) جماعات تقطن في قرى شرقي الموصل ، ولغتهم تقرب من ا الشبك لكنهم من أهل السنة (الشبك ص ٨) .

(٤) ingham , J . : *Travels in Mesopotamia* , P . 37 .

و , H . C . : *Mosul and its Minorietes* , P . 14 .

ومن ناحية أخرى ، فقد ساعد نظام الملل العثماني ، الذي أباح لكل طائفة دينية أن تستقل بشؤونها الطائفية والاجتماعية ، على تشكيل عناصر السكان القومية ضمن بناء اجتماعي تطغى فيه الكيانات الدينية على الكيانات القومية ، فزاد هذا الوضع من تعقد التكوين القومي للولاية . إذ اختلطت عوامل قومية بعوامل دينية في التركيب السكاني الجديد . ومن ثم ، فقد أصبح من المتعذر دراسة هذا التركيب على أساس قومي . ولذا نجد أنه من الأجدى تناول الموضوع على أساس الطائفة (الملة) ، فهو ماينسجم تماماً مع المناخ الاجتماعي القائم في العصر الذي ندرسه :

١ - المسلمون : يؤلف المسلمون الأغلبية العظمى من سكان الموصل وهم يتألفون من عدة قوميات : العرب والأكراد والتركمان . وليس من المستطاع تحديد نسبة كل قومية إلى الأخرى ، خاصة وان أغلب الأوروبيين لم يكونوا ليميزوا بين هذه القوميات تمييزاً بيناً . ويرى بعض القناصل الفرنسيين المعاصرين أن أكثرية السكان هم من العرب ، سواء أكانوا متحضرين أم بداة ، أما الأكراد فهم أقلية ذات شأن (١) . ويؤيدهم في ذلك بعض الباحثين المحدثين (٢) .

وينتمي المسلمون في الموصل إلى المذهبين : الحنفي والشافعي ، إلا أن القسم الأكبر منهم على المذهب الحنفي ، ولكل من أتباع المذهبين مفتي خاص يرتبط بمفتي القسطنطينية (٣) .

(١) دي فوصيل : الحياة في العراق منذ قرن ص ٦٠ .

(٢) *Luke, H . C . : Op . Cit ., P . 14 .*

(٣) رحلة نيبور ص ١١٢ ورحلة المنشي البغدادي ص ٧٩ .

ولم ينجح الفتح الأيراني الخاطف للمدينة سنة ١٦٢٣ م في نشر المذ
الشيعي فيها ، وليس لدينا من الاشارات ما يفيد بوجود أتباع لهذا المذ
والنص الوحيد ذكره المؤرخ الموصلي أمين العمري ، حين أشار إلى أ
كان من الشيعة « طائفة » أيام المفتي عثمان بن علي العمري (ت ٧٠
١١٨٤ هـ) وأنهم كانوا يقومون بشعائرهم الدينية الخاصة ، حتى أ
المفتي المذكور (١) . بيد أن أخاه ياسين العمري يذكر أن أصحاب
الشعائر لم يكونوا سوى « شرفاء الموصل » أي المنتمين إلى السلالة النبوية
ويؤكد المنشي البغدادي أن الموصل كانت خالية من الشيعة (٣) .

ولم تشهد الموصل أي خلاف عقائدي بين أتباع المذهبين الاسا
فيها ، أو بين المسلمين عموماً وأتباع الديانات الأخرى في المدينة . و
لاحظ بعض الرحالين أن المشاكل الدينية لم يكن لها أثر على علاقات الط
الدينية ببعض لغلبة العصبية المحلية على الجميع ، وانصهارهم في بوتقة
الاجتماعية المشتركة (٤) ، كما لاحظ الميجر سون Soan, E. B.
زار البلاد متنكراً في أواخر القرن التاسع عشر ، أن أفراد هذه اله
يفسرون تآلفهم مع بعضهم بأنهم على اختلاف أديانهم ، عرب في الا
واللغة ، كما أنهم يرتبطون برابطة السكنى في المدينـــة ، وهي – عل

---

(١) منهل الأولياء ج ٢ ص ٧١.
(٢) الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون (مخطوط) .
(٣) رحلة المنشي البغدادي ص ٧٩ .
(٤) ingham, J. : *Travels in Mesopotamia*,
p. 33.

قوله – رابطة قوية في مدن الشرق المنعزلة (١) .

وكان تولي آل الجليلي مقاليد السلطة السياسية في الموصل ، لأكثر من قرن من الزمن ، بمثابة تجسيد حقيقي لهذه الروح المحلية الواضحة ، فهم بتفهمهم الكامل لظروف الطوائف المختلفة ، واتباعهم سياسة محايدة متوازنة ازاءها ، قد دعموا سلطتهم بحصولهم على ولاء المدينة بأسرها ، بدلاً من ولاء طائفة دينية معينة .

٢ – النصارى : نصارى العراق وطنيون من سكانه القدامى دانوا بالنصرانية بعد منتصف القرن الأول للميلاد ، وانتشرت أديرتهم في كل ناحية من العراق والجزيرة ، وكان لهم في عهد الخلافة العباسية دور هام في مختلف المجالات الحضارية (٢) . على أنهم اضطروا – بسبب سقوط هذه الخلافة – إلى مغادرة مراكزهم المدنية ، والالتجاء إلى أماكن أكثر أمناً وأوفر عزلة ، بعد أن أصبح السهل ، بما فيه من مدن وأديرة ، هدفاً سهلاً لكل دولة أو قبيلة غازية .

وقد التجأ أغلب هؤلاء النصارى إلى المنطقة الشمالية ، طلباً للإحتماء بطبيعتها التضاريسية الوعرة . وكان انتقال كرسي بطريركية بابل القديم من مركزه ببغداد إلى اربيل وكرمليس ، يمثل انتقالاً رسمياً لمركز الثقل النصراني من وسط العراق إلى شماله ، كما كان انتقاله إلى جزيرة ابن عمر

---

(١) سون : رحلة متنكر ص ١٢٤ .

(٢) رفائيل بابو إسحق: أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ص٣.

تارة (١) ، والقوش (٢) تارة أخرى ، يمثل – في حقيقته – تردد نصا
كنيسة الموصل في تبعيتهم السياسية بين منطقتي ديار بكر وامارة العم
المجاورتين (٣) ، اضافة إلى تعبيره عن خضوع نصارى المدينة إلى ا
الريف الديني ، بعد أن كان الذي يحدث هو عكس ذلك .

ولقد بقي نصارى الموصل – كغيرهم من نصارى العراق – منق
في ولائهم الديني بين الكنيستين الشرقيتين القديمتين : السريانية النسط
والسريانية اليعقوبية (الأرثوذكسية) (٤) .

بيد أن خضوع الموصل للسيادة العثمانيــة في القرن السادس ع

(١) على دجلة ، بين ديار بكر والموصل ، وفيها « دير الزعفران »
أمسى مركز الكرسي البطريركي لفترات طويلة .

(٢) في دير الربان هرمزد الشهير على سفح جبل القوش .

(٣) شرحنا هذا الأمر من الوجهة السياسية ، في الفصل الثال
الباب الأول .

(٤) النسطورية : هم أصحاب نسطور الذي قال : أن الله تعالى
ذو أقانيم ثلاثه ، الوجود والعلم والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائد
الذات ولا هي هو . . وإتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام . . ك
الشمس في كوة . وهى أقرب إلى نفي ألوهية المسيح منها إلى إثباتها ،
فقد حرمت النسطورية في مجمع أفسس سنة ٤٣١ . أما اليعقوبية (الارثوذ
فهم القائلون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة ، قد إمتزج فيه عنصر الاله
الانسان . وقالوا بالاقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا : إنقلبت الكلمة لحـ
فصار الاله هو المسيح . أنظر الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٤٥

وتوفر حد أدنى من الأمن والاستقرار ، أدى إلى تهيئة الظروف الملائمة إلى أحداث حركتين حضاريتين متداخلتين ، الأولى هي حركة العودة التدريجية إلى المدن ، والأخرى هي محاولات البعثات التبشيرية الأوروبية مد نفوذها الديني إلى سكان هذه المدن ، وتحويلهم إلى الإيمان بتعاليم الكنائس الغربية القـائمة .

وقد سبق رجال الكنيسة الكاثوليكية غيرهم في هذا المضمار ، فبينما كانت الدعوة إلى الكنيسة الانجليكانية قاصرة على مدينة حلب حيث تقيم جالية انجليزية قوية (١) ، انطلقت الارساليات الفرنسية تحت رعاية وتنظيم مجمع التبشير بالإيمان في روما(٢)(TheCollege For the propagation of the Faith) إلى الموصل وقراها ، وإلى مـدن العراق الأخـرى ، تسعى نحو نشر الكثلكة في هذا الجزء من العالم ، وضم كنائسها المحلية القديمة إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما وتوالى قدوم هذه الارساليات إلى هـذه النواحي تحت أكثر من اسم ، فكان منهم « الاغسطينيون » (٣) ،

---

(١) توتل ، فردينان : وثائق تاريخية عن حلب ص ٤٥ و ٤٨ .

(٢) إشتهر هذا المجمع باسم (*Propaganda*) في التاريخ الكنسي ، وقد أنشىء في روما من قبل الكنيسة الكاثوليكية عام ١٦٢٢ لغرض القيام بالأعمال التبشيرية بين الأجانب .

Encyclopeadia Britannica , Vol . 18 , PP . 581-583 .

(٣) مر الاغسطينيون فيما بين النهرين ، وأقاموا قليلا في البصرة أيام الشاه عباس الأول (١٥٧٨ ـ ١٦٢٩) .

و « الكرمليون » (١) و « الكبوشيون » (٢) ونجح الأخيرون في مركز لهم في الموصل عام ١٦٣٦ م وتكوين نواة كاثوليكية فيها (٣) أنهم حاولوا منذ منتصف القرن السابع عشر ضم كرسي بطريركية الـ النسطوري الوراثي إلى الكنيسة الكاثوليكية ، بيد أن محاولتهم فشلت المرة ، فانتقل مركز الاشعاع الكاثوليكي في المنطقة إلى مطرانية ديار وبذلك انشقت الكنيسة النسطورية إلى كرسيين متناحرين ، أولها نسـ العقيدة في القوش ، والآخر كاثوليكي متحد مع روما في ديار بكر . الأخيرة أخذت الموصل تستقبل طيلة القرون التالية مدا ثقافيا كاثوليـ كانت قواعده تمتد بين الساحل السوري (٤) وحلب (٥) . أما الـ

(١) قدم الكرمليون إلى إيران بأمر البابا كليمنت الثامن، ووصلوا ا عام ١٦٢٣ ثم إنتقلوا إلى حلب عام ١٧٣١ وإتخذوا داراً لهم ببغداد عام ١

(٢) الكبوشيون : من إقليم تورين ، أسسوا مراكزهم أولا في إ ومنها إنتقلوا إلى مابين النهرين ، فافتتحوا مركزهم ببغداد عام ١٦٢٨ ، أحدهم ممثلا لفرنسا فيها .

(٣) تسيران ، أوجين : خلاصة تاريخية الكنيسة الكلدانية ص وذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٤) كان جبل لبنان قد صار اقوى معقل لنشر الكثلكة في الشرق ان قربت الكنيسة الكاثوليكية اليها سكانه المارونيين (أتباع يوحنا ـ حتى أعلنوا الطاعة لها والاتحاد معها عام ١١٨٢م (محمد أبو زهرة : محا في النصرانية ص ١٥٦ ـ ١٥٧) .

(٥) إبتدأ ميل الروم الملكيون إلى روما منذ الثلث الأول من السابع عشر وكان نصيب حلب من حركة الاتجاه نحو روما كبيراً (تاريخية عن حلب ص ١٠ ومابعدها) .

فقد شرعوا – خلال الفترة نفسها – في التقرب من الكنيسة الكاثوليكية حتى تم لهم اختيار بطريرك كاثوليكي خاص بهم (١) .

وهكذا فان الفترة التي سبقت ظهور آل الجليلي على مسرح السياسة قد شهدت انشقاقات طائفية خطيرة شملت أتبـــاع الكنيستين الرئيستين : النسطورية واليعقوبية ، على حد سواء . وكان لابد أن يتميز المتكثلكون عن اخوانهم من الذين ثبتوا على عقائدهم القديمة ، بتسميات جديدة ، فتسمى السريان النساطرة المتكثلكين – باقتراح بابوي (٢) – كلـــداناً ، باعتبار أن هذا هو اسمهم الأصلي قبل اعتناقهم النصرانية ، في حين عرف اليعاقبة الكاثوليك بالسريان فحسب (٣) .

وازداد عدد المتكثلكين من أتباع المذهبين كثرة ، إلى حد هدد نفوذ رجال الدين المحليين تهديداً خطيراً ، خاصة وأن أغلب المتكثلكين امتنعوا عن دفع الرسوم التقليدية المستحقة عليهم ، فسعى بطاركة القوش النساطرة وبطاركة ماردين اليعاقبة لكبح هذا التيار الديني المعزز بالحماية الفرنسية ، وعمدوا إلى استخدام سلطاتهم الادارية والقضائية – الممنوحة لهم بحسب

(١) بابو إسحق : تاريخ نصارى العراق ص ١٢٤ .

(٢) كان البابا أوجينيوس الرابع قد إقترح هذه التسمية عام ١٤٤٥ (ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٩٤) وحنا نرسي الكلداني : تنوير الأذهان في بعض حقائق تاريخ الكلدان ص ٣٦ .

(٣) ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٧٤ وتكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ١٢٤ (مخطوط) وتنوير الأذهان ص ٣٦ ـ ٣٧ .

نظام الملل العثماني – ضد أتباعه (١) ، وتوسطوا لدى الحكام في ت
هذه المهمة . وكانت تهمة تعاون أبناء البلاد الكاثوليك مع المبشرين الأور
– وهم أجانب – تبدو معقولة دائماً (٢) ، فاضطر الكبوشيون إلى
مركزهم في الموصل عام ١٧٢٤ م / ١١٣٧ هـ (٣) .

ويكن القول بأن عهد آل الجليلي في الموصل ، كان فترة تقدم لحركة التبشير الكاثوليكي في شمال العراق ، كما إنه كان – من ن أخرى – عهد تعاون وتفاهم تامين بين الطوائف النصرانية ككل ، السلطات الاسلامية . ففي عام ١٧٤٤ م حصل والي الموصل حسب الجليلي على موافقة الباب العالي على تجديد كنائس الولايــة ، فعم تلك السنة ، كل من كنيسة الطاهرة التحتانية وكنيسة الطاهرة الفو وكنيسة مارتوما ، وكنائس أخرى بلغت الثمانية (٤) . وكان مبعـ

(١) تسران : خلاصة تاريخية ص ١٢٤ .
(٢) ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .
(٣) ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٣٩ وتسران : خلاصة تاريخية ص
(٤) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٩ ، : J
Mossoul Chretienne . P . 57 . ولازالت توجد
الطاهرة التحتانية كتابة بالكرشونية (وهي عربية بحروف آرامية
خبر هذا التعمير ، وتثبت أسماء الذين قاموا به . وهم البطريرك إي
عشر والمطران إيشوعياب إبن أخيه ، وناطور الكرسي البطريركي
الصائغ وإبنه عبد الاحد اللذان تبرعا بالمال . (يوسف حبي : ال
وكنيسة الطاهرة ص ٣٤ و ٤٤ وفيه نصوص هذه الكتاباب الاثرية)
حين يذكر بطرس نصري الكلداني ان الذي عمر الطاهرتين هو الو

الرغبة ، ما رآه الوالي من استبسال النصارى أثناء حصار نادرشاه للموصل ووقوفهم جنباً إلى جنب مع اخوانهم المسلمين في وجه القوات الايرانية(١) .

ووصف الرحالة نيبور أوضاع نصارى الموصل (وكان قد زار المدينة عام ١٧٦٦ م / ١١٨٠ ه) بأنها أحسن بكثير من حالة النصارى في بقية بلدان الامبراطورية العثمانية ، « فهم هنا يعيشون سعداء ، وعلى وئام تام مع المسلمين ، ولهم الحق في أن يلبسوا كما يلبس المسلمون وكثير منهم يعملون في خدمة الباشا . . . » (٢) .

وفي الوقت نفسه ، بذل بعض النصارى الكاثوليك جهوداً جمة لاعادة فتح الارسالية الكبوشية في الموصل ، ولما لم تلق تلك الجهود نجاحاً ملموساً التمس القس خضر الكلداني الموصلي (٣) من البابا بندكت الرابع عشر أن يأمر الآباء الدومنيكيين بفتح دار لهم في هذه المدينة . وبعد تردد أمر البابا بارسال بعثة من الدومنيكيين إلى الموصل عام ١٧٥٠ م ، ليتولى أفرادها مهمة نشر الكثلكة فيها ، وفي العام نفسه ، نجح الأبوان الايطاليان فرنسيس طورياني (*Turriani*) وعبد الأحد كوديلنشيني (*Codeleoncini*)

= باشا الجليلي علماً بأن زكريا الصائغ كان صرافاً لدى الوالي. (كما سيأتي) وقد أرخ حسن عبد الباقي هذا التعمير .

(١) رحلة نيبور ص ١١٣ .

(٢) رحلة نيبور ص ١١٥ .

(٣) وكان قد آمن بالكثلكة على يد أحد القبارصة المارونيين الذين أرسلتهم روما إلى بلاد المشرق لجمع المخطوطات القديمة ونقلها إلى الفاتيكان (ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٢٣٩)

في فتح مركز للآباء الدومنيكيين في الموصل (١) ، ولم تمض سوى سنين حتى كانت الارسالية قد استطاعت الحصول على موافقة بهرا، أمير بهدينان على فتح دار لها في عاصمته العمادية .

وسهل مهمة الدومنيكيين تمتعهم بتأييد كاثوليك الموصل من ذوي في حكومة الولاية ، وخاصة أولئك الذين كانوا يعدون ـ بحكم مناص من المقربين إلى الولاة الجليليين ، من أمثال الخواجة عبـــد الأحد الموصلي الذي وصف بأنه « كان بمقام حرم كهيهمي (٢) في بيت عبدالجليل وزكريا الصائغ ، صراف الوالي حسين باشا الجليلي (٤) . وفي عام/ ١١٧١ هـ التحق بخدمة الوالي المذكور ، أثناء مهمة له في حلب ، الا الكاثوليكيان الياس ويوسف ولدا أسحق الموصلي الشهير بالحلبي (٥) ،

---

(١) *J . : Mossoul Chretienne , p . 117* .

(٢) ذكر نيبور في كتاب رحلته (ص ١١٣)أن هذه المهنة كانت الموصل : رئيس طباخي قصر الباشا

(٣) ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣١٩ .

(٤) الصائغ : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٥) وإسحق هذا ، هو ابن أخ الخوري الياس الكلداني الموصلي ، الرحلة الشهيرة إلى أوربا وأمريكا (وقد أشير إليها في فصل الحياة الثة وكان إسحق قد درس في أوربا ، وصار مترجماً في السفارة الأسبانية في ولما عاد إلى الموصل وجد أسرته قد إنقرضت فتزوج وقصد حلب ، بـ (الحلبي) لهذا السبب . ومن الجدير بالذكر أن لهذه الأسرة علاة مع أسرة بطاركة القوش المعروفة ببيت الأب (يعقوب سركيس : مب عراقية ج٢ ص٣٣٨ ـ ٣٤٠) .

الوالي الجليلي – عند عودته للموصل - الياس ليكون صرافاً لديه . وفي الموصل تصاهر آل الحلبي مع أسرة موصلية كاثوليكية ، هي « بيترسام»(١) فتكونت بذلك جماعة كاثوليكية متحمسة تعيش في كنف حكومة الموصل الاسلامية . وكانت تربط بين الياس الحلبي والمبشرين الدومنيكيين علاقة وثيقة (٢) ، فلم يدع وسيلة دون أن يستغلها في تيسير مهمتهم وتأييد مساعيهم ، إلى درجة أن كافأ هؤلاء المبشرون آل بيت الحلبي بأن توسطوا لدى البابا بيوس السادس للانعام على كل من يوسف والياس برتبة « الخيالة » (٣) .

وازداد استقرار الارسالية الدومنيكية في الموصل ، ولقيت جهودها وخدماتها الطبية عطف كثير من الأوساط الموصلية ، وحتى بعض أفراد الأسرة الجليلية ذاتها (٤) . مما أدى إلى سرعة انتشار الكثلكة بين نصارى المدينة بشكل مذهل . فبعد أن كان عدد الكاثوليك فيها عام ١٧٤٧ م لا يتجاوز عشر أسر كلدانية (أي نسطورية متكثلكة) ومثلها من السريان (أي اليعاقبة المتكثلكين) (٥) ، بلغ عددهم في أوائل القرن التاسع عشر

---

(١) ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٢) Sestini , J . : Avoyoae de Constan tinople a Bassora , P . 147 .

(٣) ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٤) Ives , E . A : voyage From England to landia , PP . 321 - 322 .

و Duper , A . : Voyage en Perse , P · 115 .

(٥) بابو إسحق : تاريخ نصارى العراق ص ١٣٠ .

زهاء ألف أسرة كلدانية ، وخمسمائة أسرة سريانية (١) .

ولاحظ بطريرك دير الربان هرمزد في القوش ، ايليـــا الثاني (١٧٢٢ – ١٧٧٨ م) أن أبناء طائفته يتسللون من بين يديه ، ور إن لم يسرع بالانضمام إلى كنيسة روما ، فانه سيخسر البقية الباقية من فأرسل عدداً من الرسائل ضمنها صيغة ايمانه إلى مجمع التبشير بالا: روما يطلب فيها قبول اتحاده مع الكنيسة الكاثوليكية ، وكان في ذلك ، من أبناء أبرشية الموصل ذاتها ، بل مضطراً تحت ضغط ذوي النفو وخاصة زكريا الصائغ الموظف لدى الحاج حسين باشا الجليلي ، والذ « مسموع الكلمة عند الباشا » (٢) .

ورغم اعلان ايليا الثاني عشر عن اتحاده مع روما ، فان كانت عازمة هذه المرة على التخلص إلى الأبد من سيطرة بطاركة د هرمزد والاستقلال بتصريف شؤونها الكنسية بأي ثمن . وجاءت ا بخير وسيلة لتبرير هذه الروح الموصلية النامية . ففي عام ١٧٧٨ ايشوعياب كرسي بطريركية القوش باسم ايليا الثالث عشر ، خلف ايليا الثاني عشر (٣) . ولما كان هذا الارتقاء فيه تجاوز للمرشح للمنصب ، وهو يوحنا هرمزد ، ابن أخي البطريرك المتوفي ، فان لم يسلم بما جرى ، ولجـأ إلى وجوه الكاثوليك في الموصل والي

---

(١) ngham , J . : Travels in Mesopotamia , P . 34 .

(٢) تسران : خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص١٣٢ .

(٣) يوسف غنيمة : بطاركة الكلدان في الجيل التاسع عش النجم ج٣ (عام ١٩٣٠) ص١٠٠) .

الدومنيكيين ، ليؤيدونه في موقفه ضد ابن عمه ، ووجد هؤلاء في هذا النزاع فرصة ذهبية لا يحسن تركها ، فسرعان ما نودي بيوحنا هرمزد نائباً لكرسي البطريركية ومطراناً للموصل ، وكان ذلك بتدخل من والي الموصل سليمان باشا الجليلي (١) .

على أن يوحنا هرمزد لم يكن ليكتف بهذا المنصب ، على أهميته ، إذ كان يرى نفسه أحق بكرسي البطريركية ذاته من ابن عمه ، خاصة وأن وراءه وجوه نصارى الموصل ، وفيهم المؤيدون والمتحمسون . ولما لم يكن ثمة مبرر شرعي لاعلان عصيان الموصل على سلطة بطريرك القوش الدينية، فقد اتخذ يوحنا هرمزد من رفع لواء الكثلكة سلاحاً فعالاً يشهره في وجه البطريرك الجديد ، متهماً إياه بالارتداد إلى المذهب النسطوري ، وبذا فقد «أعلن انفصاله عنه » ولم يعد يستعرفه بطريركا على الطائفة ، وصار يتعامل كمن بيده السلطان البطريركي » (٢) وباسم الهداية والتبشير بالكثلكة ، شرع مطران الموصل النشيط بمد نفوذ أبرشيته إلى الأبرشيات المجاورة ، متحدياً في ذلك سلطة البطريرك تحدياً سافراً (٣) .

وفي أثناء ذلك ، كان التطرف بالكثلكة ، قد جاء بنتائجه السلبية أيضاً ، فانشقت جبهة الكاثوليك في الموصل إلى حزبين متناحرين ، أولهما حزب المحافظين بزعامة آل الصائغ ، وهم الذين ظلوا متمسكين بالرسوم

(١) بطرس الكلداني : ذخيرة الاذهان ج٢ ص٣٨٩ .

(٢) يوسف غنيمة : المرجع السابق ص١٠١ .

(٣) عالجنا هذا الصراع ، من وجهة سياسية بحتة ، في الفصل الثالث من الباب الأول .

والطقوس النسطورية القديمة ما لم تكن متنافية مع ايمانهم الجديد ،
حزب « المستأصلين » بزعامة آل الحلبي ، الذين كانوا يسعون نم
الطقوس القديمة برمتها ، وابدالها بطقوس جديدة مستمدة من الموا
اللاتين (١) . وازاء تمسك الحزب الأخير بآرائه المتطرفة عاد آل
للميل إلى تأييد وجهة نظر بطريرك القوش ، فكان ذلك كسباً كب
البطريرك ، واضعافاً حقيقياً لموقف الكاثوليك في الموصل (٢) وبلغ
هذا النزاع حداً أحس به المجتمع الاسلامي . وينقل لنا المؤرخ ا
ياسين العمري صورة تلك الضجة ، فيقول في حوادث عام ١٧٧٩م/٩٣
« وفيها ظهر في الموصل للنصارى دين جديد يسمونه المسيحي (٣)
سبب ظهوره البازي روفائيل ويوسف الأفنص الباتري (وهما من
الدومنيكان) ويوسف الحلبي التاجر ، وجعلوا يلعنون أمواتهم . .
بينهم فتن وشايات عند الحاكم فكانوا يسبون بعضهم بعضاً ويلعنون
بعضاً » (٤) . ولا شك في أن هذا الانشقاق أضعف إلى حد كبير
أبرشية الموصل الهادفة نحو الاستقلال . فقد تحول الصراع الديني بين ا
والقوش ، إلى صراع يدور داخل الموصل نفسها .

وفي الوقت نفسه ، كان على أبرشية الموصل أن تكافح في .
أخرى مختلفة ، تشكلها بطريركية ديار بكر (آمد) ، وكان الـ

(١) ذخيرة الاذهان ج٢ ص٣٢٦ .
(٢) ذخيرة الاذهان ج٢ ص٣٦٧ .
(٣) يريد الكثلكة ، فان المبشرين الكاثوليك كانوا يسمون
المذاهب الشرقية الذين يتكثلكون (مسيحيين) .
(٤) زبدة الآثار الجلية ص٢٨ (مخطوط) .

ضد نفوذ هذه البطريركية يفوق كفاح الموصل ضد بطريرك القوش. صعوبة ذلك أن ديار بكر كانت هي الأخرى ترفع شعار نشر المذهب الكاثوليكي (١) وهذا يعني أن سلاح الدعوة الدينية الذي كان مطران الموصل يستخدمه ضد بطريرك القوش لم يعد مجدياً ضد البطريركية المذكورة .

وكان ثمن الاصطدام بأوغسطين بطريرك ديار بكر فادحاً بالنسبة ليوحنا هرمزد مطران الموصل ، إذ سرعان ما رفع الأول صوته بالشكوى من هذا المطران لدى سلطات الفاتيكان ، فأرسل مجمع التبشير بالايمان أمره عن طريق أوغسطين يحل فيه يوحنا هرمزد من سلطته الكنسية (٢) . بيد أن الأخير أصر على موقفه المعزز من قبل حكومة الموصل ، والمستند إلى تأييد وجوه الكاثوليك في الموصل ، وعلى رأسهم آل الحلبي ، فاستمر يزاول نشاطه مستنداً إلى قوة الفرمان السلطاني الذي ناله بتوسط سليمان باشا الجليلي منذ عام ١٧٨١ م .

وتوالت المتاعب أمام يوحنا هرمزد ، عندما فقد المـد الكاثوليكي (الذي كانت ترفع رايته أبرشية الموصل) مؤقتاً تأييد حكومة الجليليين على عهد محمد باشا الجليلي (١٧٨٩ – ١٨٠٦ م / ١٢٠٤ – ١٢٢١ ﻫ) ويظهر لنا أن لتدهور العلاقات العثمانية – الفرنسية أثر احتـلال الفرنسيين مصر عام ١٧٩٨ م دوراً هاماً في تغير السياسة العثمانية العامة ضد التبشير الكاثوليكي وهو التبشير الذي طالما تمتع بحماية فرنسا ورعايتها . وثمة دلائل تشير إلى أن محمد باشا ألقى القبض على بعض الكاثوليك بتهمة « الفَرَنـجَة » ، أي

---

(١) عزيز بطرس : كتاب الرعاة (أخبار أبرشية آمد) ص٢٢ .
(٢) يوسف الصمعاني كافة الآباء الجثالقة (مخطوط أرقامه بالسريانية)

الميل إلى فرنسا عدوة الدولة العثمانية (١) ، بل أن يوحنا هرمزد ينجو من الاعتقال (٢) .

وزاد من تعقيد الموقف ، اضطرار يوحنا هرمزد إلى رفض الشماس الماردني جبرائيل دنبو لاعادة الحياة الرهبانية إلى دير الربا ورغم تعلل المطران الموصلي بالخوف على حياة الرهبان من اعتدا الكردية فان السبب الحقيقي وراء رفضه الطلب المذكور كان واضح وهو خشيته من مطالبة رهبان الدير بأوقافه الشاسعة التي اختلطت الزمن – بأملاك أسرة « الأب » البطريركية ، والتي كان يوحن نفسه أحد أفرادها (٣) ، وكان اصراره على رفض طلب الشماس جلب عليه سخط روما ، وقوى من جانب خصومه ، فاضطر الموافقة على السماح بمزاولة الرهبنـــة في الدير نزولاً عند رغبة الدومنيكيين (٤) .

وشاء القدر أن تتخلص أبرشية الموصل من أحد مناوئيها ا

(١) من بطريرك السريان فى ماردين إلى محمد باشا الجليلي الملحق رقم ١١) .

(٢) يوسف غنيمه : بطاركة الكلدان (مجلة النجم ج ٣ (ع ص ١٠٨) ، وعن نكسة التبشير الكاثوليكي أثر إحتلال الفرنسيين إسحق أرملة : الطائفة السريانية والقنصلية الفرنساوية في بغد المشرق ٢٤ [١٩٢٦] ص ٩٩ ـ ١١٣) .

(٣) الكلداني : تكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ١٩ (مخطو

(٤) كوركيس عواد : أثر قديم في العراق ، دير الربان هرمز

ففي عام ١٨٠٢ م / ١٢١٧ هـ توفي بطريرك القوش ايشوعياب ايليا الثالث عشر (١) ، فلم تبق ثمة عقبة بين مطران الموصل والمنصب البطريركي سوى محاولات بطريركية ديار بكر المستمرة بزعامة أغسطين هندي (يوسف الخامس) الذي كان يرمي إلى توحيد الكنيسة الكلدانية تحت رئاسته (٢) .

وقد استغل هندي فرصة تدهور العلاقات بين روما ومطران الموصل وموقف رئيس الارسالية الكرملية في بغداد ضد المطران المذكور ، فاختار القس شمعون بن عبد الأحد بن زكريا الصائغ مطراناً على الموصل عام ١٨١١ م / ١٢٢٦ هـ غير معترف بشرعيـــة رئاسة يوحنا هرمزد لأبرشية الموصل (٣) ويؤكد السمعاني أن أختيار القس شمعون كان من قبل الموصليين أنفسهم وأن بطريرك ديار بكر اضطر إلى موافقتهم دون رغبة منه (٤) . والظاهر أن الموصليين الذين عناهم السمعاني ، لم يكونوا سوى حزب المحافظين من آل الصائغ وأتباعهم ، فان أغلب كاثوليك الموصل تمسكوا بزعامة مطرانهم يوحنا هرمزد ، وقد شهدت الموصل في السنوات التالية صراعاً مستمراً بين الفريقين ، وهو صراع لم يهدأ إلا بوفاة شمعون الصائغ نفسه (٥) .

---

(١) تمران : خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٤٨ .

(٢) السمعاني : كافة الآباء الجثالقة (مخطوط) .

Badger , G . P . : The Nestorians , 1 , P . 152 ,

(٣) عزيز بطرس : كتاب الرعاة (أخبار أبرشية الموصل) ص ٨ ـ ٩ (مخطوط) .

(٤) السمعاني : كافة الآباء الجثالقة (مخطوط) .

(٥) لازال قبره موجوداً في جدار كنيسة الطاهرة التحتانية في الموصل =

وفي عام ١٨٢٤ م / ١٢٤٠ هـ قامت بطريركية ديار بكر بآخ
لها لفرض سيادتها الدينية على الموصل ، فعينت يوسف اودو مطر
الموصل رغم معارضة الكثيرين من الموصليين . وأخيراً رضخت ر
ارادة الموصل المحلية أثر وفاة بطريرك ديار بكر عام ١٨٢٨ م ، فثبتت
هرمزد مطراناً على الموصل ، ونقلت يوسف أودو إلى أبرشية ال
المجاورة (١) .

وفي ٥ تموز ١٨٣٠ م / ١٢٤٦ هـ تم للموصل تحقيق هدفها
طالما كافحت من أجله . فقد أقرت روما مطرانها يوحنا هرمزد
عاماً وحيداً على الكنيسة الكلدانية برمتها (٢) ، وبهذا حققت
ذاتها على الصعيد الديني ، بجعلها مركزاً لكنيسة كلدانية موحدة
أما المذهب النسطوري فقد انقرض من الموصل وسائر العراق مما
يتبق منه خارج العراق سوى أتباع جبليين قليلين يخضعون إلى

أنظر يوسف حبي : الدير الاعلى وكنيسة الطاهرة ص ٣٣) .
(١) بطرس الكلداني : ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٤٤٤ .
(٢) تفران : خلاصة تاريخية للكنيسه الكلدانية ص ١٣٢
غنيمة : المرجع السابق ص ٩٧ .
(٣) توفي يوحنا هرمزد عام ١٨٣٨ ، فجلس بعده عام ١٨٤٠ ء
البطريركية نيقولاوس زيعا ولما إستقال من منصبه عام ١٧٤٨ ج
يوسف أودو ، ويعتبر أودو من الشخصيات المهمة في تاريخ الكنيسه ا
وقد أفرده القس الدكتور يوسف حبي بدراسة مفصلة بعنوان :
riarch Audo et Ie Pouvoire Patriarcal (Rome1966) .

بطريركي وراثي في قرية قوجانس ، في سنجق حكاري من ولايـــة وان التركيـــة (١) .

وأما الكنيسة اليعقوبية (السريانية الارثوذكسية) فقد عانت هي أيضاً من انشقاقات مماثلة ، إلا أنها كانت أقل ضجة وأكثر هدوءاً . وعلى الرغم من وجود أعداد كبيرة من السريان في الموصل وقراها ، فانه لم تجر أية محاولة لنقل كرسي البطريركية اليعقوبية (السريانية الأرثوذكسية) من مقره في دير الزعفران (٢) إلى الموصل ، كما لم تجر محاولات جديدة من جانب اليعاقبة المتكثلكين (السريان الكاثوليك) لنقل كنيستهم اليها ،

(١) كان هذا الكرسي قد إنفصل عن بطريركية القوش ، منذ أن أخذت هذه البطريركية تميل نحو الكثلكة في القرن السادس عشر لاول مرة فهاجر بطريرك النساطرة المتعصبين إلى قوجانس، حيث كون سلالة وراثية . سمي كل بطريرك فيها بـ (شمعون) نسبة إلى البطريرك النسطوري شمعون برماما . ومثلما إنحصر هذا المنصب الديني في أسرة واحدة، فقد إنحصرت النسطرة نفسها في قبيلة واحدة ، هي قبيلة (تياري) . وفي أعقاب الحرب العالميه الاولى ، أتى الانجليز بالتياريين ، وأطلقوا عليهم إسم (الاثوريين) ، واستخدموهم في توطيـــد حكمهم في العراق أنظر ماتييف وماريوحنا : تاريخ الاثوريين ج ١ ص ١٦ وما بعدها (ترجمة أسامة نعمان ـ بغداد ١٩٧٠) .

و . Luke , H . C . : Mosul and its Monirieties . P .15

(٢) وكان هذا الدير قد إتخذ مقراً للكرسي البطريركي منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي ، وذلك بسعي البطريرك أثناسيوس الرابع وخلفه ميخائيل الأول . أنظر أفرام برصوم : نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران ص ١٠٠ ـ ١٠٣ (ماردين ١٩١٧) .

كما هو الحال بالنسبة للكنيسة الكلدانية . ولعل السبب وراء هذه ا
هو أن للكنيسة السريانية أتباعاً كثيرين موزعين بين المدن السورية
جعل مركز ثقلها يميل إلى ناحية الشام لا إلى ناحية الموصل . وك
هذه الكنيسة بالعادات والطقوس الخاصة بجيرانهم الأرمن أكثر من
باخوانهم من أبناء الطائفة الكلدانية (١) .

وفي أواخر القرن الثامن عشر ، تم انتقال كرسي الكنيسة ا
الكاثوليكية نهائياً من ماردين إلى بلاد الشام . فعلى أثر وفـاة ا
اليعقوبي (الأرثوذكسي) جرجس الرابع عام ١٧٨١ م / ١١٩٦
المطارنة اليعاقبة في ماردين قورلس متي الثاني مطران دير مارمتي
من الموصل بطريركا على الكنيسة اليعقوبية (الأرثوذكسية) في حـ
اليعاقبة الكاثوليك مطران حلب ميخائيل جروه بطريركا كاثوليكيا
اليعقوبية (٢) . وعندما حاول اليعاقبة الأرثوذكس عرقلة هـذا
أو تأخيره لجأ الكاثوليك إلى والي بغداد (على أساس أن ماردين
ولايته) ليسعى بنيل فرمان سلطاني تأييداً لبطريركية جروه . فلـ
الفرمان استدعى حاكم ماردين المطران ميخائيل جروه وسلم اليه
الزعفران والرئاسة على السريان قاطبة ، سريانا أرثوذكس (أي
أم سريانا كاثوليك (٣) . على أن أتباعه من اليعاقبة لم يكونوا ليرـ

, A . - The Nestorians , P . 27 . (١)

(٢) أغناطيوس يعقوب : دفقات الطيب في تاريخ دير القد
متي العجيب ص ١٢٢ .

(٣) أنظر التفاصيل في إسحاق أرمله : الطائفة السريانية و
الفرنساوية في بغداد (مجله المشرق ٢٤ [١٩٢٦] ص ١٠٤ ـ ١١١) و

الوضع الجديد ، فسرعان ما ثاروا عليه ، وعقد اجتماع عاجل في طور عابدين (١) تقرر فيه اسقاط جروه وتنصيب المرشح الأرثوذكسي (اليعقوبي) قورلس متي بدلاً عنه . وفي العام التالي (١٧٨٢ م / ١١٩٧ هـ) حصل الأرثوذكس على تأييد السلطات العثمانية لبطريركية قورلس المذكور (٢)، فاضطر جروه إلى الانتقال إلى الشام ، ليؤسس هو وانصاره هناك كنيسة سريانية كاثوليكية جديدة ، وترددت السلطات العثمانية في الاعتراف بالكنيسة الجديدة ، ثم وافق الباب العالي أخيراً عام ١٨٣٩ م على الانفصال ، وشكلت كنيسة جديدة باسم بطريركية انطاكية على السريان الكاثوليك ومركزها دير الشرفة في لبنان (٣) ، في حين بقي للكنيسة اليعقوبية (أي السريانية

=الاذهان ج٢ص٣٤٦ـ٣٤٨، وكلاهما ينقل عن سيرة جروة التي كتبها بنفسه، وفيها فوائد جمة ، ويزيد أرملة في بحثه آنف الذكر خمس وثائق محفوظة في دير ألشرفة بلبنان كتبها روسو القنصل الفرنسي ببغداد إلى الفاتيكان يدافع فيه عن أعمال جروه وكفاحه في سبيل نشر الكثلكة في العراق .

(١) بلدة من أعمال نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل الجودي (ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٦٩) . ولهذه البلدة ودياراتها شأن كبير في تاريخ نصارى المشرق . وقد أفردها اغناطيوس أفرام الأول برصوم بالبحث في كتابه السرياني « تاريخ طور عابدين » ونقله إلى العربية غريغور يوس بولس بهنام (جونيه ـ لبنان ١٩٦٣) .

(٢) اغناطيوس يعقوب : دفقات الطيب ص ١٢٢ .

(٣) ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٣٤٨ وغرايبة : سوريا في القرن التاسع عشر ص ١١٨ ـ ١١٩ ويشير حنا نرسي الموصلي إلى تغييرات أحدثها جروه في طقوس الكنيسة السريانية إقتبسها من الكنيسة اللاتينية . (تنوير الأذهان في بعض حقائق تاريخ الكلدان ص ٤٢) .

الأرثوذكسية) بطريركها في دير الزعفران في ماردين (١) .

وكان السريان الكاثوليك الذين في الموصل ، قـد شعروا الناجم عن انتقال كرسي بطريركيتهم إلى لبنان منذ أواخر القرن الث فكتب بعض رجال الدين عام ١٧٨٩ م / ١٢٠٤ هـ إلى جروه ، منه الموافقة على انتخاب رئيس ديني لهم يرعى مصالحم (٢) . و البطريرك على هذه الرغبة تم انتخاب الخوري بشارة أخطل أول « على جميع السريان القاطنين الجزيرة والعراق ، من جزيرة قردا جزيرة ابن عمر) إلى البصرة » (٣) واختير ديرمار بهنام مقراً لهذه الجديدة (٤) ، وذلك لقرب موقعه من أهم المستوطنات السريانية في وهي : قرهقوش وبعشقا وبرطلي (٥) .

---

(١) أفرام برصوم ، نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران وأغناطيوس يعقوب : دفقات الطيب ص ١٢٢ ـ ١٣٢ .

(٢) أفرام عبدال : اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشه

(٣) عبدال : اللؤلؤ النضيد ص ٨٩ .

(٤) كانت هذه الأوقاف عبارة عن بساتين زيتون في بعشيقا وبيوت سكنى ومطاحن في قره قوش وسواها ، وكان أهمها يتألف واسعة زراعية تمتد إلى مسافات بعيدة في الأراضي المحيطة بالدير الدير من الأديرة القديمة ، يبعد بمسافة ٣٥ كيلومتراً جنوب شرقي

(٥) جاء في رسالة بطريرك ماردين جيورجيس الثالث إلى الجليلي أن نصف سكان بعشيقا ، وبرطلا ، قد أصبحوا كاثوليك بـ بشارة أخطل (أنظر الملحق رقم ١١) . ويذكر جرونز أن سكا كلهم من السريان الكاثوليك :

, A . N . : Journal of a Residence . , P . 27 .

ولما كان تزايد عدد الكاثوليك من السريان ، وإيجاد كنيسة مستقلة خاصة بهم ، يعني - بالتالي - خروج أغلب الأوقاف القديمة من قبضة بطريركية ماردين اليعقوبية وانتقالها إلى الكنيسة الجديدة ، علاوة على تحول كثير من الضرائب الكنسية إلى الأخيرة ، فقد سعى بطاركة ماردين إلى مقاومة انتشار الكثلكة في ولاية الموصل بكل جهد ومثابرة ، مستغلين - بشكل خاص - نكسة التبشير الكاثوليكي وتدهور العلاقات العثمانية الفرنسية (١) . ففي عام ١٧٩٨ م / ١٢١٣ هـ قدم الموصل من ماردين البطريرك قورلس متي الثاني المارديني (١٧٨٢ م - ١٨١٧ م) وبيده فرمانات وأوامر تقضي باستعادة كنائس السريان الكاثوليك وأديرتهم ، باعتبارها من أملاك بطريركية ماردين منذ القدم ، فعرضها على محمد باشا طالباً تنفيذها ، فكان له ما أراد (٢) ، وتسلم الكنائس في الموصل وقراها ثم ضم أبرشية دير ماربهنام إلى أبرشية ديرمار متي برئاسة أحد أتباعه قورلس عبد العزيز . وكان الدير الأخير يعد أهم مركز أرثوذكسي في المنطقة ، ومن أقدم معاقل النصرانية في العراق .

وتنازع السريان الكاثوليك ، والسريان الأرثوذكس (اليعاقبة) واليزيدية على ملكية هذا الدير ، حتى استقر أخيراً عام ١٨٣٩ م / ١٢٥٥ هـ بيد طائفة السريان الكاثوليك (٣) . وبذلك استقرت العلاقات بين هذه

= وعن بشارة اخطل وجهوده في سبيل نشر الكثلكة أنظر : إسحاق أرملة: المبحث المتقدم ص ١٠٣ - ١٠٥ .

(١) ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٢) عبدال : اللؤلؤ النضيد ص ٩١ .

(٣) اللؤلؤ النضيد : ص ٩١ و ٩٢ و ١١٦ .

الطائفة الأخيرة ، وبين اليعاقبة ، وصار لكل فريق منها مطران م
الموصل (١) ، وامتد نفوذ الموصل الديني على السريان الكاثوليك
من زاخو وسنجار وأربيل وكركوك والعقر وراوندوز (٢) .

أن تميز الحياة الدينية في الموصل - خلال عهد الجليليين -
الحيوية والحركة ، هو أمر له مغزاه الحضاري . فقد لاحظنا مما ت
في الوقت الذي كان فيه نساطرة الموصل يتخذون الكثلكة وسيلة
من نفوذ بهدينان وديار بكر ، كان اخوانهم اليعاقبة يسعون للت
نفوذ بلاد الشام بالعمل ضد الكثلكة ، وتثبيت سيادة ماردين (
من توابع العراق آنذاك) وهذا يعني أن كلتا الحركتين كا
- رغم تناقض الوسائل - إلى هدف واحد وهو الرغبة في
الموصل ذاتها المحلية ، بتخلصها من نفوذ المراكز الدينية المجاور
أكانت تلك المراكز في بهدينان ، أم في ديار بكر ، أم في سو

ومن ناحية أخرى ، فقد كان انتقال البطريركية الكلدانية و
هرمزد في القوش إلى مدينة الموصل ، وانتقال البطريركية السريانية
إلى سورية ، يمثل في حقيقته استعادة المراكز المدنيـة في المنط
الديني الذي كان انتقل إلى الريف ، نتيجة للاضمحلال الحضار
بالبلاد طيلة القرون الماضية ، وقد أمدت الكثلكة هذه المدن بما
اليه من مبرر كيما تعيد بسط نفوذها الحضاري القديم .

I . C - : Mosul and its Minorities . P . 28 . (١)

(٢) بطرس الكلداني : تكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ٧٤
وعن المراكز الدينية للسريان في الموصل أنظر :
. Mossoul Chretienne , PP . 136 - 154 .

٣ ـ الأرمن : تميز الأرمن عن سواهم من نصارى الموصل بتشكيلهم كياناً قومياً واضحاً (١) . وقد جاء أول ذكر لجماعة أرمنية في الموصل في أوائل القرن التاسع عشر فقد ورد في مصادر هذه الفترة ، أنه « سمح اليعاقبة لفئة من الأرمن بالصلاة في علية (٢) بيعة الطاهرة ، وكانوا ثمان (كــذا) عائلات متجمعة من سعرت (٣) برأسها ورتبيت (٤) اسمه خاجو » (٥) . والظاهر أن قلة الأرمن في الموصل لم تستلفت انتباه الرحالين الأوروبيين الذين زاروا المنطقة في أوائل القرن التاسع عشر إلى وجود هذه الطائفة ، حتى أن دوبريه *Dupre* ذكر عام ١٨٠٧ م / ١٢٢٢ هـ أنه لا يوجد أحد من الأرمن في هذه المدينة (٦) .

وعلى أية حال ، فان عدد أفراد الطائفة الأرمنية أخذ يزداد تدريجياً

---

(١) هاجر الارمن من مواطنهم في آسيا الصغرى ، وخاصة من منطقة جبال أرارات ، تحت ضغط غزوات الشاه عباس الكبير في القرن السابع عشر ، ونزح بعضهم إلى سهول الرافدين عن طريق ديار بكر وماردين (أميل ، بول : تاريخ أرمينيا ص ٦ و *Encyclopeadia Britannica Vol . 2 , P . 377 .*

(٢) من مواضع الصلاة في الكنيسة .

(٣) مدينة في الأناضول ، تبعد عن بتليس بنحو ٥٠ كيلومتراً ، وثلث سكانها من الأرمن (سامي : قاموس أعلام ج ٤ ص ٢٥٧٣) .

(٤) وظيفة دينية .

(٥) صائغيان : تاريخ الأرمن الكاثوليك ص ٤٩ نقلا عن المطران أفرام نقاشه : عناية الرحمن في هداية السريان ص ٥٤٢ .

(٦) *Dupre , A . : Voyage en Perse . p 120 .*

ليس في الموصل وحدها ، وإنما في كافة المراكز المدنية في العراق وا
وساهمت بعض البيوتات التجارية الأرمنية في نشاط البلاد الاقتصا
ملموس (٢) ، حتى أن جون آشر *John Ussher* الذي زا
في منتصف القرن التاسع عشر ، ذكر أن معظم تجار المدينة مز
« الذين يظهر أن مقدرتهم في التجارة ، قد جعلتهم ينتشرون
الشرق حتى في أبعد القرى وأوعرها طرقاً » (٣) .

وقد سبقت الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية غيرها من الكنائس في
على اعتراف السلطات العثمانية بها في الثلث الأول من القرن ال
باعتبارها بطريركيــة كاثوليكيــة مستقلة ، فصارت بذلك مر
البطريركيات الكاثوليكية مدة من الزمن ، حتى تم الاعتراف بتلك الـ
الواحدة تلو الأخرى في عهد السلطان محمود الثاني (٤) .

٤ ــ اليهود : سكنت الموصل منذ عصور قديمة أقلية يهو
عددها ابان العصر العباسي بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ يهودي ، كما

---

(١) قدر جروفز عام ١٨٣٠ عدد الأرمن في بغداد بنحو (٠
أنظر :

A . N . : Jonrnol of Residence , p . 31 ,

(٢) صائغيان : تاريخ الارمن الكاثوليك ص ١٧ .

(٣) *J . : Journey from London to*
? . . , p . 397

(٤) تكملة ذخيرة الاذهان ص ٩ (مخطوط) .

حي خاص بهم عرف بمحلة اليهود (١) . وعند الفتح العثماني في القرن السادس عشر ، كان لا يزال يوجد بالمدينة حي بنفس الاسم أيضاً (٢) .

وطوال عهد الجليليين ، لم تعرف الموصل لليهود أي شأن يذكر ، سواء أكان ذلك في المجالات الحضارية أم السياسية . وفي الوقت الذي كانت فيه بغداد تضج من مؤامرات الصيارفة اليهود أمثال عزرا واسحاق (٣) كانت ولاية الموصل بعيدة كل البعد عن هذه المشاكل . فقد انتهج الجليليون سياسة أبعاد اليهود عن تولي المناصب المالية والصيرفية في حكومتهم ، مفضلين الاعتماد على بيوتات النصارى المثقفة في تصريف مثل هذه الأمور . ومن ثم ، لم نسمع خلال فترة حكمهم عن يهودي شغل منصباً في الولاية . على أن ذلك لم يمنعهم – بأية حال – من ممارسة أعمال تجارية واسعة دون أن يضايقهم أحد (٤) . والظاهر أن تعاظم النشاط التجاري في الموصل خلال هذه الفترة أدى بدوره إلى زيادة عدد اليهود المقيمين بها . فبينما كانوا في القرن الثامن عشر لا يتجاوزون الأربعمائة شخص (٥) ، نجد أن عددهم قد ارتفع في القرن التالي ليتراوح بين (٧٥٠ و ١٥٠٠) شخص (٦) .

(١) رحلة بنيامين بن يونه لتطيلي (ترجمة عزرا حداد) ص ١٢٧ .

(٢) سجلات ولاية الموصل دفتر ٦٦٠ لوحة ٢٧

(٣) عبد العزيز نوار : داود باشا والي بغداد ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٤) يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ١٧٤ .

(٥) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٤ .

(٦) *Dupre , A . : Voyage en perse , p . 120 .*
Olivier , G : Voyage dan ' s L ' Empire Ottoman ,
= Vol . 2 , p . 355 , Buckingham , J . : Travels in

ويبالغ الرحالة اليهودي يوسف اسرائيل في تقديره لعدد أ
حين ذكر أنهم يكونون (٤٥٠) بيتـاً (١) ، فليس في الا
المعاصرة ما يقارب هذا الرقم بأية حال .

ويشير هذا الرحالة إلى انتشار الجهل بين أولئك اليهود بـ
كما يذكر أنه كانت توجد مدرسة دينية وكنيس خاص بهم في المو
وكان قبر النبي ناحوم في قرية القوش (٣) يعتبر مزاراً دينياً لهـ
قام بعض اليهود بتعميره عام ١٧٩٦ / ١٢١١ هـ (٤) .

وتوجد في الجبال الكردية بعض قرى يسكنها اليهود المتكلمو
وبعضهم كان يخضع لنفوذ رؤوساء العشائر الكردية المجاورة (

---

amia , , II , p . 34 , ,

, G p . - The Nestorians , p 84 . و

(١) غنيمة : نزهة المشتاق ص ١٧٤ نقلا عن رحلة بنيامين ا
as II , Eight Years in Asia and Africa From
1855 .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) كان أحد الانبياء الصغار الاثنى عشر ، وهو كاتب
العهد القديم المعروف بـ « سفر ناحوم » .

(٤) رحلة بنيامين التطيلي ص ١٣٠ حاشية رقم ٢ .

(٥) *C . mosul and its Minorities ,* .

الأعياد والمناسبات الاجتماعية :

كان لابد للفرد الموصلي ، وهو منغمر في حياة الكد والسعي وراء الرزق أو وهو مستغرق في الصراعات التي يحفل بها عصره أن يجد في حياته هذه متنفساً يعبر فيه عن جوانب أخرى من نشاطه الانساني . ومن هنا فقد كان للأعياد والمناسبات الاجتماعية الأخرى أهمية قصوى في حياة المجتمع الموصلي ، باعتبارها وسيلة ترفيهية وأداة لادخال السرور والبهجة على نفوس الجميع ، كما أنها كانت - من وجهة أخرى - تعبر عن وحدة المجتمع الموصلي ، على الرغم من تعدد طوائفه ومكوناته ، حيث كان الجميع يشتركون في الاحتفال بأعياد كل طائفة ، متجاوزين الفروق الدينية أو القومية القائمة بينهم .

ويمكننا - في هذا المجال - أن نميز بين ثلاثة أنواع من الاحتفالات العامة ، يقتصر أولاها على المدينة وحدها ، دون أن يتجاوزها إلى قراها وريفها ، كما أنها كانت احتفالات رسمية بحتة ، تقام عادة بأمر السلطان العثماني ، أو بأمر من الوالي وهي - لهذا السبب - يمكن أن تعد من احتفالات الطبقات العليا من المجتمع .

ومن أهم الاحتفالات الرسمية ، التي اعتادت الموصل القيام بها بين حين وآخر هي التي كانت تقوم بمناسبة ولادة أمير عثماني ، أو جلوس سلطان . وبلغ من أهمية المناسبات ، ما حدث عام ١٧٦١ م / ١١٧٥ هـ ، حين توقفت الفتنة الدائرة بين فريقي باب الميدان وباب العراق ، حال

وصول الأمر السلطاني الذي يقضي بالاحتفال بولادة سليم بن السلطان مصط
وعلى ذلك ، فقـــد « عطل الوالي سبعة أيام بلياليها ، وزينت الأسو
والخانات وكل يوم تضرب الطبول بالسراى صبـــاح ومساء ، ثم تضر
تفنكات (بنادق) والطوبات (المدافع) » (١) .

ومن تلك الاحتفالات الرسمية أيضاً . ما كان يقـــام بمناسبة تج
فرمان الوالي كل عام . ولهذه المناسبة تقاليد وأصول خاصة طريفة ،
وصل الوفد الذي يحمل معه الفرمان في أيام السبت أو الاثنين أو الخ
دخل المدينة فوراً ، وإذا لم يتفق موعد وصوله مع هذه الأيام الثلا
كان عليه أن يتأخر – عندئذ – خارج المدينة ، عند مرقد الشيخ ق
البان الموصلي ، ليبيت هناك ليلة أو ليلتين ، يقوم بخدمته خلالها أحد م
السراى ، مع ضابط من « التفنكجية » برتبة « بيرقدار » في معيته
رجال من الشرطة وعند حلول أحد الأيام المذكورة ، يخـــرج لا
الوفد كتخدا الوالي مع عدد كبير من موظفي السراي والفرسان « الـ
اضافة إلى خمسين رجلاً من أغوات السراي يتبعون موكبه طبقاً لنظا
وتستغرق هذه المراسيم زهاء الساعتين والنصف وفي العودة تضرب
الأبراج قذائفها كلما اقترب منها مقـــدم الموكب ، حتى إذا ما و
سراي الحكم ، كان الوالي باستقبال الوفد جالساً في مدخل مكتبه (

(١) ياسين العمري : منية الادباء ص ١٨٤ ، وتشبه هذه الا
ماكان يقام في مصر في نفس العصر . أنظر : حسن إبراهيم حسن : ا
التاريخ المصري . مقالة حسن عثمان عن « تاريخ مصر في العهد ا
ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

بالأوطه) (١) ، ويتقدم الكتخدا إلى الوالي ليعلن عن وصول الفرمان ، ثم يتلوه حامل الفرمان نفسه ، فيأخذه الوالي منه ، ويدخل به إلى الأعيان الذين بحفل السراي بهم آنذاك ، إلى أن ينتهي إلى محله ، فينشر الفرمان ويلثم الطغراء ، ويعطيه إلى كاتب الديوان ، الذي يلثمه أيضاً ثم يشرع في قراءته بصوت مرتفع ، ثم يتلوه بقراءة الفرمان الملحق ، وهو الذي يوجهه السلطان إلى الناس عادة بشأن تجديد حكم واليهم . وبعد الفراغ من القراءة يمنح إلى حامل الفرمان « كرك » من الفراء (٢) . ومثله لكاتب الديوان ولساعي البريد « التاتار » المرافق ، وتعزف فرقة الموسيقى الخاصة بالسراي « المهترخانة » ألحانها ثلاثة أيام ، صباحاً ومساءاً ، وتطلق مدافع أبراج المدينة ، ومدافع السراي نفسه جميعاً ، ثم يكتفى بثلاث اطلاقات في صباح اليوم الثاني والثالث ، وبهذا تنتهي هذه المراسيم الشائقة (٣) .

وفضلاً عن ذلك ، كانت هناك مراسيم خاصة سنوية أو فصلية تأخذ شكل المناسبات العامة ، ولكنها - على أية حال - تقتصر على الوالي وطبقة الموظفين التابعين لسراي حكمه فمن تلك المراسيم ، الاحتفال بانتقال الوالي السنوي من مكتبـه (الأوطه) في السراي ، إلى القصر (الكوشك)

(١) الاوطة : كلمة تركية بمعنى (الحجرة) .

(٢) الكرك : وهي الكلمة التركية كرك أو كورك ، وتعني رداءاً مبطناً بالفراء ، كان يشبه (الفوجية) إلا أن شكل كميه مختلف ، ويقول فريزر أن شيوخ المنتفق في العراق كانوا يتميزون عن أتباعهم بكرك مبطن بالفراء . (دوزي : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ص ٣٠٩ ترجمة أكرم فاضل) .

(٣) مجهول : القوانين السلفية ص ٤ - ٥ و ٢٨ (مخطوط) .

ليمارس أعماله من هناك وكان هذا الانتقال يتم عادة في شهر (نيسان) أي في بداية فصل الربيع ، أما عودته إلى السراي فتكون شهر اكتوبر (تشرين الأول) أي في فصل الخريف من نفس العا

وكان تقبيل ذيل رداء الوالي ، من التكاليف التي يجب على ال الالتزام بأدائها ، باستثناء الذين يعفيهم الوالي نفسه من ذلك (٢)

وأما النوع الثاني من الاحتفالات ، فهي مناسبات شعبية عامة فيها الجميع داخل المدينة ، وفي ريفها أيضاً ، ويغلب على هذه الا الطابع الديني ، وهي كثيرة متنوعة ، يشارك فيها الشعب والحكام سواء ، وغالباً ما شكلت المدفعية ، والموسيقى العسكرية « المهترخان وسيلة للاعلان عن تلك المناسبات ، من ذلك ما كان يحدث عن من رؤية شهر رمضان ، وهلال العيدين (٣) . . . الخ ، أو من زيارة الأضرحة المشهورة والصلاة في مساجدها مظهراً للاحتف المناسبات . وكان شهر رمضان موسماً حافلاً بالمراسيم الممتعة ، مختلف فعاليات التسلية واللهو البريء في المحافل والمنتديات الزيارات وتتم اللقاءات ، وتقدم التهاني والهدايا ، وتقام الصلاة الأخيرة من الشهر في المساجد التي عند المقامات المنسوبة للأنبيا جامع النبي جرجيس وجامع النبي شيت وجامع النبي يونس (٤) هذه الاجتماعات الدينية الوالي ورجال حكومته وأعيان الولاية .

---

(١) القوانين السلفية ص ١٠ و ١٣ (مخطوط) .

(٢) القوانين السلفية ص ٥٥ ورحلة أبي طالب خان ص ٨

(٣) القوانين السلفية ص ٦ .

(٤) القوانين السلفية ص ٨ .

وفي صباح أول يوم من أيام العيد تعزف « المهترخانة » ألحانها ، وتطلق مدافع السراي احتفالاً وايذاناً ببدء الاحتفالات ، ويستمر العزف طيلة أيام العيد (١) . وفي نفس الوقت ، يأمر الوالي بمنح عطايا العيد إلى سائر موظفيه وأتباعه وإلى قراء المساجد وخدمها وغيرهم (٢) .

ويتميز برنامج الاحتفال بعيد الأضحى ، بتضمنه نزهات جماعية يخرج فيها الأهالي – من مختلف الطوائف – للتنزه والرياضة في المناطق الريفية القريبة وخاصة في التل المعروف بتل التوبة ، وبئر البنات في قرية نينوى

وكان مسلمو الموصل يشاركون سائر طوائفها الأخرى أعيادهم الدينية ففي اليوم الثاني من صوم الخمسين للنصارى ، يخرج جميع السكان للنزهة خارج المدينة . وفي الأحد الثالث من صوم الخمسين ، يحتفل الموصليون احتفالاً شائقاً ، فيذهبون إلى كنيسة الطاهرة (٣) ، حيث ينتشرون حواليها للتمتع بالهواء الطلق ، وبالخضرة الوافرة . ومن تلك الأعياد أيضاً ، عيد أحد ماركوركيس ويصادف رابع أحد صوم الخمسين ، وعيد أحد ميخائيل وهو في خامس أحد لصوم الخمسين . ويذكر أمين العمري أن من عادات المسلمين في الموصل ، أن يهدوا النصارى في مثل هذه الأعياد الهدايا (٤) وهي عادة قد لا نجدها في أغلب المدن الاسلامية في ذلك العصر .

---

(١) القوانين السلفية ص ٦ .

(٢) القوانين السلفية ص ٨ .

(٣) تقع هذه الكنيسة بالقرب من قلعة (باشطابية) في الشمال الشرقي من مدينة الموصل ، أي في الجزء غير الآهل من المدينة في تلك العصور .

(٤) أمين العمرى : منهل الاولياء ج ٢ ص ٧٢ .

وإلى جانب هذين النوعين من الاحتفالات ، الرسمية والدينية
نوع آخر يجمع بين خصائصهما إلى حد ما . ومناسبات هذا النوع غي
ولكنها مع ذلك شعبية عامة . ورغم أن الذي يقوم بها هو مجتمع
وحده إلا أن مكان الاحتفال يكون في ربوع الريف ، لا في المدينة .
هذه الأعياد تقع في فصل الربيع ، حيث تخضر الحقول المحيطة با
ويرق الطقس ، وتزهر الورود . فمن تلك المواسم ، العيد المسمى
الياس ، أو جمعة الخضر ، ويقع في أول جمعة من موسم الربيع « فيه
أنواعاً من المأكول ، ثم يرسل بعضهم لبعض منه ، على طريق الهد
ومنها أيضاً زيارة مقام الشيخ قضيب البان الموصلي خارج أسوار
حيث يخرج اليه الناس في الربيع ، وينتشرون حوله في الأماسي ،
وقتهم في الألعـاب وركوب الخيل والمباريات وغير ذلك (٢)
أرباب الحرف يقيمون مهرجانات وألعاباً مختلفة ، تدعى « حريفانا
فيقولون حريفانة العلماء وحريفانة القصابين .. الخ ، ولكل حرفة ي
تحتفل به (٤) . وكان لاحتفالات الفروسية أهمية كبيرة في هذا
حيث كانت تقام السباقات بين الفرسان ، وتعرض مهارات اولئك
في ركوب الخيل وممارسة الألعاب المتعلقة بها .

ومن المواسم الشعبية التي اعتاد الموصليون احياءها والاحتف
زيارة الموضع المعروف بحمام علي ، وهي منطقة معروفة بمياهها ال

(١) منهل الاولياء ج ٢ ص ٧٢ .
(٢) سعيد الديوه جي : جوامع الموصل ص ٢٦٣ .
(٣) مفردها حريفانة ، نسبة إلى الحرفة .
(٤) منهل الاولياء ج ٢ ص ١١٦ .

الحارة ، وتقع على شاطيء دجلة (١) ، ويرحل اليها الأهالي على اختلاف فئاتهم وطوائفهم لقضاء شطر من فصل الصيف فيها ، حيث كانوا ينشئون لسكناهم هناك ملاجيء مؤقتة من الخشب والأحطاب تسمى « بالعرازيل » ويلحق بالمصيفين عادة كثير من القراء والمطربين والعازفين ، فتقام الولائم وحفلات الأنس والطرب ، ويتبادل الجميع الزيارات ، وتحيا الأماسي التي تدور فيها مختلف ألعاب التسلية والسمر ، حتى وكأن الناس في عيد لا ينقطع فاذا ما حل فصل الخريف ، أسرعوا بالعودة إلى الموصل ، فينتهي بذلك موسم الاصطياف (٢) .

ـ المرأة : ساعدت المرأة الموصلية الرجل في سعيه الدائب نحو توفير أسباب المعيشة لأسرتها ، فكانت المرأة في الريف تعمل في مجالات شتى ،

(١) تبعد حمام علي عن الموصل مسافة ٢٤ كيلومتراً ؛ في الجنوب الشرقي منهـا .

(٢) محمد صديق الجليلي : الاصطياف في حمام العليل ص ٤ و ٧ . وللاديب الموصلي محمد أمين بك آل ياسين المفتي قصيدة طويلة يمتدح فيهـا موسم الاصطياف ، ويسجل من خلالها مختلف فعاليات النشاط الترويحي للموصليين في هذه المناسبة ، وجاء في هذه القصيدة ما يلي :

تسمع شخصاً بالغنا منشداً ... وآخر يطرب برد الجواب
وذا يعرض بمرام لـه ... وذاك يفهمه مقال العتاب
وكل شخص يغتنم لـذة ... منها ويأخذ حصة أو نصاب
في كل فسطاط ترى ضجة ... من ضرب سنطير ونرد أو نصاب
ما بين تصفيق ورقص بدا ... هلاهل ، تسبى عقول الشباب

(البحث المذكور ص ١٥) « الهلاهل : الزغاريد ،

مثل « تهبيش » القمح (١) ، واستخلاص الزبد من الحليب ،
العلف للحيوانات ، والعمل في طواحين الحبوب (٢) . وكان الغزل
مهام ربة البيت ، سواء أكان ذلك في الريف أم في المدينة . واعتـ
الموصلي عدم معرفة المرأة بالغزل عيباً لا يغتفر في تربيتها المنزا
ووصفت المرأة الكاملة بطول ما تغزله من خيط (٤) . فكانت
بذلك ركناً أساسياً في الاقتصاد الموصلي الذي يعتمد على تصدير ا
اعتماداً كبيراً (٥) . وكان هناك في مصانع النسيج نساء يعملن في
الشاقة (٦) ، لذلك كان الرجل – عند اختيار شريكة حياتـــه
المرأة العاملة على المرأة الغنية (٧) .

وعلى الرغم من الأهمية الكبرى للمرأة في الحياة الاقتصادية
إلا أننا لا نجد لها ذكراً في الحياة السياسية ولقد شاركت النسا
عظيم في الدفاع عن الموصل أثناء حصار نادرشاه لها سنة ١٧٤٤ م /٦

(١) التهبيش لغة : الجمع والتخديش ، وفي إصطلاح أهل ا
الحبوب عن قشرتها .

(٢) *A : The Nestorians , p . 210 .*

(٣) عبد الخالق خليل الدباغ : معجم أمثال الموصل العا

(٤) معجم أمثال الموصل العامية ص ١٨٧ .

(٥) أنظر الفصل الثاني من الباب الثاني (الحياة الاقتصا

(٦) ياسين العمري : الدر المكنون (مخطوط) .

(٧) معجم أمثال الموصل العامية ص ١٧٧ و ١٧٨ .

(٨) *: A Voyage From England to*
. 322 .

ولكن من النادر جداً أن نجد لاحدى النساء دوراً في حادثة ما ذات طابع سياسي . وكان مجرد الحديث عن النساء يعد خروجاً على الأدب وولوجاً في أسرار البيوت . لذا فقد عوض المثقفون هـذا النقص ، باختراعهم شخصيات نسائية من بنات خيالهم ينسجون حولها القصص الأدبية ، ويتغنون بجمالها في مقدمات قصائدهم ، وأغرق كثير من الشعراء في هذا النوع من العمل الأدبي استجابة منهم لضرورات عصرهم فتجاوزت مقدمات الغزل والتشبيب التقليدية على القصائد ذاتها ، حجماً وأهمية ، ولجأ بعض الأدباء إلى سد هذا الفراغ بالكتابة عن شهيرات النساء في التاريخ ، دون التطرق إلى ذكر أي من نساء عصره (١) .

واتسمت نظرة المجتمع إلى المرأة باعتبارها تابعة للرجل ، فـلم يكن للفتاة كلمة في زوجها المنتظر ، إذ ليس من الأدب أن تدلي برغبتها أو عدم رغبتها في هذا الزواج المفروض أو المدبر ، « فزوج من عود ولا بالبيت قعود » (٢) . وتيسيراً لمهمة الأسرة في اختيار الزوج الصالح ، كره للفتاة الزواج ممن يحبها (٣) ، وكان عليها أن تنسجم مع من اختير زوجاً لها ومع أهله أيضاً ، مهما كلف الأمر . فقد كره المجتمع الموصلي أن تعتاد المرأة العودة إلى دار أهلها ، تاركة زوجها ، مهما كان السبب (٤) ذلك

---

(١) كتب ياسين العمري كتاباً عن النساء سماه « الروضة الفيحاء في تواريخ النساء » .

(٢) معجم أمثال الموصل العامية ص ٢١٩ .

(٣) معجم أمثال الموصل ص ٢٧١ .

(٤) معجم أمثال الموصل ص ١٢٠ .

أن الزوجة بزوجها ، فهو الذي يقوم عليها ، ويسيرها حسبما يريد
وكانت مشاركة الزوجة لأسرة زوجها في السكنى في بيت واحـــد ،
لا ينضب للمشاكل والمتاعب ، ويسجل القصص الشعبية والأمثال الم
كثيراً من ظروف تلك المعايشة الصعبة غالباً (٢) .

واختلفت حياة نساء الأسر الارستقراطية في المدينة عن حياة
من عامة نساء الشعب ، فلم يكن مطالبات بالقيام بأعمال ذات فائدة اق
بل كن لا يخرجن من بيوتهن إلا نادراً ، وفي حالات الضرورة
وكان أغلب هؤلاء النساء يشغلن أنفسهن بالأعمـــال الخيرية . فقد
رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا جامعاً ومدرسة لتحفيظ القرآن نسبا ال
. ماركت حليمة خاتون أم سليمان باشا الجليلي ، وحمراء خاتون ،
جامع الزيواني ومدرسته عام ١٧٧٩ م / ١١٩٣ هـ ، وأنشأت زوجة
أمين باشا مسجد العقبة وقامت فتحية وعائشة خاتون الجليليتان ببنا
ومدرسة أيضاً عام ١٧٨٠ م / ١١٩٤ هـ ، وشيدت عائشة خاتون أم
باشا بن محمد باشا الجليلي جامعاً ، وأوقفت عليه الأوقاف ورتبت
محمود متولياً عليه عام ١٧٩٧ م / ١٢١٢ هـ ، واشتركت فردوس
بنت يحيى أغا مع زوجها حسن باشا الجليلي في بناء مدرسة لأهل

(١) معجم أمثال الموصل ص ١٨٦ .

(٢) معجم أمثال الموصل ص ١٧٢ و ١٨٧ و ٢٢٤ و ٢٢٢
و ٢٤٩ و ٢٥٢ .

(٣) من تقاليد الاسر العريقة ألا تخرج النساء من بيوتهن الا
فقط : الانتقال إلى بيت الزوجية ، ثم الانتقال إلى القبر .

(٤) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

عام ١٨٠٤ م / ١٢١٩ هـ ، وبنت فتحية خاتون وعادلة خاتون بنتا عبدالفتاح باشا الجليلي مدرسة أخرى وساهمت مريم خاتون بنت محمود باشا الجليلي وأمها هيبة الله خاتون بنت عبد الله في تشييد جامع كبير عرف بجامع الخاتون عام ١٨٢٥ م / ١٢٤١ هـ .

واهتم عدد كبير من النساء بوقف الأوقاف الخيرية على ذريتهن ، مثل عادلة خاتون بنت عبد الرحمن أغا الجليلي (عام ١٨١٧ م / ١٢٣٣ هـ) وخديجة خاتون بنت الحاج نعمان أغا (عام ١٨٢٨ م / ١٢٤٤ هـ) وخديجة خاتون بنت الحاج صادق آغا (١٨١٦ م / ١٢٣٢ هـ) ، وناجية خاتون بنت عبد الرحمن آغا (١٨٢٢ م / ١٢٣٨ هـ) وفتحية خاتون بنت عبيدآغا (١٧٨٩ م / ١٢٠٤ هـ) (١) . وثبتت أغلب المنشآت والمباني ألواح تذكارية تسجل أسماء أولئك النساء المحسنات (٢) . ولم يجد بعض الواقفين حرجاً في أن يترك تدبير شؤون الوقف إلى الأناث من أولاده في حالة انقراض الذكور منهم (٣) .

---

(١) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

(٢) سيوفي ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية مدينة الموصل ص ١١ و ٢٥ و ٢٩ و ٣٨ و ٤٠ و ٥٤ و ٥٨ و ٦٤ و ١١١ و ١١٧ .

(٣) وقفية جامع النعمانية (مخطوطة) .

الفصل الرابع

الحيـــاة الثقافيـــة

الجليليون وحركة التعريب :

شهدت الموصل ، والعراق بوجه عام ، منذ مطلع القرن الثام
بوادر حركة ثقافية ذات طابع أدبي ، شملت أغلب مدنه الكبيرة مثل
والنجف والحلة ، وأنحاء أقل أهمية مثل البصرة وكربلاء وغيرها

ولاشك في أن لازدياد أهمية هذه المراكز المدنية وظهور الأسر
فيها ، دوراً أساسياً في احراز أي تقدم ثقافي في ذلك العصر ،
انحسار السلطة العثمانية المباشرة ، وقيام الأسر القوية التي كان به
الشعوب المحكومة ذاتها بملء الفراغ الناجم عن ذلك الانحسار قد
بطبيعة الحال إلى ارتفاع شأن اللغات القومية ، وتقدم آدابها المحلية ،
لغة الارستقراطية المحلية ، ومظهراً من مظاهر النشاط الحضاري المذ

ان استقرار الحكم في أيدي أسر محلية من أبنـــاء البلاد م

وسطحية الحكم العثماني من جهة أخرى ، قـد لعبا دوراً هاماً في ابراز الشخصيات المحلية للولايات والمدن العراقية . وكان هذا بلا ريب باعثاً قوياً على ظهور نزعات لها طابعها الوطني والقومي المتميز . ومن الطبيعي أن يكون الأدب ترجماناً لتلك النزعات والمشاعر الجديدة ، وأن يكون الأدباء والمثقفون عنواناً لحركة فكرية عامة تشمل أغلب مناحي الحياة العقلية في ذلك العهد .

وكان ظهور الجليليين على المسرح السياسي في الموصل ، بداية حقيقية لعهد الرعاية الرسمية للنشاط الثقافي العربي ، بعد أن ظل هـذا النشاط محصوراً في اطار ما يدرس عادة في المساجد ، من تجويد للقرآن وتلقين للحديث ولكتب تقليدية قد أثقلت بالحواشي والشروح . وتدخل الجليليون في احياء الثقافة العربية على نحو مؤثر مباشر ، فاهتموا بتشجيع حركـة الترجمة إلى العربية ، إلى حد أنهم كانوا يكلفون الأدباء بتعريب الكتب الهامة المؤلفة أصلاً باحـدى لغتي العصر : التركية والفارسية . من ذلك أن سعد الله بك بن الحاج حسين باشا الجليلي طلب إلى مفتي الموصل السيد أحمد بن السيد حامد الفخري (ت ١٨٠٤ م / ١٢١٩ هـ) أن يترجم له كتاب « تذكرة أولياء بغداد » (١) للمؤرخ البغدادي مرتضى نظمي زاده (ت ١٧٢٣ م / ١١٣٦ هـ) ، فترجمه وقدمه اليه (٢) . فكان هذا الكتاب

---

(١) توجد نسخة من هذا الكتاب في خزانة مكتبة الأوقاف ببغداد تاريخها ١٧٤٢ م / ١١٥٥ هـ . كما ترجم هذا الكتاب أيضاً ببغداد صفاء الدين عيسى البندنيجي وتوجد من ترجمته هذه نسخة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد . فالكتاب وترجمتيه لم يطبع بعد .

(٢) توجد نسخة من هذا المخطوط في خزانة المدرسة الحسينية في الموصل .

أنموذجاً لعدد من المؤلفين الذين كتبوا في هذا الموضوع .

ولم تقتصر حركة التعريب هذه على الحياة الأدبية فحسب ، بل ا لتشمل مؤسسات الحكم والادارة أيضاً . فقد زادت أهمية « كاتب اله في ديوان الانشاء – في هذا العهد – حتى غدا أهم عضو فيه ، ، مكانته على الكتّاب الآخرين ، وصار من شروط رئيس هذا الديو يكون نابغة في علوم اللغة العربية ، متمكناً من آدابها ، مجيداً للكتا من أنواع الخط العربي . فكان لكاتب ديوان الانشاء صالح السعدي من المؤلفات في فنون متنوعة ، ووصفه بعض معاصريه بأنه « كاد كثيراً من ألسن الملل السائرة ويكتب كتابتهم ، وينظم شعراً في أل السائرة وله ثلاثة دواوين . وكان يخط باثني عشر قلماً خطاً حيداً

وزادت أهمية اللغة العربية بالنسبة إلى اللغات الأخرى المستع لنجد أن مراسلات رسمية على جانب كبير من الأهمية تكتب بهذ فمراسلات نادر شاه – حسين باشا الجليلي أثناء حصار الموصل عاء كانت كلها بالعربية ، وليست بالتركية لغة الدولة والسلطان ، أو لغة الفاتح نفسه (٢) ، كما أن كثيراً من الوثائق الرسمية مثـل الشرعية والعقود أصبحت تكتب – في هذا العهد – بالعربية بدلاً التركية الرسمية (٣) .

---

(١) تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد وكتابها في أيام وزار داود باشا ص ٣٠ .

(٢) وقد نشرنا نص هذه الرسائل في الملاحق .

(٣) تحفل سجلات المحكمة الشرعية في الموصل بعدد كب الوقفيات وقد نشرنا بعض مايتعلق بالولاة الجليليين في الكتاب .

ارتفاع مكانة العلماء والأدباء :

وشهد العهد أيضاً ظاهرة ثقافية واجتماعية هامة ، وهي ارتفاع شأن العلماء والأدباء ومشاركتهم في تصريف أمور الحكم والادارة ، فكان منهم الكتخدا ورئيس الكتاب والقاضي والمفتي والنقيب وغيرهم ، كما كان منهم ندماء الولاة ومجالسوهم وشعراؤهم ومدرسوهم . ونظهر لنا دراسة التراجم الشخصية لعلماء ذلك العهد وأدبائه ، أن أكثرهم كان يتمتع برعاية الولاة الجليليين ومساعداتهم المادية ، اضافة إلى نيل تشجيعهم وتقديرهم . فالشيخ مصطفى الصباغ كان – على حد قول المعاصرين – « ملحوظ (كذا) لملوكنا ، ومحظوظ (كذا) منهم ، له عندهم مكان ، إذا غاب ذكروه وإذا حضر أكرموه » (١) ، ووصف الشيخ العالم عبد الله الربتكي بأنه كان « عالي القدر عند الملوك والأكابر » (٢) وقيل عن الشيخ مصطفى الغلامي أنه « عاشر الملوك ، وحظي عند ملوك الموصل » (٣) ومثله ابنه المفتي علي الغلامي ، فقد « عاشر ملوك بني عبد الجليل ، وحظي عندهم وكان نديمهم » (٤) . ومثله أيضاً الأديب الشاعر محمد الغلامي ، فانه « اتصل بخدمة ملوكنا فكان أحد المنادمين ومن أخص المصاحبين » (٥) ووصف الاديب صالح بن المعمار بأنه « لم يزل مدة عمره ملازم المجالس

(١) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٥١ .
(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٥٢ .
(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٥٣ .
(٤) ياسين العمري : قرة العين في تراجم الحسن والحسين ص٢٦ (مخطوط).
(٥) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٥٨ .

الجليلية ، فطوراً يُشطّر بمشحوذ قريحته أبيات المتقدمين وآناً يدر
ووقتاً يُشمّن السبع المعلقات ووقتاً يُخمّسها ، وزماناً يشفع جوائز
مدحه بأجرة تقرية أولادهم ، وأياماً ينظم لهم تاريخ الهجرة ته
أعيادهم » (١) . أما الشيخ العالم موسى الحدادي فقد استدعاه
يحيى بن مصطفى ليستفيد من أدبه « فأنفع كل بصاحبه ، شيخنا بد
ويحيى بأدبه » (٢) .

الشعر والنزعة القومية :

ومن المنطقي أن يؤدي ارتفاع شأن المثقفين ، وقربهم من الا
الحاكمة ، ومساهمة بعضهم في ادارة بلدهم ، إلى ارتفاع شأن الثقاف
مما ولد نوعاً من الاحساس بالقضايا العامة . ويمكن للباحث أن يلح
خلال تتبعه لشعر هذه الفترة ، أن تياراً فكرياً قوياً أخذ يشق طريقه
عن المفاهيم العثمانية التقليدية التي كانت تسود العصر - مثل الأسة
قدسية الخلافة العثمانية ، وسيادة الدين ، أو المذهب المشترك . وكا
التيار - كما نلمحه - عربياً ، ذا طابع قومي مستقل . فشاع في أدب
تلقيب الولاة الجليليين بالملوك ، بل دعيت حكومتهم بالدولة العلية
على غرار « الدولة العلية العثمانية » ، وهو الاسم الرسمي للدولة المركز
ورغم أن الجليليين كانوا ولاة عثمانيين ، وأن الدولة كانت اسلام

(١) محمد الغلامي : شمامة العنبر والزهر المعنبر ص ٢٨١ (مخ
(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٧١ . وقد ذكر الغلامي له عدة
في مدح حسين باشا الجليلي (شمامة العنبر ص ٢٨١) .
(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٩٠ .

مقومات دينية لا قومية ، فقد اعتبر الوالي الجليلي ندا للسلطان العثماني ، فالاول يمثل العرب ، والسلطان يمثل الاتراك . وهو ما يتجلى في قصيدة للشاعر حسن عبد الباقي الموصلي (ت ١٧٤٤ م / ١١٥٧ هـ) إذ يقول فيهـــا :

بآل عثمان محمود (١) وأنت بنا علا كما شرف الاتراك والعـــربا

لولا كما لم يك الاسلام منتصراً ولا ازدرى المسلم الاوثان والنصبا

ثم يقول :

لو لم يكن (٢) خير من في الروم (٣) قاطبة
ما كنت من خير من في العرب منتخبا (٤)

ونلمح في قصيدة للسيد عبد الله الفخري (ت ١٧٧٤ م / ١١٨٨ هـ) يمدح فيها الوالي حسين باشا الجليـــلي ، شيئاً من ذلك الاعتزاز القومي ، إذ يقول مفتخراً :

أبي المجد إلا أن نعيش بعزة وإن لم يكن عز فمختارنا القبر

وانا لفينـــا نخوة عربيـــة وانا لنا جدٌ به ينتهي الفخر (٥)

---

(١) يريد السلطان محمود الأول معاصر الحاج حسين باشا الجليلي .
(٢) في الأصل (تكن) وهو لا ينسجم مع معنى البيت .
(٣) الروم : يريد بهم الترك بحسب الاصطلاح الشائع في ذلك العصر
(٤) ديوان حسن عبد الباقي الموصلي ص ٦٦ .
(٥) الغلامي : شمامة العنبر والزهر المعنبر ص ٧٧ (مخطوط) .

كما أن شاعر بغداد عبد الرحمن السويدي (ت ١٧٨٦ م / ١٢٠٠
لما أرسل قصيدة يمدح بها حسين باشا الجليلي ويصف فيها دفاع المو
المجيد سار في التيار القومي نفسه ، بقوله (١) :

لله دركم ودر رئيسكم ملك تولى قنة العلياء
عربي أصل فاتك ذونجدة ذو شيمة محمودة وسخاء

وتتجلى تلك النزعة القومية – بوضوح – في قصيدة لمصطفى بن
الغلامي ، مفتي الموصل ، إذ نجده يربط بين تأخر الأمة ، وبين سوء الا
التركية مضمناً شعره كلمات تركية للاستهزاء بالأتراك والاستخفاف بم
وينعي ما وصلت اليه علوم العرب في عهدهم ثم يختم قصيدته بمرارة فيقا

ما ابن سينا عند ذي دولة إلا حمار قام في المتبنه
يا ليتنا متنا قبيل الأذى وقبل هذا الذل والمسكنة(٢)

وعلى الرغم مما يعتور هذه القصيدة من ضعف في السبك وا
في الوزن ، فان في تأكيد المعاصرين على أنها « انشرحت لها «
الأعيان » (٣) دليلاً على مالاقته من رواج كبير في الأوساط المثقفة
الموصل ، بما تضمنته من نزعة عربية واضحة وتبرم ونفور من الحكم
والموظفين الأتراك . ويزداد الاعجاب بمعاني القصيدة فينظم الشيخ م
الغلامي قصيدة أخرى في نفس الموضوع يسخر فيها من سوء الحك

(١) عبد الرحمن السويدي : حديقة الزوراء . (مخطوط) .

(٢) شمامة العنبر ص ١٠٢ (مخطوط) . ونقل المطران سليمان ا
بعض هذه القصيدة في تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٣٣ .

(٣) شمامة العنبر ص ١٠٢ .

عند زيارته لدار السلطنة ، ويصف صعوبة مقابلة الحكام ، وتعقيد الروتين السقيم ، وجفاء الموظفين الأتراك كما يكشف عن مساويء الادارة العثمانية ثم يظهر ألمه الممض حين ينبزه « التذكرة جي » التركي بأنه ليس إلا فلاحاً عربيـــاً :

والعجب الأعجب كل العجب   يقول الشهري : فلاح عرب
أحو احو عتسو بليـــا سبب   فأظهر الصبر وأخفى الكمد (١)

ازدهار الحركة الأدبية :

وغلبت العربية على ثقافة العهد ، فكانت لغة التأليف في شتى العلوم والمعارف ، اضافة إلى كونها لغة الشعر والادب . ويوجد في خزائن الكتب الموقوفة والخاصة في مدينة الموصل عدد ضخم من المؤلفات الادبية والعلمية والدواوين ، كتبت أو نظمت بلغة عربية جيدة كما شاعت في هذا العهد أيضاً الرغبة في دراسة الشعر العربي القديم ، وعكف المثقفون الموصليون على نسخ دواوين الادب العربي في عصوره المتقدمة ، وجمع مختاراتهم منها في كتب مستقلة ، فكتب أمين العمري كتاباً جمـــع فيه حكم العرب أسماه « الفريدة السنية في الحكم العربية » (٢) ، وجمع منتخباته من الشعر القديم في كتاب دل اسمه على محتواه ، هو « الطراز المرقوم في معرفة محاسن

---

(١) عثمان بك الجليلي : الحجة على من زاد على إبن حجة ص ١٠٢-١٠٣ .
(٢) توجد منه نسخة في مدرسة الصائغ بالموصل (مخطوطات الموصل ص ١٥٢) .

المنظوم » (١) ، وجمع من ديوان البحتري أبيـــات المديح فبلغت ١١٫٠٠٠ بيت ، واسقط ما عداها من الهجاء والمدائح « الموحشة الا المعقدة العبارة » (٢) .

وكان طبيعياً أن تؤدي حركة احيـــاء الادب العربي القديم ، مصادره ونشرها وتذوقها ، إلى قيام حركة أخرى مكملة ، هي محا محاكاة تلك الآداب والنسج على منوالها ، مما أدى – بالتالي – إلى حركة أدبية واسعة النطاق تبارى فيها المثقفون الموصليون ، فاكتظت الا الادبية بأشعار التشطير والتخميس والتسبيع (٣) ، وحفلت مجالس الاد ذلك العهد بمثل هذا النوع من النظم ، وكثيراً ما تنافس عدد من على محاكاة قصيدة واحدة لأحد الشعراء الاقدمين ، من ذلك أن الموصلي يوسف العمري جمع عام ١٨١٢ م / ١٢٢٧ هـ مجموعة من التخ على قصيدة الهمزية للبوصيري ، فكان أحد عشر تخميساً لشعراء م معاصرين ، منهم الشيخ علي الوهبي الموصلي الملقب بالجفعتري (ت ١٢٠٢ هـ) والشيخ صالح الحافظ بن المعمار (ت بعد ١٧٤٧ م / ٦٠ والشيخ محمد الغلامي (ت ١٧٧٢ م / ١١٨٦ هـ) وعثمان بكتاش (ت أواخر القرن ١٨ م / ١٢ هـ) والحاج عثمان بك بن سليما

(١) توجد منه نسخة في المدرسة المذكورة (مخطوطات الموصل ص

(٢) توجد منه نسخة في المدرسة الحسنية في الموصل (مخطوطات ص ١٣٣) .

(٣) التخميس : هو إضافة شطر خامس على بيتين من الشعر يكملهما من حيث المعنى والوزن . والتسبيع هو إضافة شطر سابع أبيـات .

الجليلي (١٨٢٩ م / ١٢٤٥ هـ) ويوسف العمري ، كاتب النسخة نفسه (١) وكان هؤلاء من أحسن شعراء عهدهم وأبعدهم صيتاً . ونظم الاديب عبد الله بك آل محمد أمين بك تشطيراً لقصيدة ابن الوردي المعروفة باللامية (٢) ، كما نظم الشاعر فتح الله الموصلي تشطيراً لقصيدة البردة للبوصيري (٣) ، وقام الشيخ قاسم الحمدي كاتب الديوان بتسميط (٤) مقصورة شهاب الدين أحمد الخفاجي التي عارض بها مقصورة ابن دريد (٥) واشتهر السيد خليل البصيري بمخمساته الجميلة (٦) ، ثم تفنن الشعراء في ذلك المضمار حتى أتى بعضهم بقصائد كاملة جديدة ، لكنها مؤلفة من أنصاف أبيات لشعراء سابقين ، كما فعل الاديب يحيى أفندي حين قال (٧):

---

(١) توجد من هذه المجموعة نسخة في المدرسة الحسنية في الموصل (مخطوطات الموصل ص ١٣٥) .

(٢) توجد منها نسخة في نفس المدرسة (مخطوطات الموصل ص١٣٥) .

(٣) توجد نسخة منها في نفس المدرسة (مخطوطات الموصل ص ١٢٣) .

(٤) المسمط من الشعر أبيات مشطورة تجمعها قافيه واحدة ، وقيل المسمط من الشعر ما قفى أرباع بيوته وسمط في قافية مخالفة (ابن منظور : لسان العرب ٩ / ١٩٥ بولاق) .

(٥) العزاوي : تاريخ الأدب العربي في العراق ج ٢ ص ٣١٦ وتوجد من هذا التسميط نسخة في المدرسة الحسنية في الموصل (مخطوطات الموصل ص ١٢٨ .

(٦) الغلامي شمامة العنبر ص ٨١ . (مخطوط) .

(٧) ذكر جامع المخطوطة التي فيها الأبيات أن هذا الفن « غريب جداً».

أجاب دمعي وما الداعي سوي الطلل دعى فلباه قبل الركب والإ
يا ساكن السفح كم عين بكم سفحت ملء الزمان وملء السهل والج

ولم يكتف الأدباء الموصليون بمثل هذه الأعمال الأدبية ، بل ليعالجوا ميادين أوسع وأرحب ، فكانت الخطوة التالية أنهم شرعوا على منوال الأدباء السابقين ، فشجع ذلك كثير من الشعراء والمعاص تقليد الأعمال الأدبية القديمة ، وجنحوا إلى استهلال قصائدهم بالغز بنت الحان ووصف الحسناء الخياليـــة وملاحتها ، والتوغل في ا وأفردوا لحسن الانتقال من المقدمة الغزلية إلى غرض القصيدة ، و غالباً ، باباً خاصاً في فن الشعر عرف بـ « براعة الاستهلال » (٣) ما غالى الشعراء في تلك المقدمة ، حتى لتزيد على باقي القصيدة ذا الملاحظ أن أغلب ما يرد في المقدمة من مجون كان من بنات الخيا فان محمد بن مصطفى الغلامي نظم قصيدة خمرية غزلية وأنفذها عبد الباقي الشاعر الموصلي ، واعتذر عما ورد فيها ، فقال : « شببت بالخمرة والمحبوب . . فمعتقد بأن من أخذ كأس خمر على جمر لاهب ، أو أهوى إلى ذوائب معشوق فكأنمـــا ألقو الحيات والعقارب ، ولكن سلكت جادة سلكها أكثر فضلاء فنسأل ربنا أن يقينا سوء الظن » (٤) لذا فلم يكن مستغرباً أن ا

(١) الشطران الأولان منتزعان من قصيدتين للمتنبي .
(٢) الشطر الأول لابن النبيه والثاني للمتنبي (مجموع أد المكتبة المركزية في الموصل برقم ٣٦٣ / ٦١ جادر) .
(٣) عثمان بك الجليل : الحجة ص ١٥ ـ ١٦ .
(٤) سليمان الصائغ تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٣٠ ـ ٣١

مثل عثمان بكتاش موشح له يمدح فيه الوزير محمد باشا الجليلي بأبيات تعد من الأدب المكشوف (١) :

وسعى شعراء عديدون إلى اقتضاب معان قديمة لشعراء سابقين والاستفادة منها في صياغة أشعارهم هم ، بعد وضعها في قوالب جديدة ربما كانت مختلفة الغرض ، حتى أفرد الأديب عثمان بك الجليلي في هــذا النوع من العمل الأدبي باباً خاصاً باسم « الاقتضاب » (٢) وأتى فيه بنماذج متعددة لشعراء موصليين معاصرين ، وابتكر الشاعر محمد الغلامي (ت ١٧٧٢ م ١١٨٦ هـ) فناً جديداً في الشعر سماه « المضاهاة » وهو على حد تعبيره « أن يماثل المتكلم كلامه بكلام غيره مماثلة بحيث لو علم كلام الغير ، تبينت المماثلة في كلام المتكلم » (٣) .

وأدت حركة الاعجاب بالتراث الأدبي ، ومحاولة النسج على منواله إلى ضرورة نمو فن النقد الأدبي ، لفحص تلك الأعمال الجديدة ، ومقارنتها بغيرها ، واكتشاف مدى تأثرها بالأعمال القديمة ، فظهر هناك عدد من النقاد البارعين ، مثل الشاعر الشيخ محمد الغلامي في كتابــه الذي أسماه

---

(١) مجموع أدبي في المكتبة المركزية في الموصل (سبقت الاشارة إليه) ومن تلك الأبيات :

سها طرفي بمحراب الحواجب	فلم يقض من الأشواق واجب
قضى رب الملاحة بالصدود	فلم أحض بتقبيل الخــدود
ورمت أهز أغصان القــدود	ليسقط منــه رمان النهود

(٢) الحجة ص ٣٥ .

(٣) شمامة العنبر ص ٢٥٠ (مخطوط) والحجة ص ١٥ ـ ١٦ .

« شمامة العنبر » والشيخ الأديب الحاج عثمان بك الجليلي في كتابه ا
« الحجة على من زاد على ابن حجة » (١) . ويعد الكتاب الأخير
متطورة متكاملة في فن النقد والموازنة ، فهو قد خرج من نطاق
التراجم الأدبية - كالكتاب الأول - التي يورد فيهما مؤلفوها آ
النقدية عرضاً ، إلى مرحلة أخرى أكثر نضجاً » تعتمد على عرض
أسلوب شعري ثم دراسة تطبيقاته عند مختلف الشعراء المعاصرين ، و
ببعضها على نحو دقيق يثير الاعجاب ، والتمييز بين كل معنى جدي
مطروق في العمل الأدبي مما يدل على سعة اطلاع وثقافة أدبية واس

دور الجليليين في الحركة الأدبية :

وفي الواقع كان للولاة الجليليين دور كبير في تشجيع مثل هذ
الأدبية عن طريق اثارة روح المنافسة بين الشعراء والأدباء باجراء ا
الشعرية بينهم ، فلما « أمر والي الموصل أمين باشا (الجليلي)
بتضمين هذا الشطر : ما كل ما يعلم يقال ، فضمنته جميع شعراء المو
وأدت هبات الجليليين وجوائزهم السخية للشعراء والادباء واهتمامه
إلى نشاط ملحوظ في الحركة الفكرية آنئذ ، وفي ذلك يقول ال
الغلامي صراحة « . ولو لا الدولة الجليلية . . وما فيهما من
الرأفة والجوائز ، لكانت الانشاءات والانشادات عندي غير جائز
أدام الله أيام الامين (يريد أمين باشا الجليلي) على كل كمال .

(١) نشره الدكتور محمد صديق الجليلي في الموصل عام ١٩٣٧
(٢) ياسين العمري : قرة العين في تراجم الحسن والحسين ،
(مخطوط) .

علينا بعض سجال سيبه ، فسد ثلمة أظهرها حظ الأدب . . الخ » (١)
ووزع سليمان باشا الجليلي الجوائز على شعراء عصره ، فمن مات منهم أعطى جائزته لورثته (٢) .

ولا شك أن لتشجيع الجليليين وعنايتهم بالثقافـــة ، أثره السريع في تزايد عدد المشتغلين بالآداب والعلوم في هذه الفترة ، حتى أن أمين العمري بعد أن فرغ من ترجمـــة أكثر من سبعين عالماً وأديباً وشاعراً موصلياً من معاصريه ، صرح بأنه « لم يستوف جميعهم » ، وانما ذكر مشاهيرهم فقط (٣) وتدل كتب التراجم المؤلفة في هذا العهد على كثرة من كان يمتهن النظم والتأليف ، وجمع كثير من هؤلاء أشعارهم فبلغت عدداً ضخماً من الدواوين فكان لامين العمري مثلاً ثمانية دواوين تامة ، أفرد كل منها لغرض معين ، فديوان في الحِكَم والامثال ، وثان في المدائح والغـــزل ، وآخر في عتاب الزمان ، وديوان في المدائح النبوية ، وغير ذلك (٤) . وكان لصالح السعدي كاتب الديوان (ت ١٨٢٩ م / ١٢٤٥ ﻫ) أربعة دواوين بالعربية والتركية والفارسية ، والفارسية القديمـــة (٥) . وترك شعراء آخرون أمثال قاسم الحمدي (ت ١٨٣٩ م / ١٢٥٥ ﻫ) (٦) ،

(١) الفلامي : شمامة العنبر ص ١٠٥ (مخطوط) ،
(٢) ياسين العمري : قرة العين ص ٢٣ (مخطوط) .
(٣) منهل الأولياء ج ٢ ص ٣١٢ .
(٤) غاية المرام ص ٣٥١ وعثمان بك الجليلي : الحجة ص ٩٢ - ٩٣ .
(٥) عبد القادر الشهرباني : تذكرة الشعراء ص ٣٠ .
(٦) مخطوطات الموصل ص ٢٨٤ وتاريخ الأدب العربي في العراق ج ٢ ص ١٣٨ .

ومحمد الفهمي (ت ١٨٢٤ م / ١٢٥٠ ه) (١) وحسن عبـ
(ت ١٧٤٤ م / ١١٥٧ ه) (٢) ومحمد بن أحمد العمري (ت
١٢١٦ ه) (٣) وعثمان القادري (ت نحو ١٧٢٧ م / ١١٥٠ ه
وخليل بن ابراهيم بكتاش (٥) دواوين غيرها ، تعد أوضح دليل
ما أحرزته الموصل من تقدم أدبي خلال عهد الجليليين .

ولم يقف دور الجليليين الادبي عند تشجيع أدباء عصرهم ،
أنفسهم في تلك الحركة الثقافية بعد أن غرسوا بذورها ، فكان
والطبيب والاديب والشاعر والمؤرخ ، وحتى الولاة منهم ، فان
تشغله الادارة ومتاعب الحكم عن المشاركة في العلم والادب وة
وتأليف الكتب واقتناء نفائس المخطوطات والاستفادة منها وعقد
العلمية والحلقات الادبية (٦) . فكان محمد باشا الجليلي (ت ١٨٠٦ م

(١) ديوانه مفقود ، وقد أفرد الدكتور صديق الجليلي بحث
الشاعر (بغداد ١٩٦٩) .

(٢) نشر ديوانه الدكتور صديق الجليلي في الموصل عام ٦٧
نسخ مخطوطة .

(٣) توجد نسخة منه في جامعة برنستن في الولايات المتحدة
عواد : جولة في دور الكتب الأميركية ص ٤٧) .

(٤) توجد نسخة منه في خزانة يعقوب سركيس ببغداد
عواد : فهرست مخطوطات) خزانة يعقوب سركيس ص ٥٠) .

(٥) توجد نسخة من ديوانه في خزانة سركيس (فهرس
خزانة يعقوب سركيس ص ٤٨) .

(٦) سعيد الديوة جي : مدارس الموصل في العهد الث
سومر ج ١٨ عام ١٩٦٢ ص ٦٩) .

مولعاً بالادب ومطالعة كتبه وكانت « له ملكة في الشعر » (١). وكان نعمان باشا الجليلي مولعاً بالعلوم والآداب وله نظم جيد (٢) كما له اطلاع واسع في نظم المواليا (٣). وكان سعد الله باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي قد كمل « الآداب الملوكية والقراءة وحسن الخط والفروسية ثم تبحر في اللغة والشعر وله من الشعر الموزون كثير، مولع بالادب والمذاكرات مع الادباء والعلماء » (٤) وله تخميسات على قصائد مشهورة، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه هو الذي طلب من أحمد الفخري تعريب « تذكرة أولياء بغداد »، كما أنه طلب من المؤرخ محمد أمين العمري تأليف كتابه الشهير « منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ».

واشتهر أخوه حسن باشا الجليلي (ت ١٨٢١ م / ١٢٣٧ هـ) بعمق ثقافته وسعة اطلاعه، ومجالسه الادبية، وكان ولوعاً بجمع الكتب، شاعراً له عدة مخمسات وأبيات، ماهراً « ببديع الالفاظ والتراكيب والمعاني » ألف كتاباً في فهرسة القرآن سماه « ترتيب حسن » (٥) كما له شروح على بعض الكتب.

---

(١) منهل الأولياء ج ١ ص ١٩٠.

(٢) ومن شعره في الغزل قوله :

يا أهيفا يحكي الغزال بنظرة	والقد منه مخجل سمر القنا
مافي الانام قتيل حسنك يارشا	ويروم وصلك بالملا إلا أنا

(٣) المواليا : نوع من النظم له وزن واحد وأربع قوافي، وقوافيه متماثلة في اللفظ متباينة في المعنى.

(٤) منهل الأولياء ج ١ ص ١٧٦.

(٥) نسخته الاصلية بخطه في المدرسة التي أنشأها في الموصل (المدرسة =

ونبغ الحاج عثمان بك الجليلي في النظم والنثر في لغات عصره الثلاث العربية، والفارسية، والتركية (١)، وكان له كثير من المراسلات والمدائح البليغة مع أدباء زمانه (٢)، وألف كتابين هامين، الأول هو (...) في علم القريض والنقد الادبي، وقد سبقت الاشارة إليه، والآخر (...) على الشيخ النقشبندي (مجدد الطريقة النقشبندية في العراق (ت ٦ ١٢٤٢ هـ) ومن شعره الذي يشير فيه إلى تعيين أخيه الاكبر نعمان الجليلي والياً على الموصل عام ١٨٠٧ م / ١٢٢٢ هـ قوله :

ولست ممن يدعي بالذكا   أو جعل الاشعار من ورد
لكنها عاداتنا قد جرت   ويحفظ المرء أخا و(...)
وقد أتى الحكم الذي حق أن   يبنى له التاريخ في مجـ(...)
ملك سليمان وكرسيه   عاد إلى نعمان من بعده (٣)

وكان ابنه محمد أمين باشا (١٨٢٩ – ١٨٣٠ م / ١٢٤٥ – ...

= الحسنية) وتوجد منه نسخ خطية في الموصل، وتوجد في مكتبة العراقي نسخة اطلعت عليها .

(١) جمع الدكتور محمد صديق الجليلي له ديواناً من شتى الم(...) الادبية ولازال مخطوطاً .

(٢) العزاوي : تاريخ الادب العربي في العراق ج ٢ ص (...) نسخة من ديوانه في خزانة الدكتور محمد صديق الجليلي في الموصل

(٣) الحجة ص ٧ وسليمان هو ولد نعمان

شاعراً ، له ديوان مجموع ، فيه تخاميس وتشاطير (١) على القصائد الشهيرة (٢) وكان أخوه محمد سعيد بك (١٧٨٩ ـ ١٨١٨م/ ١٢٠٤ ـ ١٢٣٤هـ) أديباً له إلمام بالطب (٣) .

وعرف عن علي بن يونس الجليلي أن « له شعراً كثيراً » (٤) تميز بالرقة ، وأن له شروحاً على بعض الكتب (٥) أما الحاج قاسم أغا الرونقي بن خليل أغا الجليلي (ت ١٧٥٠ م / ١١٦٤ هـ) ، فقد كان له « نظم رائق ونثر فائق ، وله علم وأدب ، وفيه دعابة » (٦) .

وكان خالد آغا بن أحمد الجليلي (ت بعد ١٧٥٦ م / ١١٧٠ هـ) شاعراً عذب الاسلوب ، وله اطلاع واسع على علوم اللغة العربية (٧) . وكان يحيى آغا بن عبدو الجليلي ، من الادباء المعدودين في الموصل ، إذ « له مشاركة في عدة فنون ، وخبرته تامة في علم الادب والشعر » ، واضطلع

---

(١) التشطير : هو أن يأتي الشاعر بشطر يكمل فيه شطراً لبيت من قصيدة لغيره .

(٢) العزاوي : تاريخ الأدب العربي في العراق ج ٢ ص ٣٢٠ وتوجد نسخة من ديوانه في خزانة الدكتور صديق الجليلي في الموصل .

(٣) سعيد الديوه جي : مدارس الموصل (مجلة سومر ج ١٨ عام ١٩٦٢ ص ٧٠ .

(٤) عصام العمري : الروض النضر ، الورقة ١٦٦ ـ أ (مخطوط) .

(٥) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٥٩ .

(٦) الدر المكنون ص ٦٠٠ (مخطوط) .

(٧) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٦٣ .

بكتابة تاريخ الموصل ، لكن وفاته عام ١٧٨٢ م / ١١٩٨ هـ حالت
اتمامه (١) . وعرف محمد أغا بن صالح آغا الجليلي (ت ١٧٧٩ م / ١١٩٣
بخبرته في صناعة التجبير ، و « كان يعالج حسبة لله ، وربما أخرج
دواءاً من عنده » (٢) . ومثله كان محمد آ غا بن محمود آغا
(ت ١٧٩٦ م / ١٢١١ هـ) الذي عرف بخبرته في الطب ، فضلا
اطلاعه في التاريخ (٣) .

نمو حركة التأليف :

وقد ارتبطت الثقافة بالمستوى الاجتماعي غالباً ، فكانت أغلب
التي ساهمت في الحركة الثقافية تنتمي إلى أصول ارستقراطية شهيرة
آل العمري ، وآل الفخري وآل الغلامي وآل ياسين أفندي المف
شجعت المنح الكثيرة والرعاية الخاصة التي كان يقدمها الجليليون عد
من المثقفين الموصليين على ممارسة الكتابة والتأليف ، فأدى ذلك
الحال — إلى نموا الحركة العلميـة نمواً ملحوظاً (٤) وظهرت
ومؤلفات كثيرة في شتى ميادين العلم والمعرفة ، كان أهمها في علم
واللغة والتاريخ والأدب والطب على الترتيب .

(١) منهل الاولياء ج ١ ص٢٦١ . وقد أتمه فيما بعد المؤرخ
العمري . وتوجد المخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني . ونسخة منها
في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

(٢) الدر المكنون ص ٦٣٠ (مخطوط) .

(٣) الدر المكنون ص ٦٥١ .

(٤) يقول المؤرخ العراقي عثمان بن سند (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤ ،

ففي العلوم القرآنية برز أمين العمري (ت ١٧٨٨ م / ١٢٠٣ هـ) على رأس قائمة المؤلفين في هذا الباب ، فكتب كتابين هامين ، أولهما « تيجان التبيان في مشكلات القرآن » (١) ، استعرض فيه مشكلات معاني القرآن ، ومشكلات متشابهه ، وبيان محكمه واعرابه ، وجعل خاتمته في غريبه وما أنزل فيه بغير لغة قريش (٢) ، والآخر هو « حدائق الزهر والريحان في البيان عن بلاغات القرآن الكريم » (٣) ، وقد أتى فيه على حقيقة القرآن ومجازه ، وتشبيهه ، واستعاراته ، وسائر فنونه الأدبية الأخرى (٤).
وألف عالم موصلي هو ابراهيم بن عبد الله الموصلي (توفي سنة ١٧٤٦ م ١١٥٩ هـ) كتاباً مهماً في القراءات سماه « تبصرة المبتدىء وتذكرة المنتهي » ورسالة في « الرسم على ترتيب سور القرآن العظيم » (٥) :

= ١٢٥٠ هـ) « أن العلماء من قديم الأزل لا يتعلمون وينجحون كال النجاح إن لم يكن لهم مساعدة في أمر معاشهم من طرف بعض الأمراء ، وإلا فالفقر المطلق لا ينشأ عنه إلا الخمول والجهل عادة » .

(مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود ص ١٧٣) .

(١) نسخة المؤلف في خزانة سليمان أفندي العمري في الموصل .

(٢) داود الجلبي : مخطوطات الموصل ص ٢٨٦ ،

(٣) غير مطبوع ، ونسخته بخط المؤلف في مكتبة مدرسة الرضواني في الموصل .

(٤) داود الجلبي : مخطوطات الموصل ص ١٤٩ .

(٥) منها نسخة ضمن مجموعة كتبت ـ ١٢٣٥ موجودة في المكتبة القادرية ببغداد برقم ١١٤ (عماد عبد السلام رؤوف : الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج ١ ص ١٤٨ ـ ١٤٩) .

ومن الكتب التي لاقت رواجاً في هذا الباب ، معجم ألفاظ القر
وآياته وأجزائه وأحزابه وأعشاره ، الذي ألفه حسن باشا بن الحاج ح
باشا الجليلي عام ١٧٨٣ م قبل توليه الحكم ، ونهج فيه على أسلوب الم
المعروف « بترتيب زيبا » (١) وسماه باسمه « ترتيب حسن » ، فجا
حد قول مؤلفه « كتاباً بارعاً ، وقانوناً جامعاً . . مشتملاً على الأ
وزيادة الترتيب ، . . لا يشذ عنه شيء من الكلمات ، ولا يبعد فيه
استخراج الآيات » (٢) .

ونظراً لأهمية الفقه – ابان تلك العهود – في تحديد سائر المعا
الاجتماعية ، فقد شهد هذا العلم ظهور عدد من المؤلفين فيه كان من
وأبرزهم الشيخ عبد الله الربتكي (ت ١٧٤٦ م / ١١٥٩ ه) الذي
شروحاً عديدة في علمي الفروع والأصول ، وألف رسائل مفيدة
مختصر الزواجر (٣) ، وشرح المنهاج (٤) ، كما ألف أيضاً رس

---

(١) وهو فهرست آيات القرآن الكريم للحافظ محمود مفتي وارد
(٢) ترتيب حسن ص ٢ (مخطوط) . وفيه أن « إخراجه من المـ
البياض » كان عام ١٧٨٦ م / ١٢٠١ ه أي بعد أربع سنين من تأليفه ،
من هذا الكتاب نسخ متعددة موزعة في مكتبات الموصل ومدارسها (مخ
الموصل ص ١٢٤ و ٢١٣ و ٢٣٥ و ٢٦٢) .
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر لأحمد بن حجر الهيثمي .
(٤) منهاج الطالبين في فروع الحنفية ليحيى النووي المتوفى عا

شؤون الأراضي الأميرية ، دعيت « بالمنهاج في بيان أحكام العشر والخراج » (١) وكتاباً آخر أسماه « هدى الحكم إلى خير الحكم » (٢) . وألف فقيه آخر هو مصطفى أفندي الضرير بن ملا لطفي الموصلي (ت ١٧٧٤ م / ١١٨٨ ﻫ) مجموعة من الكتب الفقهية الهامة ، منها كتابه الذي شرح فيه بعض مسائل الفقه كما وردت في « الدر المختار » للحصكفي (٣) ، وقد أسماه « مسالك الأبرار إلى نكات الدر المختار » ويقع في مجلدين (٤) كما نظم قصيدة في أصول الفقه أسماها غاية المأمول (٥) ، وارجوزة في نفس الموضوع مع شرح لها (٦) واهتم آخرون بجمع فتاوى علماء عهدهم ، وأضاف إليها البعض من فتاوى السابقين ، فظهرت بذلك مجموعات فقهية كاملة ، كانت تشكل مرجعاً قانونياً هاماً ، منها « الفتاوى النعمانية » للشيخ نعمان بن عثمان العمري (٧) و « الفوائد المنثورة في الفتاوى المأثورة » لامين

---

(١) توجد نسخة منها في المدرسة الحسنية في الموصل (مخطوطات الموصل ص ١٣٢) .

(٢) توجد منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير في الموصل (مخطوطات الموصل ص ٨٩ .

(٣) الدر المختار شرح تنوير الأبصار في الفقه الحنفي لمحمد بن علي الحصكفي مفتي الشام (ت ١٠٨٨ ﻫ) .

(٤) توجد منه نسخة في مدرسة الرضواني في الموصل (مخطوطات الموصل ص ١٥٠) .

(٥) توجد منها نسخة في مدرسة الرضواني (مخطوطات الموصل ص١٤٩) .

(٦) توجد منها نسخة في مدرسة الرضواني (مخطوطات الموصل ص١٤٩) .

(٧) توجد نسخة المؤلف في المدرسة الأحمدية في الموصل (مخطوطات =

العمري (١) و « فتاوى يحيى أفندي الموصلي » (٢)

وفي علم الحديث ، ألف الموصليون مجموعة قيمة من الرسائل والمنتخ
منها : « أزهار المؤمنين من كلام سيد المرسلين منتخب من صحيح ا
مسلم » (٣) لمحمد بن أحمد العمري ، و « الاستشفا بأحاديث المص
ليوسف بن ملا عبد الجليل الموصلي » (٤) ، ومختصر الترغيب والتر
للسيد شرف الدين اسماعيل بن محمد بن درويش الحسيني الموصلي (

وكان لوجود عدد كبير من الطوائف الدينية في الموصل ونشاط
التبشير الكاثوليكي بين النصارى ، أثره في تأليف بعض الكتب ا
بالفرق ، والردود ، فكتب أمين العمري عام ١٧٥٨ م / ١١٧٣ ه

= الموصل ص ٣٧ .

(١) توجد منه نسخة في مدرسة جامـــع النبي شيت في
(مخطوطات الموصل ص ٢١٩)

(٢) توجد منه نسخة في جامع أمين باشا الجليلي ، وأخرى في
يحيى باشا الجليلي (مخطوطات الموصل ص ٦٣ و ٢٣٩) .

(٣) منهل الاولياء ج ١ ص ٣١١ .

(٤) توجد منه نسخة في مدرسة الصائغ في الموصل ، وأخرى
توفيق أفندي في الموصل أيضاً . (مخطوطات ص ١٥٨ و ٢٦٣)

(٥) من أعيان الموصل في عصره ، ينتمي نسباً إلى أسرة نقبا
العلويين ، وتولى القضاء باستنبول سنة ١٢٥٢ ه . وتوجد نسخة المؤ
في خزانة كتب دار التربية الاسلامية ببغداد (عماد عبد السلام رؤوف
الخطية في دار التربية الاسلامية ببغداد ـ مخطوط) .

في الرد على النصارى (١) ، وحذا حذوه سليمان بك بن مراد بك الجليلي فألف رسالة في نفس الموضوع (٢) ، وكتب آخرون رسائل متعددة في الرد على اليزيدية وغيرهم (٣) . وولج غيرهم في العلوم الالهية والصوفية فكتب الشيخ محمد بن أحمد العمري كتاب « أزهار الأقدسية في العلوم الإلهية » وكتاب « قوت العاشقين » (٤) . وشرح علي القادري الجفعتري قصائد عبد الغني النابلسي في التصوف في كتاب أسماه « كشف المخدرات في خبا المعشرات » (٥) .

أما في حقل التآليف اللغوية ، فقد شهدت الموصل - في هذا العهد - عدداً من المؤلفين المتخصصين ، حاول أغلبهم صب معرفتهم الواسعة في اطار من النظم ، لتيسير الحفظ والدراسة ، وكان من أبرز المؤلفين الموصليين في هذا النوع من المعرفة الشيخ خليل بن علي البصيري (ت ١٧٦٢ م ١١٧٦ هـ) ، فقد نظم ارجوزة في أحوال حروف الجر (٦) زاد عدد أبياتها على الثلاثمائة بيت ، واستعمل فيها أسلوباً جديـداً من الاستشهاد

(١) توجد منه نسخة في خزانة الدكتور محمود الجليلي في الموصل (منهل الاولياء / المقدمة ج ١ ص ٣٢) .

(٢) توجد منه نسخة في خزانة إبراهيم جلبي عطار باشي في الموصل .

(٣) مخطوطات الموصل ص ٢٧٤ .

(٤) منهل الاولياء ج ٢ ص ٣١٢ .

(٥) توجد منه نسخة في المدرسة الاحمدية في الموصل (مخطوطات الموصل ص ٣٦) .

(٦) توجد منها نسخة لدى المؤلف وقد حققها وقدم لها ونشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٤ .

حيث إنه لم يلجأ إلى شواهد من الشعر القديم ، كما هو معتاد في الأرا
النحوية المعروفة ، بل عمد إلى القرآن الكريم يستخرج من آياته أمثلة
ما يجيء به من قواعد وأحكام حتى أنه أتى بما يقرب من ثلاثمائة ش
من هذا النوع فربما كان في البيت الواحد ثلاثة شواهد قرآنية أو أ
- وهو كما يظهر - اسلوب جديد في بابه (١) . ونظم صالح أ
السعدي ، كاتب الانشاء في ديوان يحيى باشا الجليلي ، منظومة في النحو
وأخرى في الصرف ثم شرح الأخيرة (٣) . وكتب حواش على
السيوطي لألفية ابن مالك ، وألف رسالة مستقلة أسماها « اسم الجنس
علم الجنس » (٤) . وألف أمين العمري شرحاً على ألفية ابن مالك
وكتب الشيخ مصطفى الضرير كتاباً في النحو (٦) .

وفي علم المعاني والبيان ، نظم مصطفى الضرير أرجوزته التي

(١) أرجوزة خليل البصيري / مقدمة المحقق .

(٢) نسختها بخط المؤلف في خزانة أمين بك الجليلي في (مخطوطات الموصل ص ٢٦٥) .

(٣) توجد منها نسخة بخط المؤلف في مدرسة الرضواني في (مخطوطات الموصل ١٥٠) .

(٤) توجد منه نسخة في خزانة المحامي عباس العزاوي ، وأخر الاستاذ عبد الله الجبوري ببغداد (تاريخ الادب العربي للعزاوي ٢ والجبوري : مجلة الاقلام ج ١٠ عام ١٩٦٨ ص ٤٧) .

(٥) نسخته بخط المؤلف في مدرسة الرضواني في الموصل (مخ الموصل ص ١٥٠) .

(٦) توجد منه نسخة في نفس المدرسة (مخطوطات الموصل ص

« تنقيح تلخيص النكت » (١) ونظم أمين العمري الرسالة السمرقندية في الاستعارة ، ثم شرحهـا (٢) . وفي علوم القريض ، كتب نفس المؤلف كتابه « المناهل الصافية في علمي العروض والقافية » (٣) ، وكتب أخوه ياسين العمري « العذب الصافي في تسهيل القوافي » (٤) . وجمـع أمين العمري كثيراً من المحسنات البديعية في منظومته المسماة « البديعية العمرية » ثم شرحها وبين ما فيها من الفنون في كتـاب أسماه « التحفة الأدبية في النكت البديعية » (٥) .

وقد غلب الطابع الأدبي على العديد من الكتب المؤلفة في شتى العلوم إلا أن من أحسن من اختص بالتـأليف الأدبي المحض ، هو الشيخ أمين العمري . فمن مؤلفاته الجيدة في هذا الباب كتابه « نوادر المنح في أقسام الملاحة والملح » ، وهو كتاب أدب نفيس ، قلد فيه كتاب حلبة الكميت للنواجي (٦) ،

---

(١) توجد نسخة منه في نفس المدرسة (مخطوطات الموصل ص ١٥٠) .

(٢) توجد نسخة منه في خزانة الدكتور محمود الجليلي في الموصل (منهل الاولياء / المقدمة ج ١ ص ٣١) .

(٣) توجد منه نسخة في خزانة الدكتور محمود الجليلي أيضاً .

(٤) توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة الدكتور داود الجلبي فى الموصل .

(٥) توجد نسخة المؤلف فى مدرسة الرضواني في الموصل (مخطوطات الموصل ص ١٤٩) .

(٦) حلبة الكميت فى الادب والنوادر المتعلقة بالخمريات لمحمد بن الحسين النواجي (المتوفى عام ٨٥٩ هـ) .

وديوان الصبابة (١) ويقع في اثني عشر باباً (٢) ، وله أيضاً كـ
أدبي آخر هو « زهرة الفنون ونزهة العيون » ويقـع في ١٤٠٠
كبيرة ، ويبحث في أربعة عشر علماً (٣) ، وكتاب نثري عام صه
« قصة عنترة » بأسلوبه الأدبي ، مضمناً إياه نماذج كثيرة من شـ
فجاء كما وصفه العزاوي « خير مثال للنثر والنظم ، أجاد فيها كل
فيها من نظمه ، والكثير من نثره . فكانت نموذج النثر الأدبي الحقيقي
وألف أخوه ياسين العمري كتابين أدبيين أسماهما « روض الأدب » و
الأدب » (٥) . هذا اضافة إلى ما تحتويه الكتب المؤلفة في تراجم
والشعراء من قطع نثرية راقية ، ونماذج جيدة من أعمالهم الأدبية

ونشطت حركة التدوين التاريخي – في هذا العهد – نشاطاً
شاملاً ، فظهر في هذا الحقل من المعرفة ، عدد كبير نسبياً من
المثقفين ، وتنوعت أساليب الكتابة التاريخية ، وتعددت طرائقها ،

(١) ديوان الصبابة لاحمد بن يحيى التلمساني ، إبن أبي حجـ
عام ٧٧٦ هـ) .

(٢) توجد منه نسخة في جامع الباشا في الموصل ، وأخرى
العراقي ببغداد وكلاهما بخط المؤلف(منهل الاولياء / المقدمة ج ا

(٣) توجد منه نسخة في مكتبة جامع الشيخ عبد القادر ا
بغداد (عماد عبد السلام رؤوف : الآثار الخطية في المكتبة القادر
مخطوط) .

(٤) العزاوي : تاريخ الادب العربي في العراق ج ٢ ص ٨

(٥) هما من تآليفه المفقودة ، وقد أشار إليهما في مقدمة
الثقات » (مخطوط) .

كتب التاريخ رواجاً لدى مثقفي ذلك العهد. واهتم الجليليون بتشجيع هذا النوع من التأليف ، من ذلك أن الغازي أمين باشا الجليلي اقترح على الأديب يحيى بن عبدو الجليلي (ت ١٧٨٣ م / ١١٩٨ هـ) « أن يجمع له تاريخاً لطيفاً ، ومجموعاً ظريفاً ، حاوياً لذكر الدول السابقة ، والملوك اللاحقة » فكان هذا يستعين بالمؤرخ الموصلي أمين العمري في تأليفه . ولما توفي كلف أمين باشا الجليلي المؤرخ العمري باكماله والزيادة عليه ، وكان اسم الكتاب « سراج الملوك ، ومنهاج السلوك » .

وبتكليف من سعد الله باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي ، ألف أمين العمري كتابه الشهير « منهل الأولياء » . وهو أدق كتاب وأشمله في تاريخ مدينة الموصل منـــذ تمصيرها في القرن السابع الميلادي حتى مفتتح القرن التاسع عشر ، ولعل أهم أجزائه هو الذي يبتدأ في حوادثه من عام ١٥٩١م ١٠٠٠ هـ حيث استعرض فيه الولاة العثمانيين الأوائل ، ثم بسط القول عن عهد الجليليين فترجم لهم ، وذكر أعمالهم في الموصل ، وفي الولايات التي تولوها ، وذكر آثارهم العلمية والأدبية والعمرانية وما أثروه في البلد . ويزيد من أهمية بحثه هذا ، أنه عاصر حوادث بعض ما كتبه ، وعاش في زمن حكامه ، وكان قريب عهد من أكثر حوادثه : سمع أخبارهـــا ممن شاهدها بنفسه ، أو سمعها ممن تقدمه ، ثم أنه ترجم لطائفة كبيرة من أعلام الموصل ، وخاصة الذين كانوا بعد سنة ألف للهجرة ، وامتازت ترجمتـــه بالدقة في تتبع الأخبار ، فاذا ترجم لشخص ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم والكتب التي درسها عليهم ، والمدارس التي درس فيها ، وما قاله من شعر ، أو ألف من كتب ، كما أنه بحث في تاريخ مراقد الأولياء الموجودة

في الموصل وأطرافها ، وترجم لاصحابها باسهاب (١) . ويعد هذا تأليفاً ماهراً بين طريقة الحوليات ، وكتابة التراجم المستقلة فهو يبتد الطريقة الأولى ، لينتهي – فيما بعد – بتدوين كافة الأحداث ضمن الولاة المتعاقبين . ومن المؤسف أننا لا نستطيع تتبع هذا المنهج في الأخرى . فقد توفي بعد تأليفه لكتابه مباشرة ، ولم يتبق من مؤلفاته سوى « مجموع شجرات الانبياء والملوك » وقد سجل فيه أسماء بغداد والموصل وغيرهما من الولاة المعينين من قبل الدولة العثمانية م تعيينهم (٢) .

واشتهر أخوه ياسين بن خير الله الخطيب العمري (ت بعد ١٢٣٢ ﻫ) بتنوع الميادين التي تناولها في مؤلفاته التاريخية الكثيرة زاد عدد مؤلفاته في التاريخ والتراجم على أربعة عشر كتاباً تميز بالضخامة ، كما أنه التزم في كتابته التاريخية اسلوب الحوليات فجا « الآثار الجلية في الحوادث الأرضية » (٣) و « الدر المكنون الماضية من القرون » (٤) و « عمدة البيان في تصاريف الزمان

(١) منهل الاولياء / المقدمة ج ١ ص ٦ ـ ٩ .

(٢) توجد منه نسخة فى مدرسة الصائغ فى الموصل .

(٣) وهو مختصر فى التاريخ يبدأ من الهجرة وينتهي بوقائع عا وتوجد منه نسخة في (٣٧٣) ورقه في مدرسة الخياط فى الموصل . (و زبدته وعلقنا عليها ونشرناها ـ النجف ١٩٧٤) .

(٤) تاريخ يبدأ من الهجرة وينتهي عام ١٢٢٦ ﻫ ، وقد أفاض ب الموصل . وتوجد منه نسخة في المتحف البريطاني بلندن وأخرى ب

(٥) توجد منه نسخة في خزانة السيد ناظم العمري في الموصل في خزانة المحامي عباس العزاوي ببغداد (العراق بين إحتلالين ٣ /

و « غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر » (١) نماذج للتقيد البالغ بترتيب الحوادث على السنين ، في حين نجده يلتزم في كتبه التاريخية الاخرى بالترجمة للأشخاص مرتباً إياهم بحسب حروف الهجاء ، فمن كتبه التي من هذا النوع ، كتاب « عنوان الاعيان في ذكر ملوك الزمان » (٢) الذي ترجم فيه ملوك الاسلام ، وقبائلهم ، ومدة ملكهم ، وتراجم العلماء وأهل الفضل من الشعراء والامراء ، ومثله كتابه « الروض الزاهر في تواريخ الملوك الاوائل والاواخر » (٣) فقد ذكر فيه ملوك الامصار ورتبه على حروف الهجاء ، وذكر فيه القضاة وشيوخ الاسلام والامراء .

ثم أنه اتبع طريقة أخرى في ترتيب تراجمه ، تختلف – بعض الاختلاف – عن اسلوبه الهجائي ، فكتب كتاباً أسماه خلاصة التواريخ ترجم فيه طائفة من ذوي الاسماء المضافة إلى أسماء الجلالة (٤) . وآخر عنونه « غاية البيان في مناقب سليمان » بحث فيه عن مناقب النبي سليمان ، ثم أتى على

(١) أهداه للوزير سعد الله باشا الجليلي ، وقد طبعه محمد صديق بك الجليلي في الموصل عام ١٩٤٠ .

(٢) توجد منه نسخة في خزانة ناظم العمري في الموصل ، وصفها الأستاذ سعيد الديوهجي في منية الأدباء / المقدمة ص ١٩ .

(٣) لم نقف على وجود نسخة منه ، وقد أشار إليه في مقدمة كتابه « منهج الثقات » ص ٢ (مخطوط) .

(٤) توجد منه نسخة في برلين أشار إليها *Ahlwardt* في فهارسه *PP . 9 , 366 - 367* . وهي برقم *9900* (مهذب الروضة الفيحاء المقدمة ص ٢٢) .

ترجمة من اسمه سليم وتواريخهم (١) ، ومثل هذا ، كتاباه الآ:
العين في تراجم الحسن والحسين » الذي أهداه الى حسن باشا ا
و « السيف المهند فيمن اسمه احمد » وقد أهداه إلى أحمد باشا ا

ثم أنه حاول الخروج عن هذا النهج ، بالترجمة لاعلام
من الزمن ، فكتب « الدر المنتثر في تراجم فضلاء القرن الثا
ذاكراً فيه « العلماء المعاصرين والشعراء المتقنين » (٤) ، وجمع تر
في كتاب أسماه « منهج الثقات في تراجم القضاة » ، وقد أها
عبيد الله بن خليل البصيرى قاضي الموصل (٥) ، وترجم لش
الصالحات والطالحات ، في كتاب ضخم أسماه « الروضة الفيحا
النساء » (٦) .

(١) توجد منه نسخة في برلين برقم 9901 (نفس المصد

(٢) وقد قال في مقدمته « ذكرت فيه من يستحق
فالأول الأول على حسب مايقع في السنين » وجعل له خاتمة
إسمه « علي » نسخة منه في خزانة الدكتور صديق الجليلي في المو

(٣) توجد نسخة منه في خزانة ناظم العمري في الموصل ،
سعيد الديوه جي « إطلعت على هذه النسخة فوجدت فيها نقصاً ، ،
أثم فرفع بعض التراجم الموصلية من جليليين وغيرهم . . الخ »

(٤) منية الأدباء / المقدمة ص ١٦ .

(٥) منهج الثقات / المقدمة (مخطوط) .

(٦) نشر ببغداد عام ١٩٦٦ بتحقيق السيد رجاء السامرائي
منه القصص الماجن والشعر البذيء وسماه « مهذب الروضة الفي
النساء » .

وحاول ياسين العمري أن يحذو حذو أخيه في التأليف بين طريقة التدوين بحسب السنين وفن التراجم ، فكتب تاريخاً عاماً لمدينة بغداد عنونه : « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » مهدياً اياه إلى يحيي بك (باشا) الجليلي . والظاهر أنه أراد أن يكون موسوعة مصغرة لكل ما له علاقة بهذه المدينة في تاريخها القديم والحديث ، فقد نقل من كتب شتى أخبار عن عمارتها ومحالها وأنهارها وسائر معالمها ، كما ترجم لعلمائها وخلفائها ووزرائها السابقين ، ثم استعرض ولاتها في العهد العثماني ، وألحقه بفصل عن الحوادث الغريبة التي مرت بها ، مرتباً إياها على حسب التسلسل الزمني ، ثم ختم الكتاب بفصل طويل عن تراجم من زار بغداد من الموصليين مسهباً في حديثه عن الزوار الجليليين بنحو خاص (١) .

ويبدو أن ما لقيه كتابه هذا من رواج وقبول ، دفعه إلى إلتزام نفس خطته في تأليف كتاب آخر على غراره ، « ولما كانت فطرة الرجل معجونة بحب الوطن » (٢) — على حد تعبيره — فقد شرع في تأليف كتاب مستقل عن تاريخ مدينة الموصل ذاتها ، أسماه « منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء » (٣) فجاء كتابه هذا شبيهاً — إلى حد ما — بتاريخ أخيه أمين العمري ، المسمى « منهل الاولياء » إلا أنه زاد عليه ملحقاً هاماً في أسماء قرى الموصل وأعمالها استخرج بعضها من معجم البلدان لياقوت ، واستمد من معلوماته الشخصية البعض الآخر .

---

(١) نشرته دار البصري عام ١٩٦٨ .

(٢) منية الأدباء ص ٢٩ .

(٣) ... الا...اذ سعيد الديوه جي في الموصل عام ١٩٥٥ م .

على أن حركة التدوين هذه لم تقتصر على المؤرخين المحترفين بل تعدتهم إلى غيرهم من الادباء أيضاً . فقد شهد هذا العهد ظه متميز من التأليف يجمع بين الادب والتاريخ على حد سواء ، وهو كتب التراجم الادبية التي حفظت لنا أخبار كثير من الادباء و والكتاب بأسلوب أدبي تغلب عليه المحسنات البديعية . ويأتي الشيخ محمد بن مصطفى الغلامي (ت ١٧٧٢ م / ١١٨٦ هـ) على رأس المؤلفين في هذا النوع ، فقد سجل في كتابه الذي أسماه « شمامة العن تراجم خمسين أديباً وشاعراً من مشاهير الموصل وبغداد وحلب ع عصره وأهدى الكتاب إلى الغازي أمين باشا بن الحاج حسين با وكتب عصام الدين عثمان العمري (ت ١٧٧٢ م / ١١٨٦ هـ) ك – من حيث موضوعه – أسماه « الروض النضر في تراجم فضلاء ال كما كتب كتاباً آخراً عنونــه « نشأة الصبا في أحاديث الادباء وترجم فيه للادباء والعلماء والمشايخ المعاصرين له في الموصل ،

---

(١) توجد منه نسخة في خزانة مصطفى العمري ، وثانية في الله العمري ، وثالثة في خزانة شريف جلبي ، وكل هذه الخزائن ف وتوجد نسخة ببغداد محفوظة في مكتبة المتحف العراقي .

(٢) منه نسخة فى مكتبة برلين برقم (٧٤٣٠) وأخرى البريطاني برقم (١١١٠) وتوجد في بغداد نسختان جيدتان في مك برقم ٩٢٨ و ٥٨٩٤ وأخرى في خزانة المرحوم عباس العزاوي وأخر السيد حسن الصدر بالكاظمية ، كما توجد نسخة منه فى خزانة ن بالموصل وقد حققه الدكتور سليم النعيمي ونشره المجمع الع (بغداد ١٩٧٤) .

(٣) توجد منه نسخة في خزانة ناظم العمري في الموصل .

نماذج مختلفة من أعمالهم الادبية (١) . وألف أمين العمري كتاباً دل اسمه على محتواه ، هو « مراتـــع الاحداق في تراجم من رق شعره وراق » (٢) وترجم الاديب عبـــد الباقي أفندي العمري للشعراء الذين مدحوا الوزير يحي باشا الجليلي ، وأورد نماذج من قصائدهم في كتاب أسماه « نزهة الدنيا في مدح الوزير يحي » (٣) .

وشارك الشعراء – أيضاً – في هذه الحركة . فقد نظم كثير منهم قصائد وأراجيز طويلة في وصف بعض الحوادث الهامة في عهدهم . وفي خزائن الكتب الموصلية عدد كبير من تلك القصائد والأراجيز ، لعل من أهمها ما سجل حوادث حصار نادر شاه للموصل عام ١٧٤٣ ، مثل أرجوزتي السيد خليل البصيري (٤) ، وأرجوزة حسن عبـــد الباقي (٥) ، وأرجوزة السيد عبد الله الفخري (٦) ، وأرجوزة يونس الموصلي (٧) وأرجوزة السيد

(١) منهل الأولياء / المقدمة ج ١ ص ١٧ .

(٢) كتاب مفقود ، أشار إليه مؤلفه في منهل الأولياء ج ١ ص ٣٠٤ و ٢٥٧ وألمع إليه عثمان بك الجليلي في كتابه الحجة ص ٩٢ ، ونقل عنه علي أميري في تذكرة شعراء آمد .

(٣) توجد منه نسخة في المتحف العراقي ببغداد . وأخرى في مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل .

(٤) وقد نشر الأستاذ سعيد الديوه جي إحدى هاتين الارجوزتين في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١٣ عام ١٩٦٥ .

(٥) عصام العمري : الروض النضر . الورقة ١٤٤ ـ ١٥٠ (مخطوط).

(٦) كوركيس عواد : ما طبع من تواريخ البلدان العراقية ص٢٥ ـ ٢٦ .

(٧) عواد : المرجع السابق ص ٢٦ .

فتح الله القادري الموصلي (١) كما نظمت أراجيز أخرى في غير ذا الأحداث الجسام .

وكان من السمات البارزة في التأليف الأدبي في هذا العهد إهتما والمتأدبين من الحكام وغيرهم بوضع مجموعات تشتمل على مختار الشعر والأدب القديم والمعاصر وما زال عدد كبير منها موجوداً في العامة والخاصة.

على أن إهتمام الموصليين – في هذا العهد – لم يقتصر على ال العلوم الأدبية التي تقدم ذكرها ، بل تعداها إلى علوم طبيعية بح الطب والفلك والرياضيات .

ففي الطب ، كانت مؤلفات الاغريق المعربة ، وكتب إبن داود وغيرهما من الأطباء والكحالين (٢) العرب ، ما زالت تعد الأساسي لكل معرفة طبية . وكان أول إتصال بالتقـــدم العلمي أوربا ، قد جرى عن طريق مؤلفات صالح بن نصر الله الحلبي رئي في الدولة العثمانية (ت ١٦٧٠ م / ١٠٨١ ﻫ) ، وكان هذا قد أدرك أ الطبية عند الأوربيين ، وإقتبس من مؤلفاتهم (٣) .

---

(١) نشرها الاستاذ سعيد الديوه‌جي في ملاحق منية الاد ٢٧١ ثم أعاد نشرها مستقلة بعنوان « ملحمة الموصل » بغداد ٩٦٥

(٢) الكحال : هو طبيب العيون في الاصلاح العربي القدي

(٣) توجد مؤلفات هذا الطبيب في أغلب خزائن الكتب ومن تلك المؤلفات « برء الساعة » و «غاية الاتقان في تدبير بدن الا

بيد أن موارد علمية محدودة كهذه ، لم تكن غـــذا كافياً لحركـــة ثقافية نامية كالتي شهدتها الموصل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . لذا فقد إتجه بعض المثقفين الموصليين إلى الترجمة عن المؤلفات الأوربيـــة مباشرة ، فترجم محمد الجلبي (١) (جد آل الجلبي المشتهرين بالطب) المتوفى عام ١٨٤٦ م / ١٢٦٣ هـ كتباً قيمة من اللغة اللاتينية ، منها « الطب الجديد الكيماوي » لبراكلسوس و« صناعة الطب الكيمائي » تأليف فروليوس (٢) واستفاد من تلك الكتب في إثراء معلوماته المستمدة من تجاربه الشخصيـــة ، وكتب الطب التقليدية . وتدل سلسلة المؤلفات الطبية التي قام بتأليفها هذا الطبيب الموصلي ، على مدى إطلاعه ، وعمق ثقافته العلمية . فمن تآليفه الكثيرة ، شرحه أرجوزة إبن سينا في الطب ، وكتابه الكبير الذي أسماه « الطب المختار » (٣) وأراد له - على حد قوله - « أن لا يشذ منـــه

(بالعربية) » و « غاية البيان » وهو ترجمته بالتركية (إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ج ١ ص ٤٢٣ وداود الجلبي مخطوطات الموصل ص ٢٧٠) .

(١) إسمه الاصلي القس عبد الاحد بن القس حنا بن عبد الاحد الصباغ من بيوتات السريان . ولد على ما يظن سنة ١٧٧٦ م / ١١٩٠ هـ وأسلم سنة ١٨١٥ م / ١٢٣١ هـ . وقيل أنه ألف قبل إسلامه عدة كتب دينية مسيحية بالسريانية ، وله أيضاً أشعار وقصائد سريانية ثم أنة قرأ بعد إسلامه العلوم الاسلامية على كبار علماء الموصل حتى أتقنها وألف فيها أنظر : (سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

(٢) توجد منهما من نسخة في خزانة أحد أحفاده المرحوم داود الجلبى في الموصل .

(٣) توجد منه نسخة في مكتبة الدكتور داود الجلبى في الموصل .

مرض ولا سبب ، وأن أذكر من العلامات مابين المرض أو السبب علامة ، وان أورد فيه من المعالجات ما جربته فكان غاية . . » وا أهمية كتابه هذا أنه شرح فيه كيفيـــة أخذ لقاح الجدري ، وإسة وأعراضه في الموصل ، بعد أن كان جنر قد أذاع إكتشافه لهذا اا عام ١٧٩٨ (١) ، ولم يلبث أن أعقبه بكتاب طبي آخر أسماه « الطب المختار » ويقع في مقدمة وثمانية وعشرين بابا بعدد حروف ويتميز بكثرة مصادره ومآخذه (٢) . ثم ألف كتاب « أقرا باذير المختار » (٣) ، ورسالة في النبض (٤) ، واستنسخ عدداً من الكتب الط

(١) مخطوطات الموصل ص ٢٠٧ .

(٢) قال في أوله « وقد وقع جمع كتابي هذا من الكتب والمقبولة مثل [المجلد] الثاني من القانون لابي علي ([ابن سينا) و ومالايسع الطبيب جهله ، وهو المعروف بجامع البغدادي ، والتذكر الانطاكي وبحر الجواهر لمحمد بن يوسف الطيب الهروي ، وكتاب ترجمة بطرس اندراوس اللبناني من اللغة الافرنجية إلى العربية و مفردات مقدسي يوسف ، واستعنت على بعضها باللغة القاموسية و بكتاب اللغة السريانية ، وهو المعروف بكتاب الهكسيقون البهلولي . نقلت من الكتاب المعروف بالطب الجديد ، وهو الطب الكيمياوي علمية ، وهي متداولة الآن . . ونقلت . . غالب الأسماء الفارسيا المؤمنين والأسماء التركية من غاية البيان ومفردات مقدسي يوسف أسماء ترجمها حكيم باشي سلطان محمود . . . » والكتاب ضخم ج في ٤٧٠ ورقة .

(٣) توجد منه نسخة بخط مؤلفه في مكتبة الدكتور داود الجلبي

(٤) توجد منه نسخة في مكتبة الدكتور داود الجلبي في المو

وكان ممن تخصص في هذا العلم ، واشتهر فيه ، الحاج محمد العبدلي (ت ١٧٥٠ / ١١٦٤ هـ) المعروف بكثرة رحلاته وأسفاره . فقد « قرأ الطب والتشريح على المهرة والحذاق ، ففاق جميع أقرانـه ، . . وغلب عليه دون غيره من العلوم » (١) وارتفعت مكانته الاجتماعية حتى غـدا طبيب الطبقة العليا في الموصل ، وقصده المرضى من كل ناحيـة . يقول أمين العمري « وعامة أطباء بلدنا ونواحيها أخذوا عنه الطب ، بواسطـة وبدونها » (٢) . واشتهر من تلامذته ، نعمان أفندي بن عثمان العمري (٣) الذي عرف بتأليفه لكتاب « الرياض النعمانية في فوائد الطب من الحكمة الطبيعية » (٤) ، ومحمد أمين بك حفيد ياسين المفتي(٥) مؤلف الكتاب الموسوم « الشفاء العاجل والدواء الكافل » (٦) وصاحب « اليد الطولى بالطب ومعالجات الأمراض وتركيب الأدوية » (٧) ، وعليه تتلمذ أمين العمري

---

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٦٧ والدر المكنون ص ٦٠٠ (مخطوط) .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٦٨ .

(٣) ذكر ياسين العمري أنه ولد عام ١١٥٩ وبقي حياً إلى مابعد عام ١٢٠٠ ولم يذكر تاريخ وفاته (غاية المرام ص ٣٤٨) .

(٤) توجد منه نسخة في مدرسة النبي شيت في الموصل تاريخها ١١٦٥هـ.

(٥) كان حياً إلى ما بعد عام ١٨٠٥ م / ١٢٢٠ هـ (غاية المرام ٣٦٣ والعلم السامي ٢٩٤) .

(٦) غاية المرام ص ٣٦١ . ومن الكتاب نسخة نفيسة في مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل .

(٧) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٤٧ .

في علمي الطب والتشريح (١) ، وبرع إبنه عبد الله بك بن أمين با
نفس علمه ، وعرف بتركيب الأدوية والحبوب والترياقات والمعاجين

وشاعت الرغبة في دراسة الطب لدى الأوساط المثقفة في هذا
بشكل أثار إنتباه بعض الرحالين الأجانب (٣) وكان لوجود الا
الدومنيكانية في الموصل دور خاص في تقديم الخدمات الطبية لسكان
وللأسرة الجليلية ذاتها (٤) . وأصبحت الموصل مركزاً متقدماً لدرا
العلم وممارسته ، حتى أنه كثيراً ماطلب الولاة المجاورون خدمات
الموصليين ، دون سواهم . فعندما مرض أحد أقرباء أمير العمادية
باشا عام ١٧٥٣ م / ١١٦٧ هـ أرسل أمين باشا والي الموصل الأب الد
توريانى لمعالجته (٥) . وفي عام ١٧٥٤ م / ١١٦٨ هـ إستدعى الحاج
باشا الجليلي ، وكان يومذاك والياً على قارص ، الأب المذكور من
لمعالجته من مرض ألم به (٦) وجعله طبيبه الخاص ، وأحد أفرادها حاش
وفي عـام ١٧٦٦ م / ١١٨٠ هـ أرسل أمين باشـا الأب توريانـ

(١) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) غاية المرام ص ٣٦٣ .
(٣) رحلة أبي طالب خان ص ٣٥٩ .
(٤) فييه ، جون : الأباء الدومنيكانيون وخدماتهم الطبية في
(بحث مطبوع على الآلة الكاتبة في خزانة سعيد الديوه جي) ص ١ ـ
(٥) نفس البحث ص ١ .
(٦) نفس البحث ص ٢ .
(٧) *E . A Voyage from England to Iandia ;*
22 .

قره جولان لمعالجة أخي أميرها أحمد خان (١) وليس أدل على التقدم الذي حصل في علم الطب وفن التمريض آنذاك أن قائد الجيش العثماني أرسل بعد معركة سنة ١٧٢٣ م / ١١٤٦ عدة ألوف من الجرحى إلى الموصل للمعالجة فأهتم الحاج حسين باشا الجليلي بهم وعين الأطباء والجراحين باشراف الحاج محمد العبدلي رئيس أطباء الموصل في ذلك العهد وعندما مرض والي بغداد علي باشا عام ١٨٠٥ م / ١٢٢٠ هـ إستدعى من الموصل طبيبها الشهير محمد العبدلي ليعالجه . والظاهر أنه أصاب شفاءاً على يديه ، فانه « خلع عليه خلعة القبول والرضى » (٢) .

وإستلفتت الظواهر الفلكية والطبيعية إنتباه بعض المثقفين ، فكتب محمد العبدلي كتاباً في الأسطرلاب ، أسماه « تذكرة أولي الألباب في إستيفاء العمل بالاسطرلاب » (٣) ثم كتب رسالته في « الثلج والجمد والبرد » ليفسر فيها – بعبارة علمية واضحة – أسباب سقوط المطر ، وكيفية حدوث التبخر وعوامل سقوط البرد والثلج ، وعلاقة ذلك بالضباب . . . (٤) وألف الأديب عبد الله الفخري (ت ١٧٨٤ م / ١١٨٨ هـ) مجموعة من الكتب في علم الفلك منها كتابه « تسريح الادراك في شرح تشريح الأفلاك

(١) مذكرات لانزا ص ١٤ (مخطوط ، ترجمة الدكتور داود الجلبي)

(٢) غاية المرام ص ٣٦٢ .

(٣) توجد منه نسخة بخط المؤلف في مدرسة الحجيات في الموصل (مخطوطات الموصل ص ١٠٤) . كما يوجد أسطرلاب قديم فى المدرسة ذاتها . ويوجد أسطرلابان آخران في جامع الباشا في الموصل

(٤) توجد منها نسخة بخط مؤلفها في مدرسة النبى شيت في الموصل (مخطوطات الموصل ص ٢١٣) .

للعاملي » (١) وكتابه « سوانح القريحة في شرح الصفيحة (في الاسطرلا
للعاملي أيضاً (٢) ، ورسالته في كيفية العمل بالصفيحة (٣) إضافة
حاشيته على شرح الجغميني في الهيئة (٤) . ونقل محمد الجلبي المو
كتاب « الروض العــاطر في تلخيص زيج (٥) إبن الشاطر » (٦)
خط طول دمشق إلى خط طول الموصل ، وأعاد تنظيمه على السنين الشمس
بعد أن كان بحسب السنين القمرية (٧) ، كما كتب صالح بن المعمار

(١) توجد منه نسخة في خزانة الاوقاف ببغداد ، وثانية في خزا
السهروردي ، وأخرى في خزانة المحامي عباس العزاوي (تاريخ علم ا
في العراق ص ٢٦١) وأخرى في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي ببغ

(٢) توجد منه نسخه في خزانة الأوقاف كتبت سنة ١٢٤٠ ونسخه أ
غير مؤرخة (العزاوي : نفس المرجع والصفحة).

(٣) توجد منه نسخة في خزانة الأوقاف ببغداد (العزاوي :
المرجع ص ٢٦٢).

(٤) العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق ص ٢٦١ .

(٥) الزيج : قال ناشرو كشف الظنون (ج ٢ ص ٩٦٤) مانصه
النظام النيسابوري : الزيج معرب زه ، وهي مسطرة البنائين التي يقا
القانون باليونانية . شرح شمسية حساب . وقيل خيط البناء وقال الاص
لاأدرى أعربي هو أم معرب . إنتهى ، وفكما أنه يقوم البناء به ، كذلك
يقوم به الكواكب ويعد لها » .

(٦) هو من كتب الازياج المشهورة ، وضعه ابن الشاطر الا
الدمشقي الفلكي المتوفي سنة ٧٧٧ هـ ، ولخصه محمد بن علي الجيزي ا
المعروف بابن زريق الموقت (المتوفى ٩٧٧ هـ) . كشف الظنون ج ٢ ص

(٧) توجد منه نسخة في مكتبة الدكتور داود الجلبي في الموصل

« رسالة في المواقيت » وهو مجموعة كبيرة من الجداول الفلكية (١) ، وكتب الأديب صالح السعدي الموصلي حاشية أخرى على شرح الجغميني في الهيئة (٢) .

وفي علم الحساب ، ألف أمين العمري رسالة أسماها « ذريعة الطلاب إلى معرفة الحساب » (٣) . كما ألف رسالة أخرى في نفس الموضوع(٤) .

فلا عجب إذن أن إشتهرت الموصل بكثرة علماء الفلك والرياضيات فيها ، ولذا فقد قصدها عبد الله السويدي ، العالم البغدادي الشهير (٥) يوم شرع في دراسة هذه العلوم ، ولم يكن قد وجد ببغداد بغيته . وقد جاء في كتاب رحلته « سافرت إلى الموصل سنة ١١٢٧هـ (١٧١٥ م) لتحصيل علم الحكمة والهيئة ، فبقيت في الموصل ١٣ شهراً حتى أكملت جميع الفنون وأشار الى العلوم التي درسها هناك بقوله « وأخذت علم الهيئة ، ورسائل الاسطرلاب وربع المجيب ، وذات الكرسي عن البحر الجامع ، والغيث

---

(١) توجد منه نسخة في خزانة الاوقاف ببغداد أشار إليها عبد الله الجبوري في (المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف) وهي برقم ٣٢٤ / ١٢٢٣٠ وتقع في ١٤٩ ورقة .

(٢) العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق ص ٢٦٦ .

(٣) و (٤) منهل الاولياء / المقدمة ج ١ ص ٣١ .

(٥) جد الاسرة البغدادية السويدية التي إشتهرت بالتأليف والعلوم ولد عام ١٦٩٢ م / ١١٠٤ هـ وعرف بتأليفاته العديدة في شتى العلوم ، كما عرف [illegible] أثناء مؤتمر النجف عام ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ .

الهامع ، سيدي سليم الموصلي (١) ، وأخذت الحساب عن أخينـــا
حسين ، قرأت عليه شرح الزمزمية ، وعن الشيخ سلطان (٢) قرأ
وعلى غيره خلاصة الحساب للبهائي ، وأخذت الهندسة عن العصريين

وقد أدى تنوع المعرفة في هذا العهد ، وإزدياد عــدد الـ
لفروعها إلى ظهور بعض المحاولات الرامية إلى جمع شتات كل تلك
وتركيزها في كتب شاملة على هيئة موسوعات . وخير مثال على هـ
من التأليف ، كتاب « مطالع العلوم ومواقع النجوم » (٤) الذي
أمين العمري عام ١٧٧٥ م / ١١٨٩هـ ، وجمع فيه ـ على حد قوله ـ
التي يكثر إستعمالها ودورها في أمصارنا وبلادنا من الفنون العقلية وال
وقد بدأ فيه بعلوم الأدب العربي ، ثم بعلوم الحكمة ، فعلوم الدين

(١) هو الشيخ سليم الواعظ ، كانت له اليد الطولى في الحساب
والاسطرلاب وذا حظوة لدى الوزير حسين باشا الجليلي ، وتوفي
١٧٤٧ م / ١١٦٠ هـ .

(٢) هو الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري الخابوري ، درس
فكان من مشاهير علمائها ، وله تآليف متعددة ، وتوفي عام ١٧٢٥ م

(٣) عباس العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق ص ٢٦٠
السويدي المسماة (النفحة المسكية في الرحلة المكية) .

(٤) توجد منه نسخة في مدرسة النبي شيت في الموصل .
خزانة الدكتور محمود الجليلي في الموصل أيضاً ، وتوجد نسخة
الثاني في خزانة جامع السيد سلطان علي ببغداد (عماد عبد السلا
الآثار الخطية في جامع السيد سلطان علي ببغداد مجلة المكتبة الب
(عام ١٩٦٧) ص ٢٢) .

المحاضرات . وسار أمين العمري على نفس منهجه ، فكتب كتابه « الدر المنثور لحل قلائد النحور » (١) في ثلاثة مجلدات ، خصص الأول للبحث في علوم النحو والصرف والخط والعروض والقوافي ، وأفرد الثاني للبحث في علوم الوضع والمعاني والبيان والمناظرة ، وبحث في الثالث علوم الحكمة، والعقائد والتفسير والحديث » (٢) . وألف محمد بن مصطفى الغلامي (المتوفى سنة ١٧٧٢ م / ١١٨٦ هـ) كتاباً أسماه (خلاصة المعارف وإشارة العارف) أهداه إلى الوزير محمد أمين باشا الجليلي ، وجمع فيه مباحث شتى في علوم عصره المختلفة وبيان حدودها وإختصاصاتها ، ورتبه على أبواب وفصول (٣) .

وتكشف لنا المدونات التاريخية المحلية لهذه الفترة عن مدى متابعة المثقف الموصلي لما يجري في العالم من أحداث ، من ذلك أننا نجد مؤرخاً محلياً مثل ياسين العمري يسجل في حولياته أخباراً دقيقة نسبياً عن إندلاع الثورة الفرنسية (٤) ، وعن غزو الفرنسيين لمصر ، وإستعدادات العثمانيين

---

(١) توجد نسخة منه بخط مؤلفه في مدرسة الرضواني في الموصل . وتوجد نسخة أخرى في خزانة السيد أحمد بن حسين أغا في الموصل أيضاً .

(٢) منهل الأولياء / المقدمة ج ١ ص ٢٩ ـ ٣٠ :

(٣) توجد نسخة المؤلف الأصلية ، وهي المهداة إلى الوزير الجليلي ، في خزانة كتب دار التربية الاسلامية ببغداد ، وهي نسخة نفيسة بخط المؤلف عليها تقاريض مهمة (عماد عبد السلام رؤوف : الآثار الخطية في دار التربية الاسلامية ببغداد ـ مخطوط) .

(٤) غرائب الأثر ص ٣٢ .

لطردهم منها (١) ، كما يسجل وقائع حروب الوهابيين في الجزيرة العر
وأخبار علي بك الكبير ، والحروب الروسية العثمانية (٣) ، بل أ
أخباراً في غاية الدقة والتفصيل خاصة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعيـ
فكانت تلك المدونات مرآة صادقة تعكس ما وصلت إليه الثقافة
الجليليين من تقدم ملحوظ .

الموسيقى والغناء :

ونشطت في هذا العهد حركة تذوق الموسيقى ، حتى أعتبر
بها من المستلزمات الضرورية للرجل المثقف (٥) وكان لموقع المو
ملتقى الطرق التجارية أثره في إضفاء طابع خاص على الغناء الم
فقد كانت الألحان الشامية تأتيها عن طريق حلب ، والألحان ا
عن طريق بغداد ، فيتفاعل الجميع مع الألحان الموصليـــة ، لتخا
مدرسة موسيقية ذات طابع محلي متميز .

ويبدو أن بداية هذه الحركة الموسيقية كانت دينية بحتة ، ا
أعلامها كانوا من أصحاب الطرق الصوفية . ومن هنا فقد أجازه

---

(١) غرائب الأثر ص ٤٨ و ٥٢ و ٥٦ .

(٢) غرائب الأثر ص ٤٢ و ٥٧ .

(٤) زبدة الآثار الجلية ص ٣٦ (مخطوط) .

(٥) غرائب الاثر ص ٣٦ و ٣٤ و ٤٠ .

(٦) محمد صديق الجليلي : التراث الموسيقى في الموصل (مج
الشعبى البغدادية ج ٨ (عام ١٩٦٤) ص ٩٠٨) .

الموصلي ثم إحتضنها ورعاها وكثر ناظمو الموشحات الدينية (١) من شعراء وأدباء وغيرهم ، نخص بالذكر منهم الشيخ قاسم الرامي (ت ١٧٧٢ م / ١١٨٦ هـ) الذي وصف بأنه كان « عارفاً بالموسيقى ، خبيراً بالايقاع والنغمات والنقرات ، لا يشذ عنــه شيء منهــا » (٢) . والشيخ الأديب سعدي بن محمد أمين بن سعد الدين شيخ القراء الموصلي ، وكان « حسن الصوت » عارفاً بالموسيقى ، جيد الغناء (٣) وعلى يــده إنتقل كثير من التواشيح والتنزيلات الموصلية إلى بغداد ، التي أقام فيها مدة طويلة أثناء ولايتي سليمان باشا الكبير وداود باشا (٤) .

وبلغ من شغف الموصليين بفنون الموسيقى ، أنهم لم يروا حرجاً من التأليف فيها ، باعتبارها علماً من العلوم ، فترجم الشيخ أحمـــد الرفاعي المسلم بن عبد الرحمن الموصلي (ت ١٧٦١ م / ١١٧٥ هـ) رسالــة صفي الدين البلخي في الموسيقى المسماة « بيان المقامات العلية مع الفروع والأوزان

---

(١) وتسمى في الموصل بالتنزيلات ، وهي من إصطلاحات الصوفية ، وفي الموصل الشيء الكثير من هذه التنزيلات ومعظمها قديم ، منها ماهو من ألحان القرن الماضي ، ومنها مايعود للقرنين ١٧ و ١٨ م ، ومنها مايحتمل أن يكون أقدم من ذلك بكثير . وقد ضاعت معظم تلك الاغاني ونسيت إلا أن ألحانها بقيت محفوظة في هذه التنزيلات الكثيرة والتي لاتزال تنشد إلى الآن (التراث الموسيقي في الموصل ص ٩٠٨) .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ٣٠٤ .

(٣) غاية المرام ص ٣٨٣ .

(٤) محمد صديق الجليلي : التراث الموسيقي في الموصل ص ٩٠٩-٩١١ .

الأصلية » (١) ، وكتب صالح السعدي تعليقات على كتاب الأغاني
في الموسيقى (٢) .

وأدى توسع هذه الحركة الثقافية إلى إشراك فئات أخرى من ال
فزادت مساهمة الطبقة التجارية في الموصل في مضمار الثقافة العامة
بعض رجالها باجادة أنواع متعددة من العلوم (٣) . وقد أشا
ميرزا أبو طالب خان (الـذي زار الموصل عـام ١٧٩٩ م / ٣
بالمستوى الثقافي الرفيع الذي كان لموظفي الولاية وأعيان سكانها
كتاب رحلته » كان هؤلاء ناساً مثقفين ، خاصة ، وذوي أخلاق
وتفكير واسع ، ومنذ مغادرتي باريس لم الاق رجالا ذوي أذه
مثلهم » ويقارن بين ثقافتهم وثقافة الموظفين الذين رآهم في العاص
مقرراً بأنه لو كان لوزراء السلطان عشر براعتهم فقط ، لما واج
العثمانية ما تواجه من مصائب (٤) .

(١) أصل رسالة البلخي بالفارسية ، وقد سمى المترجم المو
المعربة بـ « الدر النقي في علم الموسيقى » . أنظر البغدادي : هد
ج ١ ص ١٧١ وتوجد منه نسخ عديدة في خزائن بغداد والموص
الشيخ جلال الحنفي (بغداد ١٩٦٤) بمناسبة المؤتمر الموسيقي بـ
(٢) عباس العزاوي : مشاهير الخطاطين في العراق في ع
(مجلة سومر ج ٥ سنة ١٩٤٩ ص ٨٥ ـ ٩١) .
(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٧٣ و ٣٠٨ .
(٤) رحلة أبي طالب خان ص ٣٥٩ .

الحركة السلفية ونتائجها :

وقد أدى إزدياد وعي الأوساط المثقفة في الموصل لواقعهـا ، إلى ظهور المحاولات الإصلاحيه القوية . فمنذ منتصف القرن الثامن عشر تقريباً ، أخذت الحياة الفكرية في الموصل تهتز إثر قيام حركة سلفية نشيطة أتخذت من مقاومة نفوذ المشايخ وتقديس مراقد الأولياء هدفاً رئيساً تسعى نحو تحقيقه ، فكانت تلك أول حركة سلفية شهدتها البلاد الاسلامية في العصر الحديث .

وكان أبرز رجال الدعوة الجديدة ، الداعين إلى نبذ الخرافات والبـدع الملا أحمد بن الكوله (١) ، وهو فقيه زاهد ، عارف بالتصوف ، له « أتباع وطلبة ومريدون » وتكية يجتمع فيها عنده الناس لاستماع دروسه ومواعظه (٢) . وفي العقد الثالث من القرن الثامن عشر جهر ابن الكولة بدعوته لأول مرة حين بحث في نبوة جرجيس (وهو من ذوي المقامات المقصودة في الموصل) وألح إلى انكارها ، بسبب وجود تسع علل فيها (٣) فأثار بذلك موجة من الإحتجاج ضده ، سرعان ما انتقلت إلى المدن المجاورة

---

(١) الكوله : كلمة تركية تعني (المملوك) ويذكر أمين العمري أنه إشتهر بهذا الاسم لان أباه أوجده كان عتيقاً لبعض أهل الموصل (منهل الاولياء ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) ياسين العمري : السيف المهند فيمن إسمه أحـمد ص ٢٢ (مخطوط) ومنهل الأولياء ١ / ٢٨٤ .

(٣) الفلامي : شمامة العنبر ص ١٧٣ (مخطوط) .

فانبرى علي بن مصطفى الدباغ الحلبي يرد عليه في كتاب أسماه « الأنام بأخبار سيدنا جرجيس عليه السلام » (١) ، ثم بعث بكتابه إلى مرفقاً بقصيدة طويلة عدد فيها معجزات جرجيس وأهميته (٢) .

ووصلت أزمة ابن الكولة إلى ذروتها في الموصل ، عندما تأ المشايخ وأصحاب الطرق ، وشكوه إلى والي الموصل ، وكان يومئذا حسين باشا الجليلي ، فأرسل اليه « يأمره بالتوبة من هذا الانكار وتختلف الروايات في حقيقة موقف ابن الكولة بعد ذلك ، ففي خ ياسين العمري أنه « تاب وأناب » (٤) ، نجد أن أخاه أمين يا أصر على موقفه (٥) . وعلى أية حال ، فليس ثمة دليل على أن ها قد خمدت وأن الولاة الجليليين اتخذوا أية خطوة جدية ضدها رغ كانت تجري تحت سمعهم وأبصارهم ، فاستمر ابن الكولة في المقامات والمشاهد ، ومن يتخذهـا وسيلة للكسب ، إلى أن ١٧٥٩ م / ١١٧٣ هـ (٦) .

---

(١) توجد منه نسخة في مكتبة الدكتور داود الجلبي في المو مؤلفها الذي فرغ من كتابتها عام ١١٤٥ هـ .

(٢) أثبتها الفلامي في شمامة العنبر ص ١٧٥ (مخطوط) .

(٣) ياسين العمري : السيف المهند فيمن إسمه أحمد ص ٢

(٤) السيف المهند ص ٢٣ .

(٥) منهل الأولياء ج ١ ص ٢٨٥ وفي الدر المكنون ص ٥ أن إبن الكوله « أطاع ظاهراً وأنكر خفية ، وشاع عنه ذلك فر إنكاره » .

(٦) إبن الخياط : ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء / المقا

ويبدو أن هذه الحركة الفكرية الجديدة لم تعـدم مناصرين وأتباعاً ومؤيدين فما لبثت أن حمل رايتها بعد ابن الكولة ، ابنه الشيخ محمد . وكان هذا على ما وصفه معاصريه : مفرط الذكاء ، حافظاً ، متقناً ، لم يفته فن من الفنون النقلية والعقلية ، اضافة إلى اتقانه عـلم الفلك (١) . واستمر في دعوة أبيه ، وتوسع فيها حتى غدا « شديد الانكار على جميع الأولياء » (٢) وجاهر في نقده لشيوخ الصوفية الأقدمين ، مثل الشيخ محي الدين بن عربي ، والشيخ عبد القادر الكيلاني ، فتألب الناس ضده ، وسافر إلى بغداد ليشترك في مؤامرة ضد واليها (٣) . ولما فشلت المؤامرة غادرها إلى ديار بكر حيث تقلد القضاء فيها ، ثم تقلد القضاء في الموصل، وصار له مؤيدون وأتباع (٤) .

وبذلك فقد انقسم المثقفون الموصليون إلى فريقين ، فريق محافظ لازال متأثراً بالطرق الصوفية ، وبروح العصر التقليدية ، وفريق سلفي ثائر يدعو إلى نبذ تقديس الأولياء ويجاهر في مقاومته للطرق الصوفية ، بالحط من

---

(١) منهل الأولياء ج ١ ص٢٨٥ وياسين العمري : الدر المنتثر في تراجم فضلاء القرن الثالث عشر . الورقة ١٥٣ (مخطوط) .

(٢) غرائب الأثر ص ٣٥ .

(٣) غاية المرام ص ٣٨٤ ومنهج الثقاة في تراجم القضاة ص ٢٨٥ (مخطوط) .

(٤) منهج الثقات ص ٢٨٦ (مخطوط) . ويذكر ياسين العمري في (الدر المنتثر الورقة ١٥٤) أن إبن الكوله هذا سافر إلى إسـلامبول حيث تقرب هناك عند أرباب الدولة وقام بمهمة خاصة في المغرب بتكليف من السلطان عبد الحميد الأول .

مكانة مؤسسيها وزعمائها . وجمع كل فريق ما استطاع من الحجج للدفاع عن مبادئه ، وألف المحافظون كتباً هامة في الرد على الدعوة الجديدة ، فكان ذلك من بواعث حركة التأليف عند الكتاب . وشاعت الرغبة في البحث في تراجم الأولياء ، بعد أن كانت مكانتهم أمراً مسلماً لا يحتاج إلى بحث وتنقيب ، فكانت هذه الرغبة هي السبب الحقيقي وراء ترجمة كتاب « تذكرة اولياء بغداد » إلى العربية ، وإلى دفع أمين العمري إلى تأليف كتابه « منهل الأولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء » ، ليفرد فيه فصلاً خاصاً في « بيان كرامات الأولياء ، والرد على من أنكرها من الجهلاء » (١) . وقد أفرد أخوه فصلاً طويلاً في كتابه « منية الادباء » للبحث في تراجم هؤلاء الاولياء (٢) .

على أن الدعوة ما فتئت تكسب إلى صفوفها أنصاراً جدداً ، ومال بعض المحافظين إلى الأخذ بوجهة نظرها بغية اصلاح الوضع المتردي للطرق الصوفية القائمة آنذاك ، فكتب أمين العمري كتاباً آخراً أسماه « الكشف والبيان عن مشايخ هذا الزمان » (٣) حاول فيه التمييز بين الكرامات الحقيقية والكرامات المزعومة ، فشرح حقيقة التصوف وتعريفه ، وأفاض في وصف بدع مشايخ زمانه وكراماتهم الكاذبة ، ثم ختم كتابه بفصل في « اثبات كرامات الأولين السابقين والمشايخ الصالحين » (٤) .

(١) منهل الأولياء ج ١ ص ٤٨ و ج ٢ ص ٢٢٩ ـ ٢٥٦ .

(٢) منية الأدباء ص ٨٩ ـ ١٢٦ .

(٣) توجد منه نسخة بخط المؤلف في خزانة سلمان أفندي بن عبد الحافظ العمري في الموصل .

(٤) منهل الأولياء / المقدمة ج ١ ص ٣٠ .

وكتب الحاج عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي مقالات وتعليقات كثيرة على الذين سخروا الطرق الصوفية لمصالحهم الدنيوية ، وألف رسالة رد فيها على الشيخ خالد النقشبندي ، مجدد الطريقة النقشبندية في العراق (١) أسماها « دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب » (٢) . وحمل على

---

(١) هو خالد بن أحمد بن حسين ، ضياء الدين ، النقشبندي . ولد في شهرزور وهاجر إلى بغداد في صباه ، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا والي بغداد ، وتوفي في دمشق بالطاعون عام ١٨٢٧ م / ١٢٤٢ هـ . وقد حاول خالد النقشبندي بث روح جديدة في الطرق الصوفية الموجودة في عهده ، بعد أن غلبت الصفة الدنيوية على هذه الطرق ، وذلك بالرجوع إلى التربية الروحية للصوفية الأوائل . وبهذا فانه حاول إصلاح تلك الطرق وجعلها متمشية مع الحياة ، بدل أن يحاول هدمها والدعوة ضدها . وقد لقيت دعوته هذه إنتشاراً واسعاً في العراق وبلاد الأكراد ووجدت لها أنصاراً في الشام ومصر ، ولكنها لم تلق ترحيباً في الموصل بسبب قوة النزعة السلفية فيها على مايظهر :

(٢) توجد منه نسخة بخط مؤلفه في خزانة يعقوب سركيس المحفوظة في المتحف العراقي ببغداد ومما تجدر إليه الاشارة أن عثمان بك الجليلي هو أول عراقي تنبه إلى أعمال الحركة الماسونية ومذاك في نخر كيان الدولة العثمانية وإفقادها ممتلكاتها الأوربية ، مثل مدينة خوتن (في بسارابيا) وبندر (على نهر الدنيستر) ودشت والقريم (على البحر الاسود) (أنظر ص ١١٦ من هذا الكتاب) ، حيث قال في كتابه المسمى « دين الله الغالب » (الورقة ٣) ما نصه: « إنه كان قد ظهر في بلاد الروم (يريد الترك) دين جديد من بلاد الافرنج يسمى الفرمسوني ، وتبعه جمع كثير من المسلمين من عزيز ودوني . . وفائدته إن الذي يدين بهذا الدين لا يطرقه الفقر ، وإنه إذا رأى بعضهم بعضاً عرفه إنه منهم وذلك من السحر الذي تستعمله الفجرة والكفار ، فمقت الله جميع =

طائفة الدراويش وأصحاب التكايا بجد ونشاط وكان مما قال بهذا الص

إذا قلت يوماً آمنوا بمحمدٍ فقل أنزل الله الكتاب لمن
ولا تقتفوا آثار قوم أضلهم شياطينهم فالدين سهل لمن
يقولون نخشى أن نصاب بجاهنا وأرزاقنا ، فاترك ملامتنا و
فقلت اليكم ، أنني لست مرسلاً فمن شاء فليؤمن ومن شاء ف

واشتدت هذه الحركة ، وتفاوت الناس في درجة اعتدالهم إزاء ما أثارته من تيارات فكرية متعددة . وقد لاحظ المـلا عبد الجليل القادري أن هناك ثلاثة أقسام من منكري مشايخ فقسم متطرف « ينكرون على مشايخ الصوفية ، ومن ينتمي منهم الظن بهم ، ويطعنون فيهم ، وينكرون كراماتهم » وقسم أق يكذبون كرامات أوليـــاء زمانهم ويصدقون كرامات السابقين

=من تبعه وأهلكهم وأباد منهم الكبار والصغار، حتى إنه إستولى على بلاد المسلمين . فملكوا البندر والخوتين ودشت التتار والقر سلطنة القريم [الاسلامية] » ثم يشير إلى أن ضعفاً أصاب الحر في عصر السلطان مصطفى الثالث ١٧٥٧ ـ ١٧٧٣ م ، وفي عهد ا الحميد الاول ١٧٧٣ ـ ١٧٨٨ م . وعلى هامش المخطوطـــة إلى أن للماسونيين دوراً في إثارة المتاعب في وجه الدولة العثماني الامر بالولايات العربية أيضاً . ومن الجدير بالذكر ان عثمان الج تأليفه كتابه هـذا في ٢٧ شعبان سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م .

(١) منهل الاولياء / المقدمة ص ١٤ .

الثالث « يصدقون بان لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكنهم لا يصدقون بواحد معين من أهل زمانهم » (١) .

وبينما كانت الأزمة في بدء احتدامها ، كان محمد بن عبد الوهاب، (الذي أسس المذهب الوهابي فيما بعد) قد حل بالموصل للدراسة في مدارسها ومساجدها ، وهو لما يزل - يومذاك - شاباً يافعاً يسعى لطلب العلم فتتلمذ على يد الشيخ أحمد الجميلي الموصلي (٢) (ت ١٧٥٦م/١١٧٠هـ) وكان هذا من ذوي « الحظ الأوفر عند الملوك والقبول التام » (٣) ، فأتيح للطالب الشاب أن يعاصر أزمة نبوة جرجيس التي أثارها أحمد بن الكولة ، وأن يعيش وسط تلك المعركة الفكرية التي شهدتها الموصل في ذلك العهد (٤) . ولا ريب في أنه كان لهذا الظرف أثره الكبير والفعال

---

(١) يوسف القادري : الانتصار للأولياء الاخيار ص ٧٠ (مخطوط) .

(٢) غرائب الاثر ص ٣٤ .

(٣) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٧٢ والسيف المهند ص ٣٢ (مخطوط) .

(٤) على الرغم من أهمية الدور الذي لعبته الموصل في حياة محمد بن عبد الوهاب وفي تكوين شخصيته وإنضاج مبادئه ، فان المصادر التي ترجمت له وأرخت لحركته ، لا تشير إلى انه تتلمذ فيها ويؤكد أمين سعيد أن خطة محمد بن عبد الوهاب كانت تقضي بزيارة العراق والشام إلا أنه لم يزر سوى البصرة ، ثم عاد إلى نجد لقلة مالديه من مال (هذا هو كتاب سيرة الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠) . وتذكر المصادر التاريخية أن عودة إبن عبد الوهاب إلى نجد كانت عام ١٧٢٧ م / ١١٣٩ هـ وهذا يعني أنه دخل الموصل وعمره لم يتجاوز الاربعة والعشرين عاماً حيث أنه قد ولد عام ١٧٠٣ م / ١١١٥ هـ ويذكر حسين خلف الشيخ خزعل أن محمد بن = عبد الوهاب رحل إلى العراق سنة ١٧٢٤ م / ١١٣٦ هـ فكان ببغداد

في نفس محمد بن عبد الوهاب للتشابه التام بين آرائه التي دعا ا
بعد ، وبين مبادىء سلفيي الموصل الداعية إلى نبذ زيارة القبور
القباب وتكبير العمائم وتوسيع الثياب للعلماء ووضع الستور والعمائم
على الأضرحة والاستعانة بجاه أصحابها والتمسك - بدل ذلك -
والسنة فقط .

المدارس الاسلامية والمكتبات :

وكانت المدارس الدينية تمثل سمة بارزة من سمات هذا العه
شهدت الموصل منذ الربع الأول من القرن الثامن عشر ، اهتماماً خاه
المدارس ، وتزويدها بما تحتاج اليه من الكتب والمال . وكان م
المنشآت الثقافية ، خلال هذه الفترة ، مدرسة الحاج محمود بن
المشيدة عام ١٧٠٨ م / ١١٢٠ ه (١) ، ومدرسة محمد أغا السعر
سنة ١٧١٥ م / ١١٢٧ ه (٢) ، ومدرسة ياسين أفندي المفتي المو

= سنة ١١٣٩ ه ، حيث درس فيها على يد الشيخ عبدالكريم الكرد
صبغة الله الحيدري وتعرف بالشيخ عبد الرحمن السويدي من أش
بغداد ، ثم إنه تزوج وبقي في بغداد زهاء ثلاث سنوات ، توجه بعدها
العراق فجابها بلداً بلداً وقضى في هذه الجولة سنة كاملة. وبعدها ساح في
وإيران ، وذهب إلى حلب والشام والقدس ومصر ثم الحجاز فنجد ، ح
بلاده في أوائل عام ١٧٣٨م/١١٥٢ه (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص

(١) سيوفي ، نيقولا: مجموع الكتابات المحررة على أبنية الموصل
وسعيد الديوه جي : مدارس الموصل (مجلة سومر ج ١٨ (عام ٩٦٢
(٢) سيوفي : المصدر نفسه ص ٩٩ والديوه جي : البحث نف

سنة ١٧٢٢ م / ١١٣٥ هـ (١) .

بيد أن هيمنة القوى المحلية على أمور الولاية الداخلية ، وتولي آل الجليلي مقاليد الحكم ، وما أدى اليه ذلك من مشاركة مثقفي الموصل وأبناء الأسر العريقة في شؤون الادارة ، قد زاد ـ بطبيعة الحال ـ من الإسراع بإنشاء المدارس والمؤسسات الثقافية الأخرى ، مثل دور القرآن والحديث باعتبارها وسيلة لتخريج طبقة مثقفة واعية تستطيع النهوض بأعباء المناصب الحكومية والشرعية في الولاية .

وقد اهتم الجليليون ـ فعلاً ـ بهذه الناحية بشكل خاص ، فأولوها عنايتهم ورعايتهم ، حتى زاد عدد المدارس التي شيدتها الأسرة الجليلية وحدها على مجموع عدد المدارس التي أنشأها محبو العلم في الموصل طيلة فترة حكمهم . وكان اهتمام الجليليين بهذا المرفق الحضاري سابقاً لتوليهم السلطة ذاتها . ففي عام ١٧٠٢ م / ١١١٤ هـ شيد خليل أغا بن عبد الجليل مدرسة في فناء جامع الأغوات ، وكان قد تعاون هو واخوته ابراهيم أغا واسماعيل أغا (باشا) على انشائه في العام نفسه (٢) . وفي عام ١٧١٦ م ١١٢٩ هـ بنى اسماعيل أغا (باشا) بن عبد الجليل مدرسة في فناء جامع النبي جرجيس لتدريس القراءات والعلوم القرآنية (٣) .

ثم سرعان ما نشطت هذه الحركة أكثر إثر استقرار السلطة السياسية

---

(١) داود الجلبي : مخطوطات الموصل ص ٨٧ والـديوه جي : البحث السابق ص ٧٩ .

(٢) وقفية جامع الاغوات . (الملحق رقم ٤) .

(٣) جوامع الموصل ص ١٢٥ ومخطوطات الموصل ص ٢٠٣ .

بيد الجليليين ففي عام ١٧٥٥ م / ١١٦٩ ﻫ شهدت الموصل ان
دور العلم الكبيرة فيها ، عندما بنى الغازي محمد أمين باشا الجليلي
من أبيه حسين باشا - مدرسة في جامع الباشا الذي شيده (١)
بالمدرسة الأمينية نسبة اليه . وفي عام ١٧٧٨ م / ١١٩٢ ﻫ هد
سليمان باشا الجليلي وجدد عمارتها وأوقف عليها ٤٠٠ مجلد « وشر
من الكتب شيء خارج الجامع » (٢) .

وفي سنة ١٧٦٦ م / ١١٨٠ ﻫ أنشأت رابعة خاتون بنت
الجليلي داراً لتدريس القرآن في جامعها الذي بنته ، فكان أول
فيها شيخ القراء في المدرسة . على أن دروسه لم تقتصر على العا
فحسب ، بل كانت تتناول أيضاً مختلف العلوم (٣) . وأنش
ابن سليمان باشا الجليلي (١٧٦٤ - ١٨٢٩ م / ١١٧٨ - ٤٥
الجامع نفسه مدرسة أخرى حلت محل الأولى ، سميت بالمدرسة
اليه ، وكان هو أول من درس فيها ، وأوقف عليها كتباً كث

---

(١) زبدة الآثار الجلية ص ١٧ (مخطوط) والدر المكنون
ومجموع الكتابات المحررة ص ١٢٨ و ١٣٢ - ١٣٥ وجوامع المو
ومخطوطات الموصل ص ٦٤ .

(٢) الدر المكنون (مخطوط) ومخطوطات الموصل ص ٤٧ .

(٣) سيوفي : مجموع الكتابات ص ٨٣ والديوه جي : مد
(مجلة سومر ج ١٨ عام ١٩٦٢ ص ٨٤) .

(٤) مخطوطات الموصل ص ١٦٨ والديوه جي : البحث ا
والحجة على من زاد على ابن حجة / مقدمة الناشر ص ١٠ :

وفي عام ١٧٧٩ م / ١١٩٣ هـ اشترك سليمان باشا الجليلي وأخوه محمد باشا وأخته حمراء خاتون ، وأمهم حليمة خاتون ، في بناء جامع كبير عند مرقد أحد الأولياء ، وألحقوا به مدرسة لتدريس العلوم المختلفة ، وداراً لتدريس القرآن الكريم ، وأخرى لتدريس الحديث النبوي (١) .

ولم يمض على انشاء هذه المنشآت الثقافية سوى أشهر قلائل ، حتى قامت فتحية خاتون وعائشة خاتون ، من نساء الجليليين ، بتشييد جامع « العراقدة » وبنتا فيه مدرسة ، كما أوقفتا عليها بعض الكتب (٢) .

وفي عام ١٧٩٦ – ١٧٩٧ م / ١٢١١ – ١٢١٢ هـ قام محمود باشا ابن محمد باشا الجليلي – بمشاركة أمه زوجة الوزير محمد باشا – ببناء مدرسة في جامع المحمودين وأوقف عليها الكتب (٣) ، وفي نفس الوقت ، كان نعمان باشا بن سليمان باشا الجليلي قد شرع ببناء جامع كبير لم ينته منه إلا في العام التالي (١٧٩٨ م / ١٢١٣ هـ) ، وبنى فيه مدرسة لتدريس العلوم العقلية والنقلية ، وأوقف عليها خزانة كتب (٤) .

---

(١) مجموع الكتابات ص ١٠ ـ ١٧ ووجوامع الموصل ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

(٢) مجموع الكتابات ص ١١٧ ومخطوطات الموصل ص ٨٥ والديوه‌جي : مدارس الموصل (مجلة سومر ج ١٨ عام ١٩٦٢ ص ٨٨) :

(٣) مجموع الكتابات ص٨٩ومخطوطات الموصل ص٩١ـ٩٢ والديوه‌جي : البحث السابق ص ٩٠ وجوامع الموصل ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ .

(٤) مجموع الكتابات ص ٢٢ ومخطوطات الموصل ص ٢٢٢ وجوامع الموصل ص ٢٢٦ .

ويلاحظ أن انشاء بعض هذه المدارس والجوامع كان قبل تولي الحكم ، كما هو واضح من وقفياتها .

وشيدت فردوس خاتون وزوجها حسن باشا بن الحاج حـ الجليلي عام ١٨١٦ م / ١٢٣٢ هـ مدرسة عرفت بالحسنية ، وأوقف باشا عليها مكتبة تحوي مخطوطات متنوعة تبحث في مختلف العلوم و وجلب لها أول الكتب المطبوعة في الاستانة سنة ١١٣٩ هـ ، ولم تز موجودة بها (١) . وأنشأ أحمد باشا الجليلي عام ١٨١٥ م / ١٢٣١ كبرى ألحقها بجامع النبي شيت الذي عمره ووسعه حتى غـــدا ـ قول ياسين العمري ـ « ليس مثله جامع في الموصل » (٢) ؛ على المدرسة مكتبة تحوي مخطوطات مختلفة في علوم ومعارف ش العام التالي أنشأ محمود آغا وأختـــه فتحية خاتون مدرسة لتدريـ عرفت بالمدرسية المحمودية (٣) .

وشهد عام ١٨٢٥ م / ١٢٤١ هـ بناء أربع مؤسسات ثقافيـ شاء القدر أن تكون آخر ما بناه الجليليون في مدينتهم ، حتى انتها وأهم تلك المنشآت ، المدرسة التي بناها يحيى باشا الجليلي ودار ألحقها بها ، وتضم زهاء أربعمائة مجلد من نفائس الكتب الخطية

(١) وقفية المدرسة الحسنية (الملحق رقم ١٠) .
(٢) منية الأدباء ص ٩١ .
(٣) جوامع الموصل ص ٢١٧ ومخطوطات الموصل ص ٢٠٥ .
(٤) مجموع الكتابات ص ٣٩ والديوه جي · مدارس الموص ج ١٠ ص ٩٢)

ما تزال تؤدي مهمتها حتى اليوم على أكمل وجه . وأما المنشأة الثانية ، فهي مدرسة الحجيات ، التي قامت على بنائها الحاجة عادلة والحاجة فتحية بنتا عبد الفتاح باشا الجليلي ، وتضم ما يزيد على الثلاثمائة مخطوط (١) . وكان آخر تلك الأعمال الثقافية ، المدرسة التي أنشأها محمد أمين باشا بن محمد باشا الجليلي في الجامع الذي شيدته أخته مريم خاتون ، وأمه هيبة الله خاتون وأوقف عليها مكتبة (٢) .

وساهمت أسر موصلية أخرى في حركة تشييد المدارس ووقف الكتب ففي عام ١٧٨٦ م / ١٢٠١ هـ أنشأ الحاج زكريا التاجر مدرسة ، وأوقف عليها مائتي مجلد من الكتب (٣) . وفي نفس العام قام أحمد أفندي بن بكر ابن علوان كاتب العربية ببناء مدرسته وألحق بها مكتبة حافلة ، فانتهى منها عام ١٧٨٧ م / ١٢٠٢ هـ (٤) . وفي عام ١٧٩٧ م / ١٢١٢ هـ فرغ بكر أفندي بن يونس كاتب ديوان الانشاء من بنـــاء مدرسة لتدريس العلوم المختلفة (٥) ، هذا اضافة إلى مدارس أخرى غيرها بنيت في نفس الفترة مثل مدرسة جامع التوكندي ، ومدرسة جامع باب الطوب ، ومدرسة عثمان

---

(١) مجموع الكتابات ص ٢٣ ومخطوطات الموصل ص ٢٢٧ ـ ٢٤٧ .

(٢) الدر المنتثر في تراجم فضلاء القرن الثالث عشر . الورقـــة ٣١ (مخطوط) ومجموع الكتابات ص ٤٠ ومخطوطات الموصل ص ٩٨ ـ ١٢٠ .

(٣) ياسين العمري : الدر المنتثر ،الورقة ٢٠١ (مخطوط) . ومخطوطات الموصل ص ٧٩ ـ ٨٢ .

(٤) الدر المكنون (مخطوط) .

(٥) الديوهجي : مدارس الموصل (مجلة سومر ج١٩ عام ١٩٦٣ ص٥٧) .

الخطيب ، ومدرسة ابن الحبّار ، ومدرسة الخزندار ، وغير ذا

ويمكن القول بأن من أهم ما امتاز به التعليم في الموصل في أنه عرف نظام المدارس المستقلة ، غير الملحقة بالمساجد ، بخلا بغداد مثلاً ، حيث كانت المدرسة قد غدت أحد توابع المس ومن المدارس المستقلة التي انشئت بالموصل ، والتي سبقت الا المدرسة الحسنية ومدرسة يحي باشا الجليلي ، ومدرسة زكريا التا فهذه المدارس لم تكن ملحقة بأية مؤسسة دينية بل كان لها أوقاف الخاصة بها .

وتكشف لنا وقفيات هذه الفترة عن مدى اهتمام الجليليين العلم والتعليم في مدارسهم فكان من المعتاد أن ينص الواقف الحجرات التي تحتويها مدرسته ، وعن مقدار ما خصص لكل ورواتب المدرسين والطلبة وسائر ما يتعلق بالتعليم من خدمة وقفية جامع النبي شيت مثلاً ، نجد أن أحمد باشا الجليلي با يشترط على متولي الوقف أن يصرف للمدرس راتباً مقنناً م (أي المتولي) نفسه ، كما يشترط عليه أيضاً أن يجهز للطلبة وافراً ، حددت كميته ونوعه بدقة فائقة ، بل بلغ به الحرص على المتولي أن يزود حجرات امام المسجد والطلبة ـ وتبلغ

---

(١) أنظر عن هذه المـــدارس بالتفصيل ، : نيقولا ـ الكتابات المحررة ، وداود الجلبي : مخطوطات الموصل ، والديو الموصل في العهد العثماني (وهو البحث الذي تكررت الاشار

حجرة - بكمية مقننة مناسبة من الشمع لتوفير سبل الدراسة ليلاً (١) وفي وقفية المدرسة الحسنية، نجد أن راتب المدرس يبلغ ستة أضعاف راتب المتولي نفسه، كما نجد أن هناك رواتب يومية تصرف لكثير من الموظفين الموكل اليهم العناية بأمر الطلبة ورعاية شؤونهم، مثل كليتدار الكتب خانه (خازن الكتب) و (الكتابجي) وواجبه «أن يمسح الكتب في كل ثلاثة أشهر من الغبار ويكنس الكتبخانة» وعدد كبير من الخدم والسقائين والكناسين والبوابين وغيرهم، فضلاً عن رواتب الطلبة أنفسهم (٢).

أما مناهج الدراسة في هذه المدارس فكانت تقوم على أساس ماعرف بالعلوم النقليـة والعقلية، وتشمل الأولى: علوم القراءات، والتفسير، والحديث وأصول الفقه، والعقائد، والكلام، واللغة، والنحو، والبيان في حين تشمل الأخرى: علوم المنطق والحكمة، وعلوماً شتى متنوعة مثل الهيئة (الفلك) والأزياج، والهندسة، والحساب، والطب والموسيقى (٣) وقد تدخل حسن باشا الجليلي لأول مرة، في ترتيب دروس هذا المنهج، فنص في وقفيته على أن: «يقريء المدرس كل يوم، أول دروسه في علم

---

(١) وقفية جامع النبي شيت، مؤرخة في ذي الحجـة ١٢٣١ هـ (الملحق رقم ٩).

(٢) وقفية المدرسة الحسنية مؤرخة في شعبان ١٢٣٢ هـ (الملحق رقم ١٠).

(٣) عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ص ٩٦ - ١٠٠.

الأخلاق (١) ثم بعده باقي العلوم » (٢) . هذا يدلنا على ما
الواقف بأن تبقى للمدرسة مهمتها الأخلاقية في تقويم المجتمع

النشاط الثقافي النصراني :

وجنباً إلى جنب مع هذه الثقافة الاسلامية ، كانت هناك
تجد لها من الكنائس والأديرة الكثيرة داخل الموصل وفي أ
مرتكز لنشاطها المتزايد . وكان المدرسون غالباً من الرهبان والقس
الذين كانوا على درجة جيدة من الثقافة ، بحكم دراستهم الطو
بأكثر من لغة (٣) .

وكان لجهود البعثات التبشيرية الفرنسية في نشر الكثلكة
أثرها في احداث مد ثقافي بين نصارى المنطقة ، كانت قاء
السوري ولبنان بوجه خاص ، ورأسه في الموصل وما يرتبط ب
ولاشك في أن هذا المد كان قوياً منظماً على مستوٍ رفيع
بدلالة ما أدى اليه من نتائج دينية – اجتماعية بعيدة المدى .
البعثات التبشيرية التي جاءت إلى الموصل عن طريق حلب ا

(١) « هو علم يبين فيه الأخلاق الفاضلة ، وموضوعه الملـ
والغرض منه التخلي عن الأخلاق الرذيلة ، والتحلي بالأخـ
(ساجقلي زاده محمد المرعشي المتوفي ١٧٣٨ م / ١١٥٠ هـ : تـ
الورقة ٤٣ - مخطوط) :

(٢) وقفية المدرسة الحسنية (الملحق رقم ١٠) .

(٣) الهلالي : تاريخ التعليم في العراق ص ١٩٣ .

تحويل معظم نصارى العراق إلى الإيمان بالكثلكة . ولم يكد ينتصف القرن التاسع عشر حتى كانت عملية حضارية معقدة قد حدثت ، فقد تم تحول معظم نصارى العراق إلى العقيدة الكاثوليكية وأعلن اتحادهم بكنيسة روما المركزية رسمياً (١) .

وكانت أهم تلك البعثات التبشيرية على الإطلاق ، جماعة الآباء الدومنيكان التي جاءت إلى الموصل عام ١٧٥٠ م / ١١٦٤ هـ . فقد استطاعت هذه الجماعة أن تجد لها في الموصل مستقراً ثابتاً ، يتمتع – في الغالب – بعطف الولاة وكبار موظفي الولاية بما كانوا يقدمونه من خدمات طبية (٢) . وكان أول عمل لهؤلاء المبشرين ، هو فتح مدرسة في المدينة لتدريس العلوم واللغة الفرنسية عرفت بمدرسة الآباء الدومنيكان (٣) ، فكان لهذه المؤسسة دور هام في تخريج طبقة مثقفة من رجال الدين النصارى أخذوا على عاتقهم نشر الكثلكة في أنحاء الجزيرة والعراق .

ولم يجد بعض النصارى الطموحين حرجاً من الدراسة في المدارس الاسلامية ، وخاصة أولئك الذين لم يجدوا في التعليم الكنسي ما ينشدونه من معرفة متنوعة . وقد ذكر أحد النصارى المعاصرين « أن النصارى في كل

---

(١) أنظر الفصل السابع (الحياة الاجتماعية) .

(٢) بطرس نصري الكلداني : ذخيرة الأذهان ج٢ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٨ وفييه : جون : الآباء الدومنيكانيون وخدماتهم الطبية في الموصل ص ١ ـ ٢ . (مخطوط) .

(٣) الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٣٢٣ والهلالي : تاريخ التعليم في العراق ص ١٩٩ .

الشرق ما كان لهم مدرسة بالعربي لتعليم ذلك اللسان » (١) ، أن دراسته لعلوم المنطق و « الايساغوجي » (٢) كانت في المسلمين (٣) .

الرحلة في طلب العلم :

على أن المثقفين الموصيليين لم يكتفوا بما كانت توفره لهم في مدينتهم من المعرفة ، فجال كثير منهم في البلاد طلباً للعل أنواع أخرى من الثقافة . وكانت حلب وبغداد في مقدمة المد تردد الموصليين اليها لهذا الغرض ، وانطلق بعضهم إلى أبعد فزار الحاج محمد سعيد الجوادي دمشق حيث لقي ترحيباً من وسافر الشيخ محمد بن أحمد العمري إلى الشام وطرابلس و: وبغداد واليمن والأحساء (٥) . وقام الشيخ عبد الرحيم الفائز طويلة الأمد ، أخذ فيها عن علماء عصره في حلب وبغداد وا والقدس ، ثم رحل إلى القاهرة حيث أقام فيها أربع سنين زا الأثرية ، ودرس على يد شيخ الأزهر آنذاك محمد السنباوي

(١) السمعاني : كتاب كافة الآباء الجثالقة (مخطوط) .

(٢) الايساغوجي : لفظ يوناني معناه الكليات الخمس ، و علم المنطق ويعد كتاب أثير الدين الأبهري (ت ٧٠٠ هـ كتاباً في هذا الموضوع .

(٣) كتاب كافة الآباء الجثالقة (مخطوط) .

(٤) عبد الباقي العمري : نزهة الدنيا ص ٥٤ (مخطو

(٥) منهل الأولياء ج ١ ص ٣١١ .

بمحمد الأمير (١) حتى حصل منه على اجازة عامة في جميع العلوم ، كما درس على غيره من العلماء المصريين . وعند عودته إلى الموصل مرَّ بعكا فعينه واليها أحمد باشا الجزار مدرساً في جامعها ، وصار يتنقل بين عكا وبيروت (٢) . وجال الشيخ عطاء الله الموصلي في البلاد النائية حتى « حكي أنه وصل في سياحته إلى جزيرة واق » (٣) .

ومن ناحية أخرى ، كان لدراسة بعض الموصليين النصارى في مدارس البعثات التبشيرية الكاثوليكية ، دوراً هاماً في اقامة نوع من الارتباط الثقافي بين الموصل وبعض البلدان الأوروبية الكاثوليكية ففي منتصف القرن السابع عشر كان القس الياس الموصلي قد قام بمغامرته الكبرى ، فزار روما ومرسيليا وأسبانيا والبرتغال ، ومنها أبحر إلى العالم الجديد ، حيث زار بيرو وبوليفيا والأرجنتين وشيلي وبنما والمكسيك ، ثم عاد إلى أشبيلية فروما (٤) حيث دوّن رحلته (٥) ، فكان هذا القس الموصلي أول رحالة شرقي يزور القارة الامريكية في العصر الحديث (٦) .

---

(١) ولد عام ١٧٤١ م / ١١٥٤ ﻫ وتوفي عام ١٨١٦ م / ١٢٣٢ ﻫ ، ووصفه الجبرتي بأنه « شيخ شيوخ أهل العلم . . المتفنن في العلوم كلها . إليه إنتهت الرياسة فى العلوم بالديار المصرية » (عجائب الآثار ج ٤ ص ٢٨٤ حوادث ١٢٣٢) .

(٢) نزهة الدنيا ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ (مخطوط) .

(٣) المرادي : سلك الدرر ج ٣ ص ٣٦٣ .

(٤) كرتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج٢ص٧٠٢ـ٧٠٣ .

(٥) نشر هذه الرحلة الأب أنطون رباط في مجلة المشرق اللبنانية (أعداد سنة ١٩٠٥) .

(٦) يعقوب سركيس : مباحث عراقية ج ١ ص ٣٣١ ـ ٣٤٤ .

ولقيت هذه الرحلة رواجاً في نفوس مثقفي ذلك العهد
كثير من الموصليين على السفر إلى الأقطار الأوروبية طلباً للعلم
وكان من أشهر هؤلاء ، القس خضر الكلداني الموصل . فقد
عام ١٧٢٤ م / ١١٣٧ هـ متوجهاً إلى روما ، ماراً بنصيبين فماردين
وفي روما عكف على تسجيل رحلته هذه (١) ، كما ألف - اذ
مجموعة من الكتب الهامة ، منها معجم كلداني تركي أسماه « معـ
وبلغ عدد كلماته نحو ١٣٤٠ كلمة ، ومعجم كلداني عربي ،
من الكتب الأخرى (٢) .

ولاشك أن هذه الرحلات قد ساعدت على توسيع المدار
العقول ، بما أدت اليه من تبادل للمعلومات ونقل للأخبار
وقد أبدى القنصل الفرنسي في الموصل عام ١٨٥٤ م دهشته عـ
أهل هذه المدينة يعرفون عن نابليون أكثر مما توقعه بكثير (٣
سعة اطلاع المثقف الموصلي آنذاك .

---

(١) تاريخ الادب الجغرافي العربي ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣
(٢) ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣١٥ وبابو إسحق : تاريخ
ص ١٤٦ .
(٣) دى فوصيل : الحياة في العراق منذ قرن ص ١٢٥ ء
للقناصل الفرنسيين .

الفصل الخامس

الحالـــة العمرانية

كان سقوط الموصل بأيدي المغول في القرن الثالث عشر بداية التدهور العمراني المستمر الذى حل بالمدينة ، ونهاية الحركة العمرانية الهائلـــة التي شهدتها الموصل طيلة العصر الاتابكي فيها (١) . وفي القرون التالية أخذت المدينة تنكمش تدريجياً إلى داخل أسوارها القديمـــة ، فهجرت الضواحي المحيطة بها من شمالها وجنوبها ، واندثرت المعالم الحضارية خارجها كالمساجد والأديرة والأسواق والبيمارستانات ، وتضافرت النكبات الطبيعية والبشرية على تدهور المدينة وانحطاطها ، فتخرب كثير من الأحيـــاء داخل المدينة ذاتها ، ثم سرعان ما عفى عليها الزمن فتساوت مع الأرض . وفي العصر العثماني كان نصف البلدة تقريباً قد أصبح خرائب خالية من السكان (٢)، على الرغم من احتفاظها « ببعض المباني الفخمة والشوارع الحسنة » (٣) .

(١) أشاد الجغرافيون العرب بعظم الموصل الاتابكية وإتساعها ، فقال ياقوت « المدينة المشهورة إحدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة ،فهي محط الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان . .الخ» (ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٥) .

(٢) مذكرات دومنيكو لانزا ص ١٢ .

(٣) رحلة تافرينيه ص ٥٨ (حاشية) .

وأدى ازدياد أهمية الموصل الاستراتيجية بعد الفتح العثماني
قاعدة هامة للدفاع عن العراق ضد الفرس ، إلى اهتمام العثمانيين با
أسوارها وتقوية حصونها . فقام بكر باشا وهو أول وال موصلي
الدولة العثمانية اولاية الموصل ، بتحصين المدينـــة ، فرمم سوره
داخلها عند ضفة النهر ، قلعة صغيرة عرفت بالقلعة الداخلية (
وفصلها عن المدينة بقناة تحيط بها من الغرب والجنوب وتأخذ
نهر دجلة (١) .

وفي الوقت الذي زاد الاهتمام فيه باصلاح وضع الموصل
لم تشهد المدينة أي محاولة عمرانية جادة لإصلاح مرافقها العامة
المدنية حتى أنه لم يشر إلى الموصل في مصادر النصف الأول مر
السابع عشر إلا باعتبارها « قلعة » لا أكثر (٢) ، ووصفها بعض
في نفس القرن بأنها تبدو للمرء من خارجها فخمة بأسوارها
بينما هي في داخلها تكاد تكون برمتها خربة ، فليس فيها سو
معقودتين وقلعة صغيرة مطلة على دجلة يقيم فيها الباشا ، وخان
وهي لا تحتوي – عموماً – على ما يستحق المشاهدة والالتفات

ومع بداية القرن الثامن عشر شهدت الموصل بداية حركـ
محدودة ، شملت تشييد بعض المؤسسات الدينية والثقافية وبعض

(١) سعيد الديوه جي : قلعة الموصل (مجلة سومر ج ٧
ص ١٠٧) .
(٢) أوليا جلبي سياحتنامه سي ج ٤ ص ٥١٣ .
(٣) رحلة تافرنييه ص ٥٨ .

العامة ، فجرت أول محاولة – بإيعاز الوالي ومساهمة سراة البلدة - لبناء قناطر جسر المدينة العائم (١) ، وعمرت بعض المساجد القديمة ، وأنشأ بعضُ السراة عدة منشآت دينية وثقافية جديدة (٢) وبلغت هذه الحركة العمرانية ذروتها عند استلام الجليليين السلطة فشيدوا عدداً ضخماً من المساجد الكبيرة والمدارس والاسواق والقصور وعمروا الأسوار والقلاع ، وساهم كثير من أصحاب النفوذ والوجهاء في هذه الحركة ، فكثرت المؤسسات الدينية والثقافية خلال هذا العهد بسرعة كبيرة .

الأسوار والحصون :

وكانت الموصل قد استقرت خلال عهد آل الجليلي بين أسوارها القديمة في الجانب الغربي من نهر دجلة ، وكانت هذه الأسوار مبنية على أنقاض الأسوار الأتابكية المخربة ، وهي تحيط بالبلدة من كل جهاتها ، ويبلغ طولها زهاء العشرة كيلو مترات ، وارتفاعها عشرة أمتار بثخن يبلغ ثلاثة أمتار . وكان يحيط بالسور من جميع جهاته خندق واسع يبلغ عمقه سبعة أمتار ويستمد ماءه من دجلة عند اقتضاء الحال . ويحمي الموصل ، كسائر المدن العراقية الواقعة على ضفاف الأنهار ، سور عال تتخلله عدة أبواب ، ويزيد من مناعة هذا السور وجود قلعتين فيه ، الأولى في أعلى المدينة تطل على دجلة ، وتعرف « بباش طابية » ، وهي من مخلفات العصر الأتابكي ، والاخرى القلعة الداخلية التي سبق ذكرها . وكان قد أهمل

(١) سعيد الديوه جي : جسر الموصل ص ١٠ .

(٢) الديوه جي : مدارس الموصل في العهد العثماني ، مجلة سومر ، ج١٨ عام ١٩٦٢ ص ٧٢ .

شأنها منذ أيام الوالي بكر باشا فتهدمت معظم مبانيها ، واتخذت أ
مساكن ، وصارت مستودعاً للذخيرة والعتاد (١) .

وللبلدة عدد كبير من الأبواب ، يقع أعلاها عند مقبرة الولي
قضيب البان ، وهو من أقدم أبواب الموصل ، كان يعرف بباب
ثم عرف في عهد الجليليين باسم « باب الميدان » ، ويليه جنو
البيض ، وقد سمي بهذا الاسم لأنه كان يؤدي إلى سوق البيض ،
من الكتابات التي عليه أنه جدد سنة ١٦٣١ م / ١٠٤١ هـ (٢) . و
الباب ، في أقصى نقطة إمتداد للمدينة من ناحية الجنوب ، باب ا
وقد سمي بهذا الاسم لاتجاهه نحو بغداد ، ونسبت إليه محلة ا
البلدة ، ويخترق هذه المحلة طريق عريض نسبياً يتجه شمالا على نحـ
فيجتاز محلة قديمة تدعى شهر سوق (٣) ، ويقترب من وسط المدينـ
الجامع النوري) (٤) . وقريب من هذا الباب ، إلى اليمين قلـ
الباب الجديد ، وقد فتحه أبو الفضائل علي أفندي المفتي العمري

---

(١) وقد وصف هذه القلعة عام ١٧٨٨ الرحالة هوول lowel
إلى أن رداءة مواد بنائها جعلها غير قادرة لأن تكون حصناً قوياً . أنـ
, T . : *Voyage en Retour de Inde* , P . 54 .

(٢) سيوفي ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية مد
ص ٤١ .

(٣) وتعرف في الوقت الحاضر بـ « شارسوق » .

(٤) أنظر مخطط المدينة كما رسمه نيبور (اللوحة رقم ١) .

أعيان المدينة ، عام ١٧٢٥ م / ١١٣٨ هـ (١) ويلي هذا الباب ، حتى إلتقاء السور بضفة النهر ، عدة أبواب هي بالترتيب : باب لكش ، وباب السراي ، وقد فتحه الجليليون في أواخر القرن الثامن عشر ، وبـــاب الطوب وفي نقطة إلتقاء السور بشاطىء دجلة الغربي ، يقع باب الجسر ، وهو منسوب للجسر الوحيد الذي يربط البلدة بالجانب الشرقي من النهر ، ويليـــه من أعلى ، باب القلعة ، ثم باب شط المكاوي فباب الشط ، ويقع الأخير في شمال بقايا قصر بدر الدين لؤلؤ المعروفة بقره سراي .

ويمكن القول بأنه كان لحكم الولاة الجليليين ، أثر واضح على الحركة العمرانية في هذا العهد ، إذ من السهل علينا ، حتى وقتنـــا هـــذا ، أن نتلمس بصمات الحكم المذكور على العديد من النواحي العمرانية ، ولاشك بأن موقع الموصل الهام وإحتمالات الخطر الايراني المستمر ، وحملات نادر شاه في منتصف القرن الثامن عشر ، كانت من العوامل الرئيسية التي أدت إلى إهتمام الجليليين بتحصين المدينة وتقوية منشآتها العسكرية الدفاعية .

وكان أول من إهتم بهذه الناحية ، والي الموصل الوزير حسين باشا الجليلي ، إذ سعى في ترميم السور وإحكامه عدة مرات للدفاع عن مدينتـــه ضد حملة نادر شـــاه الشهيرة عـــام ١٧٤٣ . ويقول المؤرخ الموصلي أمين العمري « في سنة ١١٥٦ (١٧٤٣ م) جدد الوزير المرحوم حسين باشا السور القديم وحفر الخندق ، وأظهر همة علية في تعمير ما إنتابه منه ، وأمر

---

(١) الديوه جي : سور الموصل (مجلـــة سومر ج ٣ عام ١٩٤٧ ص ١٢٥ ـ ١٢٦) .

بتسوية التلع (١) والحفر التي كانت خارج السور والأبنية » (٢) . وبل
من إهتمام الوالي الجليلي أنه « هو وأولاده الكرام ، وبنو عمه الرفيع ، والوضي
بادروا إلى نقل التراب من الخندق ونقل الحجـارة لتعمير البـدن » أي
السـور (٣)

وبعد إنسحاب نادر شاه عن الموصل ، قام حسين باشا الجليلي بعد
أعمال عمرانية هامة في هذا المجال ، منها أنه جدد حصن باشطابية ورم
بعض الغرف التي فيه ، وأصلح « الزندان » وهو السجن الـذي تحت
الحصن ، واتخذ له فيه غرفة خاصة للاشراف على العمليات العسكريـة
وكان الفراغ من العمارة سنة ١٧٤٥ م / ١١٥٨ هـ (٤) وفي ذلك يقول ياسي
العمري في حوادث سنة ١٧٤٤ م / ١١٥٧ هـ : « وأرسل السلطان محمود إ
الموصل يأمر واليها الوزير حسين باشا بن إسماعيل باشا الجليلي بعمارة قل
الموصل فباشر في عمارتها وتحصينها وكمل عمارتها . . » (٥) . ومن أعما
أيضاً أنه شرع في بناء سور جديد للموصل « مكين البناء راسخ الجوانب
ثابت القواعد والأساس » (٦) إلا أن عزل الوالي السريع عام ١٧٤٦م / ١١٥٩

---

(١) التلعة : ماعلا من الأرض أو ماسفل منها وتجمع تلعات وتلاع وتل
(٢) منهل الأولياء ج ١ ص ٦٢ وياسين العمري : الدر المكنون
ص ٥٩٣ (مخطوط) .
(٣) منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٨ وزبدة الآثار الجلية ص ١٤ .
وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٢ .
(٤) سيوفى ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية الموصل ص ٤٤
(٥) زبدة الآثار الجلية ص ١٥ . والدر المكنون ص ٥٩٥ (مخطوط
(٦) زبدة الآثار الجلية ص ١٤ وينفرد بطرس نصري الكلداني بذكر

حال دون إتمامه أعماله العمرانية ، فلم يكمل من السور إلا نصفه تقريباً (١) . ولم نجر أية محاولة لاتمام ما بدئ به حتى رجوع حسين باشا نفسه إلى الحكم عام ١٧٥٧ م / ١١٧١ هـ ، فقام - بأمر من السلطان مصطفى الثالث (٢) - بعمارة السور وفتح باب جديد فيه عرف بباب الطوب (٣) ، ولم يتم العمل لقصر مدة ولاية هذا الوالي التي لم تتجاوز سنة واحدة ، فترك السور مهملا حتى أتمه عام ١٧٧٦ م / ١١٩٠ هـ الوالي سليمان باشا الجليلي ، بـــأمر من السلطان عبد الحميد الأول (٤) » فجاءت عمارته على نمط عمارة جـــده ، فبنى منه مقدار ثلاثمائة ذراع ، وبرجا واحداً ، وباباً لدار الحكم (سراي الولاية) محكم البناء ، إلا أن عزله حال أيضاً دون إتمام العمل (٥) .

وفي سنة ١٨٠١ م / ١٢١٦ هـ ، أيام ولاية محمد باشا الجليلي « ورد الأمر السلطاني إلى الموصل بعمارة سورها ، فأخذوا من أهل الموصل من تجار وأعيان وأصناف على حسب قدرتهم وعمر السور » (٦) كما عمرت

أن حسين باشا الجليلي عمر السور سنة ١٨٣٢ (١١٤٥ هـ) وكتب عليه البيت التالي : « لايسلم الشرف الرفيع من الأذى - حق يراق على جوانبه الدم » (تكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ١٧١ مخطوط) .

(١) منهل الأولياء ج ١ ص ٦٢ .

(٢) سيوفي : مجموع الكتابات المحررة على أبنية مدينة الموصل . وقد حكم مصطفى الثالث من سنة ١٧٥٧ إلى ١٧٧٣ (١١٧١ - ١١٨٧ هـ) .

(٣) أنظر الملحق رقم ٣ .

(٤) (١٧٧٣ - ١٧٨٩ م / ١١٨٧ - ١٢٠٣ هـ) .

(٥) منهل الأولياء ج ١ ص ٦٢ .

(٦) غرائب الأثر ص ٦٠ .

أبوابه المطلة على دجلة (١) ثم عمر باب لكش (في السور الجنوبي) م
السنة التالية (٢) .

وسرعان ما أهمل أمر السور وتحصيناته ، فامتلا الخندق بالأتربة ، وتهد السور ، حتى غدا - كما رأى بكنجهام - حاجزاً لا أهمية له أمام جيش مزود بالمدفعية (٣) ، فصار من الضروري إعادة تعميره تعميراً شامـــلا وقد نهض الوالي أحمد باشا الجليلي بذلك عـــام ١٨٢١ م / ١٢٣٧ ﻫ فعم الأسوار وجدد بعض أبوابها (٤) ، وأصلح قلعة باشطابية (٥) ، وجد القلعة الداخلية وعمرما كان قد إنهدم منها ، وأحكم سورها وجدد أبوابها وعمر الخندق الذي كان يفصلها عن المدينة وجدد مسجدها (٦) ، فكا هذا آخر ترميم للاسوار قام بــه الولاة الجليليون حتى إنتهاء حكمهم .

---

(١) سيوفي ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية الموصل ص ١٣٧

(٢) سيوفي : مجموع الكتابات ص ١٣٦ .

(٣) *Buckingham ‹ J : Travels in Mesopotamia ,*
I , P . 27 .

(٤) سيوفي : مجموع الكتابات ص ١٣٦ - ١٣٩ ومحمد الغلامي : الجما المنضد في مدح الوزير أحمد ص ١١ من المقدمة .

(٥) سيوفي : مجموع الكتابات ص ١٤٤ وبطرس نصري الكلداني تكملة ذخيرة الأذهان ج ٢ ص ١٧٢ (مخطوط) . أنظر الملحق رقم ٣ .

(٦) سعيد الديوه‌جي · قلعة الموصل ص ١٠٩ .

الدور والقصور :

ويدلنا تتبع تاريخ أبواب الموصل ، خلال عهــد آل الجليلي ، إلى أن مسار الحركة العمرانية كان يتجه جنوباً ، ففي الوقت الذي أغلق فيه حسين باشا الجليلي الباب العمادي في أعلى البلدة ، أثر حصار نادر شــاه الفاشل للموصل (١) . كانت المساعي مبذولــة لفتح أبواب جديــدة في الأجزاء الجنوبية من سور المدينة ، كما أنشئت المباني الحكوميــة ، وكثير من القصور والمساجد في تلك النواحي ، وفي حين بقيت الأقسام العليــا من المدينة خرائب مهجورة . وكان جامع النوري وجامع النبي جرجيس ، كما صورتها خرائط الرحالين الأوربيين في هذا العهــد (٢) ، يعدان في وسط القسم المعمور أو في الجزء الأعلى منه . وكان تركز السكان وإكتظاظهم في القسم المذكور باعثاً على تقديرات مبالغ فيها بصدد إحصاء عدد الدور في المدينة ومصدر صعوبة واضحة للذين حاولوا مثل هذه الاحصــاءات . وقد قدر عدد بيوت الموصل في القرن الثامن عشر ما بين العشرين ألف بيت والأربعة والعشرين ألف بيت (٣) . وقدرها أحد الرحالين في القرن التاسع عشر بثلاثين ألف بيت أو أكثر (٤) .

---

(١) رحلة نيبور ص ١٠٧ .

(٢) أنظر مخططات الموصل التي رسمها كل من نيبور وجونز (اللوحات ١ و ٢)

(٣) رحلة نيبور ص ١٠٧ و *Heude , A : A Voyage up the Persian Gulf , P . 218 .*

(٤) رحلة المنشي البغدادي ص ٧٩ .

وتخترق الموصل ، في هذا العهد ، شبكة من الأزقة والطرق معظمها معبد (١) وقد وصفها أكثر من رحالة بأنها كانت « مستقيمة ، جافة في الصيف وموحلة في الشتاء (٢) » . وتتألف البلدة من أحياء وحارات عديدة ، وهي تمتاز عن سائر المدن الشرقية من هذه الناحية بفارق واحد وهو أنه ليست فيها محلات منفصلة عن بعضها بعضاً ذوات أبواب خاصة كما هي الحالة في بغداد والقاهرة (٣) بل أن لجميع الطرقات مداخل في نهايتها ، أما المنازل فمستقلة عن بعضها (٤) إلا أنها تزدحم عند أسوار المدينة الجنوبية حتى تشكل قسماً من السور نفسه (٥) .

وتميزت دور البلدة ، في عهد الجليليين ، بأنها كانت ذات طراز واحد تقريباً (٦) ، وأن بعض دور سراتها كانت على الذوق الذي عرف في ديار بكر (٧) . وكانت المادة التي تستعمل في بناء المنشآت المدنية تتكون عادة من الصخر والطابوق (الآجر) والجص . وقد أستخدم الرخام الذي كان يجلب من أطراف المدينة والجبال القريبة ، بوفرة ، في زخرفة

(١) رحلة نيبور ص ١٠٧ و ves , E . : A Voyage From ngland to India , P . 323 .

(٢) upre , A . : Voyage en Perse , P . 148 .
estini : Voyage de Constantinople . . , P . 147 .

(٣) رحلة نيبور ص ١٠٧ .

(٤) estini : Op . Cit . , P . 148 .

(٥) رحلة نيبور ص ١٠٨ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة .

(٧) estini : Op . Cit . , P . 146 .

المداخل ، وفي صناعة الأعمدة الرخامية داخل الدور ، وفي رصف الحجرات ، وصنع المحاريب أما الجدران الخارجية فكانت تبنى بالآجر الأحمر (١) .

وكان الاسلوب الغالب في العمارة يعتمد على وجود منطقة مفتوحة من جهة الفناء أشبه بغرفة ، ومن الجهة الأخرى تقوم غرف في الطبقة السفلى من الدار تتصل بها غرفة تحت الأرض متقنة البناء ، تعرف « بالرهره » (٢) ، وهي تسكن صيفاً إتقاءاً للقيظ ، وشبيه بهذه الغرف نوع آخر من المباني التي تقام تحت الأرض ، تستخدم لحفظ الحنطة ، تسع الصغيرة منها من ١٠٠ إلى ٢٠٠ كيس من الحنطة ، والكبيرة إلى ٤٠٠ ، وهي عميقة تشبه شكل الناقوس ، تحيط بها جدران قوية مطلية بالزفت لحفظ الحنطة التي يحتاج إليها الأهلون ، وتسد بعناية ، ويقول الأب لانزا أن الموصليين كانوا يحافظون على سلامة الحنطه بهذه الطريقة مدة طويلة (٣) .

وتتميز دور السراة الأكثر ثراءاً بأنها تتكون من (حوش) مربع تحيط به مجموعتان أو أكثر من الحجرات ، تقع كل حجرتين على جانبي إيوان مرتفع السقف تحليه زخارف رخامية أو جبسية كما تتميز بوجود نافورة جميلة تحتل وسط الفناء ويجري الماء إليها في مجار رخامية مفتوحة ،

(١) *Sestini : Op . Cit , P . 148 , Dupre , Op . Cit . , P . 117 .*

(٢) يشبه « الرهرة » مايعرف في بغداد وأنحاء العراق الأخرى بالسرداب ، إلا أنه يختلف عنه ببعض التفصيلات .

(٣) مذكرات دومينكو لانزا ص ١٠ .

حيث يسقى أثناء مروره خلالها أصص من البنفسج والورد (١) . في بعة البيوت الكبيرة كانت النافورة تنشأ في وسط السرداب كما في دار الغاز محمد أمين باشا الجليلي المشيدة عام ١١٦٣ هـ .

ومن أهم الدور العامة المنشأة في عهـــد الجليليين ، سراي الحكم الذي أقيم في جنوب المدينة ، وقريباً من السور ، وكان مركز الولايـ قبل هذا العهد يقع في القلعة الداخلية (إيج قلعة) المحاطة بالمياه . و ثبت نيبور في مخططه للموصل عام ١٧٦٦ م / ١١٨٠ هـ موقع هذا السر قريباً من باب لكش (٢) . ووصفه الرحالة سيستيني في عام ١٧٨١ / ٩٦ بأنه مكون من ٢٠ حجرة مستطيلة ، عرض كل منها ثمانية أمتار (٣) وذكر دوبريه أنه « كان يبدو آية في الجمال » (٤) ، وبذلك اقتصر القلعة على مهمتها الأساسية باعتبـــارها موقعاً عسكرياً تقيم فيهـــا قوة الينكجرية فقط .

وفي أيام ولاية حسين باشا الأخيرة سنة ١٧٥٨ م / ١١٧٢ هـ ز الرحالة البريطاني ايفز مدينة الموصل ، فذكر بأنها أحسن مدينة شاهد في الامبراطورية العثمانية وأبدى اعجابه بأسوارها الحجرية المتينة ، وبقصور

---

(١) ıke , H . C . , *Mosul and its Minorities* , . 20 .

(٢) أنظر مخطط الموصل لنيبور (اللوحة ١) .

(٣) stini : *Voyage de Constantinople* , P . 128 .

(٤) ıpre . A . : *Voyage en Perse* , P . 147 .

وسائر مرافقها (١) .

المساجد والمدارس :

وكثرت المنشآت الدينية والثقافية في هذا العهد بسرعة بالغة ، وقام الولاة الجليليون – باعتبارهم قمة الهرم السياسي والاجتماعي في الولاية بنصيب كبير ملموس في ذلك المجال . فكانت أغلب المدارس الكبيرة والمساجد الضخمة من منشآتهم ، كما ساهمت الأسر الغنية في المدينة بانشاء مساجد كثيرة أخرى حتى صار التسابق بين الأسر في حقل العمارة الدينية والوقف عليها ، احدى سمات هذا العهد المتميزة .

وأول جامع بناه الجليليون في الموصل ، كان جامع الأغوات ، وقد شيده اسماعيل آغا (باشا فيما بعد) وابراهيم آغا وخليل آغا أبناء عبد الجليل سنة ١٧٠٣ م / ١١١٤ هـ ، أي قبل تولي اسماعيل السلطة في الولاية وقد شيدوه في سوق باب الجسر على حافة الخندق الذي كان يحف بسور المدينة ويقابل القلعة الداخلية ، ويمتاز الجامع بمحرابه النفيس المزخرف (٢) .

ومن الجوامع الكبيرة أيضاً ، جامع الباشا ، وقد أنشأه الوالي محمد أمين باشا عام ١٧٥٥ م / ١١٦٩ هـ بطلب من أبيه حسين باشا الجليلي .

(١) *Ives , E . : A Voyage from England to India , P . 322 .*

(٢) سعيد الديوه جي : جوامع الموصل ص ١٧٥ وأنظر وقفية الجامع في الملحق رقم ٤ من هذا الكتاب .

« ولما تم وكمل أوقف عليه جميع أملاكه وفرشه بالحصر والبسط وجعل فيه مرقداً له وبنى فيه مدرسة . » (١) وللجامع أهمية خاصة لموقعه المتوسط بين أسواق الموصل الكبيرة (٢) وقد دفن فيه الحاج حسين باشا والغازي محمد أمين باشا وابنه سليمان باشا وحفيده محمد أمين باشا بن الحاج عثمان بك

وكان مما أنشأه الجليليون أيضاً : جـامع الرابعية ، الذي نسب إلى مؤسسته رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليلي سنة ١٧٦٦ م / ١١٨٠هـ (٣ ويليه من حيث الزمن : جامع الزيواني الذي شيده سليمان باشا بن محمد أمين باشا الجليلي سنة ١٧٧٩ م / ١١٩٣ هـ ، يقول العمري « ولا نعلم أول بناه . وفي سنة ١١٩٣ استوهب الوزير الكبير سليمان باشا توليته من ناظ السابق ، وهدم المسجد واشترى عدة بيوت وألحقها ، وبنى فيه جامعاً كب وغرم عليه أموالاً كثيرة ، وأنفق وصرف في عمارته جملة صالحة وعمل للش المذكور الزيواني قبة من داخل الجامع . . » (٤) .

ومن أضخم جوامع الموصل وأوسعها ، جامع النبي شيت الذي

---

(١) جوامع الموصل ص ١٨٠ .

(٢) داود الجلبي : مخطوطات الموصل ص ٤٦

(٣) سيوفي : مجموع الكتابات ص ١٠ وجوامع الموصل ص وخطوطات الموصل ص ١٦٨ ومجموعة وقفيات الموصل للمرحوم محمد ا (مخطوط) .

(٤) منهل الأولياء ج ٢ ص ٢٠٠ ومنية الأدباء ص ١١٣ وأحمد ؛ الخياط : ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ص ٩٨ .

الوالي أحمد باشا الجليلي عام١٨١٥ م / ١٢٣١ هـ (١) ، كما شيد فيه قبة فوق القبر المنسوب للنبي شيت ، وبنى فيه مدرسة ، ومدفناً خاصاً به ، وأوقف عليه أسواقاً وأراضي وقرى ، وأنفق عليه مبالغ طائلة ، وإعتني بتزويقه حتى جاء من أجمل جوامع الموصل (٢) :

وشملت أعمال الهدم والتوسيع كثيراً من مساجد الموصل . ففي سنة ١٧٩٧ م / ١٢١٢ هـ هدم نعمان باشا الجليلي مسجد السراجخانة الصغير ووسعه حتى غدا من أكبر جوامع المدينة ، وبنى فيه مدرسة وأوقف عليها الكتب (٣) .

ورافقت حركة إنشاء المساجد هذه ، حركة ثقافية واسعة شملت بناء المدارس ووقف الكتب الكثيرة عليها . فمن مدارس الجليليين الشهيرة في هذا العهد : دار القرآن التي بناها إسماعيل باشا الجليلي سنة ١٧١٦ م/ ١١٢٩ هـ في جامع النبي جرجيس ، ودار القرآن الرابعية التي ألحقتها رابعة خاتون بجامعها عام ١٧٦٦ م / ١١٨٠ هـ والمدرسة العثمانية التي شيدها الحاج عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي (ت ١٨٢٩ م / ١٢٤٥ هـ) والمدرسة الأمينية التي أنشأها محمد أمين باشا في جامعه (جامع الباشا) سنة ١٧٥٥م / ١١٦٩ هـ ، والمدرسة التي قام بتشييدها سليمان باشا الجليلي سنة ١٧٧٩ م / ١١٩٣ هـ في جامع الزيواني ، ومدرسة أحمد باشا الجليلي في جامع المحمودين التي أسست سنة ١٧٩٧ م / ١٢١٢ هـ ومدرسة يحيى باشا التي أسسها سنة

(١) سعيد الديوه جي : جوامع الموصل ص ٢٤٣ وأنظر وقفية هذا الجامع في الملحق رقم ٩ من هذا الكتاب .

(٢) جوامع الموصل ص ٢٤٥ . ومجموعة وقفيات الموصل (مخطوط) .

(٣) جوامع الموصل ص ٤٦١ ومجموعة وقفيات الموصل .

١٨٢٥ م / ١٢٤١ هـ (١) .

وساير كثير من الأسر الغنية ووجهاء البلدة وأصحاب المناصب الرفيعة في الولاية ، هذه الروح التي عمت عصرهم ، فنشطت حركة تشييد المساجد والمدارس بشكل لم يسبق له مثيل : قام حسن أفندي بن الحاج شعبان الراوي (كتخدا محمد أمين الجليلي فيما بعد) بهدم مسجد صغير ووسعه وبناه جامعاً كبيراً ، ثم أكمله من بعده إبنه بكر أفندي ، وألحق به مدرسة وخزانة كتب ، فكان الفراغ من ذلك كله عام ١٧٩٢ / ١٢٠٧ (٢) .

وقام التاجر الحاج عبد الحافظ الموصلي سنة ١٧٦٧ م / ١١٨١ هـ بهدم جامع سوق العلوة مشيداً مكانه جامعا كبيراً وأوقف عليه مايكفيه (٣) وفي عام ١٧٩٧ م / ١٢١٢ هـ جدد بكر أفندي بن يونس أفنـدي كاتب ديوان الانشاء بناء جامع جمشيد العتيق ، وبنى فيه مدرسة ، وأعاد إليه أحد أبوابه المطعمة التي كانت فيه (٤) . وفي عام ١٨١٤ م / ١٢٣٠ جدد عبد الله بطال جامع باب الطوب تجديداً شاملا وبنى فيه مدرسة (٥)

(١) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) ،

وأنظر سيوفي : مجموع الكتابات ص ٧٥ و ٣٦ و ١٠ ـ ١٥ و ١٥٤ ـ ٧ و ٨٩ و ٢٣ والديوه جي : جوامع الموصل ، ومقالته « مدارس الموصل » (في : سومر ج ١٨ عام ١٩٦٢) ، وداود الچلبي : مخطوطات الموصل .

(٢) مخطوطات الموصل ص ١٨٨ ومقالة الديوهجي المذكورة ص ٥٦

(٣) الدر المكنون ص ٦١٢ (مخطوط) . وجوامع الموصل ص ١٧١ ومقالة الديوهجي المذكورة ص ٥٦ .

(٤) مخطوطات الموصل ص ٧٨ ومقالة الديوهجي المذكورة ص ٥٨ .

(٥) جوامع الموصل ص ٢٣٢ ومخطوطات الموصل ص ٤٥ .

وعمر الحاج عثمان الخطيب مسجد الخلوتي سنة ١٨٢٠ م / ١٢٣٦ هـ واتخذه مدرسة يدرس فيها (١) ، وقام آخرون بأعمال عمرانية مشابهة ، من بناء مسجد ، أو تجديد آخر أو تشييد مدرسة ، أو إقامة مشهد .

ويقدر المؤرخ الموصلي أمين العمري عدد دور العبادة والثقافة بـ ١٨ جامعاً و ٣٠٠ مسجداً و ١٤ مدرسة (٢) ، في حين يذكر بكنجهام أنها تبلغ زهاء خمسين مسجداً ، منها ثلاثون صغيراً ومتوسطاً ، وعشرون كبيراً (٣) . ويذهب بادجر إلى أنه كان يوجد في الموصل - على أيامه - أكثر من ١٩ جامعاً و ٢٥٠ مسجداً و ١٢ مدرسة (٤) .

وسجل هذا العهد تقدماً ملحوظاً في فنون العمارة ، وخاصة في أبنية المساجد ، فأتقنت تصميمات هذه المباني ، وشيد كثيراً منها بالرخام أو زين به ، وتبارى النحاتون في تصميم المحاريب الرخامية الجميلة وزخرفتها والكتابة عليها فكان محراب جامع الأغوات مثلا يتألف من إسطوانتين عليهما قوس يكون واجهة المحراب ، ويتألف سقف المحراب من مناشير رخامية مزخرفة تعلوها زخارف تشبه القوقعة ، وفي داخله وحدات رخامية منها ماهو على شكل محراب أيضاً منحوت في داخله قنديل بارز وحوله

(١) مخطوطات الموصل ص ١٨٨ .

(٢) منهل الاولياء ج ١ ص ٦٢ .

(٣) Buckingham , J : *Travels in Mesopotamia* , II , P . 31 . وفي ذلك تشابه مع ماأورده سيستيني : Sestini : *Voyage de Constantinople* . , P . 129 .

(٤) Badger , G . P . : *The Nestorians* , I , P . 81 .

ما يشبه زهرة الاقحوان (١) . وفي محراب جامع الشيخ عبدال ، نجد أ
الفنان إستخدم شكل أوراق الكرم في زخرفته (٢) .

وكان مما شاع إستعماله في التزيين على هذا العهد ، وحدات « زه
اللوتس » ، فنجد محاريب جامع النبي جرجيس ، وجامع الرابعية ، وجا
التوكندي ، وجامع الخاتون ، تزينها زهرات كبيرة من اللوتس (٣) . ويمَ
للمرء أن يلحظ من التشابه الواضح بين الأشكال الفنية المستعملة في هـ
العهد ، والأشكال التي كانت منتشرة في العهد الأتابكي في الموصل (
القرن الثالث عشر الميلادي) ، أن هناك حركة أحياء واضحة لر
الأعمال الفنية في القرون الوسطى ، وهو ما تجلى أيضاً بالنحت البارز
أبواب المدينة محاكاة للرسوم المتبقية على الآثار الأتابكية ، فكان فوق
سنجار صورة لأسد يفترس جاموسة ، وأخرى لسبع أمامه حيوان يش
الأرنب ، وبين الصورتين صورة لرجل متربع ضمن هلال كما في ؛
المسكوكات الأرتقية (٤) .

---

(١) جوامع الموصل ص ١٧٧ .

(٢) جوامع الموصل ص ١٥٣ .

(٣) جوامع الموصل ص ١١٥ و ٢٤٠ و ١٩٧ و ١٦١ .

(٤) سيوفي : مجموع الكتابات المحررة على أبنية الموصل ص
والدولة الأرتقية من دويلات السلاجقة في بلاد الجزيرة ، نشأت في
الثاني عشر وحكمت مدن حصن كيفا وآمد وخرتبرت وماردين . وقد أ
أمراء قبيلة القره قويتلو في القرن الخامس عشر . زامباور : معجم الأ
والأسر الحاكمة ص ٣٤٤) .

وكان مما شاع أيضاً في هذا العهد من الفنون المعمارية ، طراز القبة المزدوجة (*Double domes*) ، وهي عبارة عن قبتين متداخلتين بينهما فراغ . وقد عرف هذا الطرز في مساجد ومشاهد مختلفة ، وهو في حقيقته ليس إلا إحياء لعنصر آخر من عناصر الفن المعماري الاتابكي في الموصل (١) . ومن الأمثلة على هذا الطراز : قبة النبي دانيال وقبة الفتح الموصلي وقبة الشيخ عدي بن مسافر الهكاري ومصلى قضيب البان وفي بعض الأحيان كان يستعاض عن القبة الثانية (الخارجية) بمناشير من الجص والحجارة لتحفظ القبة الداخلية التي تحتها من عوارض الطبيعة (٢) . وأغلب قباب الموصل التي ترتقي إلى هذا العهد ، مبنية على شكل نصف كرة ، تستند على أساطين من الرخام تزينها مقرنسات (دلايات) من الجص ، وكثيراً ما دهنت هذه القباب من الداخل وزينت بزخارف بارزة من الجبس (٣) . وفي جامع النبي شيت (١٨١٥ م / ١٢٣١ هـ) نجد أن الفنان عمد إلى تزيين القبة بزخارف جبسية ناتئة على شكل دائرة تتوسطها النجمة الآشورية (زهرة الاقحوان) (٤) .

ولأغلب مساجد هذا العهد مآذن مشيدة بالآجر ومستديرة الشكل من الأعلى ، في حين تستند إلى قاعدة مربعة من الأسفل . وتتميز مآذن الموصل عن مثيلاتها في بغداد – خلال الفترة ذاتها – بأنها لم تعتمد في حليتها الزخرفية على إستعمال مادة القاشاني الملون إلا في مواضع قليلة جداً بل

(١) من القباب الأتابكية المزدوجة التي مازالت قائمة : قبة جامع النوري

(٢) جوامع الموصل ص ١٩٠ .

(٣) جوامع الموصل ص ٢٢٠ .

(٤) جوامع الموصل ص ٢١٦ .

حافظت على الطرز القديمة المتمثلة في التزيين بالزخارف الآجرية الناتئـة ، فكانت المئذنة تنقسم إلى عدة مساحات يشغل كل واحدة منها نوع مختلف من الزخارف الهندسية ، ويزينه أحياناً نطاق من الرخام تكتب عليه بعض الآيات القرآنية . أما القسم الأسفل ، فيبنى عادة من الحجر الأسمر (المعروف بالحلان) ويستند إلى قاعدة مربعة الشكل ، وتمتاز المئذنة الموصلية – في هذه الفترة – أيضاً ببساطة المقرنسات (الدلايات) الحاملة لحوضها (شرفتها) كما أن المسافة التي بين قاعدة المئذنة وحوضها تكون أطول بكثير عما هي عليه بين الحوض وقمتها . وهذه الظاهرة كسابقتهـا ، من مميزات المآذن القديمة في العراق .

وزودت أغلب مساجد هذا العهد بسقايات خاصة (سبيلخانات) ، وشيدت في بعضها نافورات للوضوء ، كما فعل مثلا محمد باشا الجليلي في ساحة جامع الزيواني (١) ، وكثيراً ما كان يتخذ الشعر وسيلة لتزيين مثل هذه الأماكن وتسجيل أسماء مؤسسيها عليها .

الكنائس :

وحفلت ولاية الموصل ، في جملة منشآتها الدينية ، بعدد غير قليل من الكنائس والأديرة ، تناثرت في معظم أحياء المدينة وخارجها . وقـد قدر عددها في أوائل القرن التاسع عشر بثلاث عشرة كنيسة (٢) .

(١) جوامع الموصل ص ٢٠٦ .

(٢) leude , A . : A Voyage up the Persian 'ulf , P . 218 .

ومن أهم كنائس الموصل في هذه الفترة : الكنيستان المنسوبتان للعذراء والملقبتان بالطاهرة ، وتقعان في الجهة الشمالية من المدينة قريباً من السور ، وتدعى إحداهما بالطاهرة التحتانية ، تمييزاً لها عن مجاورتها الطاهرة الفوقانية ، وتبعت الأولى النساطرة . في حين إختص اليعاقبة (السريان الأرثوذكس) بالأخرى (١) وبتحول النساطرة إلى الكثلكة ، عدت الطاهرة التحتانية كنيسة كاثوليكية ، وبقيت الطاهرة الفوقانية للسريان الأرثوذكس (٢) ، وتمتاز التحتانية بكونها من أحسن العمارات الأثرية التي تتمثل فيها ريازة الكنائس القديمة عند الكلدان في العراق (٣) . ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الكنيسة كانت فيما مضى كنيسة الدير الأعلى (دير مار جبرائيل) ، وهو من أشهر الديارات القديمة في العراق وأجلها شأناً (٤) ، ويقال إنها شيدت على الطراز الذي شيدت به كنيسة القديس جيمس المخربة في نصيبين (٥) أما الثانية (الفوقانية) فهي من الكنائس الجميلة بزخارفها ونقوشها وكتاباتها ، وفيها بعض الألواح من المرمر المحلى بكتابات كوفية جميلة (٦) .

(١) Fiey , J . : Mossoul Chretienne , P . 126 .

(٢) Fiey , J : Op . Cit . , P . 136 . وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) كوركيس عواد : ريازة الكنائس القديمة (مجلة سومر مجلد ٧ عام ١٩٤٧) ص ١٠٩ .

(٤) تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠

(٥) Buckingham , J . : Travels in Mesopotamia , II , p . 33 .

(٦) Fiey , J . : Op . Cit , P 138 .

ومن الكنائس القديمة أيضاً ، كنيسة شمعون الصفا في الحي المعروف بمحلة مياسة ، وقد بنيت على إسم بطرس زعيم الحواريين (١) ، وهي من أقدم كنائس الكلدان في الموصل ، ولا يمكن تعيين زمن تشييدها بوجه التحقيق إلا أن في هبوط مستوى أرضها عن سائر المحلة المحيطة بها ، دليلا واضحا على قدمها . ويستدل من طراز بعض بقاياها القائمـــة ، كأبواب الهيكل وباب بيت الشهداء والزخارف الرخامية ، أنها بنيت في نحو القرن الثالث الميلادي (٢) .

وهناك إضافة إلى ما تقدم ، كنائس أخرى ، أهمها كنيسة مارحوديي (أحدومه) ، وهي مزينة بزخارف وكتابات رخامية وصور بارزة ع أبوابها (٣) ، وكنيسة مارفثيون ، وقد بنيت على إسم القديس بثيون الذ قتل عام ٤٤٧م ، ويشتمل بناؤها على دار صغيرة ومذبح وهيكل واحد (٤

(١) منية الأدباء ص١٠٠ ومنهل الأولياء ج٢ ص ٤١ وترجمة الأولي ص ٥١ .

(٢) مجلة النجم الموصلية ج ١ (سنة١٩٢٨) ص ١٤٩ وكوركيس عوا رياذة الكنائس في العراق (مجلةسومر١٩٤٧) ص ١٠٣ و. *ey , J .:Op lt . , P . 111 .*

وأنظر خريطة الكنيسة في *rre und Herzfeld : Archaologisk ise imEuphrat und Tigris , Vol . , I . Tafel CVIII .*

(٣) كوركيس عواد : ريازة الكنائس القديمة (مجلة سومر ١٩٤٧ و *ey . J . Op . Cit . P . 123 .*

(٤) كوركيس عواد : ريازة الكنائس القديمة (مجلة سومر ٤٧ ص ١٠٣) .

وكنيسة مار أشعيا التي كانت قديماً ديراً ليشوعياب برقوسوي ، ويرتقي تاريخ إنشائها – في رأي بعض الباحثين – إلى القرن السادس الميلادي (١) .

ولم تخل هذه الكنائس ، على كثرتها ، من أمور معمارية متشابهة إمتازت بها ، منها أنها تتألف بوجه عام من ثلاثة أقسام رئيسية ، ففي الحد الشرقي من الكنيسة يقوم المذبح ، ويعلوه صليب ، ويرتفع المذبح عما يتلوه بنحو درجة أو عدة درجات ، ويدخل إليه من قسم آخر يجاوره يسمى بيت دياقون وأمام المذبح مصطبة يقف عليها الكاهن الذي يقرب القربان ، ويلي ذلك فناء (حوش) ومحل للصلاة الطقسية في الصيف ، وهذا المحل يدعى « بيت صلوتا » أو « باصلوتا » أو « أسطوا » وهو رواق واسع يصلي فيه الكهنه والشامسة في حين يحضر سائر المصلين الصلاة في الفناء نفسه . ومن المحتمل أيضاً أن الصلاة كانت تقام في الرواق المذكور في بعض الأيام من السنة فضلا عن الصيف . وفي الفناء (الحوش) ، عادة ، بئر يستقى منه لحاجات الكنيسة (٢) . وكأنموذج على العمارة الكنسية الموصلية ، نقتبس هنا شيئاً مما وصفه الرحالة بكنجهام عند زيارته لكنيسة الطاهرة التحتانية (مارة الذكر) سنة ١٨١٦ م / ١٢٣٢ ﻫ ، فقد قال : « وأطواق الممشى فيها من الطراز العربي الاعتيادي المدبب ، والأنواع

---

(١) مجلة النجم الموصلية ج ١ (عام ١٩٢٨) ص ١٤٨ .
و *Fiey , J . : Mossoul Chretienne , P . 104 .*
(٢) كوركيس عواد : ريازة الكنائس القديمة (مجلة سومر ١٩٤٧) ص ١٠٥ وهذا الطراز – على وجه العموم – هو نفسه الذي كان شائعاً في العراق قبل الاسلام . أنظر : روفائيل بابو إسحق : أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٧٥ – ٨٠ (بغداد ١٩٦٠) .

الصغيرة من هذه الأطواق المفلطحة على النحو المألوف في الطراز السكسوني بينما يحيط بصحن الكنيسة أفريز من زخارف عربية وتركية متدلية وهم ما تعرف بالمقرنسات ، وأصغر هذه الزخارف ، وان كانت إعتيادية أ مظهرها ، إلا أنها ليست متشابهة في تفاصيلها ، والأقواس المفلطحة المقرنـ التي رأيناها في مسجد إبراهيم الخليل في أورفة تشاهد في هذه الكنيسة أيضاً وفيها زخارف عربية بشكل ظاهر ، بينما نقشت الكتابات المحيطة بها بالخا السرياني » (١) . ولا ريب أن في هذا الوصف بيان جلي عن مـد التفاعل المستمر بين مختلف روافد الفن المعماري ، مما كانت تشهده مد الموصل آنذاك ، وهو ما أدى بالتالي إلى تبلور عدة خصائص مشتركة له العمارة الموصلية خلال العهد الذي ندرسه .

وقد إهتم الولاة الجليليون بعمارة كنائس الموصل إهتماماً جدياً ، تجلى ذلك في أكثر من مناسبة ، أهمها ما حدث عام ١٧٤٤ م / ١١٥٧ إثر إنسحاب نادر شاه بجيوشه عن الموصل ، فقد كان طلب الاذن بتعم كنائس الموصل وتجديدها ضمن ما عرضه محمد أمين بك (باشا فيما بعد باسم أبيه الحاج حسين باشا الجليلي على السلطان محمود الأول . وكنتيـ لذلك المسعى فقد صدر فرمان سلطاني يؤذن فيه بتعمير كنائس ولاية الموص كلها (٢) ، وأجاز حسين باشا تجديد الكنائس القديمة ، والأخرى ال

(١) uckingham , J - Travels in Mesopotamia , ! , P . 33 .

(٢) مذكرات القس حبش بن جمعة المنشورة مع مذكرات دومني لانزا ص ٩٨ .

و stini : Voyage de Constantinople . . , p . 118 .

دمرت أثناء الحصار ، فجــدد الموصليون ثماني كنائس داخل المدينــة وخارجها (١) . ويذكر المطران سليمان الصائغ أن هذا التعمير كان على نفقة الوالي الجليلي نفسه (٢) ، في حين يشير القس بطرس نصري الكلداني إلى أن إنفاق الوالي إقتصر على ترميم البيعتين المنسوبتين إلى العذراء فقط ، وهي الطاهرة التحتانية والطاهرة الفوقانية (٣) .

ولما عمر المطران أسطاثاوس موسى لشي دير مارمتي في أطراف الموصل سنة ١٧٩٦ م / ١٢١١ هـ ، ذكر أنه أنبأ أحد آل عبد الجليل (وكان أحمد باشا) في الموصل باحراز رتبة باشا ، فلما صح قوله أذن له بعمارة الدير ، (٤) .

ونتيجة للصلح المعقود بين السلطان سليم الثالث وروسيا عام ١٧٩٢ (١٢٠٧ هـ) بتوقيع معاهدة ياسي وما تضمنته من شروط بشأن إصــلاح حال الكنائس في الأراضي العثمانية ، فقد « عمرت نصارى الموصل البيع (الكنائس) » في العام التالي لتوقيع المعاهدة ، أي عام ١٧٩٣م /١٢٠٨ هـ (٥) .

(١) مذكرات حبش بن جمعة ص ٩٨ .

(٢) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) بطرس نصري الكلداني : ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٣١٧ .

ويشير إيفز إلى أن تعمير ما كان قد تهدم من كنائس الموصل أثناء الحصار جرى بانفاق الحكومة .

Ives . E . - A Voyage from England to India p . 322 .

(٤) أغناطيوس يعقوب الثالث : دفقات الطيب فى تاريخ دير القديس مار متي العجيب ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٥) ياسين العمري : غرائب الأثر ص ٢٣ .

الخانات والأسواق والحمامات :

وكان للتقدم الاقتصادي التجاري الملحوظ الذي أحرزته الموصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أثره البين في تنشيط بناء بعض المرافق الحيوية في المدينة . فقد أدى إزدهار الحركة التجارية وإزدياد نشاط القوافل بين الموصل وسائر المدن الأخرى ، وتحول الموصل بالتالي إلى سوق كبيرة إلى إهتمام كثير من الأسر التجارية وصاحبة النفوذ بانشاء الأسواق والمتاجر والخانات ، كما أنشئت أيضاً الحمامات العامة والمقاهي . وبعد أن كان الوقف الديني مقتصراً على المزارع والقرى والحقول ، باعتبارها مصدراً وحيـد للثروه ، نجد أن الوقف تحول في هذه الفترة إلى إستغلال العقار والمنشآت التجارية منها بوجه خاص .

وتبين لنا الكتابات المحررة على أبنية مدينة الموصل ، أن أغلب ماشب في هذه البلدة من المرافق التجارية يرجع إلى ذلك العصر ، وكثير من ها المنشآت ما كان وقفاً على المساجد والمدارس والمرافق الأخرى . فمن أوقا جامع الباشا التي أوقفها محمد أمين باشا الجليلي « الحمام الشهيرة بحمام القمري وقيصرية الكونجية (١)، والخان الفوقاني ، والقهوة خانة (المقهى) الواقعة قيصرية الكونجية ، مع سبع دكاكين أطراف الحمام والقيصرية الواقعتين السوق الكبير » (٢) . وكانت قيصرية العبداليـة في سوق باب السر « مع [الذي] فوقها وحواليها وقف مؤبد على المدرسة العبدالية ، والنص

(١) القيصرية : هي السوق المغلقة ذات السقف .

(٢) سيوفي ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية الموصل ص٨

الآخر وقف مخلد على المدرسة الأحمدية » (١) . وفي سوق اليمنجية ، كان هناك ثلاث قيصريات مكتوب عليها « هذا ما أنشأه الـدستور الكبير ، والمشير الخطير الوزير بن الوزير ، أحمد باشا في شهر رجب ١٢٣٠ هـ (٢) .

وليس أدل على مدى النشاط المعماري الذي طرأ على الموصل خلال هذا العصر ، أن تافرنييه الذي زارها في القرن السابع عشر ، كان قد وصف المدينة بأنها « تكاد تكون برمتها خربة ، وليس فيها سوى سوقين معقودتين . . وخانين حقيرين » (٣) . هـذا في حين كان في الموصل ، في أواخر القرن الثامن عشر – على ما يذكر العمري – ٢٥ خاناً و ١٠ قيصريات ، و ٢٠ حماماً عاماً و ١١٣ مجمعاً للقهوة ، و١٦ معصرة و ٤٠ مسلخاً للذبح وبيع اللحم و ٣٠٠ مداراً (٤) .

وقدر نيبور عام ١٧٦٦ م / ١١٨٠ هـ ، عدد خانات المدينة بخمسة عشر خاناً ، منها عشرة خانات كبيرة وواسعة « وقد بنيت خصيصاً لتوفير الراحة ، أما المقاهي والحمامات والأسواق ، فان القسم الأعظم منها جميل وخلاب . على أن أجمل وأحسن هذه الأماكن العامة تعود إلى أسرة عبد الجليل » (٥)

---

(١) مجموع الكتابات ص ١٢٣ .

(٢) مجموع الكتابات ص ١٢٤ .

(٣) رحلة تافرنييه ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٤) المدار ، وهو بلهجة الموصليين (المدغ) بقلب الراء غيناً : ضرب من طواحين الحبوب . منهل الاولياء ج ١ ص ٦٢ .

(٥) رحلة نيبور ص ١١١ .

ويقدر دوبريه عدد خانات الموصل الرئيسية في أوائل القرن التاسع عشر بأثني عشر خاناً ، منها أثنان ، هما خان العلوة وخان المفتي ، لكل منهما ٢٦ حجرة ، وتستعملان أيضاً لأغراض شتى ، كاعتقال الغرباء ، وكمخزن لبضائع الجمارك التي تفرض عليها الرسوم (١) . ويصف بكنجهام أسواق الموصل بأنها وان لم تكن مثل أسواق القاهرة في جمالها ، إلا أنهـا تتميز عنها بشيء واحد هو كثرتها ووفرة ما فيها من الحاجات والضرورات التي تأتيها من المناطق الجبلية (٢) .

وأفضل أسواق الموصل ، من حيث البنـاء والتصميم ، هو السوق الذي تباع فيه السلع الغالية مما يستورده التجار من أوربا والهند . أمـ المقاهي فهي كثيرة وواسعة بوجه عام ، والبعض منها قد يحتل أحد الشوار بطوله ويمتد زهاء مائة ياردة ، حيث تصف المقاعد على جانبي الشارع الذ يظلله سقف من الحصر . ويقدر بكنجهام عدد الحمامات في الموصل بنحـ ثلاثين حماماً (٣) .

وذهب الرحالة هود (وقد زار الموصل في أوائل القرن المذكور أيضاً إلى أنه كان في المدينة – على أيامه – ستة عشر خاناً تفتح غالباً لاستقبا المسافرين ، من بينها عشرة أو أثنا عشر ضخمة البناء . « وهي مستعـ في تلبية أي طلب لراحة المسافرين بحسب العادات الشرقية » . ويشيد هـ

(١) *upre , A . : Voyage en Perse , P . 120 .*

(٢) *ıckin ham , J . Travels in Mesopotamia , , p . 30 .*

(٣) *id .*

بحمامات الموصل فيقول : « هي من أحسن مارأيت ، أغلبها مغطى بالرخام ، وفي غاية اللطف والنظافة » (١) .

ومن المنشآت العامة التي أولاها الجليليون إهتمامهم ، جسر المدينة العائم ، وكانت قد جرت قبلهم عدة محاولات لبناء دعائم هذا الجسر وقناطره فلم تفلح (٢) . ولبث الوضع على هذا النحو حتى قيام حسين باشا الجليلي ببناء القناطر سنة ١٧٤٢ م / ١١٥٥ ه (٣) . وفي عام ١٧٨٦ م / ١٢٠١ ه جدد عمارة تلك القناطر بكر أفندي بن يونس أفندي كتخدا والي الموصل محمد باشا الجليلي ، يقول ياسين العمري في حوادث السنة المذكورة « فيها عمر بالموصل كبرياً شرقي دجلة عند رأس الجسر ، الأمير بكر أفندي بن يونس أفندي الموصلي ، وغرم عليه أموالا ، قيل أن تلك الأموال هي خيرات أحد رجال الدولة (٤) . وفي سنة ١٧٩٨ م / ١٢١٣ ه جدد عمارتها أيضاً بكر أفندي « ونقل الصخور وأبتدأ بعمارته وجعله قناطر ، ودخل الشتاء وفاضت الدجلة وأبطل البناء إلى السنة التالية » (٥) . وفي سنة ١٧٩٩ م / ١٢١٤ ه تم العمل « وانتفع به الناس » (٦) .

---

(١) Heude . A : A Voyage up the persian Gulf p. 218.

(٢) أنظر عن هذه المحاولات : سعيد الديوه‌جي : جسر الموصل ص١٠. والعزاوي : العراق بين إحتلالين ج ٥ ص ٢٠٨ .

(٣) مذكرات القس حبش بن جمعة المنشورة مع مذكرات دومنيكو لانزا ص ٩٣ .

(٤) غرائب الاثر .

(٥) غرائب الاثر ص ٥١ .

(٦) غرائب الاثر ص ٥٢ .

خاتمة

تناول هذا الكتاب دراسة الفترة التي تولت فيها الأسرة الجليلية مقاليد الحكم في ولاية الموصل شمالي العراق مـــا بين عامي ١٧٢٦ و ١٣٤، وذلك من النواحي السياسية والأجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية

ولقد توسطت هذه الفترة زمنيا ، العصر الذي خضعت فيه المو للسيادة العثمانية ، إلا أن الموصل تميزت خلال هذه الفترة بحكم شبه ذاتي وبشخصية محلية تجلت في مختلف النشاطات السياسية والحضاريـــة . ا المستوي السياسي كان إستقرار الحكم بيد الأسرة الجليلية أكثر من قرن الزمان تعبيراً واضحاً عن غلبة القوى المحلية في الولاية وإستقلالها في إ شؤونها الداخلية . وكان ظهور هذه الأسرة على مسرح السياسة يستنا أسباب إقتصادية وإجتماعية محلية ، وأسباب سياسية عامة تتعلق بموقف ال العثمانية آنذاك ، فعلى الصعيد المحلي كانت ظاهرة ضعف الإدارة العثما المركزية وظهور طبقة الأسر الإقطاعية المحلية قد أدت إلى نشوب اله بين القوتين الرئيسيتين في الولاية . الوالي وحكومته ، باعتباره ممثلا ل العثمانية ، والأسر الاقطاعية التي كانت تنافس الوالي في سلطاتـــه . إستمرار الصراع بين هاتين القوتين الاقطاعيتين ، قد أضر – وبشكل - بمصالح طبقة جديدة أخرى ، هي طبقة التجار وأرباب الحرف ، ؛ المسرح السياسي إلى ظهور أسرة قوية كآل الجليلي تتمكن من حسم ال القائم لصالح تلك الفئات الاقتصادية الفتيـــة . وجاء إعتراف السلط

العثمانية بهذا التغيير وإقرارها له دليلا على حاجتها الماسة إلى قوى محلية فعالة تقف في وجه المطامح الإيرانية في العراق آنذاك .

وفي ميدان الحياة السياسية كان حكم هذه الأسرة يمثل تتويجا لسيادة القوى المحلية في الموصل ، حقيقة أن ذلك الحكم لم يمنع قيام صراعات متعددة بين تلك القوى ، إلا أن آل الجليلي نجحوا في إستقطاب القوى المذكورة ضد كل محاولة عثمانية للتدخل في شؤون الموصل الذاتية . فكسبوا ولاء الطبقة التجارية ذات النفوذ ، وقربوا الأسر الاقطاعية الأرستقراطية ، واستمالوا العامة من حرفيين وفلاحين بتوفير الأمن والرخاء الاقتصادي وباحترامهم لتنظيماتهم الدينية الاجتماعية ، وبذلك خلصت لهم زعامة الروح المحلية للولاية ، وغدوا الممثلين لشخصية الموصل المتميزة ، وبالتالي صار من السهل عليهم السيطرة التامة على مقاليد السلطة مدة طويلة تجاوزت القرن من الزمان .

وحفلت هذه الفترة بمحاولات كثيرة من جانب الباب العالي ، وبغداد على الأخص ، لفرض ولاة غير موصليين على الولاية ، وكثيراً ما إستعانت تلك القوى الخارجية ببعض المنشقين من الأسرة الجليلية ذاتها ، أو ببعض القيادات الموصلية المتطلعة إلى السلطة ، إلا أنها كانت تواجه دائماً بالتفاف الزعامات الشعبية والعسكرية حول الأسرة الجليلية بما لا يترك مجالا لضربها .

وقد لعبت حكومة الموصل في هذا العهد دوراً إيجابياً هاماً في علاقاتها وإرتباطاتها الخارجية ، فقد حافظ الجليليون على علاقات خاصة طيبة بالباب العالي رغم التذبذب الواضح الذي كانت تتسم به سياسة الأخير إزاء المشاكل

العراقية، فساهموا في حملات ولات بغداد ضد إيران ، ودافعوا عن العر
إزاء التوسعات الإيرانية ، كما ساهموا في تأييد السلطان العثماني عسكرياً
حربه ضد روسيا القيصرية ، وفي الشام ضد علي بك الكبير ، إضافة
توليهم العديد من المناصب الأخرى في الولايات العثمانية المختلفة .

واتسمت سياسة الموصل إزاء ولاة بغداد بمحاولات التملص
نفوذهم المتزايد على العراق ، والمحافظة على إستقلال الموصل بشؤون
الداخلية لقاء مهادنة سلطات بغداد المركزية . ومن ناحية أخرى إرتب
علاقات الموصل بالإمارات المتجاورة ، وفي مقدمتها إمارة بهدينان في الـ
بسياسة التوازن بين بغداد والموصل ، فقد أدى خضوع بهدينان لسـ
بغداد إلى زيادة ضغط الأخيرة على الموصل ، مما دفع ببعض الولاة الجـ
إلى محاولة قلب هذا الوضع لصالحهم ، بتحالفهم مع ولاة بغداد وإستخد
هذا التحالف في صراعهم مع أمراء بهدينان .

وفيما يتعلق بنهاية حكم الجليليين ، نجد أن هناك مجموعة من الـ
داخلية وخارجية ، إشتركت في رسم نهاية هذا الحكم فعلى الصعيد الـ
كان إتجاه أرباب الحرف والمعامل إلى زيادة دخولهم عن طريق الخرو
نطاق العمل المنزلي إلى العمل الجماعي ، والإتجاه نحو « مكننة الإنتا
أدى إلى خلق فئات جديدة من العامة ذات مستوى معاشي منخفض ،
لها مكاناً مناسباً داخل تنظيمات الأصناف التقليدية ، فساعد ذلك الوضع
بعض الأسر الموصلية القوية إلى الاستفادة من تذمر تلك الفئات للـ
إلى أهداف سياسية بحتة ، تتركز في إزاحة الجليليين عن الحكم ،
ذلك سبباً قوياً في خلق معارضة فعالة ضد الحكم الجليلي داخل الموصل ،

أما على الصعيد الخارجي فكان أمر إنهاء نظام الجليليين مما يتفق وسياسة العثمانيين الجديدة الرامية إلى تصفية القوى والحكومات المحلية في أنحاء الامبراطورية ، بهدف بناء نظام عثماني مركزي شامل . وقد حاول الجليليون الاستفادة من مشاريع محمد علي في الشام ، فأقدم يحيى باشا الجليلي على استعادة حكم الموصل والسيطرة على بغداد بالتعاون مع قوى القبائل العراقية وتخليص العراق من الحكم العثماني مستفيداً من الوجود المصري في الشام ، إلا أن اضطرار محمد علي للانسحاب إلى مصر ، أدى إلى تمكن العثمانيين من تصفية جميع القوى التي اظهرت استعدادها لمناوئتهم في العراق في ذلك الوقت ، وفي مقدمتها نظام الجليليين في الموصل .

وكان الطابع العام للنظم الادارية في الموصل عثمانياً محضاً ، إلا أن هذه النظم اتخذت في عهد الجليليين طريقها الخاص في النمو والتطور بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية للولاية ذاتها . ومن الملاحظ أيضاً ، أن جميع مؤسسات الإدارة والحكم أصبحت في هذا العهد مؤسسات محلية يتولاها الموصليون أنفسهم ، بل تغلغلت العناصر الموصلية إلى داخل القوات المسلحة فأصبح كل من الفرسان الاقطاعيين (السباهية) والمشاة النظاميين (الينكجرية) من سكان مدينة الموصل ذاتها .

ولقد استندت الحياة الاقتصادية في الموصل إلى الأسس الاقطاعية التي كونتها الادارة العثمانية في الولاية منذ القرن السادس عشر ، وهي أسس لم تكن عماد الحياة الاقتصادية فحسب ، بل كانت تمثل الأرضية الطبيعية للبناء السياسي والعسكري للولاية برمته . على أن ضم الموصل – وغيرها من الولايات العراقية – إلى الامبراطورية العثمانية ، قد جلب من ناحية أخرى ، فوائد

اقتصادية خاصة ، إذ شجع دخول الولاية ضمن منطقة تجارية واحدة زيادة النشاط التجاري فيهـا ، واستعادة الموصل مركزها التجاري ال باعتبارها نقطة وصل بين عدة أقاليم وطرق تجارية مختلفة ، ممـا الظروف الملائمة لظهور طبقة برجوازية تجارية فتية ، وقد تمكنت هـ الطبقة الجديدة من النفوذ إلى داخل الكيان الاقطاعي القديم ، حيث تمل الاقطاعات ، ومارست بموجب ملكيتها سلطات سياسية ، كما أنها اسة انتاج تلك الأراضي – وهي ريفية – في نشاطات صناعية أو تجارية ، فكان ذلك – بالتالي – الأساس الطبيعي لقيام بعض الصناعات المحل وخاصة صناعة النسيج ، والاتجاه نحو تصريف انتاجها في الأسواق الخار.

ومن الملاحـظ أن الموصل استطاعت ، رغم تكوينها من مخ الطوائف والأجناس ، أن تحافظ على تماسكهـا الاجتماعي عند الملما، فكانت عوامل التآلف والتعاون أقوى بكثير من عوامل الفرقة والاخت وهي ظاهرة واضحة في اللحظات الحاسمة ابان الحروب ، كما نتلمس كثرة الأعياد والمناسبات الدينية والقومية المشتركة في فترات السلم .

وقد تميز هذا العهد بنشاط حركة التبشير الكاثوليكي نشاطاً كب وانطلاقها من الموصل لتشمل مناطق عراقية أخرى ، وفي الواقـع لم اهتمام كاثوليك الموصل بتحويل نصارى المناطق المجاورة إلى الكثلكة – ضمني من الولاة الجليليين – إلا المبرر الشكلي لمحاولة الموصل اعـادة نفوذها السياسي والحضاري على تلك المناطق ، وسعياً منها إلى تحقيق عن طريق فك تبعيتها بالمناطق المجاورة ، ونقل مركز الثقل الديني اليه

ولقد شهدت الموصل في هذا العهد نشوء حركة ثقافية واسعة النطاق بمقاييس ذلك العصر ، تجلت بظهور الأسر العلمية التي اختصت كل منها بناحية معينة من المعرفة ، كما تجلت بالتقدم الواضح للثقافة المحلية ، وهو ما أدى إلى ارتفاع شأن الثقافة العربية بالنسبة إلى ثقافتي العصر السائدتين : التركية والفارسية ، وكان لرعاية الجليليين الجادة لحركة الثقافة العربية ، واعتمادهم الكلي على رجالها في ادارة شؤون الحكم ، اثر كبير في ارتفاع شأن الثقافة ذاتها وازدياد الوعي العام ، وكان من نتائج ذلك أن ظهرت تيارات فكرية اصلاحية دعت إلى اصلاح المجتمع عن طريق نبذ البدع والخرافات ، فكانت تلك أول حركة سلفيـــة ظهرت في الشرق العربي الحديث ، وبها تأثر محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي الذي انتشر فيما بعد .

كما نشطت حركة التأليف في هذه الفترة بشكل ترك آثاره على مختلف ميادين العلوم الدينية واللغوية ، وفي الطب والفلك والرياضيات وغيرها ، اضافة إلى قيام رغبة عامة في تشييد المدارس والمكتبات ووقف الكتب ، وقام موصليون نابهون برحلات شاقة في طلب العلم خارج وطنهم ، فزاروا بلاداً عديدة نائية في أوروبا وفي العالم الجديد .

وبالاضافة إلى ما تقدم ، فقد ترك عهد الولاة الجليليين في الموصل آثار معمارية واضحة ، تجلت في العديد من المساجد والمدارس والأسواق ودور الحكم والقلاع والأسوار مما أظهر ملامح خاصة لفن معماري موصلي متمـــيز .

المصادر

أولا : الوثائق ·

أ ـ غير المنشورة ،

ب ـ المنشورة :

ثانياً : المخطوطات ،

أ ـ المخطوطات العربية .

ب ـ المخطوطات التركية ،

ثالثاً : المصادر التركية المطبوعة .

رابعاً : المصادر العربية المطبوعة :

خامساً : الأبحاث المطبوعة ؛

سادساً : المصادر الأوروبية :

اولا - الوثائق : -

أ - غير المنشورة :

١ - سجلات الدولة العثمانية : المعنونــة *Tapu de f* محفوظة ؤ
Basvekalet Arsiv Dairesi في استانبول - تركية . ومن
نسخة مصورة في مكتبة قسم الدراسات العليا بكليــة الآداد
- جامعة بغداد - والدفتران ١٩٥ و ٦٦٠ يختصان بالتنظيمات
العثمانية لولاية الموصل ، التي وضعت أسسها في عهد السلطا
سليمان القانوني في القرن السادس عشر . والدفتر رقــم ١٥
مؤرخ بسنة ٩٥١ و ٩٥٦ ﻫ ، وأما الدفتر رقم ٦٦٠ فخال
التاريخ ، وكلا الدفترين في غاية الأهمية لدراسة نظام التيم
الاقطاعي العسكري في الموصل ، وطبيعة ملكية الأرض وتطور
وشؤون الوقف ، مما يقدم الأوليات الضرورية لدراسة القاع
الاقتصادية التي قامت عليها حكومة الجليليين فيما بعد .

٢ - فرامين عثمانية رسمية موجهة من البــاب العالي إلى ولاة آ
الجليلي : الحاج حسين باشا ، وأحمد باشا ، وهي محفوظة بمك
الدكتور محمود الجليلي في الموصل .

٣ - وقفيات تتعلق بالمساجد والمدارس وخزائن الكتب (المكتبات
التي أنشأها الجليليون في الموصل جمعها المرحوم محمد الجا
وتوجد منهــا نسخة لدى الدكتور محمود الجليلي في المو
اطلع عليها المؤلف :

٤ – دار الوثائق القومية التاريخية بقلعة محمد علي في القاهرة . محافظ عابدين ذات الأرقام ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٦ و ٢٥٠ و ٢٥٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ . تتضمن هـذه المحافظ وثائق تكشف عن الأوضاع السياسية في الولايات العراقية ابان حكم محمد علي لبلاد الشام ، كما تكشف بوجه خاص عن موقف يحيى باشا الجليلي آخر ولاة الجليليين في الموصل من السلطات العثمانية وعلاقته بالحكم المصري في الشام .

ب – المنشورة :

١ – أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية (بيان بوثائق الشام) أربع مجلدات . بيروت ١٩٤٠ – ١٩٤١ م .

٢ – توتل ، الأب فردينان اليسوعي :
وثائق تاريخية عن حلب . بيروت ١٩٥٨ .

٣ – دي فوصيل ، بيير لوي جوزيف :
الحياة في العراق منذ قرن . ترجمة الدكتور أكرم فاضل . بغداد ١٩٦٨ م وهو يتضمن مقتبسات دونها القناصل الفرنسيون عن الموصل والعراق خلال الفترة ١٨١٤ – ١٩١٤ م ، فالكتاب بهذا مهم في دراسة أوضاع الولايـة في أواخر عهد الولاة الجليليين . وقد استقى مؤلفه هذه الوثائق من مجلدات أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية .

ثانياً - المخطوطات

أ - المخطوطات العربية :

١ - أصفر ، جبرائيل حنوش : مختصر المستفاد في تاريخ بغداد
نسخة بخط مؤلفها في مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت رقم
(١١٠٤) . وفيه فصل كبير في تراجم الموصليين ، وأغلبها
من الجليليين ، لكن مصدره الأساسي هو كتاب غاية المرام
لياسين العمري .

٢ - بطرس نصري : تكملة ذخيرة الأذهـــان في تواريخ المشارقة
والمغاربة السريان .
محفوظ في مكتبة قسم الدراسات العليا بكلية الآداب في بغداد
تحت رقم (٧٣) ، وهو يتضمن معلومات تاريخية عن أحوال
نصارى الموصل في عهد الجليليين ، وخاصة فيما يتعلق بأوضاع
الكنيستين الكلدانية والسريانية وحركة التبشير الكاثوليكي في
العراق .

٣ - بطرس ، الشماس عزيز : كتاب الرعاة .
وهو كتاب في عدة أجزاء يبحث في تاريخ الأبرشيات الكلدانية
محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد والجزء
السادس منه بعنوان « أخبار أبرشية الموصل » يبحث في علاقات

أبرشية الموصل أيام الجليليين بأبرشيتي العمادية وديار بكر المجاورتين وهو تحت رقم (٢٢٦) .

٤ ـ الجليلي ، عثمان بك : دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب منه نسخة مخطوطة في كتب يعقوب سركيس المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد .

٥ ـ الكردي ، محمد طه بن يحيى بن سليمان بن محمد : رحلة ابن يحيى العراقي الكردي .
محفوظ في دار الكتب المصرية رقم (٤٨٠ جغرافيا) . ولد المؤلف عام ١٧٢٣ م / ١١٣٦ هـ في قرية باليسان شمالي العراق وقام برحلة زار فيها مصر ، ثم عاد إلى بلاده بعيد جلاء نادر شاه عنها ، فوصف شيئاً من أخبار صمود الموصل بقيادة الحاج حسين باشا الجليلي عام ١٧٤٣ .

٦ ـ لانزا ، الأب دومنيكو : ملخص تاريخ رحلات الأب لانزا من الأخوة الواعظين بين روما والشرق من سنة ١٧٥٣ إلى ١٧٧١ . ترجمه عن الايطالية القس روفائيل بيداويد الكلداني وتوجد النسخة الخطية المترجمة بمكتبة الدكتور محمد صديق الجليلي في الموصل . وهذه المخطوطة تزيد كثيراً على النص المطبوع . وفيها معلومات مهمة جداً تتعلق بتاريخ الأسرة الجليلية وظروف ادارتها للموصل حتى ولاية عبد الفتاح باشا . وتوجد ترجمة أخرى خطية للمذكرات قام بها الدكتور داود الجلبي ، وهي ضمن المخطوطات المحفوظة بمكتبته في الموصل برقم (١٦٣) وقد استفاد المؤلف من كلتا الترجمتين .

٧ - مجهول : مجموعة التواريخ في مدح وزراء بني عبد الجل
يوجد هذا المخطوط بمكتبة داود الجلبي في الموصل برقم (٤٤)
ويضم مجموعة ضخمة من الشعر الذي قيل في تاريخ حواد
الأسرة الجليلية ، وهي لعدد كبير من شعراء الموصل المعروفين

٨ - مجهول : مجموعة أدبية .
مخطوط محفوظ في المكتبة المركزية في الموصل برقم (٣٦٣ /
جادر) ويحتوي على أشعار عديدة لشعراء موصليين مد-
بها آل الجليلي وأرخوا من خلالها بعض الحوادث المتعلقة بحك
وهو على جانب من الأهمية تاريخياً .

٩ - مجهول : مجموعة أدبية :
مخطوط محفوظ في المكتبة المركزيـــة في الموصل تحت ر
١٠٦٠ / ٩١ سعيد) يتضمن أخبار أدبية وأشعاراً عديدة تت
ببعض الأحداث التي جرت في الموصل في القرنين الثامن ع
والتاسع عشر .

١٠ - مجهول : مجموعة تاريخية :
توجد هذه المجموعة في مكتبة يعقوب سركيس (المحفوظ
حالياً في المتحف العراقي) تحت رقم (١٧٧) . وفيها
أخبار تاريخية متناثرة عن حوادث النزاع بين عبد الفتاح
وأمين باشا ، ودور الأخير في الحروب العثمانية — الروس

١١ - مجهول : القوانين السلفية .
مخطوط محفوظ في مكتبة يعقوب سركيس تحت رقم (٥

ويحتوي على أخبار تاريخية شتى ، معظمها يتصل بمدينة الموصل في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهي تتضمن قوائم بمصروفات الولاية ، ومراسيم السراي الموصلي ، خاصة في عهد أحمد باشا الجليلي .

١٢ - السمعاني ، يوسف لويس : كتاب كافة الآباء الجثالقة أعني بطاركة الكلدان والنصاطرة .
يوجد هذا المخطوط بالمكتبة المركزية في الموصل برقم ٩١/٢٧ ويحتوي على تفاصيل النزاع بين كاثوليك الموصل والبطريركيات المجاورة ، وصفحاته مرقمة بأرقام سريانية ، كما أن في لغته ركة واضحة وكثيراً من الألفاظ السريانية .

١٣ - السويدي ، عبد الله : النفحة المسكية في الرحلة المكية .
مخطوط ضمن مجموعة محفوظة بمكتبة الدراسات العليا بكليـــة الآداب ببغداد تحت رقم (٤٤) . وهو يتضمن أخبار حصار نادر شاه للموصل عام ١٧٤٣ .

١٤ - سليمان فائق حروب الايرانيين في العراق .
ترجمه عن التركية محمد خلوص بن محمد سعيد التكريتي الناصري وهو مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت رقم (١٩٥٢) .

١٥ - العمري ، ياسين بن خير الله الخطيب الموصلي : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون .
وهو تاريخ مرتب على السنين من الهجرة إلى عـــام ١٢٢٦ هـ ١٨٢١ م وقد أفاض فيها حوادث الموصل . وتوجد نسخة

منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٤٤٤٩) .

١٦ ـ العمري ، ياسين : السيف المهند فيمن اسمه أحمد . وتوجد نـ
منه مخطوطة لدى الاستاذ سعيد الديوه جي في الموصل تحـ
على تراجم الموصليين فقط ، كان قد نقلها الدكتور مـ
الجليلي عن نسخة المؤلف .

١٧ ـ العمري ، ياسين : قرة العين في تراجم الحسن والحسين . تـ
منه نسخة لدى الدكتور محمد صديق الجليلي في الموصل ، و
الأستاذ سعيد الديوه‌جي نسخة أخرى منقولة عنها تحتوي
تراجم الموصليين فقط اعتمد عليها المؤلف .

١٨ ـ العمري ، ياسين : منهج الثقات في تراجم القضاة . توجـ
هذا المخطوط نسخة لدى الدكتور محمود الجليلي اسـ
لنفسه عن نسخة المؤلف ، وفيه تراجم قضاة الموصل أثناء
الجليليين .

١٩ ـ العمري ، ياسين : الدر المنتثر في تراجم فضلاء القرن الثالث عـ
منه نسخة مخرومة الاخر في كتب المرحوم عباس العز
المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد .

٢٠ ـ العمري ، ياسين : الآثار الجليـــة في الحوادث الأر
توجد منه نسخة في مكتبة مدرسة الخياط في الموصل نقل
الدكتور داود الجلبي ما يتعلق بتاريخ الموصل وغيرها منذ
السابع الهجري وسمى ما نقله « زبدة الآثار الجلية »
اعتمد المؤلف على هذه النسخة ، وهي محفوظة في مكتبة الـ

الجلبي في الموصل [ثم حققها وعلق عليها ونشرها – النجف ١٩٧٤] .

٢١ – العمري ، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد الموصلي : الروض النضر في تراجم فضلاء العصر .
مخطوط محفوظ في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم (٩٢٨) ، وهو مفيد لدراسة أدباء العراق بوجه عام ، والموصل بوجه خاص خلال القرن الثامن عشر وفيه تراجم أدبيـــة للجليليين وغيرهم [وقد حقق الدكتور سليم النعيمي هذا الكتاب وطبع الجزء الأول منه – بغداد ١٩٧٤] .

٢٢ – العمرى ، عبد الباقي : نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيى .
مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم (١٤٠٦) وهو يتضمن تراجم الشعراء والكتاب الذين مدحوا يحيى باشا الجليلي ، وفيه شذرات مهمة عن الحياة السياسية والثقافية في أواخر عهد آل الجليلي .

٢٣ – فييه ، جون : الآباء الدومينكانيون وخدماتهم الطبية في الموصل بحث على الآلة الكاتبة . يتضمن أخبار الآباء الدومنيكتين منذ قدومهم إلى الموصل في منتصف القرن الثـــامن عشر . وهو محفوظ في خزانة الاستاذ سعيد الديوهجي في الموصل .

٢٤ – الصديقي ، مصطفى بن كمال الدين الدمشقي : كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة كمبردج تحت رقم (٩٢٧) ، ومنه نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد يتضمن

مشاهدات الرحالة الصديقي في العراق عام ١٧٢٦ م / ١٣٩ا
وللقسم المتعلق بمدينة الموصل من رحلته أهمية خاصة إذ أنه أ
فيها قبيل تولي آل الجليلي السلطة بفترة وجيزة .

٢٥ ـ عثمان بن سند الوائلي : مطالع السعود في أخبار أعلم الوز
وأعظمهم داود .
مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت رق
(٢٣٣) . وهو يتضمن أخبار تاريخية هامة تتعلق بأح
الموصل السياسية ، وخاصة بصدد علاقاتها بولاية بغداد في
المماليك .

٢٦ ـ عماد عبد السلام رؤوف : الآثار الخطية في دار التربية الاسا
ببغداد .

٢٧ ـ يوسف بن عبد الجليل الكردي : الانتصار للأولياء الأخي
مخطوط محفوظ في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم (٢٠
ويتضمن فصلاً كبيراً في تراجم أولياء الموصل وأخبار كرا
كما يتضمن فصولاً أخرى ناقش فيهـا المؤلف موقف ا
الموصل المناوىء للطرق الصوفية ، فهو بذلك يعكس ،
لاحدى جوانب الحياة الفكرية في الموصل .

٢٨ ـ الغلامي ، محمد بن مصطفى : شمامة العنبر والزهر المعنبر
مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت
(١٥٤٩) ، وهو يتضمن تراجم أدباء الموصل وعلما
القرن الثامن عشر ، وفيه نماذج جيدة من أعمالهم الأدبية و
العلاقات الثقافية السائدة في ذلك العصر .

ب - المخطوطات التركية :

١ - متفرقة ، ابراهيم : تاريخ نادر شاه .
مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة القاهرة برقم (٢٥٠٣ تركي)
وفيه معلومات تتعلق بأعمال نادر شاه العسكرية في العراق والموصل
أثناء ولاية الحاج حسين باشا الجليلي .

٢ - شمعداني زاده : مرأى التواريخ .
مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة القاهرة برقم (٧٥٨١ تركي)
المجلد الثاني يحتوي على تاريخ الدولة العثمانية من سنة ١١٦٧
إلى ١١٩١ هـ ، ويتضمن معلومات تاريخية هامة عن الولاة الجليليين
في الموصل ، وخاصة فيما يتعلق بتواريخ توليهم مناصبهم أو
عزلهم منها

٣ - شمعي ، محمد : أثمار الحدائق .
مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة القاهرة برقم (٢١٥٦ تركي)
وهو يضم جداول بأسماء موظفي الدولة العثمانية وتواريخ توليهم
مناصبهم .

ثالثا : ـ المصادر التركية المطبوعة

١ ـ أولياء جلبي ، محمد ظلي بن درويش : أولياء جلبي سياحتنامه‌سی
أربع مجلدات . (استانبول ١٣١٤) ، يتضمن معلومات ه
عن التشكيلات الادارية العثمانية في الموصل وسناجقها .

٢ ـ جلبي زاده ، اسماعيل عاصم : تاريخ جلبي زاده .
والكتاب يعد ذيلاً لتاريخ راشد (استانبول ١٢٥٣) ،
اشارات هامة لحوادث تنصيب الولاة الجليليين وعزلهم في الق
الثامن عشر ، كما يتضمن وصفاً لأحـــداث حصار نادر ،
للموصل أيام الحاج حسين باشا الجليلي .

٣ ـ جودت ، أحمد : تاريخ جودت از ترتيب جديد .
١٢ جزءاً (استانبول ١٣٠٢ هـ) ، وهو تاريخ عام للدول
العثمانية من ١١٨٨ إلى ١٢٤٢ هـ ، وجودت هو المؤرخ الر
للدولة العثمانية في تلك الفترة ، وتاريخه يتضمن معلومات د
عن علاقات حكومة الموصل بنظام المماليك ، ببغداد ، وبالبا
العـــالي .

٤ ـ جودت ، محمد : حقوق ادارة .
الكتاب الأول (بغداد ١٣٢٨) . يبحث في التنظيمات العثما
المتعلقة بالاقطاع العسكري ، التي كانت مطبقـــة في الولايا
العراقية .

٥ ـ واصف ، أحمد : محاسن الآثار .
(استانبول ١٢١٩) ، يتضمن تواريخ تولي بعض الولاة الجليليين للحكم ، مع تفاصيل عن حصار نادر شاه عام ١٧٤٣ وهو يختص بأخبار الربع الثاني من القرن الثامن عشر .

٦ ـ كاتب جلبي ، حاجي مصطفى : تقويم التواريخ .
(استانبول ١١٤٦ هـ) ، تاريخ مرتب ، بحسب السنين يتضمن تاريخ الدولة العثمانية بشكل خاص وفيه أخبار متناثرة عن الأوضاع في الولايات العراقية .

٧ ـ محمد ثريا : سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية .
٤ مجلدات (استانبول ١٣٠٨) .

٨ ـ سالنامة الموصل . سنة ١٣٠٨ هـ ـ ١٣٠٦ رومي .

٩ ـ سالنامة الموصل . سنة ١٣٢٥ = ١٣٢٣ رومي .

١٠ ـ عينتابلي أحمد عاصم ، تاريخ عاصم .
استانبول دون تاريخ . وهو في تاريخ الدولة العثمانية من سنة ١٢٠٢ هـ إلى السلطان مصطفى الرابع .

١١ ـ عزى ، سليمان : تاريخ عزى .
(استانبول ١١٩٩ هـ) . وهو تاريخ عام للدولة العثمانية مرتب بحسب السنين ، من ١١٥٧ إلى ١١٦٥ هـ ، وفيه أخبار تعيين الولاة الجليليين . وعزلهم ، والعلاقات الايرانية ـ العثمانية :

١٢ ـ صبحي ، محمد : تاريخ صبحي .
(استانبول ١١٩٨) وهو تاريخ عام للدولة العثمانية ، فيـه

اشارات تتعلق بولاة الموصل ، وخاصة فيما يتعلق بموقفهم ا
التوسع الايراني في القرن الثامن عشر .

١٣ ـ سامي ، شمس الدين : قاموس الأعلام .
٦ مجلدات (استانبول ١٣٠٦ ـ ١٣١٦) .

١٤ ـ علي أميري الآمدي : تذكرة شعراء آمد .
المجلد الأول (استانبول ١٣٢٨) . فيه فصل مهم عن ظ
آل الجليلي على مسرح السياسة وتاريخ الأسرة قبل توليها ا
ثم وصف حصار نادر شاه للموصل ، وشيء من أخبار يحيى
الجليلي آخر الولاة الجليليين .

١٥ ـ راسم ، أحمد : عثمانلي تاريخي .
(استانبول ١٣٢٨) . تاريخ عام للدولة العثمانية ، يتض
تفصيلات مهمة عن مشاركة الجليليين في الحروب العثمانية

١٦ ـ شاني زاده ، محمد بن عطا : تاريخ شاني زاده .
(استانبول ١٢٩١) ٤ مجلدات .

رابعاً ـ المصادر العربية المطبوعة ـ

١ ـ أبو طالب خان : رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربه سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م .
كتب الأصل بالفارسية ، ومنها ترجم إلى الانجليزية والفرنسية ، ومن الأخير عرب الدكتور مصطفى جواد هذه الرحلة المهمة (بغداد ١٩٦٩ م) . وقد مر أبو طالب بالموصل أيام محمد باشا الجليلي بتاريخ ١٧ رمضان ١٢١٧ الموافق ١١ / ١ / ١٨٠٣ م ووصف أوضاع الولاية أثناء إقامته فيها .

٢ ـ أحمد بن الخياط : ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء .
حققه السيد سعيد الديوهجي الموصل ١٩٦٦ .

٣ ـ الأعظمي ، علي ظريف : تاريخ الدول الفارسية في العراق بغداد ١٩٢٧ .

٤ ـ آشر ، جون : مشاهدات جون آشر في العراق .
تلخيص ما كتبه صاحب الرحلة عن العراق بقلم السيد جعفر خياط . مجلة سومر العراقية الدولية . المجلد ٢١ السنة ١٩٦٥ .

٥ ـ أفرام عبدال : اللؤلؤ النضيد في تاريخ ديرمابهنام الشهيد . الموصل ١٩٥١ . وديرماربهنام من الأديرة المجاورة للموصل ، ويبحث الكتاب في تاريخ النزاع الديني الذي حدث أيام الجليليين بين السريان الأرثوذكس (اليعاقبة) وبين السريان الكاثوليك وهو يمثل وجهة نظر الكاثوليك منهم .

٦ - أغناطيوس يعقوب الثالث (البطريرك) : دفقات الطيب
تاريخ دير مار متي العجيب زحلة ١٩٦١ وهذا الكاتب يمـ
وجهة نظر السريان الأرثوذكس في النزاعات القائمة بينهم وبـ
الكاثوليك على عهد الجليليين .

٧ - بابو إسحق : روفائيل : تاريخ نصارى العراق . بغداد ١٩٤٨

٨ - البدليسي ، الأمير شرفنامه . القاهرة ١٩٥٨ والكتاب يتضمـ
معلومات فريدة عن تاريخ الامارات الكردية في شمالي العرا
وعلاقاتها بالدولة العثمانية . وقد ترجمه عن الفارسية السيد محـ
علي عوني .

٩ - برصوم ، أفرام : نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران
ماردين ١٩١٧ .

١٠ - برصوم ، [أغناطيوس] أفرام : تاريخ طور عابدين . نـ
من السريانية إلى العربية غريغوريوس بولس بهنام جونيـ
لبنان ١٩٦٣ م .

١١ - البغدادي ، إسماعيل باشا : هدية العارفين في أسماء المؤلفـ
وآثار المصنفين . مجلدان . إستانبول ١٩٥١ .

١٢ - جب وبوون : المجتمع الأسلامي والغرب : ترجمة الدكتـ
أحمد عبد الرحيم مصطفى . الجزء الأول . القاهرة ١٩٧١

١٣ - جاكسون : مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٦٧ .
تعريب سليم طه التكريتي . بغداد بدون تاريخ .

١٤ - الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الآثار في التراجم والأخبار
٤ أجزاء . طبعة دون بيانات الطبع .

١٥ - الجلبي ، داود : مخطوطات الموصل . بغداد ١٩٢٧ :
والكتاب يتضمن فهارس لما في خزائن الموصل من الكتب ، الخاصة والعامة ، كما أنه يتضمن تعريفاً بالمدارس الدينية في هذه المدينة وقراها .

١٦ - الجلبي ، داود : كلمات فارسية في عامية الموصل . بغداد ١٩٦٠

١٧ - الجليلي ، عثمان بك : الحجة على من زاد على ابن حجة . نشره الدكتور محمد صديق الجليلي . الموصل ١٩٢٧ .

١٨ - الجليلي ، محمد صديق : الأصطياف في حمام العليل . الموصل ١٩٦٥ م :

١٩ - الجليلي ، محمد صديق : محمد الفهمي الموصلي بغداد ١٩٦٩ .

٢٠ - جمو ، يوسف هرمز : تاريخ تلكيف . بغداد ١٩٣٧ .

٢١ - الجبوري ، عبد الله ، المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف . بغداد ١٩٦٥ .

٢٢ - الدباغ ، عبد الخالق خليل : معجم أمثال الموصل العاميـــة . الموصل ١٩٥٦ .

٢٣ - الديوه‌جي ، سعيد : جوامـــع الموصل في مختلف العصور . الموصل ١٩٦٣ .

٢٤ - الديوه‌جي ، سعيد : أعلام الصناع المواصلة . الموصل ١٩٧٠ يبحث في صناعات الموصل وأعلام الصناع فيها ، ومنهم من كان نبوغه في عهد الولاة الجليليين .

٢٥ - الديوه‌جي ، سعيد : الموصل أم الربيعين . بغداد ١٩٦٥ .

٢٦ ـ الدملوجي ، صديق : اليزيدية ، الموصل ١٩٤٩ .
واليزيدية طائفة يرتبط تاريخها بتاريخ ولاية الموصل ابان حكم الجليليين . وفي الكتاب عدة مباحث تتعرض إلى هذه الناحية

٢٧ ـ الدملوجي ، صديق : امارة بهدينان أو امارة العمادية . الموصل ١٩٥٢ .

٢٨ ـ الدركزلي ، سليمان : جغرافية العراق والأقطار المجاورة العسكرية بغداد ١٩٦٥ .

٢٩ ـ هنتس ، فالتر : المكاييل والأوزان الاسلامية ، وما يعادلها في النظام المتري . ترجمة الدكتور كامل العسلي . عمان ١٩٧٠ .

٣٠ ـ الهاشمي ، طه : مفصل جغرافية العراق . بغداد ١٩٢٠ وهو من أهم الكتب التي تبحث في جغرافية العراق التاريخية وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية .

٣١ ـ الهلالي ، عبد الرزاق : تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني بغداد ١٩٥٩ .

٣٢ ـ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي جامعة فؤاد الأول . القاهرة ١٩٥١ .

٣٣ ـ حبي ، القس يوسف : الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة . الموصل ١٩٦٩ .

٣٤ ـ حبي ، يوسف : كنيسة شمعون الصفا . الموصل ١٩٧٣ .

٣٥ ـ حسن عبد الباقي : ديوان حسن عبد الباقي الموصلي . الموصل ١٩٦٦ . وصاحب الديوان هو الشاعر المفضل لدى والي الموصل

الحاج حسين باشا الجليلي وصديقه المخلص ، لذا فان أشعاره غنية بالمعلومات التاريخية عن عصر هذا الوالي . وقد حقق هذا الديوان وقدم له الدكتور محمد صديق الجليلي كما ذيله بملحقين مهمين ، الأول في سيرة الحاج حسين باشا الجليلي ، والثاني في ترجمة الشاعر نفسه .

٣٦ ـ حسن عثمان : تاريخ مصر في العهد العثماني .
وهو فصل من كتاب المجمل في التاريخ المصري . نشره الدكتور حسن ابراهيم حسن . القاهرة ١٩٤٢ .

٣٧ ـ حسين أفندي الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية . نشره وعلق عليه الأستاذ شفيق غربال . مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة ج٤ (١٩٣٦) .

٣٨ ـ حراز ، الدكتور السيد رجب : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث القاهرة ١٩٧٠ .

٣٩ ـ الحصرى ، ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية . بيروت ١٩٦٥ .

٤٠ ـ الحلواني ، أمين بن حسن : خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨ ـ ١٢٤٢ هـ . القاهرة ١٣٧١ هـ .
وهو مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود للشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي المتوفى في حدود ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م وقد حققه محب الدين الخطيب .

٤١ ـ الحلاق الدمشقي ، أحمد البديري : حوادث دمشق اليومية ١٧٤١ ـ ١٧٦٢ . القاهرة ١٩٥٩ .

٤٢ ـ طلس ، أسعد : الكشاف عن خزائن كتب الأوقاف ب
١٩٥٣

٤٣ ـ كاتب جلبي ، مصطفى الحاج خليفة : كشف الظنون
أسامي الكتب والفنون استانبول ١٩٤٣ .

٤٤ ـ الكوراني ، علي سيدو : من عمان إلى العمادية أو جول
كردستان الجنوبية . القاهرة ١٩٣٩ .

٤٥ ـ كوك ، ريتشارد : بغداد مدينة السلام .
ترجمة فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد بغداد . ١٦١
١٩٦٧ .

٤٦ ـ الكرملي ، الأب انستاس ماري : النقود العربية وعلم النـ
القاهرة ١٩٣٩ .

٤٧ ـ الكركوكلي ، رسول حاوي : دوحة الوزراء في تاريخ
الزوراء . ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس . بيروت
تاريخ ، وهو من التواريخ المحلية الدقيقة ، ويغطي حـ
السنين ١١٣٢ ـ ١٢٣٧ إلا أنه يقدم وجهة نظر بغداديـ
عند تعرضه للعلاقات القائمة بين الموصل وبغداد .

٤٨ ـ كراتشكوفسكي ، أغناطيوس : تاريخ الأدب الجغرافي الـ
مجلدان . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . القاهرة ١٩٦٣

٤٩ ـ كربيتس ، بيير : ابراهيم باشا .
ترجمة محمد بدران القاهرة ١٩٣٧ .

٥٠ ـ لسترنج بلدان الخلافة الشرقية .

ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد . بغداد ١٩٥٤ .

٥١ ـ لانزا دومنيكو : الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لانزا .
ترجمة روفائيل بيداويد . الموصل ١٩٥٣ .

٥٢ ـ محمد أنيس (الدكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربي القاهرة

٥٣ ـ المنشي ، محمد بن أحمد الحسيني : رحلة المنشي البغدادي سنة ١٨٢٢ ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي (بغداد ١٩٤٨) وقد زار المنشي الموصل بمعية كلوديوس ريتش المقيم البريطاني في بغداد ، ووصفها في كتاب رحلته .

٥٤ ـ المائي ، أنور : الأكراد في بهدينان . الموصل ١٩٦٠ . يبحث هذا الكتاب في تاريخ امارة بهدينان العباسية في العمادية ، وعلاقاتها بولاية الموصل .

٥٥ ـ المكرياني ، حسين حزني : أمراء سوران .
ترجمه عن الكردية محمد الملا عبد الكريم . بغداد بدون تاريخ يبحث في تاريخ امارة راوندوز ، وهو مهم لأنه ينفرد ببعض التفاصيل عن الغزو الراوندوزي لولاية الموصل في آخر عهد آل الجليلي ، وموقف أميرها من مشاريع محمد علي في الشام .

٥٦ ـ المرادي ، محمد خليل : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٤ أجزاء (القاهرة ١٢٩١ هـ) يتضمن مجموعة من تراجم أدباء الموصل وأعيانها في القرن الثامن عشر .

٥٧ ـ ماتييف وماريوحنا : تاريخ الآثوريين . ترجمة أسامة نعم
بغداد ١٩٧٠ .

٥٨ ـ محمد سلمان حسن : التطور الاقتصادي في العراق . بيروت ١٦٥

٥٩ ـ محمد أمين زكي : تاريخ السليمانية .
ترجمه عن الكردية الملا جميل الروزبياني . بغداد ١٩٥١ .

٦٠ ـ محمد أمين زكي : تاريخ الدول والإمارات الكردية .
ترجمه عن الكردية محمد علي عوني . القاهرة ١٩٤٨ .

٦١ ـ محمد أمين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان .
ترجمه عن الكردية محمد علي عوني . القاهرة ١٩٦١ .

٦٢ ـ نرسي ، حنا : تنوير الأذهان في بعض حقائق تاريخ السر
الموصل ١٩٢٦ .

٦٣ ـ نصري ، بطرس : ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغا
السريان الموصل ١٩١٣ .

٦٤ ـ نوار ، عبد العزيز سليمان : داود باشا والي بغداد . القا
١٩٦٨ .

٦٥ ـ نوار : تاريخ العراق الحديث . القاهرة ١٩٦٨ .

٦٦ ـ نوار : مصر والعراق . القاهرة ١٩٦٨ :

٦٧ ـ نيبور ، كارستن : رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن ع
ترجمه عن الألمانية د . محمود الأمين . بغداد ١٩٦٥ زار نيـ
الموصل عام ١٧٦٦ م / ١١٨١ هـ وتحدث عن أوضاعها السيا
والاقتصادية والاجتماعية ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً .

٦٨ - نيكيتين ، باسيل : الأكراد ، أصلهم ، تاريخهم ، مواطنهم . بيروت بدون تاريخ .

٦٩ - السهروردي ، عبد الرحمن : نبذة من تاريخ حوادث بغداد وهي مراسلات جرت بين المؤلف وبين داود باشا والي بغداد . نشرها حفيده محمد صالح في مجلة المرشد ببغداد . السنة ١٩٢٩.

٧٠ - سيوفي ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية مدينة الموصل عني بتحقيقها ونشرها والتذييل عليها السيد سعيد الديوه جي ، بغداد ١٩٥٦ .

٧١ - سون : رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين . ترجمة السيد فؤاد جميل . بغداد ١٩٧٠ .

٧٢ - سليمان فائق بك بن طالب كهية : مرآة الزوراء في تاريخ الوزراء . ترجمه عن التركية موسى نورس . ونشره بعنوان « تاريخ بغداد » (بغداد ١٩٦٢) .

٧٣ - سليمان فائق : تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد . ترجمه عن التركية محمد نجيب أرمنازي . بغداد ١٩٦١ .

٧٤ - سركيس ، يعقوب نعوم : مباحث عراقية في التاريخ والآثار وخطط بغداد .
جزءان . بغداد ١٩٤٨ - ١٩٥٣ .

٧٥ - العباسي ، محفوظ عمر : امارة بهدينان العباسية . بغداد ١٩٦٩ .

٧٦ - العباسي ، خضر : تاريخ بلدة زاخو . بغداد بدون تاريخ .

٧٧ ـ العزاوي ، المحامي عباس : تاريخ العراق بين إحتلالين الأ
٤ - ٨ بغداد ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ .

٧٨ ـ العزاوي ، عباس : تاريخ النقود العراقية . بغـــداد ٩٥٨

٧٩ ـ العزاوي ، عباس : تاريخ اليزيدية . بغداد ١٩٣٩ .

٨٠ ـ العزاوي ، عباس : تاريخ الضرائب العراقية . بغداد ٥٩

٨١ ـ العزاوي ، عباس : تاريخ الأدب العربي في العراق .
المجلد الثاني . بغداد ١٩٦٢ .

٨٢ ـ عماد عبد السلام رؤوف :
الآثار الخطية في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد ا
الكيلاني . الجزء الأول . بغداد ١٩٧٤ .

٨٣ ـ عواد كوركيس : أثر قديم في العراق ، دير الربان هرمز
الموصل ١٩٣٤ .

٨٤ ـ عواد كوركيس : مدينة الموصل . بغداد ١٩٥٩ .

٨٥ ـ عواد كوركيس : جولة في دور الكتب الأميركية . بغداد ٤٠

٨٦ ـ عواد كوركيس : فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سر
بغداد ١٩٦٥ .

٨٧ ـ العمري ، أمين بن خير الله : منهل الأولياء ومشرب الأ
من سادات الموصل الحدباء .
وهو من أدق المصادر المحلية عن تاريخ الموصل ، وبجاه
في النصف الأخير من القرن الثامن عشر . حققه السيد
الديوه‌جي . جزءان . الموصل ١٩٦٧ - ١٩٦٨ .

٨٨ـ العمري ، ياسين بن خير الله : منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدبـــاء .
حققه السيد سعيد الديوه‌جي . الموصل ١٩٥٣ .

٨٩ ـ العمري ، ياسين : غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر.
نشره الدكتور محمد صـــديق الجليلي . الموصل ١٩٤٠ م .
ومباحثه عن تاريخ هذه الفترة مفصلة ودقيقة ، فالمؤرخ شاهد عيان بل ومشارك في أغلب أحداثها .

٩٠ ـ العمري ، ياسين : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام .
نشرته دار البصري ببغداد ١٩٦٧ . وهو يتضمن تراجم الموصليين الذين زاروا بغداد ، وهي كثيرة مفصلة ، من بينها تراجم عدد من الجليليين ، والكتاب مفيد في دراســـة علاقات بغـــداد بالموصل في القرن الثامن عشر :

٩١ ـ العمري ، ياسين : الروضة الفيحاء في تواريخ النساء .
حققها وهذبها السيد رجاء محمود السامرائي . بغداد ١٩٦٦

٩٢ ـ العمري ، سعاد هادي : بغداد كما وصفها السواح الأجانب .
بغداد ١٩٥٤ .

٩٣ ـ فؤاد سفروطه باقر : المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة في العراق . (٦ أجزاء) . بغداد ١٩٦٦ .

٩٤ ـ الصائغ ، القس سليمان : تاريخ الموصل . جزءان .
القاهرة ١٩٢٨ وبيروت ١٩٤٠ .
يبحث الكتاب في تاريخ الموصل منذ عهد الدولة الآشوريـــة

حتى عهدنا هذا ، وقد خصص الجزء الأول للتاريخ السياسي والثاني للتاريخ الأدبي ، وأسلوب الكتابة تقليدي قديم وفيه معلومات متناثرة تتعلق بتاريخ الموصل خلال عهد الجليليين

٩٥ – صائغيان ، دير نرسيس : تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق بيروت ١٩٤٤ .
ويتضمن الكتاب نبـــذة مركزة عن أحوال أرمن الموصل العهد العثماني وبخاصة في القرن التاسع عشر .

٩٦ – الصراف ، أحمد حامد : الشبك من فرق الغلاة في العراق بغداد ١٩٥٤ .

٩٧ – القادري ، فتح الله : ملحمة الموصل . الموصل ١٩٦٥ .
وهي أرجوزة طويلة في وصف حصار نادر شاه للموصل عهد حسين باشا الجليلي ، وقد حققها ونشرها السيد سعيد الديوه جي .

٩٨ – ريج ، كلوديوس : رحلة ريج إلى العراق سنة ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري بغداد ١٩٥١ .

٩٩ – رافق عبد الكريم : بلاد الشام ومصر منـــذ الفتح العثماني دمشق ١٩٦٨ .

١٠٠–رمضان ، رفعت : علي بك الكبير . القاهرة ١٩٥٠ .

١٠١–الشهرباني ، عبد القادر : تذكرة الشعراء أو شعراء بغـــ وكتابها أيـــام وزارة المرحوم داود باشـــا . تحقيق الـ أنستاس ماري الكرملي . بغداد ١٩٣٦ .

والكتاب يتضمن تراجم تاريخية لعدد من رجال السياسية والفكر من الموصليين .

١٠٢-الرافعي ، عبد الرحمن : عصر محمد علي . القاهرة ١٩٥١

١٠٣-تافرنييه ، جان بابتست . رحلة تافرنييه بغداد ١٩٤٤ .

زار هذا الرحالة الفرنسي العراق في القرن السابع عشر فوصف مدنه وتحدث عن سكانه ، وخص مدينة الموصل بوصف لأحوالها العمرانية وأوضاعها الدينية .

وقد ترجم هذه الرحلة الأستاذان كوركيس عواد وبشير فرنسيس ونشراها بعنوان « العراق في القرن السابع عشر كما وصفه تافرنييه » .

١٠٤-تسيران ، الكردينال أوجين : خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية . ترجمه عن الفرنسية سليمان الصائغ . الموصل ١٩٣٩ .

١٠٥-خليل بن علي البصير : أرجوزة السيد خليل البصير .

وهي في وصف حصار نادر شاه للموصل إبان عهد حسين باشا الجليلي نشرها السيد سعيد الديوه جي . مجلة المجمع العلمي العراقي . ج ١٣ (١٩٦٦) .

١٠٦-الغلامي ، محمد : الجمان المنضد في مدح الوزير أحمد . الموصل

وهي مجموعة من الأشعار والتواريخ التي قيلت في مدح أحمد باشا الجليلي .

١٠٧-الغلامي ، رؤوف : العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي .

الموصل ١٩٤٢ .
١٠٨-الغزى ، كامل بن حسين الحلبي : نهر الذهب في تاريخ حلب
حلب - المطبعة المارونية .
١٠٩-غرايبة ، عبد الكريم : سورية في القرن التاسع عشر :
دمشق ١٩٦٠ .
١١٠-غرايبة ، عبد الكريم : مقدمة في تاريخ العرب الحديث .
دمشق ١٩٦٠ .
١١١-غنيمة ، يوسف رزق الله : تجارة العراق قديماً وحديثاً .
بغداد ١٩٢٢ .
١١٢-غنيمة يوسف : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق .
بغداد ١٩٤٨ .
١١٣-دائرة المعارف الاسلامية ، مواد متعددة مثل :
« تيمار » و « إنكشارية » و « طوغ » و « تنظيمات
و « مفتي » وغيرها .

خامساً - أبحاث مطبوعة

١ - أرمله ، إسحاق : الطائفة السريانية والقنصلية الفرنساوية في بغداد . مجلة المشرق ٢٤ (بيروت ١٩٢٦) .

٢ - الجبوري ، عبد الله : صالح السعدي الموصلي . مجلة الاقلام السنة ٤ (بغداد ١٩٦٨) ج ١٠ .

٣ - الجلبي ، الدكتور داود : مكانة الموصل في الاقتصاديات العامة . مجلة غرفة تجارة بغداد . المجلد ٤ السنة ١٩٤١ ج ٨ .

٤ - الجليلي ، محمد صديق : التراث الموسيقي في الموصل . مجلة التراث الشعبي - المجلد ١ السنة ١٩٦٤ ج ٨ .

٥ - الديوه جي ، سعيد : مدارس الموصل في العهد العثماني بحث مفصل نشر في مجلة سومر العراقية السنوية . القسم الأول في المجلد ١٨ (سنة ١٩٦٢) والثاني في المجلد ١٩ (سنة ١٩٦٣) .

٦ - الديوه جي ، سعيد : سور الموصل . مجلة سومر العراقية . السنة ٣ (١٩٤٧) .

٧ - الديوه جي سعيد : صناعة الموصل وتجارتها في القرون الوسطى : مجلة سومر العراقية السنة ٧ (١٩٥١) .

٨ - الديوه جي ، سعيد : قلعة الموصل في مختلف العصور . مجلة سومر السنة ١٢ (١٩٥٦) .

٩ - الديوه جي ، سعيد : مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل .

مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٧ .
١٠ - عواد كوركيس : ريازة الكنائس القديمة عند السريان المشارقة .
مجلة سومر العراقية . السنة ٧ (١٩٦١) .
١١ - عواد ، كوركيس : ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية .
مجلة سومر العراقية . السنة ٩ (١٩٥٣) .
١٢ - عواد ، كوركيس : تحقيقات بلدانية أثرية في شرق الموصل .
مجلة سومر العراقية . السنة ١٧ (١٩٦١) .
١٣ - غنيمة ، يوسف رزق الله : بطاركة الكلدان في الجيل التاسع عشر .
أبحاث متسلسلة في مجلة النجم الموصلية عام ١٩٥٣ .

سادساً - المصادر الأوربية

1 - *Alexander , C . : Bagdad Bygone days London 1929 .*

والكتاب سيرة ذاتية للمستر كلوديوس جيمس ريتش القنصل البريطاني في بغداد إبان حكم داود باشـــا ، وهو يتعرض إلى دور ريتش في الموصل عندما زارها أثناء حكم أحمد باشا الجليلي .

2 - *Badger , J . : The nestorians . London , 1852 .*

يبحث المؤلف ، وهو بريطاني ، في أحوال نصارى الموصل في القرن التاسع عشر . وخاصة الذين بقوا على إيمانهم بالمذهب النسطوري ولم يتحولوا إلى الكثلكة .

3 - *Budge , W . : By Nile and Tigris . London 1920 .*

الرحالة آثاري بريطاني زار العراق في أواخر القرن التاسع عشر ، ودون معلومات تاريخية عن المواقع التي شاهدهـــا ، وأخباره مهمة فيما يتعلق بالأزمة الاقتصادية التي عمت الموصل في نهاية حكم الجليليين .

4 - *Buckingham , J . : Travels in Mesopotamia London 1827 .*

زار هذا الرحالة البريطاني الموصل قبيل إنتهاء حكم الجليليين ، ووصف باسهاب أحوال الولاية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية

5 - *Cowper , S . : Through Turkish Arabia . London , 1894 .*

6 - Dupre ، A . : Voyage en Perse Paris 1819.
زار دوبريه الموصل في أوائل القرن التاسع عشر وكتب عن أوضاعها الاجتماعية والعمرانية وقدم تقديراً لعدد سكانها .

7 - Ellis ، T . : On a Raft ، and Through the Desert . London . 1881 .

8 - Fiey ، J . M . Mossoul Chretienne . Beyroth 1960 .

9 - Gibb and Bowen : Islamic Society and the West . London 1965 .

10 - Grant , A .: The nestorians . London 1841 .

11 - Croves , A . N . : Journal of Residence at Bagdad . London 1832 .
للكتاب أهمية كبيرة في توضيح ظروف سقوط بغداد في عهد داود باشا على يد الوالي العثماني علي رضا اللاظ . كما أنه يبين علاقة حاكم الموصل قاسم العمري بالأحداث الدائرة ببغداد آنذاك .

12 - Heude , A . : A Voyage up the persian Gulf and Journey Overland from India to England in 1817 . London 1819 .

13 - Howel , T . : Voyage en retour de l ' Inde par terre . Paris 1788 .

14 - Ives , : A Voyage From England to India ، London . 1760

15 - *Longrigg , S : Four Centuries of Modern Iraq . London 1925 .*

16 - *Luke . H . C . : Mosul and its Minorities . London 1925 .*

يبحث المؤلف في أحوال الطوائف الدينية في الموصل ، وخاصة النصرانية منها ، ويغلب على أسلوبه الطابع الصحفي ، فهو لايهتم بتاريخ تلك الطوائف قدر إهتمامه بوصف عاداتها وأزيائها وعقائدها التي تسترعي إنتباهه .

17 - *Lutsky , V . : Modern History of the Arab Countries . Moscow 1969 .*

18 - *Malcolm , J . : History of Perria . London*

19 - *Olivier , G . A . : Voyage dans l ' Empire Ottoman , L ' Egypt et La Paris, Paris 1801 .*

زار الرحالة ، وهو فرنسي ، الموصل في أواخر القرن الثامن عشر ، وأفاض في وصف أحوالها السياسية والحضارية ، وأبدى إعجاباً شديداً بسياسة محمد باشا الجليلي وأثرها في إزدهار الحياة الاقتصادية واستتباب الاستقرار والأمن .

20 - *Rich , C : Narrative of a Residence in kurdistan and on the Site of Ancient Nineveh . London 1835 .*

21 - *Sykes , p . : AHistory of persia . London 1951 .*

22 - *Sestini : Voyage de Constantinople . Paris .*

23 - *Ussher , J . : Journey from London to Persepols . London 1865 .*

الملاحق

ملحق رقم (١)

قائمة بأسماء ولاة الموصل وبيان تواريخ حكمهم من سنة ١٧٢٦ م الى ١٨٣٥ م (١١٣٩ - ١٢٥١ هـ) (١)

اسماعيل باشا بن عبد الجليل	١٧٢٦ – ١٧٢٧ م / ١١٣٩ – ١١٤٠ هـ
حسين باشا الدرنده لي	١٧٢٧ – ١٧٢٨ م / ١١٤٠ – ١١٤١ هـ
محمد باشا رشوان زاده	١٧٢٨ – ١٧٣٠ م / ١١٤١ – ١١٤٣ هـ
الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي	١٧٣٠ – ١٧٣٠ م / ١١٤٣ – ١١٤٣ هـ
علي باشا	١٧٣٠ – ١٧٣١ م / ١١٤٣ – ١١٤٤ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (ثانية)	١٧٣١ – ١٧٣٣ م / ١١٤٤ – ١١٤٦ هـ
ممش (ميمش) باشا	١٧٣٣ – ١٧٣٣ م / ١١٤٦ – ١١٤٦ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (ثالثة)	١٧٣٣ – ١٧٣٥ م / ١١٤٦ – ١١٤٨ هـ
ممش باشا (ثانية)	١٧٣٥ – ١٧٣٦ م / ١١٤٨ – ١١٤٩ هـ
ايلجي مصطفى باشا	١٧٣٦ – ١٧٣٨ م / ١١٤٩ – ١١٥١ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (رابعة)	١٧٣٨ – ١٧٤٠ م / ١١٥١ – ١١٥٣ هـ
محصل أحمد باشا الحلبي	١٧٤٠ – ١٧٤١ م / ١١٥٣ – ١١٥٤ هـ

(١) من أهم المصادر التي رجعنا اليها في أعداد هذه القائمة : سالنامة ولاية الموصل لعام ١٣٢٥ ، ومحمد ثريا : سجل عثماني (٤ أجزاء) وياسين العمري : منية الأدباء . وزبدة الآثار الجلية (مخطوط) .

عثمان باشا الوانلي	١٧٤١ – ١٧٤١ م / ١١٥٤ – ١١٥٤ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (خامسة)	١٧٤١ – ١٧٤٦ م / ١١٥٤ – ١١٥٩ هـ
سليمان باشا حاكم سيواس (١)	١٧٤٧ – ١٧٤٧ م / ١١٥٩ – ١١٦٠ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (سادسة)	١٧٤٧ – ١٧٤٨ م / ١١٦٠ – ١١٦١ هـ
محمد باشا الترياكي	١٧٤٨ – ١٧٤٨ م / ١١٦١ – ١١٦١ هـ
ابراهيم باشا محافظ بغداد	١٧٤٨ – ١٧٤٩ م / ١١٦١ – ١١٦٢ هـ
محمد باشا والي مرعش	١٧٤٩ – ١٧٥٠ م / ١١٦٢ – ١١٦٣ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (سابعة)	١٧٥٠ – ١٧٥٠ م / ١١٦٣ – ١١٦٤ هـ
مصطفى باشا الشهسوار	١٧٥٠ – ١٧٥١ م / ١١٦٤ – ١١٦٥ هـ
رجب باشا	١٧٥١ – ١٧٥٢ م / ١١٦٥ – ١١٦٦ هـ
محمد باشا والي كركوك	١٧٥٢ – ١٧٥٢ م / ١١٦٦ – ١١٦٦ هـ
محمد أمين باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي	١٧٥٢ – ١٧٥٥ / ١١٦٦ م – ١١٦٩ هـ
مصطفى باشا الشهسوار (ثانية)	١٧٥٥ – ١٧٥٥ م / ١١٦٩ – ١١٦٩ هـ
محمد أمين باشا الجليلي (ثانية)	١٧٥٥ – ١٧٥٦ م / ١١٦٩ – ١١٧٠ هـ
مصطفى باشا العظم	١٧٥٦ – ١٧٥٧ م / ١١٧٠ – ١١٧١ هـ
رجب باشا (ثانية)	١٧٥٧ – ١٧٥٧ م / ١١٧١ – ١١٧١ هـ
الحاج حسين باشا الجليلي (ثامنة)	١٧٥٧ – ١٧٥٨ م / ١١٧١ – ١١٧٢ هـ
محمد أمين باشا الجليلي (ثالثة)	١٧٥٨ – ١٧٥٨ م / ١١٧٢ – ١١٧٢ هـ
نعمان باشا الحلبي	١٧٥٩ – ١٧٥٩ م / ١١٧٣ – ١١٧٣ هـ
محمد أمين باشا الجليلي (رابعة)	١٧٥٩ – ١٧٦٠ م / ١١٧٣ – ١١٧٤ هـ
مصطفى باشا الشهسوار (ثالثة)	١٧٦٠ – ١٧٦١ م / ١١٧٤ – ١١٧٥ هـ

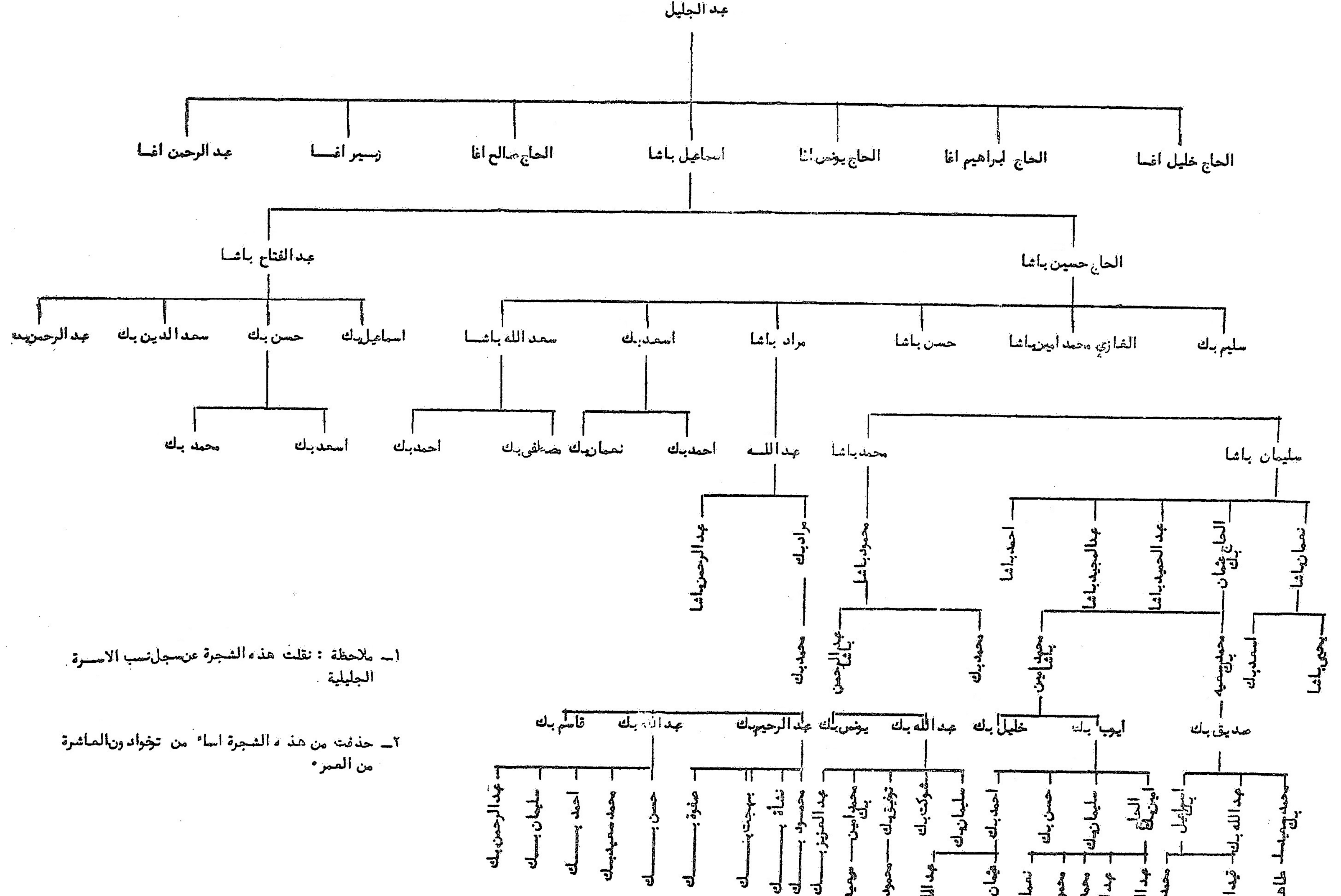
(١) كذا في المصادر ، وفي السالنامة أنه « سليم باشا » .

محمد أمين باشا الجليلي (خامسة) ١٧٦١ - ١٧٦٨ م / ١١٧٥ - ١١٨٢ هـ
حسين باشا ١٧٦٨ - ١٧٦٩ م / ١١٨٢ - ١١٨٣ هـ
عبد الفتاح باشا بن اسماعيل باشا ١٧٦٩ - ١٧٧١ م / ١١٨٣ - ١١٨٥ هـ
الجليلي
سليمان باشا بن محمد أمين الجليلي ١٧٧١ - ١٧٧٥ م / ١١٨٥ - ١١٨٩ هـ
محمد أمين باشا الجليلي (سادسة) ١٧٧٥ - ١٧٧٥ م / ١١٨٩ - ١١٨٩ هـ
سليمان باشا الجليلي (ثانية) ١٧٧٥ - ١٧٧٦ م / ١١٨٩ - ١١٩٠ هـ
حسن باشا ١٧٧٦ - ١٧٧٧ م / ١١٩٠ - ١١٩١ هـ
سليمان باشا الجليلي (ثالثة) ١٧٧٧ - ١٧٨٣ م / ١١٩١ - ١١٩٧ هـ
مصطفى باشا يازەجي ١٧٨٣ - ١٧٨٣ م / ١١٩٧ - ١١٩٨ هـ
تيمور باشا الوانلي ١٧٨٣ - ١٧٨٤ م / ١١٩٨ - ١١٩٩ هـ
عبدالباقي باشا بن عبيداغا الجليلي ١٧٨٥ - ١٧٨٦ م / ١١٩٩ - ١٢٠٠ هـ
سليمان باشا الجليلي (رابعة) ١٧٨٦ - ١٧٨٩ م / ١٢٠٠ - ١٢٠٤ هـ
محمد باشا بن محمد أمين باشا الجليلي ١٧٨٩ - ١٨٠٦ م / ١٢٠٤ - ١٢٢١ هـ
نعمان باشا بن سليمان باشا الجليلي ١٨٠٦ - ١٨٠٨ م / ١٢٢١ - ١٢٢٣ هـ
أحمد باشا بن بكر أفندي ١٨٠٨ - ١٨٠٩ م / ١٢٢٣ - ١٢٢٤ هـ
محمود باشا بن محمد باشا الجليلي ١٨٠٩ - ١٨١٠ م / ١٢٢٤ - ١٢٢٥ هـ
سعد الله باشا بن الحاج حسين باشا ١٨١٠ - ١٨١٢ م / ١٢٢٥ - ١٢٢٧ هـ
الجليلي
أحمد باشا بن سليمان باشا الجليلي ٣١ تشرين الأول ١٨١٢ - ١٨١٧ م
٢٣ شوال ١٢٢٧-١٢٣٣هـ(١)

---

(١) ضبطت التواريخ التالية نقلاً عن طومار محفوظ في مدرسة الصائغ في الموصل وقد تفضل الدكتور محمد صديق الجليلي فأطلعني على جزء منه .

حسن باشا بن الحاج حسين باشا	١٧ كانون الثاني ١٨١٨	ـ ١٨١٨ م
الجليلي	٨ ربيع الأول ١٢٣٣	ـ ١٢٣٣ هـ
أحمد باشا الجليلي (ثانية)	١٢ تشرين الأول ١٨١٨	ـ ١٨٢١ م
	١٠ ذي الحجة ١٢٣٣	ـ ١٢٣٧ هـ
عبد الرحمن باشا بن عبد الله بك	١ حزيران ١٨٢١	ـ ١٨٢٢ م
الجليلي	١٠ رمضان ١٢٣٧	ـ ١٢٣٨ هـ
يحيى باشا بن نعمان باشا الجليلي	٢٣ تشرين الأول ١٨٢٢	ـ ١٨٢٧ م
	٥ صفر ١٢٣٨	ـ ١٢٤٢ هـ
عبد الرحمن باشا بن محمود باشا	٢٠ تموز ١٨٢٧	ـ ١٥ نيسان ١٨٢٨ م
الجليلي	٢٤ذي الحجة ١٢٤٢	ـ ٩ شوال ١٢٤٤ هـ
محمد أمين باشا بن عثمان بك	٢٦ تموز ١٨٢٩	ـ كانون الأول ١٨٢٩ م
الجليلي	٢٣ محرم ١٢٤٥	ـ جمادى الآخرة ١٢٤٥ هـ
قاسم باشا بن حسن أفندي العمري	كانون الأول ١٨٣٠	ـ حزيران ١٨٣١م
	رجب ١٢٤٦	ـ محرم ١٢٤٧هـ
محمد سعيد آل ياسين المفتي	تموز ١٨٣١	ـ ١٨٣٣ م
	صفر ١٢٤٧	ـ ١٢٤٨ هـ
يحيى باشا الجليلي (ثانية)	ايلول ١٨٣٢	ـ ١٨٣٤ م
	ربيع الثاني ١٢٤٨	ـ ١٢٤٩ هـ
محمد سعيد باشا آل ياسين (ثانية)	شباط ١٨٣٤	ـ ١٨٣٥ م
	شوال ١٢٤٩	ـ ١٢٥١ هـ
محمد باشا اينجه بيرقدار	نيسان ١٨٣٥	ـ ١٨٤٤ م
	محرم ١٢٥١	ـ ١٢٦٠ هـ



١ـ ملاحظة : نقلت هذه الشجرة عن سجل نسب الاسرة الجليلية .

٢ـ حذفت من هذه الشجرة اسماء من توفوا دون المباشرة من العمر .

ملحق رقم (٣)

بيان بالتواريخ والكتابات الهامة على حصون الموصل وأبوابهـا (١)

١ – بيان تواريخ قلعة (باشطابية) :

في أربع جهات الغرفة التي كان يجلس بها (الحاج) حسين باشا الجليلي ، وهي ضمن باشطابية : البسملة وآية الكرسي سنة ١١٥٨ وفوق هذه الكتابة رخامة من جهة الغرب وعليها الكتابة الآتية :

أمر بعمارة هذه القلة (البرج) . . . السلطان الغازي محمودخان ابن السلطان الغازي مصطفى خان . . . وذلك بمباشرة الوزير المفخم . . . الدولة العثمانية . . . الاسلامية الحاج حسين باشا الجليلي ، وذلك سنة ثمان وخمسين ومائة وألف سنة ١١٥٨ .

وفوق باب الغرفة المقابلة للغرفة المذكورة ، وهي أيضاً ضمن باشطابية :

أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان المعظم . . . نجل الوزير المرحوم سليمان باشا . . . قد بناه جد الـ . . .

٢ – فوق باب لكش :

أنشيء البناء شهر محرم سنة ألف ومائتين وسبع عشرة .

---

(١) سيوفي ، نيقولا : مجموع الكتابات المحررة على أبنية مدينة الموصل ص١٣٦ – ١٣٩ و ١٤٤ .

٣ - فوق باب السراي :

شاد هذا السور سلطان الملا صاحب الشوكة في هذا الأوان
ذو العلا عبد الحميد المرتضى زادة الرحمن اقبالاً وشان
قاسم ذو المجد في اتقانه حاكم الوقت سليمان الزمان
رب فاجعلنه أماناً للورى دائماً باللطف محروساً مصان

سنة ١١٩٠

٤ - فوق باب الطوب :

أمر بعمارة هذا السور السلطان بن السلطان الغازي مصطفى خان وذلك بمباشرة الوزير المكرم الحاج حسين باشا الجليلي .

٥ - فوق باب شط القلعة :

بلدة طيبة ورب غفور سنة ١٢١٦ (١) .

٦ - فوق باب شط المكاوي :

توكلنا على الله سنة ١٢١٦ .

٧ - فوق باب شط الجصي :

حسبنا الله ونعم الوكيل سنة ١٢١٦ .

٨ - فوق باب سنجار أبيات تركية ، وفوقها بخط مثنى أبيات عربية لقاسم حمدي بن يحيى آل محضر باشي :

(وفق الله ذا) الوزير المؤيد أحمد الفضل دام (بالسعد) يحمد
لبناء الحصن (المنيع) اهتماماً (بعدما أشرفت قواه على الهد)
وفق (أمر السلطان) دام علاه صان حدباءنا بسور مشيد
عند تكميل البنا أرخوه (طاب تعميره بهمة أحمد)

سنة ١٢٣٧

---

(١) في عهد والي الموصل محمد باشا الجليلي .

٩ - فوق القلة (البرج) المستديرة التي في السور بجانب باب سنجار عن يمين الخارج منه أبيات لقاسم حمدي بن يحيى آل محضر باشي :

عمر الوزير (الشهم) أحمد للورى حصناً بعلياه الزمـان يبـاهي
وأقام أبراجـاً لشمس سعوده اني لرفعتها البروج تضـاهي
قد حاز خير مناقب (ومآثر) وحوى بهـا فخراً بغير تناهي
شيدت قواعدهـا بهمته التي تسمو (على) الجوزاء بالاكراه
فبأمر ظل الله (أعلى) سمكها فغدت لذاك عديمـة الأشباه
من بعدما اندثرت (بأدنى مدة بلغت عمارتها الكمال كما هي)
لا غرو ان شمخت معالمها فقد نادى المؤرخ (أمر ظل الله)

سنة ١٢٣٧

ملحق رقم (٤)

وقفية جامع الأغوات والمدرسة الخليلية (١)

ما فيه من الوقف والصحة صح لدى الفقير لله عز شأنه السيد عبد الله المولي خلافه بمدينة الموصل المحروسة . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي وفق عباده لفعل الخيرات ، وخصهم شرفاً ورفعة بأعلى الدرجات ، ونوّر قلوبهم بنور المعرفة فانكشف عنهم غياهب الظلمة فتهيئوا للفوز بالجنات واستعدوا لنيل حلل الرضوان ، واعتدوا لأن تكون الفردوس نزلا ، إذ قال عز من قائل : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً فعقباهم فيها نعيم ورزق كريم » لقوله تعالى : « ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كبير » ، وكذلك وعدهم الله جل جلاله وعلا « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » . أحمده حمداً يوافي نعمه ، ومتمسك بأذيال كرمـــه ، وأشكره شكر سارح في مدار مننه الزاهرة ، ورائع في رياض نعمه الوافرة وأشهد أن سيدنا المرتضى والنور المنتقى الذي دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، الذي رقى حضرات قدسه . واخترق حجاب أنسه ، المظهر الأول والروح الأمين ، الناطق بكنت نبيا ولا ماء ولا طين ، المخاطب بطه وياسين المتصف بكلام الله القديم « وانك لعلى خلق عظيم » محمداً عبده المجتبى

---

(١) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

والمنتقى والمقتفى ، وعلى آله الكرام ، وأصحابه الأئمة الأعلام ، ما أظلم ظلام ، وباكر رهام .

أما بعد ، فلما علم وتحقق كل من مفخر الأكارم والأكابر ، وسند الأماجد والأصاغر ، ذو الصفات السمية ، والخصال المرضية ، أعني الحاج خليل آغا وابراهيم آغا ، واسماعيل آغا نجلاء المرحوم المكرم عبدالجليل ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه وسط جناته ، ان الدنيا دار اغترار لا دار قرار ، إذ سرورها بلا دوام ، وحبورها دائم الانفصام ، ملكهـا قريب الزوال ، ونعيمها سريع الانتقال ، عاجلها إلى اضمحلال ، ونعيمها إلى ارتحال ، والأرواح منقادة بالاعمال ، فاذا كانت صالحة فقد سعدت ، وإذا كانت طالحة فقد شقيت ، وأما الأجساد فعبرة للمتفكرين ، وعظـة للمتقين ؛ فالعاقل اللبيب من علم بمواقع الحياة ، واستعد لمواقع الوفاة ، وأيقن أن قوارع الدهور تأتي بقواطع الظهور ، فليس يفيد إلا التزود للمآل والسلوة عن الأهل والمال ، والفطن الأديب ، من انتهز الفرصة في ادخار عدة مع قصر مدة ، واستعد لطول سفرة ، وحلول مغفرة فعمل بموجب قوله تعالى « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » وامتثل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « من بنى لله مسجداً ولو بقـدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » وقال عليه السلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . فامتثل كل من المتفكرين لنص الشارع ، فأنشأوا من خالص أموالهم ، ذخراً لهم طلباً لمرضاته ، وفوزاً بجناته ، لتشيد الجامع الواقع على حافة الخندق تجاه القلعة (١) ، الواقع ذلك كله في الموصل المحروسة ، و

(١) هي ايج قلعة (القلعة الداخلية) وكان يفصلها عن باقي أجزاء المدينة خندق

جريمه أيضاً مدرسة لتدريس العلم الشريف تشتهر بالخليلية (١) ، وفيها ثلاثة حجر لطلاب العلم ، وشرطوا أن يصرف من ربع ما هو خالص ملكهم وبيدهم وتحت تصرفهم ، وهو الخان المعد للتجار الفاصل بينه وبين الجامع والمدرسة الشريفة المذكورة ، الطريق المار من القلعة إلى سوق الغزل والميدان لمصارف الجامع ، للخطيب كل يوم أربعة من الصاغات العثمانية (٢) ، وللامام ستة ، وللمؤذن (٣) في الأوقات الخمسة كل يوم عثمانيتين ، ولمؤذني الجمعة الثلاثة كل واحد عثماني ، ولمؤذن السدة عثماني ، وللمحفل عثماني ، ولتلاوة القرآن العظيم على المحفل اثنان ، كل واحد عثماني . وللخطيب عثماني ، وللفراش والكناس لكل واحد عثماني ، وسقا كل يوم بعثماني ، وعين لخدمة القناديل والشمع واحد عثماني ، وللدهن والشمع كل يوم عثماني واحد ، وللمتولي كل يوم ثمانية عثمانيات ، وشرطوا أن يعطى من ربع الخان المذكور في كل سنة لحصير جامع نبي الله جرجيس عليه السلام ألف مائتان عثمانية وكل مائة وعشرين لقرش كامل الوزن ، وكذلك ما عينوه لخدمة الجامع الشريف والتدريس من الصاغات يؤخذ على هذا المنوال ، وهو الرائج السلطاني حينئذ في بيت المال (٤) وشرطوا أن يكون المتولي على الوقف المذكور من ولد ولدهم ، وولد ولد أخويهم ما تناسلوا الأرشد فالأرشد والأعلم فالأعلم ، وكذلك شرطوا أن يكون الخطيب والامام من ولد ولدهم وولد ولد أخويهم إلى ما شاء الله ، وشرطوا أن يعطى من ريع الخان

---

(١) نسبة الى الحاج خليل أغا أحد الواقفين المار ذكرهم .

(٢) الصاغة العثمانية ، وحدة نقدية عثمانية ، شرحنا قيمتها في الملحق .

(٣) في الأصل (ولمؤذن) .

(٤) أنظر الملحق الخاص بأنواع العملة .

المذكور ، ومن الأرض المعدة لزرع الشاروق (١) الواقعة تجاه القلعة شمالاً المتصلة بأرض أحمد أفندي العمري (٢) ، وكلما احتـاج إلى الجامع من العمارة والحصير والأباريق من الأرض الموقوفة ، وشرطوا للمدرس كل يو ثمانية عثمانيات ، وكل واحدة من الحجر عثماني ، وشرطوا الفضلة الباق من الريع تقسم على ذريتهم وشرطوا أن يكون العالم السليم من أولاد الواقف هو الأولى والأحرى للتدريس من الغير ، وان لم يكن كذلك فللمتولي من أولا الواقف ، نصب المدرس للتدريس من ذوي العلوم والورع ، وشرطوا يقرأ لأرواحهم كل يوم جزء من القرآن بعثمانيتين ، وشرطوا أن يراعى - الخدمة ، ولا يماطل فيما شرط لهم ، ولا يحل للمتوفي أن يحدث شيئاً سو ما عينه الواقف ، وأن يجري على سنن الحق ، وسلم الوقف المذكور بشرو وجملة ما عينوه من حدوده وحقوقه للمتولي القيم بكافة أموره ، ولما لم يَ الواقف بالشروط ، على قول الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ، لازماً معناه ثاب فأراد كل من الواقفين المذكورين اخراجه من يده ، وارجاعه على ما عليه من الملكية ، فآل الأمر إلى النزاع والخصام ، فارتفع كل منهم حاكم الشرع المستطاب ، الموقع اسمه بأعلى الكتاب ، فحكم بصحته ولز بعد الاحتجاج بقول الامامين أبي محمد وأبي يوسف رحمهم الله ، راء بذلك الأقوى من الخلاف ، ما عليه الأئمة الأشراف ، وأبقاه بيد الم المذكور على ما كان عليه من سائر الشروط والحقوق ، فكان حينئذ صحيحاً شرعياً وحبساً صريحاً مرعياً مؤبداً مخلداً ، لا يغير بمرور الأو

(١) الشاروق : نوع من القثاء .

(٢) أحمد بن محمد العمرى ، من أعظم أعيان الموصل وأكثرهم ونفوذا في عهده توفي عام ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م (منهل الأوا ج١ ص٢٣٢) .

ولا يكرر بكرور الساعات ، لا يورث ، ولا يوهب ، ولا يرهن ، ولايباع ولا يخرج عن الوقفية بوجه من الوجوه . ولا بسبب من الأسباب ، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها وهو خير الوارثين ، فلا يحل لسلطان ووزير وحاكم وقاض أو غير ذلك أن يقصد تغيير هذه الشروط أو تبديل ما هو منوط فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم ، وأجر الواقف على الله سبحانه وتعالى ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

حرر في غرة شهر رجب المبارك لسنة ألف ومائة وأربعة عشر من هجرة خير البرية عليه من الله أفضل الصلوات وأكمل التحية .

ملحق رقم (٥)

الكتاب الذى كتبه الملا باشى على أكبر بأمر نادر شاه الى مفتى الموصل يحيى أفندى الفخرى سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ (١)

بسم الله العلي الأعلى الموصل إلى مدارج العلى

هذا كتاب منا إلى العـالم النبيل ، والنحرير الجليل ، يحيى المفتى

(١) عثرنا على صورة هذا الكتاب في مجموع مخطوط في مكتبة يحيى باشا الجليلي في الموصل ، والمجموع بخط أحد أعيان كركوك ، الذين حملوا الرسالة إلى الموصل . وقد ورد أسمه في نص الرسالة هذه وهو « حسن أفندي » كما وجد إسمه كاملا في بعض حواشي المجموع الخطي ، وهو « حسن بن رضـا الكركوكلي » وللدكتور محمود الجليلي الفضل في إرشادنا إلى هذه الوثيقة . ومن الجدير بالذكر أن الرسالة المذكورة قد وردت في مصادر أخرى ، ولكن مع إختلاف طفيف في بعض الألفاظ بين كل مصدر وآخر بسبب النسخ وهذه المصادر هي :

أ - صورة من الكتـاب في مجموع مخطوط ، محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد تحت رقم (٤٤) .

ب - صورة من الكتاب مكتوبة في حاشية (منهل الأولياء) نسخ المؤلف المخطوطة ، ونشرت في الكتاب المطبوع ج ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦

ج - سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج١ ص٢٨٠ .

د - سالنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ رومي ص٢٦٢ - ٢٦٣

أحياه الله كما يشتهي ويتمنى ، وصانه من كل طارق وبلوى ، والى قاطبة قاطني الموصل ، حفظهم الله من الصيب والوابل ، كي أيقضهم من رقدة الغفلة ، وسنة العثرة ، ويزيل عنهم الوحشة والدهشة ، فليستمعوا ولينصتوا [إستماع] قبول واذعان وإيقان وإتقان ، عسى أن ينجوا ويفرحوا لاتلقوا وراء ظهوركم القاء تعنت وطغيان ، تحزنوا وتنـدموا . إعلموا إخواني المؤمنين ، أنا جند الله خلقنا من رحمته وغضبه ، فالبشرى ثم البشرى لمن إتبعنا وهوانا ، والنذرى ثم النذرى على من خالفنا وعصانا ، أوليس لكم في آثار الماضين تبصرة ومعتبراً ، إلا فتذكروا أخبار الهند والسند والترك في إنموذج وصل إليكم من وقايعهم وملاحمهم ووقايـع جيرانكم من أهل كركوك وما والاها ، كيف تعنتوا فتندموا ثم أطاعوا فنجوا فهم ذا الحظ(١) في جلباب أمن وأمان وشفقة ودعة وإمتنان ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وإتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، لا تقدرون على الـدفاع ، فلا تعرضوا أعماركم للانقطاع بالقاء شبه من جهلة لا الخير يعرفون من الشر ، ولا الخبر من الأثر فكما قال عز من قايل : تعـاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . وورد في الحديث الشريف أن من فرج كربة عن أخيه المؤمن فرج الله عنه سبعين كربة ، ومن رأى أخيه في حفرة فأنجاه الله من النار ، وديت اليكم كتابي وصحيفتي مع السيدين النجيبين الفخيمين قاضي كركوك وحسن أفندي وصحبته محمد أفندي ومصطفى آغا يوصلونه اليكم ويرشدونكم إلى الصواب ، ويحذرونكم عن (٢) العقاب ، فعليكم أن تنظروا اليه بعين الانصاف ، متجنبين عن التعند والاعتساف واستقبلوا

---

(١) كذا في الأصل ، وفي مخطوطة الدراسات العليا وفي منهل الأولياء (ذوو الحظ) .

(٢) كذا والصواب (من) .

السلطان العادل الكامل الرؤف والخاقان الأعظم العطوف أدام الله عز جلاله على مفارق العالمين تفرحوا وتسروا ، فان همته العلية العالية مصروفة بالتشفق والاستعطاف ، وماله مباغضة ولا معاندة لسلطانكم السلطان إبن السلطان والخاقان بن الخاقان ثاني إسكندر ذي القرنين خادم الحرمين الشريفين السلطان الغازي محمود خان أدام الله ظلال جلاله طمعاً في ملكه ورعيته ، بل همته العلية الشاهنشاهانية مصروفة بحفظ ملكه ورعيته أكثر من إهتمامه بملك نفسه ، لكن صارت بينهما شبهات دينية شرعية وعقد ملية يسهل الله حلها ويقي الله المسلمين شرها ، فلا تعرضوا أنفسكم لنزول نيران غضبه وشدة بطشه وسخطه . إنما علينا البلاغ وعليكم الحساب فعلينا إتمام الحجة الغراء وعليكم سلوك المحجة البيضاء وليبلغ الشاهد منكم المستمع لكتابنا الغائب .

والسلام على من إتبع الهدى .

الملحق رقم (٦)

الكتاب الذي أرسله السيد يحيي أفندي الفخري ـ مفتي الموصل ـ الى ملا باشي على أكبر ردا على كتابة المذكور (١) .

بسم الله وما إعتصامنا إلا بالله ، ومن لاذ بكهف كفايته كفاه وحماه ، هذا كتاب فصلت آياته وتحدثت معجزاته وظهرت شواهد دعوته وبيناته ظهور نار القرى ليلا على علم بل هو أشهر ، كجلمود [صخر] (٢) حطه السيل من عل إلى ملا باشي علي أكبر ، أجرى الله بذباب صمصام قهره من أنف رعونته قطرات الشرور المتصاعدة إلى صماخ دماغـــه من أبخرة النخوة (٣) والغرور ، وأخمد شرارة (٤) تلك النية الفاسدة بعرمرم(٥) الدمدمة الالهية كما أهلكت عاد بالـــدبور . وصل كتابكـــم المرسول إلى

---

(١) المصدر : أ ـ نسخة خطيـــة في مجموع مخطوط ، محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد برقم ٤٤ .

ب ـ منهل الأولياء ج١ ص ٣٢٧ .

ج ـ سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٨٣ .

د ـ سالنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ رومي ص٢٦٤ ـ ٢٦٦ .

(٢) الزيادة من السالنامة .

(٣) في تاريخ الموصل والسالنامة (النخومة) .

(٤) في المنهل والسالنامة (وأخمد شررات) وفي تـــاريخ الموصل (وأخمدت شرارات) .

(٥) في السالنامة (صرصر) .

العامة ، المشتمل بزعمكم على الطامة (١) ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ، مفتخرين به بأنكم جند الله مخلوقون من الغضب « تبت يدى أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب » فأجابوا حين قرىء على رؤوس الأشهاد شافوا (٢) ما إنطوى عليه من الابراق والارعاد ، وأحاطوا بما أودعتموه من الانذار والايعاد (٣) نعوذ (٤) بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (٥) « وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل فانا عاملون » فالعياذ بالله ، أمن بعد إيماننا وطاعتنا لسلطاننا والمقاتلة دون أموالنا والمكافحة عن أولادنا وعيالنا يهولنا منكم شقايق اللسان ويروعنا سحر البيان ووسوسة الشيطان وكثرة الهذيان .

قام الحمام على البازي يهدده | واستصرخت بأسود البر أضبعه
يا من يسد فم الأفعى باصبعه | يكفيه ماقد يلاقي منه إصبعه

فما وعيدكم عندنا إلا كصرير باب ، أو كما طن في لوح الهجير

---

(١) في تاريخ الموصل والسالنامة (الطاعة) وهو تصحيف .

(٢) في المنهل السالنامه (وشاموا) .

(٣) في السالنامة (والاوعاد) .

(٤) في المجموعة الخطية والسالنامة (أعوذ) والتصحيح عن منهل الأولياء : وفي تاريخ الموصل سقطت العبارة من (من الغضب) إلى (نفوذ) .

(٥) في المنهل (الشيطان الشقي الرجيم) .

ذباب أفرأيتم أن القصاب يقهره (١) كثرة الغنم ، أو الأسد الغشمشم يدهشه تراكم النعم ، تذكورونا بما فعلتم بالسند والهند (٢) مع أولئك العلوج [وما سطوتم على الترك بقية ياجوج وماجوج] (٣) وتدهشونا بما فتحتم من قلعتي كركوك وأربيل وترعبونا بأمثال هاتيك الأباطيل ، كلا ستعلمون ، ثم كلا ستعلمون الرقاع بالقراع ، ونحن الأسود الضارية ، والسباع الكواسر العادية ، أسيافنا صقيلة ، وسطوتنا ثقيلة ، وحلومنا رزينـة ، وقلوبنـا كالحديد متينة ، وبلدتنا — بحمد الله — حصينة (لنا جبل يحتله من يجيره منيع يرد الطرف وهو كليل) ستر العرش مسبول علينا ، وعين الله ناظرة إلينا بحول الله لا يقدرون علينا وذلك بعناية الله ووفرة عددنا وأعدادنا موصل بصيانتنا وإمدادنا ، من طرف سلطاننا باهر السطوات عظيم الهمة والخطوات ، كهف الاسلام والمسلمين ، حامي حوزة الدين حافظ بيضة الايمان والمؤمنين . سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين ذو السطوات الخاقانية التي لا تباري . والعزمات الثابتـة التي لا تجارى سلطان سلاطين الآفاق في الأرضين فسوف يمدنا بالجنود لا قبل لكم بهـا فترجعون على الأعقاب ناكسون ويخرجكم منها أذلة وأنتم صاغرون ، فكيف تهدودونا وأنتم لعظمة شوكة العثمانية تعرفون ، وما تخافون ، كافتكم لذلك محققون ، وبما نقوله يشهـدون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وبفواضل إحسانه متسربلون . ورثنا هذا عن آباء صدق ونورثها إذا متنا البنين مع أنا من خاصة أهل السنة والجماعة ، فلا سمعا لكم ولا طاعـة وأهلا بالسعادة والشهادة هذه الساعة .

---

(١) في السالنامة (يهوله) .

(٢) في السالنامة (بما فعلتم مع أولئك العلوج) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من السالنامة .

ردي حياض الردى يانفس واتركي   حياض عين الردى للشاء والنعم

فما بيننا إلا ما صنع الحداد من سيوف حداد ورماح مداد ، ويقبل الله في شأنه ما أراد ، حرر عن لسان خادم أعتاب الدولة العثمانية (الحاج حسين باشا) الوزير الجليل والي مدينة الموصل المحروسة و (حسين باشا) والي حلب الشهباء وحافظ البلدة المحروسة وكافة وجوه البلد وأعوامها والسلام .

ملحق رقم (٧)

ترجمة براءة التمليك السلطانية لقرية قره قوش (١) التي منحها السلطان محمود الأول إلى والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي تقديراً له على خدماته في الدفاع عن مدينته أثناء حصار نادر شاه لهـا عام ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م

لما كان جناب الوهاب بلا منة ، المالك الذي لا ند له الجزيل النعمة جلت آلاؤه ، وتتابعت نعماؤه ، قـد جعل عامة الموجودات ، وطبقات

(١) كان هذا الفرمان لدى المرحوم أحمد بك بن أيوب بك الجليلي ، وقد ترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٤٧ بصفة رسمية من السيد بطرس آدمو محلفاً وحقق من قبل الدكتور داود الجلبي ، وكان المحامي السيد محمد صدقي سليمان الوكيل العام عن السيد أحمد الجليلي قد أبرز الفرمان لدى كاتب عدل الموصل سليمان ناظم العمري عنـد اثارة قضية ملكية قرية قره قوش ، ومطالبة بعض سكان القرية من السريان تسجيـل الأرض بأسمائهم . ويكشف الفرمان عن أمور مهمة شتى ، مثل تحديد الضرائب الاقطاعية ، وعلاقة أملاك والي الموصل بوالي ولاية شهرزور المجاورة ولدى الدكتور محمود الجليلي نسخة من هذه الترجمة الرسمية تفضل – مشكوراً – بتزويدي بنسخة منها .

المخلوقات تنعم بافاضة جوده وعطائه ، وبادامة آلائه التي لا تتناهى ، حـ
قوله في ديوانـــه الأزلي « تؤتي الملك من تشاء » ، ورتب ونظم مناه
آمالهـــم ونتائج أحوالهم على نسق قويم ونمط مستقيم ، ومكن بني النو
الانساني الوارد بشأنهم نظمه الكريم القائل « خلقنا الانسان في أحسن تقويم
في أقطار عالم الاسكان ووطنهم وأسكنهم في أمصار وبلدان الكون والمكا
وجعل مقر السلاطين الرفيعي المقام الموسومين بالأبهة الذين هم مظهر قو
تعالى : « وجعلناكم خلائف في الأرض » باعثاً لاطمئنان قلوب الناس
جعل دار خلافة سلطنتي واجلالي السامية المرتبة ملجأ وملاذاً للانام ومد
انتظام أحوال الخاص والعـــام « وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء و
ذو الفضل العظيم » أصبح لايفاء الشكر الجزيل وأداء الحمد لابد من أد
من لوازم همتي الفائقة السلطانية ازاء هذه الموهبة العظيمة والعطية الجسي
أن تكون أبواب عنايتي دائماً مفتوحة وأسباب مواهبي المعتادة مهيأة في
حين لعامة الأعيان المجدين ، وعلى الخصوص لحضرات الوزراء ذوي الر
السليم والاختصاص تبعاً لقوله تعالى : « أحسن كما أحسن الله اليك »
فبناءاً على ذلك ، لما كان ملك ايران نادر شاه عديم الانتباه حاصر أ
كثيرة قلعة الموصل بأمل الاستيلاء عليها ، وكان قـــد دفع كيده وضر
وحرست القلعة السلطانية وحفظت بتوفيقه سبحانه وتعالى من قبل والي المو
الحالي ، رافع التوقيع الرفيع السلطاني الميمون ، وحامل المرسوم البليغ الم
قال المواهب ، أعني به الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم ، ومد
أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، ومتمم مهام الانام بالرأي الصائب ممهد بنـ
الدولة والاقبال ، مشيد أركان السعادة والاجلال ، المحفوف بصنوف عواط
الملك الأعلى ، وزيري حسين باشا آل عبد الجليل أدام الله تعالى اجلا
بما بذله من المساعي الجميلة ، والمآثر الجزيلة بكمال الغيرة ومزيد الحمـ

فمكافأة لذلك التمس من عواطفي العلية السلطانية باستدعائه وبقائمة مختومة تمليكه واعطائه قرية قره قوش الواقعة في لواء الموصل من خاصة ميرميران شهرزور التي لا تزال تعطي إلى ولاة شهرزور ثمانمائة غرش مالاً سنوياً على شرط أن يعين فيما بعد المال السنوي بالمقدار ذاته من أموال القريـــة المرقومة أو جاقلق لمصاريف منزل الدولة فيها وأن تبقى السبعمائة والخمسة والعشرون غرشاً أوجاقلق المنزل المذكور التي كانت تعطى قبــلاً من مال مقاطعة الموصل سعياً لخزينة الدولة ، ولما كان مال القرية المذكورة السنوي الثمانمائة غرش هو حسب قيود الدفترخانة العـــامرة ودفاتر رئاسة المحاسبة والموقوفات مكتوبة بمائة وخمسين ألف آقجة هي خاصة ميرميران ولاية شهرزور بعهدة مصطفى ومحمد أمين الجليلي ملكاً بثلاثة آلاف غرش معجلة مشروط اعطاؤها مع قلميتها لولاة شهرزور. وبناء على أن السبعمائة وخمس وعشرين غرشاً ثمن برذون منزل قره قوش وسائر مصاريفه أيضاً هي أوجاقلق من مال الموصل ، فان تمليك القرية المذكورة عدا أنه لا يوجب كسراً أونقصاناً في جانب الدولة فان السبعمائة وخمس وعشرين غرشاً أوجاقلق منزل قره قوش المدفوع من مقاطعة الموصل بدل تعيين الثمانمائة غرش التي كانت ولا تزال تعطى لولاة شهرزور. أوجاقلق المنزل المذكور ستكون سعياً جميلاً للدولـــة فعليه مقابلة للخدمات الممدوحة التي أظهرها الوزير المشار اليه فقد جرت مساعدتي واحساني السلطاني بتمليكه القرية المذكورة التي التمسها ، فصدر هذا خطي الميمون المقرون بالموهبة والموجب للشرف ، فبموجب الخط الشريف الصادر المترادف العناية : ترفع من مقاطعة الموصل السبعمائة وخمسة وعشرون غرشاً ثمن برذون منزل قره قوش اعتباراً من يوم الخضر لسنة سبع وخمسين ويعين أوجاقلق عوضها مال قرية قره قوش الثمانمائة غرش المـــارة الذكر المخصصة لولاة شهرزور اعتباراً من يوم الخضر من السنة المذكورة أيضاً

على شرط أن لا يطلب من الآن فصاعداً من قبل ولاة شهرزور آقجة واحدة وحبة واحدة باسم المال والقلمية ، وألا يكون لهم أيضاً أي نوع من الدخل والتعرض في القرية المذكورة وعلى أن يضبطها ويتصرف فيها الوزير المشار اليه على وجه الملكية هو وأولاده وأعقابه إلى ما يشاء الله تعالى وا‍ن تفرز وتفك القرية المذكورة من خواص امارة ولاية شهرزور وأن يرفع عنه ويرقن قيد المالكية والمقاطعة ، وأن تكون هبة وتمليكاً من قبل سلطنتي للوزير المشار اليه ، وقد أعلم بذلك أيضاً افتخار الأمراء والأكابر دفترداري الأول الحالي سعد الله دام علوه لأجل تصحيح ملكيتها بقلم التوقيع المحلي الكائن بالدفتر الخاقاني ، فعلية بموجب الخط السلطاني المقرون بالشرف الصادر بعلامة الرفعة ، وبموجب اعلام دفترداري المومى اليه رفعت م مقاطعة الموصل السبعمائة وخمسة وعشرون غرشاً ثمن برذون منزل قره قوش اعتباراً من يوم الخضر لسنة سبع وخمسين وتعين أوجاقاق بمحلها الثمانما غرش المعينة لولاة شهرزور مال قرية قره قوش السالف الذكر اعتباراً م يوم الخضر لسنة سبع وخمسين أيضاً على شرط أن لا يطلب من [الآن فصاعداً من قبل ولاة شهرزور آقجة واحدة وحبة واحدة باسم المال والقل وألا يكون لهم أي نوع من الدخل والتعرض في القرية ، وأن يضبط ويتصرف بها الوزير حسين باشا على وجه الملكية هو ومن بعده أولا وأعقابه إلى ما شاء الله تعالى ، فأفرزت وفكت القرية المرقومة من خوا ميرميران شهرزور ورفع عنها ورقن قيد المالكية والمقاطعة ، ووهبت وملك من قبل سلطنتي للوزير المشار اليه وصححت وأثبتت بالدفتر على وج الملكية بقلم التوقيع المحلى ، وأعطى بها صورة الاجمال بتاريخ اليوم الثاني ع من شوال من هذه سنة ألف ومائة وست وخمسين . ولذا فقد أنعمت بهذه براءة التمليك السلطانية المقرونة بالعناية وأعطيته هذا المنشور الفا

النور المشحون بالموهبة . وقد أمرت أن تكون قريـــة قره قوش المذكورة وما هو داخل في حدودها من أراض ومزارع ومراتع ومنافع وجبال وتلال وآبار ومرعى صيفي وشتوي ومرج وكرم وبستان ورسم التنبـــاك ورسم العقاقير ورسم الفدان ورسم النحل ورسم الرحى ورسم العشب والبشارة بالعبد الآبق والعاصي ، والمال الغائب والمال المفقود وبيت المال عامـــة وخاصة وبالجملة عامة حقوقها الشرعية وكافة رسومها العرفية بجملة التوابع واللواحق وكافة المنافع والمرافق مفروزة القلم ومقطوعة القدم حرة من كل الوجوه وأن تكون للمشار اليه ملكه المحض وحقه الصرف نسلاً بعد نسل وفرعاً بعد فرع ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وله أن يتصرف بها بأنواع وجوه الملكية ، إن شاء باعهـــا ، وإن رغب وهبها وإن أراد أوقفها ، على أن لا يكون دخل أو تعرض فيها لأي فرد كان من الأولاد الأمجاد وأعقاب وأنساب أسرة السلطنة ، ولا من الوزراء العالي المقدار والأمراء ذوي الاقتدار ولا من دفترداري المـــال ، ولا من مباشري العمال ، وأن لا يقصد بهذا الوجه تغييراً وتبديلاً وتحريفاً وتحويلاً فكل من يتصدى إلى التغيير والتبديل يكون مظهراً لفحوى الوعيد الأكيد الشديد القائل « فمن بدله من بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم » فيعلموا هكذا وليعتمدوا على علامتي الشريفة . تحريراً في أواسط شوال المكرم لسنة ستة وخمسين ومائة وألف .

مقام القسطنطينية المحروسة

ملحق رقم (٨)

ترجمة وقفية قرية قره قوش (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد الموفور والشكر الغير محصور ، هما أجدى وأولى وأليق وأحرى ما تقصد به العتبة المقدسية والسدة المقدسة لحضرة ذلك الواقف على أمور الجمهور جناب الله المنزه عن الزوال ، جل عن التشبيه والمثال ، الذي زين وحلى بأنوار التوفيق مرآة قلوب المؤمنين وأجلى بكحل الهداية عيون بصائر المسلمين والصلاة المنظومة الجواهر ، العديمة النهاية ، والتسليمات والتحيات المنثورة الزواهر ، التي ليس لها غاية ، على الروح المطهرة والروضة المنورة المعطرة ، للذلك الذي هو سلطان قاطبة الأنبياء ، والقائد الأعظم لقافلة

(١) ترجمت هذه الوثيقة إلى العربية رسمياً في زمن تولية أحمد بك ابن أيوب بك الجليلي ، وذلك من قبل المترجم بطرس آدمو محلة وحققت قبل الدكتور داود الجلبي ، وكان المحامي محمد صدقي سليمان قد أبرز الأصل أثناء تجدد محاولة بعض سكان القرية تسجيل الأرض بأسمائهم (تفصيل هذه المحاولات في : عبد المسيح بهنا المدرس : قره قوش في كفة التاريخ . بغداد ١٩٦٢) ومما يذكر أن رئاسة محكمة التمييز العراقية أصدرت قرارها بتاريخ أول آذار ١٩٥٤ باعتبار قسم من الأراضي موقوفة على آل الجليلي والقسم الآخر أميرية مفوضة بالطابو بتصرف بعض سكان القرية .

الأصفياء ، حضرة محمد المصطفى عليـــه من التحيات ما هو الأوفى الذي بشريعته ثابت نظام العالم ، وبها دائم انتظام أحوال بني آدم . وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين كل منهم هو لطريقة الحق هاد ، وإلى سبيل توفيق مناد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكفى .

أما بعد ، فان الباعث إلى تحرير واملاء هذا الكتاب الذي هو للصحة النصاب ، والسبب والداعي إلى تسطير وتنميق هذا الخطاب المستطاب ، هو أن والي الموصل الحالي الوزير ذا الضمير المنير ، الذي هو للجلادة سمير ، الآصفي النظام ، والارسطوي التدبير ، بطل الشجاعة الصائب الانتظام ، مدبر أمور الجمهور بالرأي الرزين ، ومصلح الأنــام بالفكر الرصين ، صاحب العز المنيع الشامخ والقدر الرفيع الباذخ ، أعني به حضرة الوزير المكرم والدستور المفخم ، صاحب العناية والمروءة والرأفة ، حضرة الحاج حسين باشا آل عبد الجليل ، أطال الله بالعز والنصر بقائه ، وأمــد الله بالاقبال والاجلال طول حياته وأبقاه ، حضر مجلس الشرع الشريف النبوي ومحفل الدين المنيف المصطفوي ، المعقود في ديوان وزارته عنوان المعـــالي الكائن في دار الحكومة مقر العدالة العالي الشأن ، المخصوص للولاة بمدينة الموصل لأجل تسجيل الوقف الآتي البيان ، ولاتمام الأمر وتكميله بحضور النجل المحترم النجيب العالي النجاد لحضرة الوزير المشار اليه ، الذي نصبه وعينه متولياً عليه ، وهو حضرة أمين الأمراء الكرام ، كبير الكبراء العظام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام ، ذو السعادة والمكرمة محمد أمين باشا وباتفاق الباطن والظاهر وانشراح صدر وصفاء الخاطر ، أقـــر طوعاً وقرر بالاعتراف التام بتعبيره عن المرام ، قائلاً قبل هذا : أن ملك ايران نادر شاه العديم الانتباه الذى حاصر قلعة الموصل أياماً وافرة ، بداعي

الاستيلاء عليهـا ، فبتوفيقه سبحانه وتعـالى ، وبحسب كوني أنا الفقير الفائن (١) والياً على الموصل في تلك الأثناء دفعت كيد ومضرة الشاه الذي عاقبته البوار ، وحرست وحفظت القلعة السلطانية بعون الحق وبعناية القادر القهار المطلق ، وأخيراً بعد اللتيا والتي ، توفقت إلى هزيمة العدو ابن الهلاك ذي النية الفاسدة والعزيمة الكاسدة ، فعاد راجعاً مولياً وجهه لقفاه باليأس والحرمان من الموصل مخذولاً ومقهوراً ، ومقابلة لتكميل الخدمات العلية المبرورة التي توفقت بها بمنه سبحانه وتعالى لخير الدين المبين والدولة العلية القرنية الأبد (٢) ، على مقتضى الرضاء الشريف السلطاني الرديف الميمنة لحضرة ظل الله . فان قرية قره قوش الواقعة في لواء الموصل الذي هو من جملة خواص امارة شهرزور المتصرفون نحن بها من القديم ، أباً عن جد بطريقة المالكية بموجب براءة عاليـة الشأن والتي لا تزال تعطى إلى ولاة – شهرزور مالاً سنوياً (٣) – ، استدعيت والتمست من الجانب السلطاني تمليكي – أنا الحقير – القرية المذكورة (على شرط أن يجعل فيما يعد مالها السنوي بذلك المقدار وظيفة (أوجاقلق) لأجل مصاريف منزل الدولة في القرية المذكورة وأن الوظيفة بسبعمائة وخمسة وعشرين غرشاً ، التي كانت

---

(١) يريد « الفاني » .

(٢) يريد « السرمدية » .

(٣) في ترجمة اخرى لهذه الوقفية ، سابقة على الترجمة أعلاه ، وردت هذه العبارة على النحو التالي « التي مجموع ثمانماية غروش من مالها السنوي تعطى إلى ولاية شهرزور لأن المقـدار المذكور من خواص ميرميران شهرزور » ونص هذه الترجمة لدى الدكتور محمود الجليلي أيضاً .

مقدماً من مال المنزل المذكور بمقاطعة الموصل تبقى سعياً لخزينة الدولة) (١) وعليه بموجب الخط السلطاني المقرون بالموهبة الصادر شرفاً منحه بحق هذا الفقير ، من البحر الزخار البعيد القعر ، ومن ساحل الآثار المزحمة والعناية السلطانية المتلاطم الأمواج ، وهبت وملكت وأعطيت قرية قره قوش لهذا الحقير من لدن السلطان بالعواطف العلية الملكية ، والعوارف السنية السلطانية ، (ورفعت من مقاطعة الموصل الوظيفة السنوية بالسبعماية وخمسه وعشرين قرشاً قيمة برذون منزل القرية المذكورة ، وتعين عوضها وظيفة الثمانماية غرشا ، المال السنوي السالف البيان المعين لولاة شهرزور من القرية المذكوره (٢) ، على أن لا يكون بعد هذا لولاة شهرزور أي نوع من الدخل والتعرض للقرية المذكورة بطلبهم باسم المال والقلمية آقجة واحدة أم حبة واحدة ، وعلى شرط أن أضبطها وأنصرف بها بوجه الملكية بنفسي ومن بعدي أولادي وأعقابي إلى ماشاء الله ، وبناء على إفراز وتفكيك القرية المذكورة من خواص إمارة شهرزور ، ورفع قيد المالكية والمقاطعة عنها

(١) العبارة بين القوسين ، وردت في ترجمة الوقفية ، المقدم ذكرها على النحو التالي « ويشرط للتمليك إن المقدار السنوي المذكور وهو ثمانماية غروش يكون مصرفاً للمنزل الميرى في القرية برسم (أوجاقلق) ، وإنما يعطى من مال مقاطعة الموصل برسم (أوجاقلق) وهو سبعماية وخمس وعشرون غرشاً يكون سعياً للميري وباقياً للخزينة) .

(٢) في الترجمة الأخرى ، وردت هذه العبارة على النحو التالي « ورفع عن مقاطعة الموصل السبعماية وخمس وعشرون غروشاً ثمن الكديش (وهو البرذون) المخصوص السنوي لمنزل القرية المذكورة ، وعين مكانه المال السنوي المرسوم باوجاقلق المعين إلى ولاة شهرزور » .

أيضاً ، وترقينه وهبتها وتمليكها لي من الجانب السلطاني المقرون بالمعدلة ، وبناء على تصحيح الملكية بقلم التوقيع المحلى ، وثبته بالدفتر وإعطاء صورة إجمالها ، فعلى الوجه المذكور المصرح في حجة الملكية السلطانية المقرونة بالمعدلة والمنشور الفائض النور ، المشحونة بالموهبة ، المعطاة بيدي عناية وإحساناً ، فان قرية قره قوش وماهو داخل في حدودها من أراضي ومزارع ومواقع ومنافع وجبال وتلال وآبار وأنهار ومرعى صيفي وشتوي ومرج وكرم وبستان ورسم تذباك ورسم العقاقير ورسم الفدان ورسم النحل ورسم الرحى (١) ورسم العشب وخبر العبد الآبق ومال الغائب والمال المفقود وبيت المال عامة وخاصة وبالجملة بعامة حقوقها الشرعية وكافة رسومها العرفية بجملة التوابع واللواحق ، وكافة المنافع والمرافق مفروزة القلم ومقطوعة القدم تكون خالصة لي من كل الوجوه ، إن رغبتُ أبيعها وإن أردت أوهبها وإن شئت أوقفها نسلا بعد نسل ، وفرعاً بعد أصل ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فمن أجل أنني مالكها بهبة وتمليك الجانب السلطاني بجميع أنواع الملكية ، وأصبحت ملكي الصحيح المحض ، وحقي الصريح الصرف ، فمن الآن وصاعداً على مقتضى الحديث الشريف النبوي القائل ، « إذا مات إبن آدم إنقطع عمله إلا عن ثلاث : علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية لديه » وعلى فحواه المنيف فان قرية قره قوش السالفة الذكر والبيان والمبينة في حجة الملك السلطانية ، فقد أوقفتها وحبستها حسبة لله الصمد بالوقف الصحيح المؤبد ، والحبس الصريح المخلد ، وأبدت وقفها على السوية على المومى إليه إبني محمد أمين باشا وأخيه سليم بك ، وعلي عبد الله بك بن المرحوم مراد باشا إبني المتوفي ، وشرط هكذا بأن القنطرتين اللتين بنيتهما وأحدثتا مجدداً حسبة

(١) أي الطاحون .

لله تعالى من خالص مالي الذاتي لأجل ممر عباد الله وأبناء السبيل على الواديين اللذين يجري فيهما الجدولان الكبيران الكائنان في قرية (الك) ، وقرية (كوكجلي) من أوقاف حضرة يونس النبي ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليمات ، الواقعتين في أرض الموصل في الطريق المسلوكة المستقيمة من جانب بغداد والبصرة وكركوك إلى الجادة الكبيرة الآتية إلى الموصل ، كلما هدمتا أو طرأ عليهما وهن إلى ما شاء الله ، يجب أن تعمر بيد المتولي ، وتصرف مصاريفها من ربع القرية المذكورة التي أوقفتها ، وأيضاً عينت وخصصت مائتين آقجة في السنة على حدة لكل من المرقدين الشريفين والتربتين اللطيفتين لحضرة المشار إليه نبي الله يونس وحضرة نبي الله جرجيس عليهما وعلى حضرة نبينا أفضل الصلاة والتسليمات ، واشترطت أداء ذلك وتسليمه إلى جانب الوقف من ربع القرية المذكورة ، ومن يد المتولي المومي إليه ، وبعده شرطت هكذا : إذا مات واحد من الموقوف عليهم المومي إليهم بلا ولد ذكر يجب أن ترجع حصته إلى صاحبيه الباقين وبعده إلى أولاد ذكور المومى إليهما ، بطناً بعد بطن ، وفرعاً بعد أصل ما تناسلوا ، ويجب أن يتصرف بها أولادهم الذكور الخاصة بدون الأناث ، فاذا إنقرضوا أولاد الذكور ، والعياذ بالله تعالى من ذلك ، يجب أن يتصرف الأود الذكور من البنات الأصلية ، فاذا إنقرضوا ذكور البنات الأصلية أيضاً ، فعلى ذكور البنات الفرعية ، الأقرب فالأقرب بطناً بعد بطن ما تناسلوا ، الأقرب يحجب الأبعد منهم بطناً بعد بطن وفرعاً بعد أصل ، وأن يتصرفوا بها حسب الشروط المذكورة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وبعد الانقراض نعوذ بالله من قهر الفياض ، فان المحصولات الشرعية والرسوم الفرعية المرقومة العائدة من القرية المذكورة يجب أن تصرف وتجعل خيرات للفقراء والمساكين الذين في المدينة المطهرة

المنورة ، وشرطت أن تكون التولية لحضرة المومى إليه إبني محمد أمين باشا ، ولأصلح وأرشد أولاد أولاده الذكور ما تناسلوا . وبعد (أن) ضبطت وفوضت وسلمت القرية المذكورة إلى المتولي المومى إليه محمد أمين باشا ، وبعد أن قبضها تاماً المومى إليه ، وتصرف بها فان حضرة الواقف المشار إليه ، أسبغ الله نعمه وإجلاله عليه ، قال : إنني عزمت وتصديت من سمت الوفاق إلى جانب الشقاق ، ولكون أن وقف العقار غير معتبر (١) عند حضرة الامام الأعظم والهمام الأعظم والهمام الأقدم ، نعمان بن ثابت الكوفي عليه رحمة الله الوافي ، فأنني رجعت عن الوقف المزبور ، وأطلب أيضاً إسترداد ما سلم إليه . فلما قال ذلك (٢) تصدى المتولي المومي إليه محمد أمين باشا بجوابه الصوابي قائلا : إن كان وقف العقار غير جائز ولازم عند الامام المشار إليه الجليل المقدار ، حضرة الامام الأعظم ، لكنه لازم عند الامام الثاني أبي يوسف يعقوب الصمداني ، وعند الامام الثالث محمد بن حسن الشيباني ، عليهما رحمة الملك الرباني ، وإنه سوف يمتنع عن ردها ، وعليه إذا كان المترافعان والطالبان الفصل والحسم بحضور الحاكم الحاسم الموقع في صدر الكتاب فهو أيضاً حكم وقضى ونفذ وأمضى بصحته ولزومه عالماً بالخلاف على قول من يراه ، وجعله وقفاً صحيحاً مؤبداً ، وحبساً صرفاً مخلداً ، فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم ، وأجر الواقف على الحي الجواد الكريم

(١) في الأصل (ولكن عند) ولا علاقة لـ(لكن) هذه بمجرى السياق

(٢) تتكرر صيغة رجوع الواقف عن وقفه ، والاحتجاج برأي الامام أبي حنيفة ، وإصرار المتولي المحتج برأي أبي يوسف والشيباني في جميع وقفيات العقار في هذه الفترة ، وفي الواقع لم يكن ذكر هذه المحاورة إلا لغرض تأكيد الوقف وإثباته ليس إلا :

جرى ذلك وحرر في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وستين ومايـــة ألف من هجرة من له العز والشرف .

فخر العلـــماء الكرام : علي أفندي مفتي الشافعية .
عمدة السادات الكرام : السيد علي نقيب الموصل حالا .
قدوة العلماء المدققين : صبغة الله .
عمدة العلماء : سيد يحيى أفندي المفتي بالموصل حالا .
فخر المدرسين : سليم أفندي الواعظ .
عمدة الأعيان : الحاج قاسم أغا آل عبد الجليل .
فخر السادات : السيد يحيى أفندي النقيب السابق .
فخر العلماء : محمد أفندي آل حلاجي .
عمدة الأشبال : فتاح بك آل عبد الجليل .
قدوة الاقران : عبيد آغا آل عبد الجليل .
يونس آغا أخو يوسف آغا عبد الجليل
فخر الأقران : يحيى آغا آل عبد الجليل
فخر الأقران : الحاج سليمان آغا الكتخدا السابق
محمد آغا أخو عبيد آغا
فخر الأقران : يونس أفندي كاتب الديوان
الحاج مصطفى اغا : زعيم البوابين
فخر الأعيان : محمد أفندي العمري
فخر المدرسين : عثمان أفندي العمري
السيد يحيى علي الحسيني
محمد بك بن المرحوم ياسين أفندي

أحمد بك شريف

فخر الأقران : حسن آغا بن مصطفى آغا

عثمان أفندي كاتب المصرف

يحيى الطويل

ياسين آغا علي آغا

أبو بكر أفندي الخطيب والواعظ

ملا أحمد بن عبد الله الموصلي

ملا قاسم بن ملا خليل الامام

الحاج قاسم حاج سلام

ياسين الكاتب

ملا علي السوسن الامام

محمد علي بن سلام

عبد الرازق بن المصرف

هذا ما وقع في زماني ، وصدر في أوقات قضائي وحسم ، وإلى هذ تم الكتاب وجف القلم ، وأنا الفقير اليه سبحانه وتعالى محمـــد آل المفتي القاضي بمدينة الموصل المحروسة . غفر لهما .

مطابق على شاكلته الممضي المختوم نمقه العبد الفقير اليه جل شأنه تعالى درويش سليمان بن الشيخ يعقوب القاضي بمدينة الموصل المحمية عفى عنهما

نقلت (١) صورة عينية من صورة الوقفية المحفوظة في جهات عالم تحريراً أوائل شهر رجب سنة تسع ومائتين وألف .

---

(١) نقلنا هذا التعليق الأخير من آخر نص الوقفية .

ملحق رقم (٩)

وقفية جامع النبي شيت ومدرسته
الذي شيده أحمد باشا الجليلي (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الفائق ، والثناء اللائق ، لحضرة مالك الملك والملكوت رب العزة والجبروت قيوم أحوال الانس والجان ، ورازق مخلوقات الأكوان جلت حكمته وعلت كلمته ، يرفعان إلى باب ملجأ عظمته ، الذي أبدع وأتقن النسخة الانسانية من العلوم على أبـدع أسلوب ، وأجرى وأنشأ في أحسن تقويم فعلم مسالك المعاش ، وفهم مناهج المعاد بمدينة العلم والتمكين وخزينة وحي رب العالمين ، حضرة خاتم سلسلة المرسلين لروضته الرضية وسيرته العطرية ، برفع الثناء ، ولسالكي طريق الهداية أصحاب النعمـة ، زمرة الآل والاصحاب ، وفرقة الأصدقاء والأصحاب ، عليهم أدوار الرحمـة ، وغرر المغفرة التي لا تتناهى أولئك الذين كل منهم كان هادياً لطريق الحق ، ومنادياً لسبيل التوفيق حامياً لحمى الدين ، ووليـا للواء الفضل واليقين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

أما بعد فأن لأرباب الألباب باد وظاهر ولأصحـاب الآداب مرئي وباهر بأن هذه الدنيا أموالها وجاهها بلا قرار ، وإن عرشها لفاني وتاجها

(١) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

مستعار وبلا إستقرار ، كل شيء هالك في دور الزمان الا الله فان بـــلا شبهة ، غادر بلا أمان ، خائن وبقاؤه ممتنع الاحتمال ، ولو كانت الدنيـــا تدوم لأحد لكان رسول الله فيها مخلد ، والآن إن كل عاقل غير غافل ، لابد أنه يداوم على ملاحظة عاقبته في زمان عافيته ، وكل كامل غير عاجز ، يواظب على مراقبة آخرته في أوان طاعته ووقت إستطاعته بأن يقدم أكمل أنواع خيرات الصدقات الجارية وأجمل الحسنات الباقية ، إذ بعد فناء الجسم تكون سبباً لبقاء الاسم ، وبعد هلاك البدن موجباً للذكر الحسن ، فـــان الدنيا مزرعة للآخرة ، مزرعة فاخرة إذ أن إلقاء ونثر بذل الدرهم والدينار إليها ، يأتي بأضعاف الأرباح . والآن فان مالك الدينار ومانح الدرهم ، وصاحب اللطف والكرم ، وحائز الخير والخدم إمتثل مضمون الكـــلام الطيب « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبـــع سنابل ، ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» وعرف إشارة « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ذلك النص الشريف : فاتخذه مرهماً للجرح ، فقطف من مثل أزهار النرجس والنيلوفر التي في حوزته فضة وذهباً وأنواع المسكوكات لاستجلاب الرضوان الالهي وكذلك بمقتضى الحديث الشريف « إذا مات إبن آدم إنقطع عمله إلا عن ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . ثم بموجب الحديث الشريف « ليس لك من دنياك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » فأتخذ من ذلك خيرات وحسنات لاستجلاب الغفران غير المتناهي ، وللذكر الجميل في دار الدنيا ونيل الأجر الجزيل لمنزل العقبى . وبناء على ذلك فانه صار في هذا الشارع المليء بالصواب شارعاً وسالكاً . وفي هذا النهج المستطاب مسارعاً ومتهالكاً ، إلا وهو حضرة الوالي الحالي لمدينة الموصل ، الحائز على الدراية والرشاد ، والفائز

بجلال الهداية والسداد ، الوزير النقي الضمير آصف النظام ، مشير تدبير الاصابة والانتظام ، آل عبد الجليل صاحب الدولة والعناية ، أحمد باشا يسر الله له من العناية ما يشاء ، فانه تصديقاً للنص الشريف « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله » وكذلك عملاً بمقتضى الحديث القدسي الشريف « أن بيوتي في الأرض المساجد وأن زواري فيها عمارها » واتباعاً لمفاد « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » فبأمنية التصديق ، رغب بقلع ورفع تربة الحضرة الشريفة من أساسها لحضرة سيدنا نبي الله شيث ، على نبينا وعليه صلوات الله ، الكائنة خارج مدينة الموصل مع المسجد المختصر الذي فيه هذه التربة المشرف على الخراب ، وبأن يقيم في مكانه مجدداً تعميراً بديع البنيان وإعماراً عجيب الأركان لأداء الأوقات المفروضة واقامة الجماعات وخطبة العيد وصلوات الجماعات والرواتب والسنن والمندوبات وللاعتكاف والنسك والطاعـــات . وأن ينقـــل ويوصـــل إلى « دار السبيـــل » التي هيئت لارواء عطاشى المسلمين في أوقات الحر التي هي ستة أشهر من كل سنة ، يومياً أربع راويات ماء بـــلا انقطاع ، وفي أوقات البرودة من بقية أيام السنة يومياً راويتين إلى المحل المذكور لسقي عباد الله في سبيل الله ، وأن يوقد في كل ليلة عند التربة الشريفة قنديل واحد ، وفي كل ليلة عند البابين للجامع الشريف قنديل واحد ، وفي كل ليلة في أروقة الجامع الشريف قنديلان ، وفي كل ليلة عند محل اسباغ الوضوء قنديل واحد ، وفي كل ليلة في المراحيض قنديلان ، وفي أيام رمضان الشريف والعيدين الشريفين يشعل مع هذه القناديل اثنا عشر قنديلاً آخر فتبلغ إلى عشرين قنديلاً ، وأن يعطى دهن الزيت الكافي لاشعال هذه القناديل وأن يعطى أيضاً في رمضان للجامع الشريف المذكور أربع شموع كبيرة ، وفي الأوقات

الباقية شمعتان كبيرتان ، وأن يعطى إلى غرفة الامام لكل سنة وزنة (١) واحدة من الشموع ، وأن يعطى إلى الغرف الأربعة عشر المخصصة لسكنى الطلبة والدراويش لكل غرفة ثلاث حقات من الشموع . وأن تخصص عشرة غرف من الغرف الأربعة عشر التي انشئت لسكنى الطلبة في الجامع الشريف فبنى وأنشأ المرقد الشريف ، والجامع المنيف الذي أغنت شهرته عن بيان التفصيل والتعريف وعن التحديد والتوصيف ، وكذلك أنشأ داخل حرم الجامع مجدداً مدرسة شرط لها تدريس العلم المنقول والمعقول ومجموع الفروع والاصول ، مع مدرسة أخرى شرط لهـــا تدريس علم القراءة وتصحيح القراءات ، فبنى وأنشأ أربع عشرة حجرة لهذا التدريس ولسكنى الطلاب، ثم بنى بالنيـــة الخالصة دار السبيل ، وأنشأ دولاب الناعور ليكون وسيلة مهيأة للمسلمين عند أسباغ الوضوء ، فأوقف المصبغة المحدثة الكائنة داخل مدينة الموصل ، وأوقف بموجب الامر العالي أربعة آلاف آقجة ، ماعدا مزرعة « طهراوة » (٢) الكائنة داخل ناحية الموصل ، وأوقف محصول قطعتين من الغابات الكائنتين على نهر دجلة داخل أراضي قرية « حميرة » الواقعة خارج ولاية الموصل ، القريبة من مزرعة « كبرنيلو » ، فأوقف كل ذلك للتربة الشريفة وللجامع المنيف ، وليكون من إيرادها طعام للطلبة والدراويش ، للشوربة لكل يوم أربع حقات مدقوقة ، ووقية واحدة دهن وليومين من كل أسبوع للاثنين والخميس لكل يوم منها أربع حقات لحماً وأن يعطى للشوربة المذكورة المقدار الكافي من العشر خاصة للدراويش

---

(١) الوزنة العثمانية كانت تزن ١١ر٥٤٥ كيلو جرام ، ويزداد وزنها في جنوبي العراق فتبلغ ١٤ر٢٥ كيلوجرام (المكاييل والاوزان الاسلامية (ص٥٧) .

(٢) طهراوة : قرية عامرة في شرق الموصل .

وفقراء أبناء السبيل ، فيعطى لكل غرفة شهرياً غرش واحد ، وأن يعطى للتربة الشريفة وللجامع المنيف والمدرسة اللطيفة المصاريف المقتضية للتعمير وللفرش من سجاد وحصير ، وأن يعطى المصرف المقتضي لدولاب الناعور ولادامته مهما كان المصرف ، وأن تعطى جميع المصاريف المقتضية لتعمير وترميم الأوقاف المذكورة ، وإن يعطى لكل من المتولين للجامع المذكور يومياً خمسة عشر آقجة من حاصلات الأوقاف المذكورة ، فتكون بالجمع ثلاثين آقجة . وللخطيب يومياً ثماني آقجات ، ولامام الأوقات الخمسة اثنتاعشرة آقجة ، وللمدرس يومياً خمس عشر آقجة ، ولكاتب الايراد والحواصل ومصاريف الأوقاف الشريفة يومياً عشر آقجات ، وللناظر القيم يومياً خمس عشر آقجة ، وللجابي يومياً ثماني آقجات ، ولواعظ الجمعة ورمضان الشريف يومياً عشر آقجات ، ولمؤذن الأوقات يومياً اثنتا عشر آقجه ، ولمؤذن المحفل يومياً أربع آقجات ، ولقاريء العشر يومياً ثلاث آقجات ، وللقاريء الثاني للعشر يومياً ثلاث آقجات ، وللقاريء الثالث للعشر يومياً ثلاث آقجات ، ولقاريء النعت يومياً ثلاث آقجات ، ولرئيس المحفل يومياً ثلاث آقجات ، ولقاريء عم يومياً أربع آقجات ، ولقاريء الربعة يومياً ثلاث آقجات ، ولصاحب المفتاح يومياً أربع آقجات ، ولكناس المرقد الشريف يومياً خمس آقجات ، ولفراش المرقد الشريف يومياً ثلاث آقجات ، ولفراش الجامع الشريف يومياً ثلاث آقجات ، وللكناس الثاني للجامع الشريف يومياً ثلاث آقجات ولكناسي الجامع الشريف يومياً ثلاث آقجات ، ولمؤذن الجمعة يومياً ثلاث آقجات ، ولمؤذن الجمعة ومنادي الامساك يومياً خمس آقجات ، ولمؤذن الجمعة الآخر يومياً ثلاث آقجات ولمرقى الخطيب يومياً ثلاث آقجات ، ولمناول السيف يومياً ثلاث آقجات ولمبلغ الخطيب يومياً ثلاث آقجات ، ولشيخ القراء يومياً اثنتا عشرة آقجة

وللبخوري يومياً أربع آقجات ، وللجراغدار (الذي يوقد السراج) يومي ثلاث آقجات ، ولساحب ماء الناعور للحديقة يومياً ثماني عشرة آقجة وللبستاني يومياً خمس آقجات ، ولأمين الأنبار يومياً أربع آقجات ، وللكيال يومياً خمس آقجات ، ولنقيب المطبخ يومياً أربع آقجات ، وللطباخ يومي خمس آقجات ، ولمعلم الأولاد يومياً سبع آقجات ، وللكتبي وقاريء جز المدفن والموقت اليومي خمس آقجات ، وللبواب وناظر السبيلخانة والحارس يومياً خمس عشرة آقجة ، ولمسبح التراويح يومياً آقجتان ، وللمسبح الثاني للتراويح يومياً آقجتان ، ولقاريء « الفتح » يومياً خمس آقجات ، ولقاري « تبارك » يومياً أربع آقجات ، ولقاريء « الاخلاص » يومياً أربع آقجات ولقيم التربة يومياً أربع آقجات ، ولخادم كرسي الوعظ يومياً أربع آقجات ولقاريء التمجير يومياً ثلاث آقجات ، ولقابض النذور يومياً ثلاث آقجات ولمراقب المراحيض يومياً أربع آقجات ، وللمعمار يومياً أربع آقجات وللنجار يومياً ثلاث آقجات ، التي كلها من حيث المجموع تبلغ ثلاثمائة وخمساً وخمسين آقجة ، تعين من ريع الأوقاف المذكورة على المنوال المشروح

فحضرة الوزير المشار اليه ، أسبغ الله نعمه عليه ، خصص واستحسن ذلك من ماله الحلال عن طيب الخاطر المشمول بالصفاء ، فبنى وأنشأ خارج مدينة الموصل قرب باب الطوب ، وبجوار مسجد عثمان درباس خمسة وعشرين دكاناً متصلة ببعضها وكذلك بنى وأنشأ دكاكين باتصال الجامع الشريف وجعل الدكاكين المذكورة وقفاً صحيحاً شرعياً ، وحبساً صحيحاً مرعياً للتربة الشريفة ، وللجامع المنيف ، وللمدرسة اللطيفة ، حسبة لله تعالى وطلباً لمرضاته ، يوم يستظل المرء تحت ظل صدقاته فحبس تأبيداً وخلد ذلك

ونصب وعين على الوقف المذكور عبد الله بن عبـــد المولى ، وه

عبد الله بن محمد متولياً . وسلم الموقوفات إلى المتولي عبد الله بن عبدالمولى وملا عبد الله بن محمد ، فجعل تأجير والتزام العقارات المذكورة ، والمصبغة والدكاكين وسائر الأوقاف المذكورة يكون سنوياً بمعرفة واطلاع المتولين المذكورين مع الناظر والكاتب والجابي المرقومين ، ثم مع الذوات الصلحاء والخبراء من الخدم المذكورين ، وبمواجهتهم وبمعرفتهم جميعاً ، على الوجه المذكور يجري الحساب في آخر كل سنة ، وبعد الاطلاع فان ما يحصل من ايرادات الأوقاف المذكورة يضاف إلى إيراد الأراضي الموقوفة القديمة الواقعة قرب التربة الشريفة ، ومن مجموع هذه المبالغ تخرج المخصصات الوظائف المذكورة والتعميرات ، وسائر المصاريف على الوجه المحرر وبعد التنزيل ، فالبقية الباقية من المبلغ توزع وتقسم على أهـل الخدمات السائرة حسب الآقجات . وأن حضرة الواقف المشار اليه ما دام في قيد الحياة له الحق في تبديل بعض أرباب الوظائف أو احداث زيادة الآقجات المشروطة لبعض الوظائف أو انقاصها ، أو استبدال بعض الوقف حسب اقتضاء المصلحة ، فالتصرف بهذا الخصوص جائز له وممنوع على غيره شرطاً مسجلاً .

وأن المتولين المرقومين عند تسلمها الموقوف المذكور ، وبعد تحققهما شفاها وتصديقهما وجاهاً من الكلام المشروع للواقف المشار اليه ، فان الواقف الغزير النوال ، دام في حماية الملك المتعال ، إذ مال عن جانب الوقف إلى ناحية الشقاق . وقال : إني تبعاً لفتوى حضرة الدليل الفائق للسبل الهمام الأفخم والامام الأعظم ، رجعت وقف الأملاك والعقار المذكور ، فاني غير ملزم بذلك فالمتوليان أيضاً يوجهان اليه بعزيمة ما يلزم ويلائم المقام من الجواب المصيب فيقولان له : أن العقار الموقوف عند الامامين الهمامين والبدرين التامين وعلى الأخص بعد تسليمة إلى المتولي يصير وقفاً لازماً ،

فالوقفية حسب مذهبها الشريف صحيحة تطلب الحكم بلزومها ، وأن الحاكم المومى اليه يستمع إلى مقال الجانبين ، وكلام الفريقين ، بتأمل أنيق ، وتفكر دقيق ، ثم يختار جانب الخير فيراه حقاً ، ويصدر الحكم المحكم الشرعي والقضاء المبرم المرعي ، بأن وقف العقار صحيح ، وأن جميع الأوقاف المرسومة كان وقفها صحيحاً حسب الرسم المعلوم ، والطرف المرقوم ، وأنه لازم وإن النقض والبيع والاستبدال والرهن والميراث مجالها محال ، والاخلال والابطال ممتنع الاحتمال ، فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه انه سميع عليم . وأجر الواقف على الجواد الكريم أنه يجزي المحسنين ولا يضيع أجر العاملين .

تحريراً في غرة ذي الحجة الشريفة سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف .

فخر العلماء المحققين السيد محمد أفندي فخر يزاده المفتي حالاً .
سعد الدين أفندي النائب حالاً .
السيد علي أفندي بن السيد أحمد أفندي المفتي سابقاً .
ميرالاي أحمد بك بن عبد الله بك .
صالح أفندي كاتب الديوان .
فخر السادات الكرام السيد محمد أفندي نقيب الأشراف حالاً .

ملحق رقم (١٠)

وقفية المدرسة الحسنية التي شيدها حسن باشا الجليلي (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق عباده الواقفين على حقيقة الحال ، وحقيقة الارتحال وادخار الأعمال للخيرات ، وجعل الجنة للمتولين للاستكمال بالعلوم والأعمال الصالحات تعالت آلاءه عن أن يحصيها تعديد ، وكثرت نعمائه على أن يحيط بها التحديد نحمده حمداً يوافى نعمه الجزيلة ، ونشكره شكراً يكافيء منته الجميلة ، معترفين بالقصور عن أداء حق حمده ، وقضاء كنــه شكره ، قائلين ما قال سيد الأنبياء العظام عليــه صلاة الملك العلام : سبحانك ما عرفناك حق معرفتك ، سبحانك ما شكرناك حق شكرك . والصلاة على من هو أفضل المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، القائل « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيــار وعلى من تبعهم إلى يوم الدين . رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

أما بعد فهذا كتاب صحيح شرعي ، وخطاب صريح مرعي ، يعرف مضمونه ، ويوضح مكنونه ، عن ذكر ما هو أنه وقف وحبس وأبد وخلد صاحب الخيرات والراغب للطاعات ، فخر الأكارم والأماجد ، وجامع المحاسن والمحامد ، حضرة حسن بك المحترم ، نجل الوزير المرحوم المبرور

---

(١) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوط) .

الحاج حسين باشا تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ، وحر المحترمة فخر المخدرات ، وتاج الموقرات فردوس خاتون بنت المرحوم آغا ، ما هو ملكه المستبدل وهو الثمن ونصف عشر العشر من رحات « بايبوخت » على نهر الخورصر (٢) ، ومجموع قهوةخانة الواقعة في شيخ أبو العلاء (٣) عليه الرحمة والرضوان ، وما هو ملك الواقفة و وتحت تصرفها المنتقل لها بالأرث الشرعي من والدها المرحوم يحي وهو السدس من قيصرية الشهيرة بقيصرية علي أفندي بجميع ما اشتمل من البناء في السوق الكبير (٤) من أسواق الموصل المحروسة ، ون المنتقل اليها من رحاة بايبوخت المذكورة ، وهو من كل أربع وثلاثين سهم واحد . وأيضاً الواقفان المومى اليهما وقفا كتب علوم النقلية و المحررة في دفتر الذي هو حدة مع الوقف نامة (٥) الممضى من قبل الشريف ، وشرط الواقفان المومى اليهما أن يعطى من ربع الموقوف إلى م

---

(١) يريد (رحى) وهي الطاحونة .

(٢) وادٍ شرقي الموصل يصب ماءه في دجلة ، و « بايبوخت » من قراه سماهـا ياسين العمري باسم « بيبوخ » (منية ص١٣٥) .

(٣) من محال الموصل نسبت إلى قبر ولي بهذا الاسم في مسجد (منهل الاولياء ٢ / ١٣٢) .

(٤) السوق الكبير : ويعرف اليوم بسوق السراجين ، وهو الا فيه أمين باشا الجليلي جامع الباشا الشهير (مجموع الـ ص ١٣٢) .

(٥) نامة : كلمة فارسية بمعنى كتاب أو بيان .

المدرستين (١) التي أنشآهما ، التي احداهما لاجل تدريس علوم النقليــة والعقلية ، والاخرى لاجل تدريس القراءة والتجويدات فلمدرس علوم النقلية والعقلية كل يوم مائة وعشرين صاغة ، ولمدرس علم القراءة كل يوم ثمانين صاغة ، وإلى كليتدار الكتب خانة كل يوم ثمانية وعشرين صاغة وإلى كليتدار المدفن (٢) كل يوم أربعة صاغات ، وإلى تالي جــزء من القرآن المجيد والفرقان الحميد كل يوم لروح الواقفين المومى اليهما ثمانية صاغات ، وإلى خادم السبيل خانة كل يوم عشرون صاغة ، وإلى أربعــة حجر في الحوش الداخل ، وحجرتين في الحوش الخارج لستة من طلبة العلم الطالبين للاستكمال ، لكل طالب في اليوم ثمانيــة صاغات ، وإلى قابجي (٣) حوش الخارج كل يوم أربعة وعشرين صاغة وإلى كناس حوش الخارج كل يوم أربعة صاغات ، غير ماء سبيل خانة ثلاثمائة وستين صاغة في كل يوم .

وشرط الواقفان المومى اليهما أن يقريء المدرس كل يوم ، أول دروسه في علم الأخلاق ، ثم بعده باقي العلوم ، والكتابجي أن يمسح الكتب في كل ثلاثة أشهر مرة من الغبار ويكنس الكتبخانة ، والسبيل خانة جي يغسل مزملة السبيل خانة في كل شهرين . وشرط الواقفان المومى إليهما التولية لها ما داما في قيد الحياة ، ومن بعدها للأرشد والأصلح من أولادهما وأولاد أولادهما

---

(١) في الأصل (مدرستي)

(٢) الكليتدار : كلمة فارسية مخففة من كليد دار ، كليد معربة اقليد ج أقاليد ومقلاد ج مقاليــد ، دار : محافظ وتعني من بيده مفاتيح جامع أو تربة (كلمات فارسية ص١٦٥) .

(٣) القابجي : كلمة تركية تعني (البواب) .

وما تناسلوا والعياذ بالله من قضاء الله تعالى إذا انقرضت الذرية ، ولم ي
أحد منهم ، ينصب القاضي بمعرفة المدرسين والخدمة متول مشهور له بصلا
وورعه ، وذلك الحين ينصب القاضي المدرس ناظراً عليه . والفاضل
الريع للعمارة والرش والدلو والأباريق وباقي اللوازم ، والفاضل الذي ي
للواقفين الموصى اليهما ، ومن بعدهما ، للذرية وما تناسلوا ، ومن بعده
يصرف للمستحقين فالفقراء والمساكين ثم إن الواقفين الموصى اليهما قد نه
متولياً لأجل المرافعة والتسجيل وقبض الموقوف والتسليم ، وهو ملا ع
أمين بن ملا عبد القادر . فسلما له الموقوف وقبضه قبضاً تاماً ، فلما آ
الحال على هذا المنوال ، رجع الواقفان المسفور (كذا) ووكلت الوا
الموصى اليها للرجوع الحاج محمد آغا بن المرحوم أحمد آغا الثابتة وك
عنها بشهادة أبراهيم أغا وعثمان أغا ابني الحـاج يوسف أغا ، وقرر ا
الموصى اليه (١) ، مع وكيل الواقفة بأنهما رجعا عن الوقف المزبور ، و
استرداده إلى ملكيهما قائلين : أما وقف العقـار وان كان صحيحاً
المشايخ الكرام إلا أنه غير لازم عند الامام الأعظم والهمام الأقدم ، ام
أبي حنيفة النعمان بن ثابت . رضى الله عنه وأرضاه ، فعند ذاك أجاب
المتولي المنصوب لأجل المرافعة : بأن لزوم الوقف عند الامامين الشيه
أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم ، والامام الثالث محمد بن حسن الشيبان
لا ينكران ولا يردان ، فترافعوا وتخاصموا لدى الحاكم الفاضل ، النح
الكامل ، الموشح صدر هذا الكتاب بتوقيعه المستطاب وبعد اصغائه لك
الجانبين ، والتأمل في أصل دلائل المذهبين ، رجح لزوم الوقف لكونه
القول الأقوى وبه العمل في الأمصار والاعصار وعليه الفتوى ، وحكم بص
وقف العقار ، وشرعية الشرائط في خصوصه وعمومه ، فصار الوقف المذ

(١) المير : مخفف كلمة (أمير) ويريد به حسن باشا الجليلي .

وقفاً صحيحاً لازماً ، وحبساً صريحاً متفقاً عليه ، بحيث لا يباع ولا يرهن ولا يورث إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، لايحل لحاكم ووزير وقاض وأمير تغيير الوقف المذكور وتبديله وتعطيله عن نهج المقرر ونمط المحرر ، فمن تعرض لتغييره وتبديله وابطاله وتعطيله ، فلايقبل الله منه صرفاً وعدلاً ، والتحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، ويستحق الأسفل في العقبى ، فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ان الله سميع عليم ، وأجر الواقفين على الجواد الكريم .

تحريراً في غرة شعبان المعظم سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف .

ملحق رقم (١١)

من رسالة كتبها جيورجيس الثالث البطريرك اليعقوبي من ديار بكر جواباً إلى محمد باشا الجليلي والي الموصل ١٢٠٤ — ١٢٢١ هـ / ١٧٨٩ — ١٨٠٦ م يحثه فيها على الوقوف ضد انتشار المذهب الكاثوليكي في الموصل (١)

« غب تقبيل أهداب الأذيال بغاية التوقير والاجلال امام شمس الأكار ... وردت علينا مشرفتكم فطلبنا من الله تعالى أن يقوى حكمكم على الانام الافرنج المخالفين ، لأن الأفرنج هم أعداء إلى السلطان المنصور من الرحم وهذا شيء معلوم عند جميع الاسلام (٢) الأشراف وعند جميع النصارى أن كل نصراني في مملكة آل عثمان الذى يخلي طريقته ويتبع الافرنجية (٣ فهو عدو مبين إلى الاسلام الأشراف ، وكتبتم لنا في مشرفتكم بأن لانستم كلام المفسدين كأنه أناس مفسدين قد أرسلوا لنا مكاتيب وأعلمونا عم أناس الذين صاروا افرنج . . هل يمكن يريدون في كذبهم يخففون افرنجيتهم . . . وهل يمكن أنا الفقير اسمي موصلي ونحن محسوبين على الله وعلى بيوت

(١) عن ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لبطرس نصري الكلداني ج٢ ص٣٨١ ـ ٣٨٢ (الموصل ١٩١٣) .

(٢) يريد المسلمين .

(٣) يريد المذهب الكاثوليكي .

العامرة من زمان المرحومين أفندينا حسين باشا الوزير الأعظم وأمين باشا الوزير الأعظم جعلهما الله في جنان النعيم ، نكتب خلافاً على نصارى الموصل ونقول انهم صاروا افرنج ولكن ليس صاروا افرنج بل شدوا كفرهم ألف راس على مثل افرنج ساكنين قزل الماء (رومية) . . وهذه صار سنتين وثلاثة أشهر طائفتنا السريان الساكنين الموصل وبحشيقا وبرطلة من سبب فرنجيتهم ما رسلوا (١) طلبوا لاميرون (٢) ولارسلوا شيء المقطوع عليهم كل سنة بسنتها ، والسريان الذين صاروا افرنج من فزعهم من أناس الافرنج ما قدروا طلبوا منالاً ميرون ولا عطوا (٣) المقطوع لنا عليهم ونحن الفقراء جميع فطرة (٤) التي نلمها من جميع السريان ساكنين البلاد كلها سنة بسنتها نرسلها إلى الدولة العلية . . فبقا موجب (٥) مشرفتكم التي رسلتموها لنا نحن الفقراء وتكونوا تحكمون عليهم وترجعونهم من الطريقة الافرنجية إلى طريقة السريانية اليعقوبية . أولاً : يكون قد ثبتم قول الله . ثانياً : يكون قد حاميتم إلى الشرع الشريف وإلى دين الاسلام الاشراف . ثالثاً : يكون قد عملتم غيرية (٦) في اثبات خط همايون أفندينا السلطان لأن قرية بحشيقا بشروا البلاقس (القس بشارة) قد عمل نصفهم افرنج. وكذلك كل قرية برطلة . . وأيضاً بموجب حكمكم الثابت القاطع الشرعي

---

(١) يريد (أرسلوا) .

(٢) ميرون : هو سند دفع الجزية على النصارى .

(٣) يريد (أعطوا) .

(٤) الظاهر أن المقصود بها : الضريبة أو الصدقة .

(٥) يريد (فبقى بموجب) وهو تعبير موصلي عامي .

(٦) غيرية : من الغيرة والهمة .

الذي رفعتم إلى القلعة الستة المخالفين وبعض الاختياريت (١) الذين صارو افرنج إلى الزنجير (٢) ، فيكون يا أفندينا عالي الشان لك اعتقاداً كليـ محققاً يريد الله يعطيك السعد والنصر . . وفي النفس الأخير يورثكم جنا الخلد والنعيم لوالديكم وصحبكم وأصحابكم ، ويعظيكم بياض الوجه في الداري آمين يا رب العالمين » .

(١) كبار السن .

(٢) الزنجير : الحبس .

ملحق رقم (١٢)

تلخيص الوثيقة التركية المؤرخة ١٤ اغسطس ١٨٣٢ من ابراهيم باشا يكن إلى ابراهيم باشا بن محمد علي (١)

من ابراهيم باشا يكن إلى دولة الباشا السرعسكر :

يشعره باعتداء مائة وخمسين فارساً من عربان العنزة يظن أنهم من جماعة الشيخ حمد المهنا على ثمانين حاجاً ايرانياً عند عودتهم من الحجاز في كفر حلب الكائن قرب تل السلطان وسلبهم أموالهم ، وأنه كتب إلى الشيخ حمد المهنا يطلب تسليم الأموال المنهوبة ، وبالاشاعة التي تدور بين الجمهور وتفيد بأن يحيى باشا (الجليلي) والي ديار بكر السابق الذي كان منفياً في حلب وفر عند وصول دولة السر عسكر اليها مع الفارين قد استولى على موصل بمساعدة بعض سكانها . وبعودة محمد بك رئيس عشيرة موالي السابق من بغداد ، ووصول ساع آخر منها واخباره بأن أهالي بغداد ثاروا في وجه علي باشا ولكن نصف الأهالي انضم اليه فتغلب بهم على الثوار ، ويوجد لديه نحو ثلاث آلاف جندي ولكن القبائل والعشائر القاطنة حوالي بغداد خارجة عن الطاعة . وأخطر علي باشا بسبب الأزمة المالية والقحط لعقد قرض مع التجار على أن تحسب النقود التي ستقرضها منهم على أموال الجمرك في المستقبل . وبالتماس أعيان حلب تعيين محمد بك المار الذكر رئيساً على عشيرة موالي كالسابق .

---

(١) الوثائق القومية بقلعة محمد علي بالقاهرة . محفظة رقم ٢٣٨ عابدين الوثيقة التركية رقم ١٤٩ / ٨ بتاريخ ١٦ ربيع الآخر ١٢٤٨ هـ .

ملحق رقم (١٣)

تلخيص الوثيقة التركية المؤرخة ٦ اكتوبر ١٨٣٢ من ابراهيم باشا يكن إلى ابراهيم باشا بن محمد علي (١)

إلى دولة الباشا السر عسكر من إبراهيم باشا يكن :

يعرض أنه وصل ساع قادماً من مدينة موصل فأخبر بأن يحيى باشا الجليلي بعدما فر من حلب جمع نحو أربعة آلاف شخص من العربان واستولى على موصل بمساعدة الشيخ صفوق الجربا شيخ العشائر ولم يبق في يد المتسلم المنصوب من قبل علي باشا إلا حي واحد فقط وهو قريب من السقوط ولما احتج المتسلم المنصوب من قبل علي باشا علي يحيى باشا أعلمه بأنه استولى على موصل بأمر من دولة ابراهيم باشا . وأنه سأل الساعي عن أنباء بغداد فأجاب أنه لا يدري شيئاً عنها .

(١) الوثائق القومية بقلعة محمد علي بالقاهرة . محفظة رقم ٢٣٩ عابدين الوثيقة التركية رقم ٧٣ / ٩٠ بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٢٤٨ هـ .

ملحق رقم (١٤)

قائمة ببيان كميات الضرائب المفروضة على بعض القرى الموصلية من الحبوب (١)

القرية	انتاج الحنطة بالكيلة (٢)		انتاج الشعير بالكيلة	
	دفتر ١٩٥	دفتر ٦٦٠	دفتر ١٩٥	دفتر ٦٦٠
القوش	١٤٠٠		١٦٠٠	
قره قوش (خاص)	١٤٥٠	٣٢٠٠	١٢٥	٤٢٠٠
يارمجة (خاص)	٩٠٠	١٥٣٠	١١٠٠	١٢٠٠
بارطلي (خاص)	٨٥٠	١٥٥٠	٥٠٠	١٥٠٠
باطنة (خاص)	٧٠٠	٧٥٠	٤٨٠	٦٥٠
حطاره (خاص)	٧٠٠	٧٨٠	٤٠٠	٧٠٠
باعشيقة (تيمار)	١٥٠٠	٣٠٠٠	١٥٥٠	١٣٣٠
باغذرا (زعامت)	٢٨٢٠		٣٢٠٠	
محلبية (زعامت)	١٥٠٠	١٠٠٠	٥٠٠	٩٠٠
شاه (تيمار)	٥٥٠	٥٢٠	٥٥٠	٦٠٠
جراحية (تيمار)	٤٠٠		٣٥٠	
باحزاني		٣٠٠٠		٢٠٠٠
أسكي موصل (تيمار)	٢٠٠		١٠٠	
تلكيف		١٨٠٠		٢٠٠٠

(١) تستند هذه القائمة إلى البيانات المدونة في سجلات ولاية الموصل العثمانية دفتري ١٩٥ و ٦٦٠ .

(٢) الكيلة وحدة قياسية للاوزان ، كانت تحسب رسمياً في الدولة العثمانية بـ٢٠ أقة أي ٢٥ر٦٥٦ كيلوجرام للقمح، أما كيلة الشعير فالمظنون أنها تقل عن ذلك قليلاً ، إذ تبلغ ٢٢ر٢٥ كيلوجرام .
(فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية ص٧٢ ـ ٧٣)

ملحق رقم (١٥)

أهم العملات المستعملة في الموصل في العهد العثماني وأقيامها

ضرب العثمانيون النقود في الولايات العراقية منذ أول عهدهم بها فعرفت المدن الرئيسة ، مثل بغداد والحلة والموصل ، دور ضرب خاء بها من منتصف القرن العاشر للهجرة (١٦ م) ، واستمر الضرب جا في بغداد حتى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (١٩ م) ، في ح توقف في غيرها من المدن ، منذ أواخر القرن العاشر . وكان آخر ع الموصل بضرب النقود عام ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م (١) ، ثم أخذت تعتمـ تدريجياً على ما كان يسك في بغداد أولاً ، ثم على ما كان يسك في العاص القسطنطينية ، وبعض المدن الكبيرة في الشام ومصر .

ونتيجة لازدياد أهمية الموصل التجارية في القرنين الثاني عشر والثال عشر (١٨ و ١٩ م) فقد كثرت أنواع النقود الشائعة في معاملاتها الما واختلفت ، فوجدت فيها : الآقجة ، والقرش بأنواعه ، والصاغة ، والز والريال ، والفلس ، كما عرفت فيها عملات أجنبية ، مثل العباسي (الايراني والتومان ، والربية الهندية . وكان التعامل يجري بتلك العملات المتنوعة حسـ السعر السائد ، لذا فقد اختلفت قيمتها بين عهد وآخر ، بل أدت بعـ

---

(١) خليل أدهم : مسكوكات قديمـة اسلامية قتالوغي ج ١ ص ٩ (استانبول ١٣٣٤ هـ) .

الأزمات الاقتصادية إلى ابطال التعامل ببعضها أحياناً . وسجلت المدونات التاريخية المحلية عدداً من تلك العملات ، وحددت أقيام بعض منها . وثبتت الوقفيات على المساجد والمدارس وغيرها ، أنواعاً أخرى ، كما ثبتت أقيام بعضها الآخر . وسندرس في هذا البحث عدداً من تلك العملات ، مما كان شائعاً في الموصل آنذاك ، مستندين - بالدرجة الأولى - على ما تمدنا به المصادر المحلية من معلومات في هذا الصدد .

آقجـــة :

نقد عثماني يعزى ضربه إلى السلطان أورخان سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٥ م ، ومعنى آقجة (المبيضة) أو (البيضاء) (١) لغلبة الفضة على معدنها ، حيث كان عيارها يبلغ (٩٠٪) (٢) ، وقـــد عرفت في البلاد العربية بلفظ (عثماني) أي الدرهم العثماني ، وعرفت في بغداد باسمها (آقجة) أيضاً (٣) . أما في الموصل فقد سميت درهماً حيناً ، وآقجة حيناً آخر . ومن الملاحظ ان الاسم الأول يرد كثيراً في المدونات التاريخية المحلية ، وقليلاً

(١) *Gibb and Bowen : Islamic Society and the West , I, ii, P 49*

(٢) صالح زكي : قاموس رياضيات ١ / ٧٦ (نقله عباس العزاوي في تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية ص١٤٢ بغداد ١٩٥٨).

(٣) وقفية أحمد باشا البوشناق على جامع حمام المالح ببغداد ، مؤرخة في سنة ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧ م ، ووقفية مسجد سلاحدار حسين باشا ببغداد ، مؤرخة في سنة ١٠٨٤ هـ / ١٦٧٣ م ، ووقفية جامـــع خضربك ، مؤرخة بسنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م

ما تذكر (الآقجة) ، في حين يرد اسم الاخيرة في الوثائق والوقفيات(١
كما يلاحظ أن الدرهم لم يعرف باسم (عثمانى) في الموصل ، رغم كو
- في الحقيقة - درهماً عثمانياً (أي اقجة) لا درهماً فضة ، لان كلم
(عثماني) كانت تطلق - في نفس الوقت - على عملـة أخرى ، م
(الصاغة) كما سيرد ذكره .

وكانت الآقجة (أو الدرهم العثماني) تزن (٦ قراريط) (باعتب
أن القيراط ٢٤ / ١ من المثقال ، و ١٦ / ١ من الدرهم ، وأن النس
العملية بينهما هي ٣ : ٢) (٢) فيكون وزن الآقجة ربع وزن المثقال
أو ثلث الدرهم . وذكر هنتس أن وزن القيراط الاناضولي كان (٢٠٠٤ر٠
غراماً (٣) ، فيكون وزن الآقجـة العثمانيـة (وهي ٦ قراريط) إ
(٢٠٢٤ر١) غراماً ، في حين يرى اسماعيل غالب أن وزن الآقجة كـ
يبلغ (١٥٤ر١) غراماً (٤) ، وأن قيمة الدرهم الشرعي من الفضة كان
تساوي (٧٥ر٢) آقجة وعلى أية حال فان وزن هذه العملة وعيار
ومن ثم قيمتها ، لم يستقرا عند حد ثابت ، فقد أصابها انخفاض مستم
وتدنى وزن الآقجة خلال القرن الثاني عشر (١٨ م) من قيراط وا
وثلاثة أرباع القيراط عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٢ م ، إلى نصف قيراط

(١) كما في وقفية أحمد باشا الجليلي على جامع النبي شيت المؤرخة سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م .

(٢) هنتس : فالتر : المكاييل والاوزان الاسلامية ص١٠ و ١٤ (م ١٩٧٠) . أما النسبة الشرعية النظرية فهي (١٠ : ٧) .

(٣) المكاييل والاوزان الاسلامية ص٤٤ .

(٤) النقود العراقية ص١٤٢ .

١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م ، كما انخفض عيارها خلال نفس المدة من (٧٠٪) إلى (٤٦٪) ، والمعروف أن قيمة الذهب كانت تعدل بوجه عام عشرة أمثال قيمة الفضة ، ولم تزل تتناقص قيمة الفضة ، حتى بلغت قيمة الذهب خمس عشر ونصف مثلاً من قيمتها (١) . وفي الموصل ، كان يحدث أن تنخفض قيمة الفضة والذهب أثناء الأزمات الاقتصادية فيباع الدرهم الفضة بدرهم عثماني (أي اقجة) (على الرغم من أن الأول يبلغ ٣ أضعاف الثاني على الأقل) ويباع المثقال من الذهب بـ ٢٤ درهماً عثمانياً (اقجة) (٢) مع أن المفروض أن تكون قيمة المثقال الذهب – في الأوضاع الاعتيادية – ٤٥ درهماً عثمانياً على أقل تقدير (٣) .

وعلى الرغم من الانخفاضات المستمرة الطارئة على هذه العملة ، فانها حافظت على استعمالها فيما يتعلق بشؤون الوقف وشروط الواقفين ، وبقيت ضرائب الاقطاع العسكري العثماني المعروف بالتيمار تجبى بحساب الآقجات وكثيراً ما ذكرت الآقجة – في الوثائق الموصلية – إلى جانب القرش الصاغ كما في براءة تمليك قرية قره قوش (المؤرخة في سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م) وفي وقفية جامع النبي جرجيس (المؤرخة في سنة ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٧ م) وغيرهـــا .

وعند توقف ضرب هذه العملة عام ١٢٣٤ هـ / ١٨٢٧ م ، جرى العرف في ولاية الموصل أن تعتبر الآقجات – في أمور الوقف – سهاماً

---

(١) *Gibb and Bowen : Op. Cit., I, ii, p 54.*

(٢) ياسين العمري : الآثار الجلية في الحوادث الأرضية (مخطوط) .

(٣) على أساس أن المثقال يساوي درهماً ونصفاً .

بحسب مقابلها حسب الوارد ، دون أن يكون لهـا أية علاقة بوزن الفض
أو قيمتها .

القرش (١) ا

عملة عثمانية فضية ، ضربت في الأصل بوزن ٦ دراهم ، ووزنت ا
في القرن الثاني عشر (عهد السلطان أحمد الثالث (١١١٥ – ١١٤٣
١٧٠٣ – ١٧٣٠ م) بـ ٨ دراهم ، عيار (٦٠ر٠) ثم طرأ عليها انخفاض
مستمر ، ففي عهد السلطان مصطفى الثالث (١١٧١ - ١١٨٧ هـ / ١٧٥٧-١٧٧٣،
وزنت بـ (٢٥ر٦) درهمـاً ، وفي عهد السلطان عبد الحميـد الأو
(١١٨٧ – ١٢٠٣ هـ / ١٧٧٣ – ١٧٨٩ م) صار وزنها (٥ر٥) در٥
بعيار (٤٧ر٠) ، ووزنت في عهـد سليم الثالث (١٢٠٣ – ١٢٢٢
١٧٨٩ – ١٨٠٧ م) بأربعة دراهم ، ثم وزنت في زمن مصطفى الرا
(١٢٢٢ – ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٧ – ١٨٠٨ م) بأربعة دراهم . وانخفض
وزنها في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ – ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٨ – ١٨٣٩،
حتى بلغت درهماً واحداً ، بعيار (١٧ر٠) (٢) .

والقرش نوعان ، قرش صاغ ، وقرش رائج . فالقرش الصاغ
وهو المذكور آنفاً ، يساوي أربعين باره ، والقرش الرائج يساوي ربـ

---

(١) من الألمانية . (*Groschen*)
(٢) خليل ادهم : مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي ج ١ والعزاوي
النقود العراقية ١٤٨ .

الصاغ ، أي عشر بارات (١) .

واستعمل القرش في الموصل بنوعيه الصاغ والرائج ، في سائر المعاملات التجارية (٢) ، وفي بعض الوقفيات والوثائق الشرعية من القرن الثاني عشر (١٨ م) (٣) . كما وجدت قروش عرفت بالموصلية ، وهي القروش الرائجة ذاتها على ما نصت عليه بعض الوثائق الشرعية في ذلك العهد ، ففي وقفية مؤرخة في محرم ١٢١٤ هـ / ١٧٨٩ م جاء ما نصه « للمتولي في كل عام مائة غرش موصلي رايج . . وتسعين غرشاً موصلياً رايجاً لمعلم القرآن للصبيان » (٤) . ولم نجد عبارة « القرش الموصلي » هذه في محل آخر ، وربما كان استعمال هــذه التسمية لتفريقه عن القروش الموصوفة الأخرى ، أو ربما كان قرشاً خاصاً بالموصل لم نتوصل إلى معرفته حتى الآن كما وجدت أيضــاً قروش عرفت بالقروش الصحاح (٥) وهي القروش الصاغ ذاتها .

---

(١) موسى الحسيني المازندراني : العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير (طهران ١٣٨٢) ص١٤٧ و ١٥٤ . وانستاس الكرملي: النقود العربية وعلم النميات ١٨١ .

(٢) مذكرات حبش بن جمعة المنشورة مــع مذكرات دومنيكو لانزا (الموصل في القرن الثامن عشر – الموصل ١٩٥٣) ص٩٢ . ومجهول : القوانين السلفية (مخطوط) ص٢٠ فما بعدها ، والآثار الجلية في الحوادث الأرضية (مخطوط) .

(٣) مجموعة وقفيات الموصل ، جمعها المرحوم محمد بك الجليلي (مخطوط) د

(٤) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

(٥) حاشية للخطاط بولس بن عبد العزيز (منشورة مع مذكرات لانزا ص ٩٩) .

ووجد قرش عرف بالقرش البغدادي ، كان يساوي قرش وثلث القرش (١) ، أي (٥٥) بارة . وقد أشار الرحالة بوشان (٢) الذي زا العراق في ذلك العهد إلى أن القرش العين (وهو من الفضة) كان يساو (٦٣) بارة ، لكنه لم يكن يحسب على أية حال بأقل من (٦٠) بار وهذا يعني أن القرش البغدادى كان مقارباً في قيمته من القرش العين ، ب أن قيمة الأخير كانت تقترب تدريجياً من قيمة القرش البغدادي المذكور وذلك بسبب انخفاض نسبة الفضة فيه . وهذا ما يؤكده بوشان حين يقو « وهذه القروش (العين) من الفضة الخالصة ، ومضروبة في زمن السلطا أحمد (الثالث) لأن المسكوكات بدأت تتردى منذ ذلك الحين ، وح النحاس محل الفضة كلها تقريباً » .

وقد عرف القرش البغدادي في بعض الوثائق الموصلية بالبغدادي فق ففي وقفية مؤرخة في شعبان سنة ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م نجد أن الواقف يع « في رأس كل شهر ثمانية بغداديات إلى المدرس ، وثمانية بغداديات ل رجلين يقرآن كل يوم جزئين من القرآن » (٣) وجاء في حاشية كت القس حبش بن جمعة سنة ١٧٣٧ م / ١١٥٠ هـ « وبقي رأس الغنمة ع

(١) حاشية لمحمد أمين بك المفتي على كتاب الآثار الجلية للعمر (مخطوطة المؤلف) .

(٢) *Beauchamp : Lettre a Lalande in Zach monathe. Corresp. S 66 .*

ترجمه سعاد هادي العمري في كتابه « بغداد » كما وصفها السو الأجانب ص٥١ (بغداد ١٩٥٤) .

(٣) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

وثلاثون قروش ، وثور بخمسمائة قرش ، وحقة لحم بركيل بخمس بغادي » (١) وهذا يدل على أن القرش البغدادي كان جارياً في التعامل إلى جانب القرش الصاغ .

ويذكر المؤرخ الموصلي ياسين بن خير الله العمري (ت بعد ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م) أن استعمال القرش البغدادي قد بطل منذ عام ١٧٨٧ م / ١٢٠١ هـ ليحل محله في الاستعمال « الريال » . قال في حوادث السنة المذكورة « وفيها اشتد الغلاء في الموصل ، وكانت الغلات تباع بقرش بغدادي ، فصارت تباع في ريال . وبطل ذلك القرش البغدادي » (٢) . ويبدو أن ترك التعامل بالقرش المذكور كان بسبب انخفاض قيمته - قليلاً - عن الريال فبينما تبلغ قيمته (٥٥) بارة - على ما مر بنا - ، تبلغ قيمة الريال (٦٠) بارة ، فما حدث إذن كان متمشياً مع انخفاض قيمة النقود - بوجه عام - إزاء ارتفاع أثمان السلع المختلفة آنذاك .

ولابد أن نشير هنا إلى قرش آخر كان شائعاً في العراق ، وهو القرش الشامي ، لما له من صلة بأنواع القروش الأخرى التي مرت بنا . يذكر بيترمان (٣) الذي زار العراق سنة ١٨٥٤ - ١٨٥٥ م ان (الشامي) كان يساوي قرشاً استانبولياً واحداً قبل ولاية داود باشا سنة ١٨١٦ م ، والمعروف أنه لم يكن ثمة قرش بهذا الاسم (أي الاستانبولي) ، والظاهر أنه قصد به القرش العين ، ويؤكد ذلك أن العراقيين أطلقوا في النصف

(١) مذكرات حبش بن جمعة المنشورة مع مذكرات لانزا ص٩٢ .
(٢) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية (مخطوط) .
(٣) بغداد كما وصفها السواح الأجانب ص١١٨ .

الأول من القرن الثالث عشر (١٩ م) اسم الشامي على القرش العين (١) حتى عرف هذا القرش في البصرة باسم « الشامي العين » ، واكتفي أحياناً باسمه المعروف « شامي » (٢) أما في الموصل فلم نجد أيــة اشارة إلى « الشامي » ، وإنما اطلق على القرش العين اسم « القرش الرومي » . ففي وقفية رابعة خاتون المؤرخة بسنة ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م خصص للمتولي ١٢ قرشاً رومياً كل عام ، ومثل هذا المقدار خصص للمتولي في وقفية أخرى مؤرخة في رجب سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٧ م ، وفي وقفية تاريخها محرم سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م نجد أن الواقف يخصص « في كل سنة ١٥ غرشاً رومياً للمتولي » (٣) . وهذه النصوص تدل على القيمة المرتفعة للقرش الرومي (أي العين المسمى بالشامي) ابان ذلك العهد .

على أن انخفاضاً مطرداً طرأ على القروش العين في السنين التالية فاختلفت قيمتها عن القروش الشامية (أي الرومية) . ففي عهد داود باشا (١٢٣٢ – ١٢٤٧ هـ / ١٨١٦ – ١٨٣١ م) أصبح القرش الشامي يساوي – كما لاحظ بيترمان (٤) – ثلاثة قروش استانبولية (وهي العين كما ذكرنا من قبل) ، ثم سرعان ما انخفض أكثر ، فأصبحت قيمته مساوية لسبعة قروش ونصف القرش ، وبعد سقوط حكم داود باشا وانتهاء عهد المماليك ، كان ثمن الشامي الواحد سنة ١٨٥٥ م / ١٢٧٢ هـ قد بلغ ثمانية

(١) انستاس الكرملي : النقود العربية وعلم النميات ص١٧٤ .

(٢) أحمد نور الأنصاري : النصرة في أخبار البصرة (بغداد ١٩٦٩ ص٢٠ – ٢١ .

(٣) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

(٤) بغداد كما وصفها السواح الأجانب ص١١٨ – ١١٩ .

قروش وربع القرش . وبعدما كان القرش البغدادي مقارباً في قيمته للقرش العين والقرش الشامي ، أصبح في منتصف القرن التاسع عشر يساوي ربع ذلك القرش (أي العين) ، وبما أن قيمة القرش الأخير انخفضت — هي أيضاً — بالنسبة إلى القرش الشامي — على ما ذكرنا — فقد أصبح الشامي مساوياً في قيمته لـ (٣٣) قرشاً بغدادياً وقد استمر اسم الشامي يطلق في البصرة على القرش العين حتى وقت متأخر من العهد العثماني ، تمييزاً له عن القرش الصاغ (١) ، في حين لم نجد لهذه العملة أي ذكر في المدونات الموصلية المعاصرة لها .

البـــارة :

عملة عثمانية فضية ، كانت مستعملة في العراق منذ القرن العاشر للهجرة (١٦ م) . وقد وزنت أول عهدها (٥ر٥) قيراط ، أي أكثر من غرام بقليل (على أساس القيراط الاناضولي) ، واختلفت قيمتها بين أربع آقجات ، وآقجتين ، ثم استقرت بعد ذلك على ثلاث آقجات ، وهو ما جرى به التعامل في الموصل في العهد العثماني (٢) . ويذكر العزاوي أن انخفاضاً طرأ على قيمة هذه العملة فبلغ وزنها (٥ر٠) قيراط فقط ، أي (١٠٠٢ر٠) غراماً ، بعيار (٤٦ر٠) (٣) وهذا يعني أنها صارت مقاربة

(١) من التقويم اليومي لميخائيل يوسف عبود في البصرة (نشره يعقوب سركيس في مجلة غرفة تجارة بغداد ١٩٤٤ ج١ و ٢ و ٣ ص٥٨ وفي مباحث عراقية ٢ / ٢٨٥ — ٢٩٣) .

(٢) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

(٣) النقود العراقية ص١٤٦ .

– من حيث الوزن والعيار – للآقجة نفسها .

واطلق على البـــارة ، في الموصل ، اسم (مصرية) ، على حسب التسمية الشائعة في البلاد العربية الأخرى ، وخاصة في الولايات السورية، وذلك للروابط التجارية الوثيقة بين الموصل وبين تلك البلاد والظاهر أن الاسم كان أكثر ذيوعاً على الألسن في الموصل من البارة ، لكثرة وروده في المدونات التاريخية في ذلك العهد (١) . أما الوثائق الشرعية فليس فيها ما يفيد باستعمال هذه العملة في أمور الوقف ، وإنما استعملت أجزاءها من الآقجات .

الصاغة :

عملة عثمانية صغيرة ، كانت شائعة في الموصل منذ أول العهد العثماني فيها . لم نعثر على أي تحديد لقيمتها ، أو حتى اسمها في كتب النميات : مع أن بعض الوثائق الشرعية الموصلية كانت تنص على « الصاغة » كوحدة نقدية يتعامل بها .

وأقدم اشارة إلى هذه العملة ، وجدناها في وقفية على أحد الجوامع الكبيرة في الموصل ، مؤرخة في رجب سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م فقد ور فيها أن الواقف شرط للخطيب « في كل يوم ستة صاغات عثمانية ، وللمؤذ الأوقات الخمسة كل يوم ثلاث صاغات » . وهذه الصاغات هي التي عرفت

(١) ياسين العمري : غرائب الأثر في حوادث ربع قرن الثالث عشـ (الموصل ١٩٤٠) ص ١٥ و ٣١ و ٢٣ ، والآثار الجليـــة في الحوادث الأرضية (مخطوط) .

في الموصل باسم « عثمانية » ، متفردة في ذلك عن غيرها من الولايات العثمانية جاء في الوثيقة المذكورة « وللمؤذن الجمعة أربعة كل واحد عثماني ، وللمؤذن السدة كل يوم عثماني ، وللمحفل عثمانيتين . اخ » (١) ، وجاء في وقفية جامع الأغوات المؤرخة بسنة ١١١٤ هـ / ١٧٠٢ م أنه « للخطيب كل يوم أربعة من الصاغات العثمانية ، وللامام ستة ، وللمؤذن في الأوقات الخمسة كل يوم عثمانيتين . . » والنصوص المذكورة تدل على انخفاض قيمة «الصاغة» بالنسبة إلى غيرها من العملات ، أما القيمة الحقيقية لهذه العملة ، فتكشف عنها الوثيقة الشرعية المشار اليها ، فقد ورد فيها « وكل مائة وعشرين (صاغة) لقرش كامل الوزن . . وهو الرايج السلطاني حينئذ في بيت المال » (٢) فالقرش الكامل الوزن كان القرش الصاغ لفسه ، والرائج ليس اسماً له ، وانما صفة تميزه عن غيره من القروش المتأخرة ، المنخفضة الوزن والعيار . وهذا ما تؤيده الوثيقة الشرعية المؤرخة في سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٤ م ، حيث جاء فيها أن كل مائة وعشرين صاغة بقرش (وهو) المعبر عنه بأربعين مصرية (أي بارة) » (٣) وهذا يعني أن الصاغة كانت تعدل ثلث البارة الواحدة ، أي أنها كانت مساوية للآقجة (باعتبار أن البارة ثلاث آقجات) .

وفي عام ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م تم تحديد العلاقة بين الصاغة الفضية والفلس النحاس . فصار ثمن الصاغة الواحدة أربعة فلوس تامة الحجم، صحيحة الوزن والعيار . وكان ذلك الاجراء بسبب تردي سعر الفلس ، وانخفاض قيمته ، نظراً لكثرة تزييفه بسكه من معادن ادنى قيمة من النحاس

---

(١) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

(٢) و (٣) المصدر نفسه .

أو بقص حوافيه يقول المؤرخ الموصلي ياسين العمري في حوادث تلك السنة « وفيها كثرت الفلوس القبيحة من التنك والرصاص والحديد والمقصوص حتى صارت الصاغة عشرين فلساً . فلما قدم محمد باشا (الجليلي) إلى الموصل ، حمل معه فلوساً جدداً كباراً حسنة الشكل من بغداد ، وأمر أن يكون كل أربعة فلوس بصاغة » (١) . والمعروف أن الفلوس كانت من مسكوكات دار الضرب ببغداد ابان العهد العثماني ، لكننا لا نعلم ما إذا كانت تلك الفلوس التي نقلها محمد باشا إلى الموصل ، قد ضربت ببغداد لهذا الغرض ، أم أنها كانت من الفلوس المتداولة في هذه المدينة ، خاصة وان المصادر تسكت عن ذكر ضرب تلك العملة في بغداد طيلة الفترة الممتدة من سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩٠ م إلى سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م (٢) .

والظاهر أن تدنياً كبيراً لحق بقيمة الصاغة في القرن الثالث عشر (١٩ م) فبلغ راتب مدرس العلوم في المدرسة الحسنية سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦ ماثة صاغة يومياً ، ولمدرس علم القراءة كل يوم ثمانين صاغة (٣) ، وهذا يدل على ضآلة قيمتها في ذلك العهد وعلى أية حال فان اسم هذه العملة لبث يتردد في الوثائق الموصلية حتى النصف الأخير من القرن الثالث عشر كما في الوقفية المؤرخة بسنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م (٤) وغيرها :

---

(١) الآثار الجلية (مخطوط) .

(٢) النقود العراقية ص١٢٠ .

(٣) مجموعة وقفيات الموصل (مخطوطة) .

(٤) المصدر نفسه :

الريال (١) :

عملة عثمانية فضية شاعت في الموصل في العهد العثماني ، وخاصة في أواخر القرن الثامن عشر [أوائل ١٣ هـ] ومن أنواع الريالات التي عرفت في الموصل آنذاك « الريال العتيق » المسمى بالحميدي ، وقد سمي أيضاً بـ (الطمشلق) ، وهي كلمة تركية مركبة من (التمش) أى ستين ، مع أداة النسبة ، فيكون معناها (ذو الستين) بارة . وفي تعليق لمحمد أمين بك المفتي الموصلي تاريخه سنة ١٧٩٧ م / ١٢١٢ هـ ما نصه : « الريال العتيق الذي هو مسكوك بسكة السلطان عبد الحميد الأول ، وهو المسمى الطمشلق ، أي ستون بارة ، وكل بارة ثلاث أقجات » (٢) .

الزلطة :

عملة عثمانية عرفت بالتركية بلفظ زولته وظولته وزولوطه وذولته (٣) وعرفت في الموصل في القرن الثامن عشر (١٢ هـ) بالزلطة ، وأريد بها ثلاثة أرباع القرش الصاغ ، أي (٣٠ بارة) (٤) . واطلق العامة عليها لفظ (قرش) تجوزاً ، فعرفت بالقرش الزولط (٥) ، وجرى بها التعامل

(١) *Real* الاسبانية ، وتعني (الملكي) .

(٢) تعليق لمحمد أمين بك بن ابراهيم بك المفتي ، على حاشية الآثار الجلية للعمري . حوادث سنة ١٢٠١ هـ .

(٣) من السلافية: *zolata* أو *zaloto* أو *izlot* أو *isolete*

(٤) وكانت تساوى في أول ظهورها ثمانين بارة (النقود العربية ص١٧٥) .

(٥) مذكرات حبش بن جمعة (المنشورة مع مذكرات لانزا ص٩٢) .

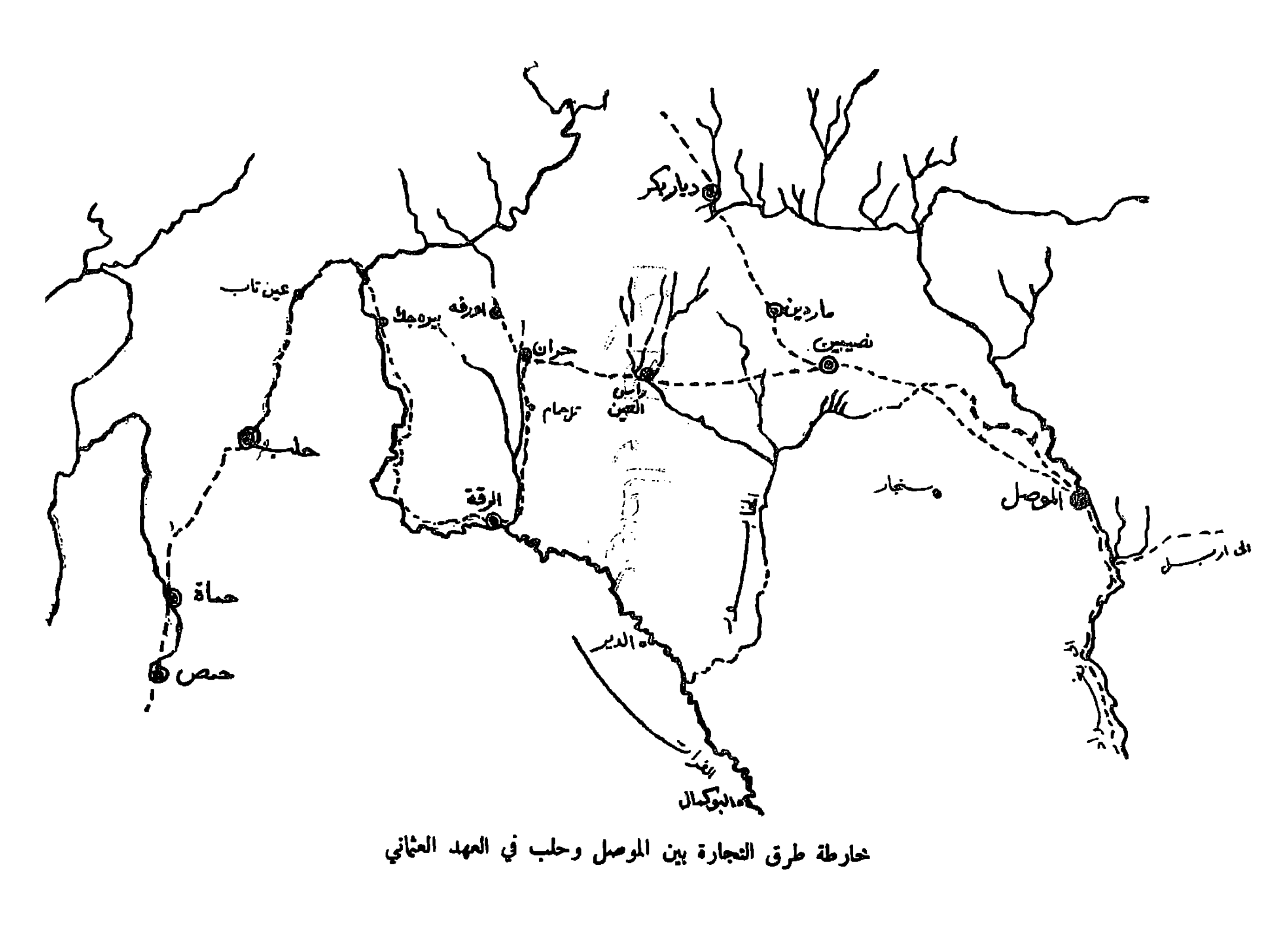
إلى جانب القروش البغدادية والقروش الصاغ وفي أوائل القرن التاسع عشر كانت الزلطة تستعمل في الموصل في جبايـــة بعض أنواع الضرائب قال ياسين بن خير الله العمري في حوادث سنة ١٧٨٥ م / ١٢٠٠ هـ « وفيه ورد إلى الموصل الأمر السلطاني بأن يؤخذ على كل "منْ" قهوة يبـــاع . زلطة » (١) وكان قد ذكر قبل ذلك ان سعر المن من القهوة بلغ (٣٠) قرشاً ، فتكون نسبة الضريبة على المن (١ / ٤٠) .

ويلاحظ من الجدول التالي ان العملات العثمانية المذكورة فيه [مبتدئ من البارة] تتبع في تسلسل أقيامها النظام « الاثنا عشري » ، وهو النظا الذي كان سائداً في أوروبا منذ العصور القديمة وحتى قيام الثورة الفرنسي واستمر في انكلتره حتى العصور الحديثة وقد الغي هذا النظام في الدول العثمانية - بالتدريج - وحل محله النظام العشري الذي اخذت به أورو من قبل (٢) .

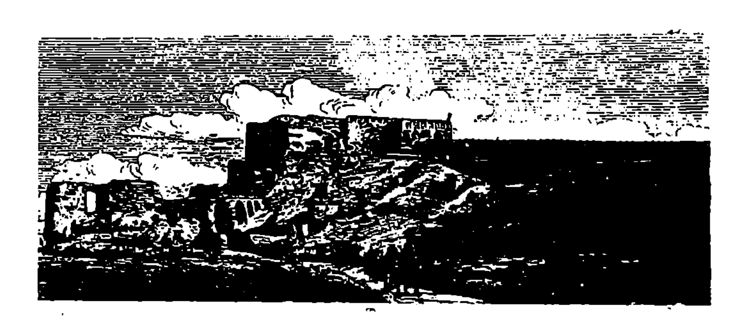
العملة	قيمتها بالفلوس
الصاغة والآقجة	٤
البارة	١٢
القرش الرائج	١٢٠
الزلطة	٣٦٠
القرش الصاغ	٤٨٠
الريال	٧٢٠

(١) ياسين العمري : غرائب الأثر ص٤٠ .

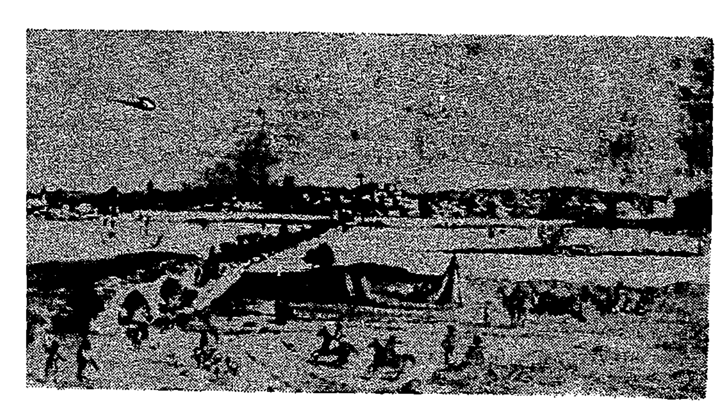
(٢) *Inc. Br. Vol. 15, p. 698*



خارطة طرق التجارة بين الموصل وحلب في العهد العثماني

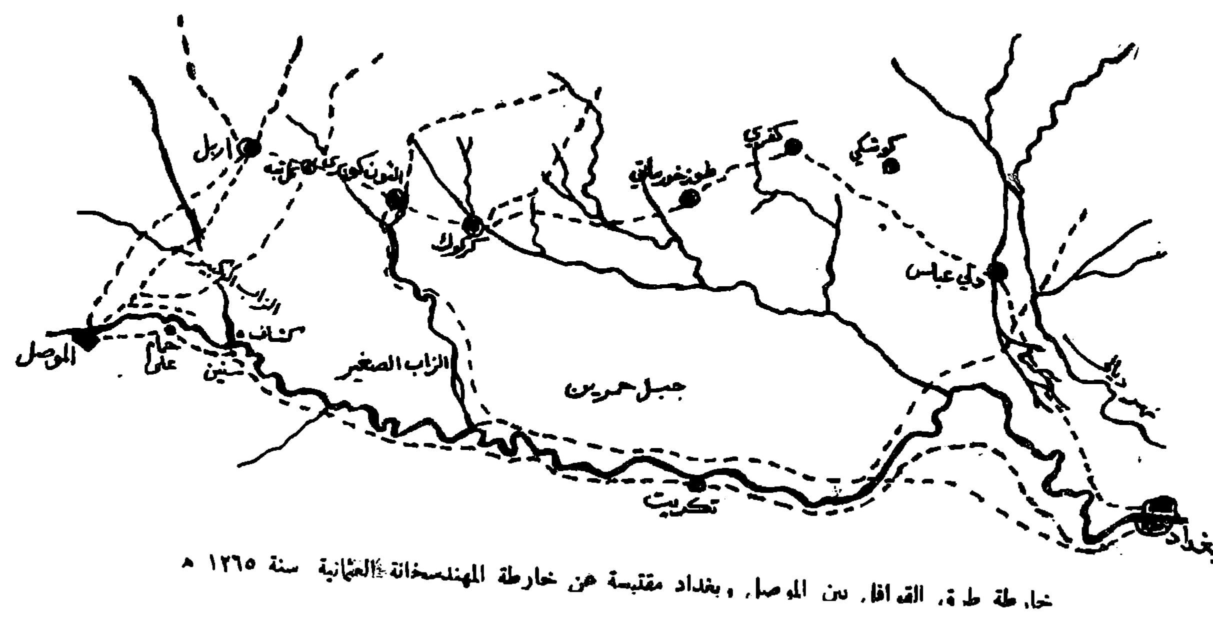


باب سنجار وجانب من سور الموصل في أوائل القرن العشرين



جسر الموصل القديم سنة ١٨٥٢ عن كتاب

Badger, J : The Nestorians I. P. 76



خارطة طرق القوافل بين الموصل وبغداد مقتبسة من خارطة المهندسخانة العثمانية سنة ١٢٦٥ هـ

١ - فهرس المحتويات

الفصل الثالث

علاقات الموصل وارتباطاتها بالباب العالي

الفصل الرابع

علاقات الموصل وارتباطاتها بولاية بغداد

والامارات المجاورة

اولا : علاقات الموصل بولاية بغداد

الفصل الخامس

نهاية حكم آل الجليلي

الباب الثاني

التطور الحضارى

الفصل الأول

نظم الادارة والحكم

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

الفصل الرابع

الحياة الثقافية

الفصل الخامس

٢ - فهرس الاعلام (١)

(أ)

---

(١) استثنينا من الفهارس الهجائية الاسماء الآتية : عراق ، الموصل ، بغداد ، عرب ، كرد ، عثمانيون وذلك لتكررها في اغلب صفحات الكتاب

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(هـ)

(ي)

٣ - فهرس الامكنه والبقاع

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ مدارس بغداد في العصر العباسي : بغداد ١٩٦٦

٢ ـ الآثار الخطية في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني

الجزء الاول ، بغداد ١٩٧٤

٣ ـ من تاريخ العراق : زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية .

لياسين العمري (تحقيق) النجف ١٩٧٤

٤ ـ الدرر المنظومة والصرر المختومة . لخليل بن علي البصير

(تحقيق) بغداد ١٩٧٤

٥ ـ الموصل في العهد العثماني . فترة الحكم المحلي

النجف ١٩٧٥

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
تالى	تعالى	٨	١١
١٠٤١م	١٤٠١م	٢٦	٥
(٢)	(٣)	٢٧	٢٠ (الهامش٣
عن	من	٥٠	١٤
وهالاها	وماوالاها	٥٤	١٥
بميسها	بميسمها	٦١	٤
التي	الذين	٦٥	١٩
متسماً	متسلماً	٨٣	٣
اضطلت	اضطلعت	٩٥	١٥
٢١٠و٠٠٠	٣١٠و٠٠٠	١٠١	٢٢
Deys	Days	١٥٣	٢٢
Rieh	Rich	١٥٣	٢٢
محمود	داود	٢٠٨	١٨
أولية	اوليا	٢١٥	٢
القضات	القضاة	٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧	١٣، ٢٠، ١٤
منهج القضات	منهج الثقات	٢٥٧	١٤
Bowee	Bowen	٢٥٩	١٣
Bawen	Bowen	٢٦١	٢١
Ingland	England	٢٨٨ ، ٣١٨	٢٠ ، ١٦
المتكثلكين	المتكثلكون	٣٢٨	٧
landia	India	٣٣٢ ، ٣٩٩	١٩ ، ٢١
ينجو	ينج	٣٣٧	٢
ولد	والد	٣٧٧	٢٢

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
افرادها	افراد	٣٩٩	١٢
احد	احمد	٤٠٨	٩
باشا	بك	٤٢٠	٤
١٨٣٢	١٧٣٢	٤٣٤	١٣
من	في	٤٣٥	١
سليمان	محمد	٤٤٢	١٥
احمد	محمود	٤٤٢	١٦
بيان جلي	بياناً جلياً	٤٥١	٧
اثار	آثاراً	٤٦٢	١٨
خلوص	خلوصي	٤٧٠	١٦
١٧٦٩ ﻫ	١١٨٣ ﻫ	٥٠١	٢
ملحق ٢	ملاحظة : لم تتضمن الشجرة من ولد بعد سنة ١٩٣٠ م.		
للمتوفى	للمتولي	٥٠٩	٩
يدى	يدا	٥١٥	٣
عين	غير	٥١٧	١
الجليل	الجليلي	٥١٧	٤
امين	امير	٥٢٤	١٨
والهمام الاعظم	تحذف	٥٢٩	٧
فان	فانه	٥٣٣	١
التمجير	التمجيد	٥٣٧	١١
إل	الى	٥٤٤	٢
ثلاث	ثلاثة	٥٤٨	١٤

mosques and schools, in an attempt to define some of the main aspects that distinguished the architectural art in Mosul at that time .

In the « conclusion » the writer presents the important conclusions of this study, to throw some light on certain hidden sides of Iraq's modern history which is part of the Arab nation history .

life in that era, and an approximate evaluation of the number of population of Mosul was presentd. it dealt with the sects of the population, including both Muslims and Christians mentioning Catholic missionaries in Mosul during the eighteenth and the nineteenth centuries.

The social aspects of life were referred to like religious feasts and social occaisions. The position of women in Mosul in both urban and rural areas was discussed.

The fourth part of the second chapter dealt with the cultural life in Mosul wish reference to the revival of Arabic culture and literature, and the current reformative thaughts at that time. Writing on various subjects, like Tafseer, Hadith, Fiqh, Literature, Grammer, Medicine, Astronomy and Geometry were flourishing. Building of schools, libraries, christian cultural centres. etc. were in progress.

The fifth part of the second chapter, studied the aspects of Mosul's architecture during the Jalilis' era, offering a general description of the city referring to their influence on it's military installations like forts and walls, religious and cultural foundations,

state, or external connected with the balance of political powers in the Middle East .

The escond chapter of the book deals with the development of Mosul during the Jalili era . As well, it was divided into five parts . The first, dealt with the administration and rules practiced at that time, and the extent of their development in the Jalili government .

The status of the ruler , the vice ruler , his Katkhuda , the Judge , the Mufti and the Ashrafs representive, and the military forces in the state , and the nature of their duteis both in war and peace were discussed.

In the second part of this chapter the economic life in Mosul during the Jalilis period is mentioned in an attempt to understand the econmic basis on which the political structure was based .

The three main aspects of production were : agriculture and its rural regulations and land tenure, industry with its primitive regulations, and commerce as a means for the exchange of goods and necessary raw materials.

The third part was devoted to research in social

at that time .

The second part of this chapter dealt witd the nature of the political life in Mosul during the times of the Jalili rulers; aiming at revealing the hidden factors which enabled them of seizing power during this period that exceeded a century . It explored their internal policy and their standing from the different local powers within Mosul itself .

The third part presented the political relations with AL - BAB - AL- ALLI,taking into consideration that the Sultan remained despite his actual ruling weakness the legal head of state and source of authority .

The fourth part dealt with Mosul's relation with the state of Baghdad , which was considered the main center of gravity in Iraq , It also mentioned the relation between Mosul and the neighbouring powers, such as Behdinan in Imadiyyah , and the Yezidis .

The last part of the first chapter was devoted to the study of the end of the rule of the Jalilis in Mosul , and the social and political conditions that lead to that , whether they were entirely internal related to the economic and social structure of the

SUMMARY

This book deals with the study of the period in which the Jalili family took over the rule in Mosul State in north Iraq, between the years 1726 and 1834 , from the political , social , economic and architectural aspects .

This period took place when Mosul was dominated by the ottomans . During which , Mosul was distinguished by a semi - local rule reflecting its own personality , which was seen in different political and civil activities .

The book is composed of an introduction , two chapters and a conclusion . The introduction dealt specifically with the geographic location of Mosul and the effect of natural and historical factors in drawing the boundries of the state during the period of the Jalilis . It also refered to the history of Mosul before the Jalilis came to power in the begining of the eighteenth century .

The first chapter is composed of five parts : the first deals with the Jalili's apperance on the political seen in an attempt to uncover its real reasons , whether local economical and social or general political , with reference to the Ottoman Empire

MOSUL

DURING THE OTTOMAN ERA

THE PERIOD OF LOCAL GOVERNMENT

1726 - 1834 A.D.

by

IMAD ABDUL SALAM RAOUF

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٢٩ لسنة ١٩٧٥

١٠٠٠ - ٢٠ / ٥ / ١٩٧٥

مطبعة الآداب - النجف الاشرف

الثمن ٣ دنانير